

تَسْبِيحٌ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

سورة السجدة و الحديد

تألیف

مُحَمَّدُ عَلِيُّ الْمُنْتَهَى

يَعْلَمُ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَدَقَ الدِّينَ الْشَّرِيفَ

إِنَّ شَارِطَ بِيَدِهِ
قُمْ

Princeton University Library



32101 047112097

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.



M. Sadr al-Din Shirazi

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ الْحَكَمِ

تألِيف

صَدَّقَ رَأْمَنْتَا لَهُمْ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبْرَاهِيمَ صَدَّقَ الدِّينُ الشَّيْخُ الْأَنْجَانِيُّ

تصحيح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قُمُّ

~~2273~~

(RECAP)

~~8283~~

2273

~~1944~~

8283

~~juz' 6~~

1981

juz' 6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين ، وعلى وصييه وخلفيته خير الوصيين ، وعلى الأئمة المعصومين ، لاسيما خاتمهم حجة الله في السموات والأرضين صلوات الله عليهم أجمعين ، من الان الى قيام يوم الدين .
وبعد : لما طبع الجزء الأول من التفسير الكبير لاستاذ البشر ، ومن تقدم بقدم العقل والكشف على من يأتي واغبر ، انسان العين وعين الانسان ، امام السالكين المقربين ، وبرهان الحكماء الالهيين ، صدر الملة والحق والدين ، محمد بن ابراهيم الشيرازي قدس الله سره الزكي وروح اللدرونه العلي ، المشتهر بصدر المتألهين ، كانت منيتي ان اشرع في طبع الجزء الثاني ، ولكن حوادث الزمان وطوارق الحدثان كانت تعوقني عن طبع هذا الاثر القيم ، كما كتبت في مقدمة كتابه الشريف المسمى باسرار الآيات وانوار البيانات الذي صحته وطبعه مجمع الفلسفة الاسلامية (انجمن حكمت وفلسفه ايران) .

فحينئذ شرعت في بقية اجزاء التفسير ، وتنقيحها الذي كتبه انا ملهم الشرفية في الا زمان الماضية وبقى الى الان في المكتبات والخزائن محفوظة ، وتم التصحیح بحمد الله وحسن توفيقه في مدة قليلة وان كان بعد قدمضت عليها مدة من الزمان طويلاً.

فلما اطلعت ان صديقى الفاضل المدير لمكتبة بيدار شرع فى طبع احد الاجزاء من تفسير القرآن لصاحبنا قدس سره من قصار السور الى الطوال ، وهى سورة الزلزلة والطارق والاعلى وال الجمعة والواقعة ، سلمت اليه كلما صفحته ونقتته وكتبته بيدى ، كما قال فى تصديره الذى طبع ونشر اخيراً ، والان شرع فى طبع الجزء الثاني من التفسير ، وهو سورة المسجدة وال الحديد ، وامرني ان اقدم لها مقدمة بالاختصار ، واشير الى النسخ التى كان عليها مدار التصحيح والمقابلة .

وكانت عندي نسخة مطبوعة طبعت فى سنة ١٣٢٢ هجرية طبعة حجرية ، وصورة فتوغرافية لمكتبة ملي ، ونسخة مصححة من مكتبة ملك ، المشتملة على سورة المسجدة وال الحديد وآياتي النور والكرسى ، التى صفحها وقابلها الاخوان الفاضلان الاخوند ميرزا محمد جعفر الكاشانى والاخوند ملا ابو القاسم الكاشانى مع نسخة المؤلف قدس سره وكتب احدهما فى آخر النسخة : «تمت المقابلة بقدر الواسع والطاقة بانسخة اصل مع اخوى جناب قدوسى ذات ملكوتى صفات ميرزا ابو القاسم فى سنة ١٢٩٧ هجرية» وبهذه النسخة قد تم تصحيح سورة المسجدة وال الحديد .

واما شرح حاله وشخصيته وآرائه الخاصة واساتذته وتلامذته مضبوط فى كتب السير ، لاسيما فى مقدمة الجزء الاول من التفسير الكبير الذى طبع قبل سبع سنين . وفي الخاتمة ارجو من الله الكريم ان يوفق الناشر فى طبع بقية الاجزاء من هذا التفسير النافيس باحسن وجه ، وعن القراء الكرام ذوى العز والاكرام ان ينظروا بعين العفو والاغمام ، وانا احوج خلق الله الى رحمة ربى البارى محمد الخواجوى جعل الله تعالى اخرتى خيرا من دينائي ، وكان القراء عن تحرير هذه المقدمة فى التاسع والعشرين من ربىع المولود سنة اثنين واربع مائة بعد الالاف من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف الثناء والتحية .

محمد خواجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل من سماء علمه وقدرته كتاباً الهيأ يهدى الى النور ،
ورزقاً سماوياً فيه غذاء للارواح وشفاء للصدور ، ونجاة للعقل من اسقام الجهالات
الموجبة للثبور ، واحياء للنفوس الراقدة في أبدان هي كالقبور ، وتنبيه للغافلين عن
لقاء الله يوم النشور ، وفيه لاهل الهدایة الربانیة الرزق المقدر الميسور ، ولاصحاب
المحبة الالهية الحظ الموفور المبرور .

والصلوة على اهل بيت العلم والتبوة والعرفان ، ومختلف الملائكة بايحاء
القرآن ، محمد سيد الانبياء والمرسلين ، آل سادات الاولياء والاصديقين ،
سلام الله عليهم اجمعين ، وعلى من سلك سبيلهم من السابقين واللاحقين .

وبعد اعلم ايها الطالب لدرك حقائق القرآن والراغب الى سلوك درجات
سماء الايمان يقدم العلم والعرفان ، والعمل بمقتضى احكام الله في نوع الانسان الذي
هو اشرف ما في العناصر والاركان ، كالنبات والحيوان ، بل أجل ما في الافلاك
كالثور والسرطان ، بل ابدع ما في الامكان كالمملك والرضوان ، جميع ذلك بحسب
جسمه وعقله ونفسه ، من جهة ثمرته وفرعه واصله ان كل فعل وصفة صدر من نفس

المقدمة

او طبيعة فهو انما يكون من جنس فاعله وغايته ، ويناسب بذره وثمرته ، ولا تفاوت بينهما في المآل الا بحسب النقص والكمال ، كيف الاول أول الحركة كالبذرة والآخر غايتها كالثمرة ، والوسط مسافتها كالشجرة ، والمسافة تشبه الطرفين والوسطين مناسب النهايتين .

وتحقق عند المحققين ان غاية كل فعل ذي غاية هي فاعل لفاعله ، فالبناء من حيث هو صاحب ماهية يكون من صورة البيت وماهيته ، اذ مبدأ حركته هو من حيث تصور في ذاته او في قوة من قوى ذاته كالمخيال صورة الدار وغيرها على وجه الوضوح ، وهي الملكة الصناعية التي ينشأ منها فعل البناء من غير كثير تجشم وروية ، ولرسوخها في الذهن تصير منشأ لصورة خارجة ، هي اشد حصولا ، لكونها حاصلة بامداد مبدء علوى هو بالحقيقة العلة المفيدة ، والصورة الذهنية هي شبيهة بالمبدء الفياض ، الذي هو فعال لما يشاء ومحظوظ لما يريد ، وذلك لحصول جميع الانواع فيه على ضرب مقدس عقلي فعلى مرتفع عن المواد ، شديد البرائة عن الجسمية والقوة والاستعداد ، فالملكة الصناعية التي ينشأ منها فعل محكم من غير كثير رؤية وتجشم هي تشبه بالصانع الحكيم والبديع العليم .

و من هيئنا قيل ان الصنعة تشبه بالطبيعة فالباني للدار مثلا من حيث هو بان لها هو صورة الدار بعينها ، الا انها لضعف وجودها الذهنية تتحرك من النقص الى الكمال بامداد العقل الفعال ، وبه تنتقل من هذا التخييل بالتحصل العيني الى حد الاستكمال فاذا تم العمل صار هو صورة بنائية عينية قوية الوجود ، قريبة المناسبة الى المقصود ، بل بوجه الى الواهب المعبد ، اذ فيه منشأ كل كمال وخير وجود .

والحداد من حيث هو حداد عين الصورة الحديدية وهي كمالها ، والطيب المعالج من حيث هو معالج هو خادم مزاج الصحي الطبيعية ، ومرتبته مرتبة الكيفية المزاجية ، لا الصورة الحيوانية او الانسانية ، فانها بعيدة عن غاية هذه الصناعة ، بل لها مبدأ آخر اجل من الطبيب وماهيته وغايته ، وهو حافظ هذا النظام بكلالية الانواع على كمالها الاتم ، تشبهها بالصانع الاول وتقربا اليه وزلفى لديه جل مجده .

وكذا النحوى واللغوى والواعظ وراوى القصص والاخبار ، وان كانوا فى مراتب القصوى من فنونهم وصناعتهم ، كسيبويه او من هو أنحى منه ، والحسن البصرى او من هو اوعظ منه ، وابن القرية (١) او من هو أحفظ منه ، فان لهم بمحض صناعتهم وعلومهم غایيات غريبة دنية ، وهم متهد الحقيقة بغایاتهم من حيث علومهم وصناعاتهم ولغاياتهم غایيات اخرى هى غایيات لافاعيل غيرهم أم لافاعيلهم ، لكن لا بما هم ولا بما هم ذوى تلك الافاعيل المذكورة ، بل بما هم فاعلون لافاعيل اخرى هى غایة أفاعيلهم التي ذكرناها اولاً، وهكذا الى ان ينتهى الى آخر الغایات ونهاية الموجودات على وجه عقلى مقدس عن التغير والزمان والحدثان . والبرهان قائم على ان مثل هذه الغایة يجب ان يكون هو أول الموجودات ، كيلا يكون ناقصاً في وجوده ، مفتقرأ الى غایة يتم به وجوده ، وجميع الموجودات مرتبطة بالخير الاعظم والجمال الاتم ، والكمال الارفع مستهلك وجودها في وجوده القاهر ، ونورها في نوره الباهر .

* * *

ومن هذا المقياس الذى ذكرناه ينقطن الذكى للبيب ، بالتفاوت فى الشرف والدنانة بين الصناعات والعلوم وان أى خلق وملكة يؤدى صاحبه الى جوار الله وقربه ، ويحضر فى دار كرامته مع النبىين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ، وأى خلق وملكة يؤدى صاحبه الى الهلاك الابدى ، والشقاء السرمدى ، قائلًا يا بيت بينى وبينك بعد المشرقين فليس القرین ، وينقطن ان اجل الصناعات وأشرف الاعمال القلبية والافعال الملكية تحصيل الصناعة المسممة عند طائفة بالحكمة والفلسفة التى هي التشبه بالله الحق والتقارب به بقدر الطاقة البشرية ، وعند أصحاب الشريعة الحقة المحمدية على الصادع بها وآلها افضل الصلة واسرف التقديسات

(١) هو ايوب بن قيس . والقرية امه وكان لستنا خطيبا ... (المعارف:

باليمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، المشار إليه في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد ، بقوله : ﴿آمن الرسول بما انزل إليه﴾ الآية [٢٨٥/٢]

وما دارى كيف يسع لاحد التوقف والانكار والاستنكار فى أن تحصيل المعارف الالهية أجل الصناعات ، واقتناص المسائل الربوبية اشرف الانتقالات والحركات القلبية ، وجلالة كل صناعة وشرفها اما بفضيلة فاعلها ومحركها ، واما بنهاية الشمرة والغاية ، واما بشرف موضوعها وقابلها ، واما بحسن الصورة الحاصلة من تلك الصناعة .

ولا شك ان الاسباب الاربعة فى هذه الصناعة النظرية الالهية والفلسفية الكلية الربوبية ، اكرم الاسباب واسرفها ، ففاعلها العقل النظري عند حصوله بالفعل بتأييد العقل الفعال ، وهو اشرف اجزاء الجوهر النطقي الانسانى المضاهى فى التقدس لجواهر الملائكة العقلية وهم سكان حظيرة القدس ، المجاورون للحضررة الالهية .

وغایتها الوصول الى حقائق تلك المعارف الربوبية ، وهى ذوات المفارقات النورية التى هى اشعة ذات الله وصفاته ، والقرب الى بارىء الكل ومحرك الجميع بالتحرير التشويفى الربوبى ، والاحباب العقلى الالهى .

وموضوعها الجوهر النفسي والعقل الهيولاني ، الذى هو لباب العالم الجسمانى ، وليس فى موضوع الصناعات كلها ما يكون اشرف منه وأجل لانه ثمرة الصورة المادية غایتها ، ويدر الولادة الروحانية ونطافتها المعنوية ، وقد حققنا فى مقامه مرتبة العقل الهيولاني بأنه صورة الصور فى عالم الاجسام ، ومادة المواد فى عالم العقول ، ولهذا سماه بعض المحققين طراز عالم العقل .

واما الصورة فهى هيئة العالم التام بجميع اجزائه الكلية واسبابه القصوى ، وغایته العظمى ، اخذأ من المبلغ الاعلى الى صورة الجوهر العقلية والنفوس الفلكلية والاجرام الكلية ، وجميع الهيئات والصفات الكلية للانواع الكلية ، الحاصلة بفيض

الابداع دون الشخصيات المادية ، التي ليست منضبطة تحت الامر العقلى ، وانما هى حاصلة من خصوصيات الحركات والازمان والابعاد والاحياز ، ولهذا مما ينالها الحواس ، وينفع عندها الالات ، التي هى ايضاً مثار الغلط والتغيير والزوال .
فاذَا تحقق و تيقن ان الحكمة الالهية الربانية و المطالب اليمانية ، اجل الاعمال القلبية ، واشرف العبادات الباطنية ، فلا بد لطالب الخير والسعادة ان ينال بحظ وافر ، وان يقتضى منها قدرأً صالحأً يكون ذخراً له يوم المعاد ووسيلة الى قرب الحق الجواب .

ثم لاشك ان خلاصة كتب الله الفائضة على انبئائه او ليائاته هو الفرقان ، المنزل من الله على قلب خاتم انبئائه وأشرف اوليائاته محمد المصطفى (ص) ، اذ فيه حكمة الانبياء والصديقين وفيه علم الاولين والآخرين ، وقواعد احكام السابقين واللاحقين ، من لدن آدم صفى الله والد العقلاء الصالحين ، وابراهيم شيخ الانبياء الموحدين الى زمان نبينا خاتم النبىين ، واولاده المقدسين الروحانيين ، المتصل دولتهم الالهية وملتهم التوحيدية ، الى المهدى سلام الله عليهم سلفاً وخلفاً أجمعين ، وما من علم رباني ومسئلة هدية وحكمة برهاية ومعرفة كشفية الا ويوجد في القرآن اصله وفرعه ومبدئه وغايته ولبابه ، حتى ان كل سورة من سوره يوجد فيه غاية افكار الحكماء الاولين ، ونهاية سراير الاولاء المتقدمين .

وان هذا العبد الصعيف الممسكين المفتقر الى جود الله الحق المبين ، محمد المشهور بصدر الدين ، يقول : انى بعدما تصفحت معظم كتب الحكماء المشهورين بالفضل والبراعة ، وتدبرت اكثراً زبر العلماء المشار اليهم بالعلم والشريعة ، ما أرأويت عن ظمائى فى طلب الكشف واليقين ، وما أطفلت حرارتى ونابرة شوقي فى التوسل الى معرفة حقائق الدين ، بل وجدتها كلها قاصرة عن افاده التصديق ، ما الفائدة فيها الا مجرد التشويق *** وما يتبع اكثراًهم الاظننا ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً** [٣٦ / ١٠] .

فلما رجعت الى تتبع معانى القرآن العظيم ، وما فاضه الله سبحانه على قلب

رسوله النبي الكريم ، وجدتها بحمد الله غاية كل بغية ومطلب ، ونهاية كل شوق وطلب ، فتدبرت في معانيه ، وتصفحت اصوله ومبانيه ، وغرقت في بحاره ، واستخرجت درراً من اسراره ، وابرزت في ارقام الكتابة كنوزاً من اغوار تياره ، هذا مع ان سر كلام الله تعالى اجل من ان يحيط به لسان ، وان يجمع اطرافه بناء ، لكن شرعت فيه سائل من الله عزوجل ان يوفقني للاطلاع على معانى كتابه المجيد ، فرفعت الحجب عن بعض سوره وآياته وكشفت قناع الغمة عن وجه بيته ، مثل آية الكرسي ، وآية النور ، وسورة يس ، وسورة الحديد ، والواقعة ، والعلى ، وسورة الطارق ، والزلزلة ، وغيرها من المترفات ، والمرجوم من الله ان اجمع كتاباً جاماً ، وتفسيراً كبيراً ، لم ير مثله أعين (عن - ن) الاعيان ، ولم ينل شبيهه خواطر ابناء الزمان ، مع ان لي قلباً قد شوشه محن الاعصار ، ونجدته الدهور والادوار ، ومصائب الفلك الدوار ، ولخاطرى بضاعة في العلوم مزاجة ، وظلافيها اقلص من طل حصاة ، لكن الرحمة واسعة ، وخزائن الله مملوءة ، وينابيعه نابعة يفيض على من يشاء من عباده من غير دافعة ولا مانعة .

فهذه ياخوانى طائفة من رموز قرآنی ، ومعانى نکات ربوبية ، متعلقة بسورة السجدة ، افاضها الله على قلب هذا المسكين ، وهى قطرة من بحرها الراfter ، ولمعة من بدرها الزاهر ، فان هذه السورة كأكثر اخواته مشتملة على عظائم المسائل الالهية ، التي هي غاية العلم والعرفان ، وشرائع علوم النفس الادمية التي هي اساس السلوك الى الله العزيز المتنان ، والنفس سلسم العروج الى واجب الوجود ، وصراط الوصول الى الملك المعبود ، وهى السالك والمسلك ، والخارج والمعراج ، بحسب درجاتها وادوارها ومراتبها واطوارها ، وغاية مرتبتها الوصول الى درجة النبوة ، ومشاهدة الوحى الصريح والاهام الصحيح ، وتلقى المعارف كفاحاً من الملك الموحى ، باللقاء السبوحي .

وقد ذكر فيها كيفية الوحى والتنزيل ، التي هي اشرف اجزاء علم المعاد ، وعلم النباتات ، ثم بيّن كيفية خلق السموات والارض وما بينهما ، التي هي خلاصة

علم السماء والعالم ، وهو أحد المسالك المقررة في علم التوحيد المشار إليه بقوله:
 ﴿سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [٤١/٥٣].
 ثم اشار الى استوائه على العرش وتدبيره الامر من السماء الى الارض بايجاده
 اسباب الكائنات من الحركات والاستعدادات لخلق المواليد من الحيوان والنبات،
 وهو معظم ابواب الحكمة الطبيعية الموجبة لمعرفة دقائق صنع الله في ا يصل رحمته
 الى كل موجود من الموجودات ، واحاطة علمه بكل ذرة من الذرات ، وقد وقع
 في كثير من الآيات الفرقانية الحث على التأمل في هذه الصنائع ، والتدبر في هذه
 المخلوقات العظيمة بقوله : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكِّرُوا﴾ [٣٠/٨] ووقع ايضاً فيه المدح
 العظيم لتأملها بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ .. يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
 - الآية -- [٣/١٩١].

ثم اشار الى الغرض الاصلي من خلقه المركبات ، وهو العروج اليه والوصول
 الى باب معرفته ومجاورة مقربيه ، و اشار الى بدء وجود النفس الانسانية التي هي
 الصاعدة اليه بنور العلم والهدى ، العارجة الى بابه بقدم الصبر والتقوى ، بعد ما اثنى
 على ذاته بأنه ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه﴾ [٣٢/٧] ، لكونه اوجدها على وجه يؤدى
 الى الخير التام وحسن النظام ، وينتتج وجودها وجود نوع الانسان المهتدى بنور
 المعرفة الى سبيل الله المidan ، الواصل الى روضة الرضوان ونعميم الجنان ومجاورة
 الرحمن .

ثم افاد وافاض كيفية ارتقاء النفس اليه ، وفنائها عمما وقعت فيه من الحياة
 العاجلة ، و اشار الى الملك المتوفى لها عن هذه الدار الفانية المعيني ايها باذن الله
 تعالى في الدار الاخرة ، السائق لها بسوط « ارجعى » الى جوار ربها .

ثم اشار الى اقسام النقوس بحسب السعادة والشقاوة الاجلتين ، وهو عدمة
 علم المعاد ، الذي هو اجل معارف الانسان ، واعظم قواعد الایمان ، بعد معرفة
 المبدئ الدين ، وهم اعظم دعائيم الحكمة والعرفان ، واحكم اساطير العلم
 بأسرار القرآن .

ثم اكد بيان هذه المعارف ، كما هو دأبه سبحانه بتفصيل احوال الاشقياء والسعداء ، وبيان الوعيد لزيادة الاهداء والبحث على الارقاء من هذه الوهدة الظلماء ، والمقبرة الغبراء .

و قبل ان نخوض في غرض المرام ، نمهد مقدمة يناسب المقام .

تمهيد فيه تشبييد

اعلم أيها القارى ان القرآن ، وسيما هذه السورة التي نحن بصدده تبيينها ان شاء الله ، هونور يهتدى به فى ظلمات البر والبحر ودواء من كل داء وضر، اذا رفع نقاب العزة عن وجهه ، وكشف جلباب العظمة والكبرياء عن لبه وحقيقة وانفسع ، سحاب الاحتجاج ورفع الاختفاء والتمنع عن وجوه شموس آياته ورموزه ، وأنوار تجلياته وكنوزه : يشفى كل عليل داء الجهل والشقاوة ويروى كل غليل طلب الحق والسعادة ، ويداوى كل مريض القلب بعلل الاخلاق الذميمة المزمنة ، وأقسام الجهات المهلكة ، وتتورى نور أبصار بصائر القلوب ، ويستعد للقاء الله علام السراير والغيوب ، كما قال الله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَّكِتَابٌ مِّنْ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦/٥] .

وقد روى عن رسول الله ﷺ : القرآن هو الدواء (١) .

وروى عنه ﷺ ايضاً : القرآن غنى لافقر بعده (٢) .

والقرآن هو حبل الله المتيقن الذي نزل الى العالم الاسفل ، لنجاة المحبوبين في سجن الدنيا ، المقيدين بسلسل التعلقات وأغلال الاثقال والاذمار ، من حب الاهل والولد والمال ، وشهوة البطن والفرج والحرص والامال وخسران الآخرة

(١) بحار الانوار ج ٩٢ ص ١٧٦

(٢) بحار الانوار : ج ٩٢ ص ١٩

والمال لوجدان العاجل والحال ، وهو مع عظمة قدر حقيقته و مغزاه ورقة سره و معناه ، مما تلبس بلباس الحروف والاصوات واكتسى بكسوة الالفاظ والعبارات، رحمة من الله وشفقة على عباده وتأنيساً لهم ، وتقريراً اليهم ، والى افهمهم ومداراة معهم ومنازلة الى اذواهم ، والافما للتراب ورب الارباب ، ففي كل حرف من حروفه ألف غنج و دلال ، و غمز وجلب قلوب لاهل الاحوال ، فوقع فيه النداء لتخلص الاسراء من قيد هذا المهوى ، وسجين هذه الدنيا ، بقوله : ﴿وَذَكْرُ فَانَّ الذَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥١/٥٥] .

فبسطت شبكة الحروف والاصوات ، مع حبوب المعانى لاصطياد طيور السموات ، و لكل طير من طيور النفسانية رزق خاص معلوم ، كما لكل ملك فى السماء والارض مقام معلوم ، يعرف ذلك منشيهها و مبدعها ، و انما الغرض الاصلى من بسط الشبكة فى الارض اصطياد نوع خاص منها برزق مخصوص معلوم من العلوم ، ولب حب خاص من لبوب الحبوب دون غيرهم ﴿سُوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَلَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢/٦] والافما من رزق الا ويوجد فى القرآن نوع «من» له وقشره وأصله وفرعه وسبله وتبنه ، متاعاً لكم ولا نعامكم ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا رَطْبٌ
وَلَا يَابْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٦/٩٥] .

فكما يوجد فيه من الحقائق الربانية القدسية ، التى كانت معرفتها غذاء للارواح العالية العقلية ، ففيه ايضاً يوجد المعارف الجزئية ، والاحكام السياسية ، والقصص والاخبار ، والحكايات التى ينتفع بها المتوسطون في درجة النجاة من عامة أهل الاسلام ، الذين لهم في النشأة الثانية ضرب من الحياة ، دون مرتبة التي للهداية المقربين ، الاحياء بالحياة العقلية بالذات ، وفيه الاغذية الروحانية والجسدانية الاخرويتين ، المبقة للحيوتين الفقلانية والنفسانية ، لاهل المنزلتين والجنتين ، وفيه ايضاً ما به صلاح هذه النشأة الدنيا ، كالقصاص والديات والمواريث .

و قد نظمت أبياتاً فارسية في وصف القرآن ، و كونه غذاء سماويياً يختص بالاغتناء به لارواح اهل المحبة الالهية من نوع الانسان ، اوردت بعضها هيئنا ،

وهي هذه - شعر :

گشته نازل از برای اغتنادا
اغتنادا یابد دواب از راه فم
رزق انسان گشته نازل از سما
روزی حیوان بود از آش و نان
قشو و که بینی نه مغز و دانهها
تبن و قشر از بهر حیوان نی حبوب
جاندھی بهر لغت یانحو و صرف
که نباشد فرق از تو تا دواب

هست قرآن چون طعامی کز سما
اغتنادی آدم از لوح و قلم
«فی السماءِ رزقکم» گفته خدا
روزی انسان رسد از آسمان
تو ز قرآن بنگری افسانها
هست بهر آدمی دهن و لبوب
تو ز قرآن می نجوئی غیر حرف
اندر سعیی همیشه باشتاپ

هیهات انك لست من اهل القرآن حتى ينكشف لك أسراره واغواره ، لتعرف
أنه مامن شيء إلا وفيه بيانه وبيانه ، ولو كان من باطنك طريق إلى عالم النور
والملائكة القرآنى، لتجلى لك قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا هُوَ لَهُ حَافِظُونَ﴾ [٩/١٥]
ولكنت ذاخشية الهيبة لازمة لادرك عظمة الله وذاخشوع قلبى لازم لفهم عظمة كتابه
القرآنى ومعانى آياته لقوله: ﴿لَوْ انَّ زَلَّا هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [٢١/٥٩].

وخطابات القرآن مما يخص بأحباء الله والمتأنثين والمقربين، لا المبعدين
المساكرين المجاهدين، ممن ليس لهم نصيب في القرآن ولا لهم اغتناد بل بباب معانيها
وحة يقعها المبقية للنفس الملكوتية في دار الحيوان ﴿وَانَ الدارُ الْآخِرَةُ لِهِ الْحَيَاةُ
لَوْ كَانُو يَعْلَمُونَ﴾ [٦٤/٢٩] كما قلت نظماً .

چرن غذا با مغتندي باشد شبه گاو وخررا خوش نيايد جز كه كه
قل الحمد لله بل اكثرا هم لا يعقلون [٤٣/٢٩] و هم عن السمع لمعزولون
﴿وَلَوْ عِلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمِعُوهُمْ وَلَا أَسْمَعُوهُمْ لَتَوْلُوا وَهُمْ مُعْرَضُونَ﴾ [٢٣/٨].

* * *

و معظم الافت الحاجبة للانسان عن درك حقائق القرآن الاغترار بظواهر

الاخبار ، والاحتجاج بأوائل الانظار ، من دقائق العلوم المجزئية و معارف الاحكام الفرعية ، والا فما من شيء الا وفى القرآن ما يكشف عن حقيقة ذاته ويسهل السبيل الى نيل كنه صفاتة ، لكنك ايها المغدور المسور بما عندك من القشور ، محجوب عنه لجوهودك بما سوى ما سمعته من المشهور ، او فهمته من الزبور ، فغاب منك الخبر المبرور ، والحظ الموفور ، كل ذلك لا عراضك ، عن العلوم الربانية، واسرار التنزيل من الحكمة الالهية التي من يؤتها فقد اوتى خيراً كثيراً ، واغفالك عن ان حقائق الكتاب مما لا يعلمه الا الراسخون في العلم لا المستغلون بدقائق علم العربية ، وفنون الصنائع الادبية ، كالزمخشرى واترابه ، فانهم في واد ، واهل القرآن وهم اهل الله وخاصته في واد .

شم انك ايها المغتر بفطانتك البتراء لو انصفت قليلاً وزالت عنك غشاوة المرأة والامراء لعلمت ان المشار اليهم بقوله تعالى: ﴿ انهم عن السمع لمعذولون ﴾ [٢٦/٢١٢] كانوا عارفين بدقائق علم الالفاظ وفنون تأدية الكلام ، على ما يوافق المرام لانهم من العرب العرباء وفصحاء الدهماء بل انما انزع لهم عنهم لعدم استعدادهم للاهتماء بأنوار القرآن والارتفاع الى اعلام الحقيقة والعرفان والاطلاع على أسرار المبدء والمعاد والوصول الى عالم الملوك والتقرب بالحق الجواب .

ثم لا يخفى على اولى النهى ان تولى مثل أبي لهب وأبي جهل وغيرهما عن القرآن و انزعوا لهم عن السمع ليس من جهة عدم فهمهم ترجمة القرآن او عدم اطلاعهم على ظاهر العربية وقواعد النحو والصرف وعلم البيان ولاجل الصمم في آذانهم الجسمانية والمعنى في اعينهم البدنية والبكم في قلوبهم الحيوانية ولكن لأنهم كانوا من أهل الغفلة والحجاج الكلى عمى القلوب عن مشاهدة الحقائق ، صم العقول عن سماع ذكر الحبيب ، بكم الا رواح عن قبول دعوة الاله واستدعاء طلب التقرب الى الحق بالاعراض عما سواه كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ هؤلئك صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ [٢/١٧١] .

والقرآن غذاء للقلوب الصافية ، و بلاء للنفوس المريضة بداء الجهالة لتوه

تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أو لثك ينادون من مكان بعيد [٤١/٤٣] .

وليس المراد بالآيمان في هذا المقام ما هو بحسب الظاهر والالماواقع التكليف به للموصوفين بهذا الظاهر في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلْنَا عَلَى رَسُولِهِ﴾ [٤/١٣٦] ولا شبهة في أن المشتغلين بالدنيا المنهمكين في اللذات ليسوا من أهل الاهتداء بنور القرآن ولا يمكنهم الارتفاع إلى نشأة العرفان ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسِنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْا نَهَارًا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ أَوْ لَثَكَ لَهُمْ سَوْءَ الْحِسَابِ وَمَأْوِيهِمْ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمَهَادُ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمُ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنْتَذَرْ كَمْ أَلَّا لِلْبَاب﴾ [١٣/١٨-١٩] .

والى ذلك اشير في قول سocrates وهو أحد أساطير الحكماء ، الذين اقتسبوا أنوار الحكمة من مشكورة بواطن النبوة : «البدن الذي ليس بالنقي كلما غذوه فقد زدته شرًّا وطالعاً» وقد ذكر المفسرون لكلامه أن المراد منه الاشارة الى كيفية اقتناء العلوم الربانية ، التي يتوقف الاستكمال بها على تصفية السر عن محبة الشهوات وتخليه الباطن عن الوساوس والكدورات ، وهو ايضاً دواء نافع للعقل السليمة وسم نافع للبواطن المؤفة الشريرة السقية بقسم الجهل المركب المشفوع بالعناد والمجدل واللدداد ، وحب الجاه والشهرة والاستيناس بالناس ، الذي هو من علامات الأفلاس ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿يُضَلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضَلُّ بِهِ إِلَّا فَاسِقُون﴾ [٢/٢٦] واشير ايضاً الى أهل المحاجب الكلى بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَاغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَصْرُون﴾ [٣٦/٩] وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتَوْرًا﴾ [١٧/٤٥] واشير الى المعاندين الجاحدين للحق ، وهم أسوء حالاً بقوله : ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مَسْتَكِبِرَاً كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ [٣١/٧] وقوله تعالى : ﴿وَبِلِّكُلِّ أَفَاكِ أَثْيَمْ يَسْمَعُ آيَاتَ اللَّهِ تَتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مَسْتَكِبِرًا﴾

كان لم يسمعها بشره بعذاب اليم* واذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً او لئك لهم عذاب مهين* من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولاما اتخذوا من دون الله اولياء ولهם عذاب عظيم* هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم [٤٥/٧-١١].

وقد ذكر بعض اهل الحق ان العلم علمان ، علم باللسان ، وعلم بالقلب .
وانى لاستعيد بالله الرحمن ، من رجل شرير عليم اللسان ، جهول القلب ،
المترفع على الاقران لاجل تقرب السلطان ، والاشتهار عند العوام ، وهم العميان
عن فهم درجات أحوال الانسان ، و التفاوت في خلق الرحمن ، فوا صبياته من
علماء الجهالة ، وصلاحاء الاسداد ، الذينهم من علماء الدنيا وجهاه الآخرة، المتنذكرين
لاداب صحبة الخلق ، الناسين لاداب صحبة الرب ، المقبليين الى دقائق علوم الدنيا
المعرضين عن حقائق علوم الآخرة .

بل اقول: ما فتنه في الدين وخلل في عقайд المسلمين الا و منها مخالطة العلماء
الناقصين ، مع حكام الدنيا والسلطانين ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين .

قوله سبحانه :

بِسْمِ اللَّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

١١

قد اختلفت كلمة المفسرين والمأولين في حروف التهجي الواقعة في أوائل السور من القرآن المبين ، فقد ذكرها وجهاً مذكورة في التفاسير المتداولة المشهورة وشيئاً منها لا يطمئن به القلب ، ولا يسكن إليه الروع ، ونعم ما قال بعضهم : إن في كل كتاب سرا ، وسر الله في القرآن حروف التهجي ، وكانه قد أخذ مماراوي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رض : إن لكل كتاب صفة وصفة هذان الكتاب حروف التهجي ^(١) .

وقال بعض أهل القرآن : الاشارة في الآلف اظهار الوحدة مطلقاً ذاتاً وصفة ، والتفرد بالوجود الحقيقي أولاً وأبداً ، كان الله و لم يكن معه شيء ، فكون الأشياء وهو كما كان ، فلم يتغير وحدته في نفسه ، ولا تفرده بالوجود الحقيقي و انه تعالى مصدر جميع الموجودات .

فوجه مناسبة المعانى الثلاثة في الآلف ، بأن (الآلف) واحد في ذاته وصفاته

(١) مجمع البيان في تفسير الآية .

في وضع الحساب ، متفرد بالأولية والانقطاع عن غيره في وضع المحرف ، ويشير استقامتها وعدم تغيره في جميع الأحوال إلى وعدم تغير المبدع تعالى عن الوجود الوحداني أولاً وأبداً ، وبأن «الالف» مصدر جميع الحروف ، فان من استقامة خطه يخرج كل حرف مموج ، ثم في «اللام» «واليم» المتصل كل حرف منها بالآخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالثنائية ، وأنه كمثل الوحدة في الوجود ، فالصفوة المشار إليها في «الم» هي أن «الالف» يشير إلى وجود حقيقي كامل في ذاته وصفاته ، موجود لل موجودات التي لها وجود ناقص ، فتقر اليه قائم به ، وهو الفاعل والحاكم والمتصرف فيها . و«اللام» يشير إلى معنيين : اثبات ونفي ، فالاثبات يشير إلى لام التمليل يعني له ما في السموات وما في الأرض ملكاً وملكاً ، فعلاً وصنعاً . وبالنفي يشير إلى لاء النفي ، يعني لا وجود لشيءٍ حقيقة الاله .

و«اليم» أيضاً يشير إلى معنيين نفي واثبات ، فالنفي يشير إلى ما في النفي يعني ما في الوجود حقيقة الاه ، وبالاثبات يشير إلى اسمه القيوم ، يعني هو القائم بنفسه ، والمقيم والقيام لغيره ، فالغير محو في اثبات قيمته وديموتيه ، فهو على الحقيقة كاين كما كان ، بلا مكان ولا زمان ، ودليل هذا التأويل للسر والصفوة في هذه الحروف ، ما أظهره الله سره المكتوم فيما بعده في سورة آل عمران ، وهو قوله:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [٢/٣]

ومن تصدى لاستكشاف أسرار هذه الحروف المقطعة شيخ فلاسفة الإسلام أبو علي بن سينا ، في رسالة عملها بيان هذا المرام ، ولعمري أنه قدبالغ في تطبيق رموز هذه الحروف على عظائم الأمور الالهية التي ناسب ذكرها وتعظيمها و الأقسام بها في أوائل سور القرآنية .

وملخص ما ذكره بعد تمهيد الكلام طوبينا ذكره مخافة الأسهاب هو انه ينبغي ان يدل بالالف الواقع اولاً في الترتيب القديم ، وهو ترتيب ابجد هو ز على الباري ، لكونه أول الموجودات ، وبالباء على العقل وعالمه لانه يتلوه في الموجود «بالجيم» على النفس وعاليها ، و«بالدال» على الطبيعة وعاليها ، هذا اذا اخذت هذه الموجودات

بماهى ذوات ، ثم بالهاء على البارى ، و«بالواو» على العقل ، وبالزاء على النفس» وبالحاء على الطبيعة ، هذا إذا اخذت بماهى مسافة الى مادونها ، ويقى الطاء للهيولى وعالمهها ، وليس لها وجود بالإضافة الى شيء تحتها ، وينفرد تبة ايجاد الاحد المبدعات ويكون الابداع وهو من اضافة الاول الى العقل . والعقل ذات لا يضاف الى ما بعده ، مدلولا عليه بالياء ، لانه من ضرب «هـ» في «بـ» ، ولا يحصل لافتراض البارى الى العقل او العقل الى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد ، لأن «هـ» في «جـ» «يـ» و«وـ» في «جـ» «يـ» ويكون الامر وهو من اضافة البارى (الاول) الى العقل مضافاً مدلولا عليه باللام ، لانه من ضرب «هـ» في «وـ» ويكون الخلق وهو من اضافة البارى (الاول) الى الطبيعة (١) من ضرب «هـ» في «حـ» لأن الحاء دلالة الطبيعة مضاف . ويكون التكوين ، وهو من اضافة البارى الى الطبيعة (٢) لانه من ضرب «هـ» في «دـ» ويكون جميع نسبتي الامر والخلق اعني ترتيب الخلق بواسطة الامر اعني اللام والميم مدلولا عليه بحرف «عـ» وجميع نسبتي الخلق والتكون كذلك اعني الميم والكاف مدلولا عليه بالسين ، ويكون مجموع نسبتي طرفى الوجود والتكون اعني اللام والكاف مدلولا عليه بالنون ، ويكون جميع نسب الامر والتكون والخلق اعني لام وميم وكاف مدلولا عليه بصاد ، ويكون اشتمال الجملة في الابداع اعني «يـ» في نفسه «قـ» وهو ايضاً مجموع «صـ» و«يـ» ، ويكون ردتها الى الاول الذي هو مبدء الكل ومتناه ، على أنه اول وآخر ، اعني فاعلا وغاية كما بين في الالهيات مدلولا عليه بالراء ضعف قـ . فاذا تقرر ذلك فالدلائل عليه بالمـ ، هو القسم بالاول ذى الامر والخلق ، وبالراء القسم بالاول ذى الامر والخلق الذي هو الاول والآخر والامر والخلق والمبدء الفاعلى والمبدء الغائى جميعاً .

وبالمصـ ، القسم بالاول ذى الامر والخلق ، والمنشىء للكلـ .

(١) في المطبوعة : مسافة «مـ» لانه من ضرب

(٢) اضيف في نسخه : وهذات مدلولا عليه بالكاف .

وبص : القسم بالعنابة الكلية .

وبق : القسم بالأبداع المشتمل على الكل بواسطه ابداع الانواع المتدواله المساوى للعقل .

وبكهييغص : القسم بالنسبة الى الكاف ، أعني عالم التكوين الى المبدع الاول ، بنسبة الابداع الذى هو « ي » ، ثم الخلق بواسطه الامر وهو « ع » ثم التكوين بواسطه الخلق والامر وهو « ص » ، وبين « ك » و« ه » ضرورة نسبة الابداع ، ثم نسبة الخلق والامر ثم نسبة التكوين والخلق والامر .

وييس: قسم باول الفيض وهو الابداع وآخره وهو المخلق والتكتوين .

وحم: قسم بالعالم الطبيعي الواقع في الخلق .

وحممسق : قسم بمدلول وساطة الخلق في وجود العالم الطبيعي وما يخلق بينه وبين الامر بنسبة الخلق الى الامر ، ونسبة الخلق الى التكوين ، وبأن يأخذ من هذا ويرده الى ذلك ، فيتم به الابداع الكلى المشتمل على العوالم كلها ، فانها اذا اخذت على الاجمال لم يكن لها نسبة الى الاول غير الابداع الكلى الذى يدل عليه بق .

وطس : قسم بعالم الهيولى الواقع في التكوين ، و « ن » قسم بعالم التكوين وعالم الامر اعني مجمع الكل ، ولا يمكن أن يكون للحروف دلالة غير هذا البتة – انتهى كلامه على الله مقامه .

دراية كشفية

اعلم أيها القارى المكتسى بكسوة العبارات العاري عن حلية ذوق الاشارات ان هذه الحروف المقاطعة القرآنية تسمى فى عالم السر ولسان أهل بيت النبوة وببلدة الولاية ، العارفون بفهم منطق الطير « بالحروف المجملة » و« حروف أبجد »، وفي هذا العالم تصير الحروف المتصلة منفصلة ، لانه يوم الفصل جمعناكم والاولين و« يوم الجمع » ايضاً بوجه آخر ، فأهل الله اذ انظروا الى حروف « يحبهم ويحبونه »

يرونها متصلة ، ولكن اذا انكشف الحجاب وفتحت الابواب وتجلى جمالها يرونها بالبصيرة الباطنية هكذا : ي ، ح ، ب ، و ، ن ، م ، واذا ارتفعوا عن ذلك المقام الى مقام أعلى يرونها نقاطاً وتصير الحروف المفردة بالقياس الى من فى تلك الدرجة نقطاً ، واذا وصلوا الى مقام القرب رأوا النقط كلها مستهلكة في نقطة باسم الله .

وانت ايها الساكن فى بيت حجابك ، المقيد بقيود هواك ونفسك انك لم تخرج حتى الان قدماً من عتبة بابك التي انت معتكف فيها الى طريق الحق ، ولم ترغب في طلب معرفته والا طلاع على اسرار ملكه وملكته ، ومطالعة كتابه الذي ورد منه اليك ، ولم تحصل بعد مفردات حروف الجمل في معلمة العشق ومدرسة التقوى والعبودية ، والهك ومعشوقك متوجه اليك من سماء عظمته ، ناظر اليك ليجدتك بجذبة ارجعى .

وانك بعد ما توجهت اليه بقلبك فلا عبرة بما تقوله بلسانك : « وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض » مع عدم موافقة الباطن وهو وجهك الحقيقى ، لأنك مشغول بجميع أسباب اللهو واللعب والهزل ، مستغرق القلب بعمارة أرض بدنك ، وتحصيل أرض أخرى ، وتزيين ترابك الذى يخصك بالإضافة تراب آخر اليه ، وجمعه وادخاره بعد تلويته او تصويره بكثرة الحيل في المعاملات ، او المداهنة في المعاشرات او الدغل في الصناعات ، بتزويج ما كسد واصلاح ما فسد ، حتى صار ترابك ذهباً وفضة ، وما هما الا ترابان ملوّنان بالصفرة والبياض ، بتعمل طبيعى او صناعى ، اما في نفسها او في تعديلك وتحصيلك لصورتهما ، او أخذك لهما من الناس بسبب الاستيناس بهم والمداراة معهم ، وذلك كله علامه الافلاس ، وجميع ذلك خدمة منك لفاسق وظالم جاحد . وطاعة لشيطان مارد من الدواعي الشهوية او الغضبية او الوهمية ، فأول علامه من ارتفع عن هذا الادنى ، وخلص عن حجاب المشتغلين بالدنيا أن ينكشف عليه معرفة الحروف المنفصلة القرآنية وكيفية نزولها ، كما رمز اليه تعالى بقوله : ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ [٢٨/٥١] الى هذا القوم ، وأشار

سبحانه الى مرتبة قوم آخرين بقوله : فصلنا الآيات .
 فقد انجلی لك أيها المسكين أن ما ارتسن في لوح السالك المبتدئ حروف
 ابجد ليستعد بذلك الانتقاد بمفاد قوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [١/٩٦]
 وعند ذلك يسهل عليه معرفة القرآن وتعلم لفظه ومعناه ومنطقه وفحواه ﴿ولقد
 يسرنا القرآن للذكرا فهل من مدكر﴾ [١٧/٥٤] .

وهذا التذكرة لا يتيسر الا لمن درس وتعلم من مكتب : «أول ما خلق الله
 فوري» (١) وكان معلمه واستاذه مفاد قوله ﴿أدبني ربى فاحسن تأدبي﴾ (٢)
 لتلقى القرآن من لدن حكيم عظيم ، ويعلم ما لم يكن يعلم قبل ذلك بأسباب اخر ،
 من فكر او سمع او تعلم او رواية ، بل بان يكتب الله القرآن بقلم العقل على لوح
 نفسه : ﴿ولئن كتب فى قلوبهم اليمان وأيدهم بروح منه﴾ ﴿وربك الاكرم الذى علم
 بالقلم * علم الانسان ماله يعلم﴾ [٤/٩٦] .

وحيثما يظهر له في هذا المكتب الذي لاطفال الارواح واولاد روح القدس ،
 وهو ابوهم وعلمه واستأذهم ، ما معنى اللوح والقلم والنون وما يسطرون ، فان
 العناية الربانية لما تعلقت بتربية الاطفال والاولاد الملكوتية أفادتهم ورزقهم من تحف
 ذلك العالم وهذا الجنة فيكسوة المعرفة والظروف المقطعة على طريق
 الرمز والاشارة ، لشایطنه عليها الاغيارات ، ممن ليس له قوة الارتفاع إلى منزل الاخيار .
 اعلم ايها القارى العارى ان القرآن انزل الى الخلق مع ألف حجاب ، لاجل
 فهم ضعفاء العقول والابصار ، فلو فرض ان باع بسم الله مع عظمته التي كانت له نزل
 الى العرش على حالته التي كانت عليها ، لذاب العرش مع عظمته واضمحل ، وقوله :
 ﴿لو انزلنا هذا القرآن﴾ - الآية - [٢١/٥٩] اشاره الى ذلك .

رحم الله من قال كاشفاً لهذا المعنى : «كل حرف في اللوح اعظم من جبل

(١) بحار الانوار : كتاب الامامة ، باب بدء خلقهم وطينتهم وارواحهم ٢٥/٢٢ .

(٢) الجامع الصغير : باب الالف ١/١٤ .

قاف» ، وهذا القاف رمز الى ما في قوله : « ق والقرآن المجيد » [١/٥٠] .
وجملة القول ان من لم يظهر عليه سلطان الآخرة ظهوراً تماماً، ولم يقم نفسه
عن قبر هذه المشاة ، لم يطلع على معانى رموز القرآن ولم يحدث معه حروف
المقطعة ، ولم يتجل له وجه صاحبه وقائله ، وعظمة منشئه ومبدعه ومملئه . واحسرونا
على ما فرطنا في جنب الله .

انتبه يا مغرور ! وقم من مرقدك يا ممكور ، حتى نسافر معاك فى سبيل الله ،
ونتجمع بالجمعية الوفاقية ، فان المسافر يحتاج الى رفيق معه يصدقه أداء لقوله ﷺ :
« يد الله مع الجماعة » (١) وكن معنافي جميع ما هدانا الله فى سفونا ، وما هدانا
رسلنا من رزق ربنا حتى لاينال بما يحيد عن المشهور ، ويخالف ما عليه الجمهور
كما هو دأب المسافرين ، واركب معنا فىسفينة النجاة التى بسم الله مجرريها
ومرسيها ، ولا تجلس مع هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً ، وهم كالذين وبخهم الله
تعالى بقوله : ﴿فَمَا هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ حَدِيثًا﴾ [٤/٧٨] واشتکى رسول
الله ﷺ الى ربه بقوله : ﴿يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوهُمْ مَهْجُورًا﴾ [٢٥/٣٠] .

وقال بعض أصحاب القلوب : « انزل القرآن لتعلمو ابه فاتخذتم دراسته ».
والىهم الاشارة في حديث أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر ع : انه سئل عن مسئلة
فاجاب فيها ، فقال الرجل : ان الفقهاء لا يقولون هذا ، فقال ع : يا ويحك ! هل رأيت
فقيهاً قط ؟ ان الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي ﷺ (٢)
وروى عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله ع - في حديث طويل - قال : ما خالف
العامة ففيه الرشاد (٣) .

رب رجل أديب أريب ، له اطلاع تام على علم اللغة والفصاحة ، والاقتدار على

(١) الترمذى : كتاب الفتنة ، باب ماجاء في لزوم الجماعة ٤/٤٦٦ .

(٢) الكافى : كتاب فضل العلم ، باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب ١/٧٠ .

(٣) الكافى : كتاب فضل العلم ، باب اختلاف الحديث ١/٦٨ .

صنعة البحث والمجادلة مع الخصام في علم الكلام ، وهو مع براعته في فصاحته لم يسمع حرفًا من حروف القرآن بما هو قرآن ، ولافهم كلمة واحدة ، وكذلك أكثر المشتغلين بالبحث المغتربين بلا ملء سراب الحكمة ، المحروميين من شراب المعرفة في كأس القرآن المبين ، لكونهم صمّاء بكماء عمياً لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون سبيلاً لعدم حواسهم الباطنية التي هذه الحواس الدنياوية قشور لها ، وبالقشور لابنالاالقشر ، وأما اللباب فلا يناله الاولوا الالباب ، وما يذكر الاولوا الالباب ، ان في ذلك ليات اولى الالباب .

قوله عزوجل :

تَنْزِيلُ الْكِتَبِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

خبر مبتدئ محدوف ، او هو مبتدئ خبره «لاريـب فيه» ويكون «من رب العالمين» حالاً من الضمير في «فيه» لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً ، وعلى تقدير كون «تنزيل الكتاب» خبر مبتدئ محدوف يجوز أن يكون «من رب العالمين» خبر ثانياً ، و«لاريـب فيه» حال من الكتاب المنـزل او اعتراض . والـاولـى ان يـرتفـع «تنـزـيل» بالـابـتدـاء وـخـبـرـه «ـمـنـرـبـالـعـالـمـيـنـ» ويـكونـ «ـلـارـيـبــفـيـهـ»ـ اـعـتـراـضـ لـامـحـلـ لـهـ،ـ كـمـاـوـجـهـهـصـاحـبــالـكـشـافـ .

واعلم ان الضمير المجرور راجع الى مضمون الجملة ، اي لاريـب فيـ كـوـنـهـ منـزـلاـ منـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ ،ـ وـيـدـلـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ :ـ ﴿إِنْ يـقـولـونـ اـفـتـرـاهـ﴾ـ لـانـ هـذـاـ القـوـلـ منـهـمـ فـيـ المـفـهـومـ يـسـاقـ لـاـنـكـارـهـمـ كـوـنـ الـقـرـآنـ منـزـلاـ منـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ لـلتـقـابـ الـحـقـيقـىـ بـيـنـ كـوـنـ الـكـلـامـ مـفـتـرـىـ ،ـ وـبـيـنـ كـوـنـهـ منـزـلاـ منـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ .ـ وـيـحـتـمـلـ انـيـكـونـ مـعـنـىـ «ـتـنـزـيلـ الـكـتـابـ»ـ مـنـ بـابـ اـضـافـةـ الصـفـةـ إـلـىـ الـمـوـصـوفـ ،ـ فـيـحـتـاجـ فـيـ تـعـلـقـ ضـمـيرـ «ـفـيـهـ»ـ إـلـيـ اـرـتكـابـ حـذـفـ مـضـافـ ،ـ كـاـتـنـزـيلـ وـنـحـوـهـ .ـ وـيـحـتـمـلـ أـنـيـكـونـ الـجـمـلـ الـثـلـاثـ اـخـبـارـاـ مـتـبـادـلـةـ لـمـبـتـدـءـ مـحـدـفـ ،ـ وـفـيـ الـآـيـةـ اـحـتمـالـاتـ اـخـرىـ بـحـسـبـ الـأـعـرـابـ كـمـاـيـخـفـىـ عـلـىـ اـوـلـىـ الـادـابـ .ـ

والمعنى - والله اعلم - انه لا ريب لاهل الكشف واليقين العارفين بمقامات الوالصلين الى مقام اللوح النفسي والقلم العقلاني والعلم السبحانى ، ان هذا الكتاب الذى هو العقل الفرقانى والوجود المحمدى عليه السلام الذى هو لوح المعارف الالهية وقلم العلوم اللدنية، فائض من رب العالمين بلا وسيلة من خلقه ، او ذريعة من غيره، بل الله قد أنشأه وأغناه من غيره ، ورباه من مرتبة الى مرتبة ، وعرج به من عالم الى عالم ، واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، حتى بلغ غاية القصوى وارتفع الى مقام اودنى ، وحيث كانت مرتبته مشتملة على جميع مراتب العالم ، لوروده على كل نشأة وعالم ، فكان المربي له عليه السلام رب العالمين ، فوقعت الاشارة الى هذه الدقيقة في قوله «رب العالمين» تعظيمًا ل شأنه و تكريما لامتناه .

فالكتاب اشارة الى ذات النبي عليه السلام ، المعبر عنہ تارة بالقرآن لمقامه الجمیع الاجمالی العقلی ، وتارة بالفرقان لمقامه الفرقی التفصیلی النفیسی ، وهم مقامان باطنینان فوق سایر المقامات النزولیة والانزالیة السماویة والدیناویة ، واطلاق الكتاب على الجواهر العقلی القلمی القرآنی ، او النفیسی الملوحی الفرقانی شائع دائم في کلام الله تعالى وکلام انبیائه و اولیائه عليهم السلام كقوله تعالى ﴿ او لئک کتب فی قلوبهم الایمان ﴾ [٢٢/٥٨] وقوله تعالى : ﴿ اقر أکتابک کفى بنفسک الیوم عليك حسیبا ﴾ [١٧/١٤] وکقول امیر المؤمنین عليه السلام :

وانت الكتاب المبين الذي
بآياته يظهر المضمـر

وحقيقة القرآن عند المحققين من العرفاء هو جوهر ذات النبي عليه السلام ، وقد سئلت بعض أزواجه عن خلقه ، فقالت في الجواب : «كان خلقه القرآن» (١) . ومن تأمل وتدبر في ألقاب كتاب الله في عدة مواضع من المصحف ، يعلم أن هذه الاوصاف تكون للذات روحانية مجردة عن الاجسام بحسب مرتبة ذاته ، فكما ان الانسان حقيقة واحدة ، وله مراتب كثيرة وأسماء مختلفة يسمى في كل

عالم باسم خاص مناسب لمقامه الخاص في الصعود، فكذلك القرآن حقيقة واحدة ولهم راتب كثيرة وأسامي مختلفة يسمى في كل عالم باسم خاص مناسب لمقامه الخاص في النزول .

اما أسامي القرآن : ففي عالم يسمى « بالمجيد » ﴿ بل هو قرآن مجید ﴾ [٤٣/٤٣] وفي عالم آخر اسمه « على » ﴿ وانه في ام الكتاب لدينا على ﴾ [٤١/٨٥] وفي نشأة اخرى اسمه مبين ﴿ وكتاب مبين ﴾ [١/٢٧] وفي مقام آخر اسمه « نور » ﴿ والنور الذي انزلنا ﴾ [٨/٦٤] ﴿ قد جائكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ [١٥/٥] وفي منزل اسمه « عظيم » ﴿ والقرآن العظيم ﴾ [٨٧/١٥] وفي مرتبة « عزيز » ﴿ انه لكتاب عزيز ﴾ [٤١/٤١] وفي مظهره « كريم » ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ [٧٧/٥٦] وفي طور « حكيم » ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ [٢/٣٦] ودل شاع اطلاق اسم الحكيم على ذوى العقول ؟ وكذا الكريم والعلى والعزيز ؟

وأساميه غير محصورة ، ولو كنت ذا سمع باطنى في عالم العشق الحقيقي والحكم الالهية ، لكنت ممن تسمع أسمائه وتكتشف لك بطونه : ان للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلاعاً (٢) كما ان للانسان ظاهراً وبطناً ، ولباطنه باطن آخر الى سبعة أبطن ، وهى المقامات الباطنية الجملية المشهورة عند العرفاء ، هي الطبع والنفس والعقل والروح والسر والخفى والاخفى ، والا فتفاصيل المقامات وخصوصيات الاطوار الانسانية غير محصورة في حد وعده ، فكذا قياس القرآن المساواة للانسان الكامل في الكمال والنقصان ، والصعود والنزول ، وفي المتنو المولوى المعنوى قدس سره :

صورت قرآن چوشخص آدمی است
که نقوشش ظاهر و جانش خفی است

(٢) قال العراقي في تخریج احاديث الاحیاء (حاشیة احیاء علوم الدين ج ١ ص ٩٩) : اخر جه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود رواه العیاشی ج ١ ص ١١ بلفظ آخر فراجع .

نzd عاقل زانپری که مضمیر است آدمی صد بار خود پنهان تر است
و مما روی عنه ﷺ انه قال: اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه .

ومن تدبیری أسامی النبی (ص) واصافه من کونه: نوراً وسراجاً ومحموداً ومحمداً
وأحمد وقادماً وحاشراً وماحياً وهادياً وبشيراً ومنذراً ونديراً الى غير ذلك
مما لا يمكن حصره - وجدها بحسب المعنى والمفهوم مشتركة بينه ﷺ وبين حقيقة
القرآن ، واتحاد اللوازם يدل على اتحاد الملزم ، والاسماء المشتركة بينهما لفظاً
ومعنى كثيرة ، كلفظ النور والهادى والسيد والرسول والنبي .

ولو تدبّرت فيما أفردناك سابقاً من قاعدة اتحاد الموصوف بالصفة التي وصف
بها ، ومن قاعدة اتحاد العاقل بالمعقول التي ذهب اليها أكثر الحكماء المشائين الذين
مقدمهم فروفوريوس ، وهو اعظم تلامذة أرسطو ، ومن قاعدة ذهب اليها محققوا
أهل الاسلام وعرفائهم من صيرورة الانسان بحسب النشأة الاخرة عين حقيقة ماغلب
على باطنها من الاخلاق والملكات : لأنكشـف عليك حقيقة ما ذكرناه من کون باطن
النبـی ﷺ كتاباً للهـیما مرسلاً من اللهـ لنجـاة المقـیدـین فـی سـجنـ هـذا العالمـ الـادـنـی
وباطـنـ القرآنـ خـلقـهـ ، وظـاهرـهـ المـلـفـوظـ هوـ کـظـاهـرـ شـخـصـهـ المـطـهـرـ المـزـکـیـ .

ويستفاد من قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ﴾ [٢٦٢] أن صفتـهـ
وخلـقـهـ (صـ) كانـ تعـلـيمـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـةـ ، فـكانـ ذاتـهـ المـقـدـسـةـ عـيـنـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـةـ
وقد عـبـرـ قـوـمـ منـ اهـلـ اللهـ عنـ لـفـظـ الـقـرـآنـ وـمـعـنـاهـ بـالـوـجـهـ الـحـسـنـ وـالـشـعـرـ
المـسـتـحـسـنـ للـنـبـیـ (صـ) المـكـنـیـ عـنـهـمـ بـقـوـلـهـ تـعـالـیـ : ﴿وَالضـحـیـ وـالـلـیـلـ اـذـا سـجـیـ﴾
[٢٩٣] .

والـقـرـآنـ حـبـلـ اللهـ المـتـيـنـ النـازـلـ مـنـ سـمـاءـ الرـحـمـةـ لـنـجـاةـ الـمـقـیدـینـ فـیـ السـجـنـ
وـلـمـاـكـانـتـ الدـنـیـاـ مـرـآـةـ الـاـخـرـةـ وـالـارـضـ حـکـایـةـ الـجـحـیـمـ فـانـظـرـ کـیـفـ رـوـعـیـ
الـمـوـازـنـةـ بـیـنـ الـعـالـمـینـ فـیـماـ وـقـعـ مـنـ الـاـخـبـارـ فـیـ اـحـوـالـ الـاـخـرـةـ مـنـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ ،
أـنـ النـبـیـ ﷺ اـذـنـ لـهـ فـیـ الشـفـاعـةـ يـوـمـ الـقـیـامـةـ ، فـوـرـدـ فـیـ الـجـحـیـمـ لـاـخـرـاجـ مـنـ فـیـ
قـلـبـهـ ذـرـةـ مـنـ الـاـیـمـانـ ، فـأـخـرـجـ مـنـهـ ماـشـاءـ اللهـ مـنـ عـصـمـةـ اـمـتـهـ الـمـؤـمـنـینـ . وـمـمـاـيـؤـیدـ کـونـ

الارواح والقلوب بمنزلة الكتب والصحائف ، ويصحح اطلاق الكتاب والصحيفة عليها ، قوله تعالى : ﴿اولئك كتب في قلوبهم اليمان﴾ [٢٢/٥٨] .

و هل الكتاب الا ما كتب فيه شيء ، سواء كان كتابة عقلية او حسية ، وهل الكتاب الا تصوير الحقائق ، سواء كان باللة القصب والمداد في قرطاس او جلد حيوان ، او بواسطة الملك الملهم الملقم للحقائق في صفحة الدماغ او النفس بمداد الفيض الالهي ، ومن يحجبه الظاهر المحسوس عن الباطن المستور ولا يفهم من الميزان الا ماله كفنان ، ولا يخبر له من موازنة العالمين وتطابق النشأتين ، فلا يمكنه التصديق بوجود كتب الله المنزلة على انبياته تصدق يقائعاً فانياً ايمانياً ، بل تصديقاً لسانياً او تقليدياً ، وشيء منها لا يسمى ولا يغنى ، ويحرم ايضاً عليه معرفة صحائف الناس يوم العرض الاكبر ، وكذا الفرق بين كتاب الابرار الاخيار ، وبين كتاب الفجارات الشرار ، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ان كتاب الفجارات لفي سجين * وما ادریك ماسجين﴾ [٨/٨٣] و قوله : ﴿ان كتاب الابرار لفي عليين * وما ادریك ماعليون * كتاب مرقوم يشهد المقربون﴾ وهذا - [١٨/٨٣] - [٢١] .

واما قوله « رب العالمين » ففيه اشارة الى أن كل انسان كامل حكيم عالم تام في نفسه ، اذ فيه صور جمبع ما في العالم على وجه الالطف ، وقد ذكر الحكماء في معنى الحكمة انها صبرورة الانسان عالماً معقولاً مضاهياً للعالم المحسوس ، وقال ابو يزيد البسطامي : « لو أن العرش وما حواه دخل في زاوية من زوايا قلب ابي يزيد لما أحس به » فكل عالم رباني في الآخرة عالم تام لا يعوزه شيء من الاشياء ولا يفتقر إلى شيء خارج عنه وعن ملكه وعالمه وسلطانه ، ولا يبعد أن يكون هذا سر ايراده بصيغة الجمع الموضوعة لذوى العقول - فافهم وانتبه .

قوله سبحانه :

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَيَتَذَرَّ
قَوْمًا مَا أَتَتْهُمْ مِنْ تَذَرِّيْرٍ مِنْ قَبِيلَكَ لِعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

لفظة : «أم» ها هنا هي المقطعة الكائنة بمعنى الكلمة «بل» الا ضرالية والهمزة الانكارية ، كانه تعالى لما أشار أولاً الى حقيقة القرآن وعظمته الثانية له في عالم اللوح والقلم وقضاء الله الاتم ، ثم رتب عليه تنزيلاً من رب العالمين ، وأكده ذلك بنفي الريب عنه لأهل الله والعلماء الراسخين ، فأضرب عنه إلى ما يقولون فيه ويلحدون في حقيقة إلى خلاف ذلك انكاراً لقولهم وتعجبياً من جحودهم ، فان الامر أظهر من أن يخفى على عقلائهم لظهور العجز في اثبات ثلاث آيات منه عن بلغاتهم ، ثم أضرب إلى اثبات ما هو بصدقه من اثبات انه الحق المنزلي من رب تعالى .

ومثل صاحب الكشاف هذا الاسلوب الصحيح المحكم بأنه يعلل العالم في مسئلة بعلة صحيحة جامعة ، قد احترز فيها انواع الاحتراز ، كقول المتكلمين : النظر أول الاعمال الواجبة على الاطلاق ، التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ، ثم يعرض عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه ، فيرد به بتلخيص انه احترز من ذلك ، ثم يعود إلى تقرير كلامه ، وتمشيه . ثم بين فائدة التنزيل وهى انذار قوم لم يأتهم من قبل النبي ﷺ ، وذلك اذ قريشاً لم يبعث الله اليهم رسولاقبله ﷺ ، كقوله : ﴿مَا انذرَ آباؤُهُمْ﴾ [٦/٣٦] ترجياً من الرسول ﷺ لهدايتهم مثل ترجي موسى و هرون ، الواقع في قوله تعالى : ﴿لَعَلَهُ يَتَذَكَّر﴾ [٢٠/٤٣] ويحتمل ان يكون لفظ الترجي مستعاراً للارادة فيكون من الله تعالى .

مكاشفة

لما علمت ان نفي الريب في كون الكتاب منزلاً من الله انما يكون من القلوب

الصافية الصحيحة، البريئة عن مرض الغواية وآفة الغباوة ، لأن مميط الريب ودافعه لازم للقرآن غير منفك عنه وهو كونه بالغاً حداً من الكمال يعجز عنه بنو نوع البشر، وإنما هو أمر فائض من خالق القوى والقدر ، وأما قول من يقول : « انه افتراه » فهو أما قول متعنت يجحد بآيات الله مع علمه انه من الله ، أو جاهل بليد مختوم على قلبه في أصل الفطرة ، أو غير مرتاض بالنظر والتأمل فيسمع الناس يقولون شيئاً فيتبعهم من غير رؤية فقال بما قالوه قبل التدبر . فاعلم ان الذين لم يأتهم نذير في اقامة الحججة عليهم وعدهما يوم القيمة أقسام : لأنهم اما مستعدون بحسب الفطرة لارتفاع طريق السعادة والخير أم لا ، وعلى الاول : اما أن يكونوا مقصرين فيما لا يدركه إلا بالشريعة لعدم استقلال العقل به ، واما فيما سوى ذلك كمعرفة الله وتوحيده وعلمه وحكمته ، فالاولان لا يقام عليهما حججة بخلاف القسم الثالث لأن أدلة العقل وأسباب الهدایة معه في كل وقت .

هذا بحسب ما اقتضاه الدليل العقلى الموافق لما ذهب اليه أهل الحق من قاعدة التحسين والتقييح العقليين ، واما الدليل النقلى فالمستفاد من الاحاديث المروية عن أئمة العصمة والهدایة سلام الله عليهم اجمعين :

منها ما رواه صاحب كتاب الكافى (١) الشيخ الجليل ثقة الاسلام ابو جعفر محمد ابن يعقوب الكليني طاب ثراه ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابى عمير ، عن جميل بن دراج ، عن ابن طيار ، عن ابى عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله احتاج على الناس بما آتاهنهم وعرفهم .

(١) الكافى : كتاب التوحيد باب البيان والتعریف ولزوم الحجۃ ، ١٦٢/١ .

قوله سبحانه :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعَ أَفَلَا تَنْذَرُونَ ﴿٣﴾

«الله» مبتدأ وخبره كلمة «الذى» مع صلتها ، والجمل الواقع بينهما من باب حمل الحد على المحدود في القضية الطبيعية بالحمل الاولى الذاتي لامجرد الاتصال الاتحadi المعتبر في الحمل المتعارف ، فان كون الواجب لذاته مبدأ وحالقاً لشيء انما يكون بنفس ذاته المقدسة ، حتى أن مبدئيته وحالقيته بما هو حقيقته وذاته ، لا كصناعية غيره من المبادى التي ليست مبدئيتها لشيء بما به ذاتها وحقيقةتها ، كالانسان في كونه كاتباً ، حيث لا يكفى في ذلك حقيقته التي هو بها هو ، بل مفتقر معه إلى صنعة الكتابة وغيره من الاسباب ، كالالة والقابل ورفع المانع وجود الداعي ، كل ذلك خارج عن الانسان بما هو انسان ، وكذا الشمس في اضاءته وجه الارض يفتقر إلى وجود الارض وجود المحاذاة بينها وبين الارض ، فليست هي بما هي شمس مضيئة لوجه الارض ، بخلاف الواجب القبول ، فان قيمته وحالقيته للسموات والارض وما بينهما بنفس ذاته الذي هو داع ومريد وقدر .

واعلم أنا قد حققنا مفهوم هذه الكلمة الجلالية في تفسيرنا لآية الكرسي ، وبينا هناك أنها بحسب المفهوم قابل للشرح الحدى ، ويؤخذ في حده جميع الموجودات الصادرة عنه بنفس ذاته، بياناً مقنعاً من أراد ان يعلمها فليطلب من هناك.

* * *

والمراد من «اليوم» هيئنا اليوم الربوبى الذى مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولما كان مدة تكون العالم من زمان آدم عليه السلام الى زمان نبينا صلوات الله عليه وسلم ستة آلاف سنة - على ما هو المشهور - فعبر عنها بستة أيام مدة كل يوم منها ألف سنة ، يسمى باسم من أسامى ايام الأسبوع قبل يوم الجمعة ، منسوب الى احد الكواكب السبعة سوى

عطارد، وفيها ميلاد واحد من الانبياء العظام قبل محمد عليهما السلام من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين .

وهذا موافق لما قد اشتهر فيما بين الناس في جميع الامصار ، ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب ، فكل ألف سنة يوم من أيام الله ، لقوله : ﴿وَانِيْ يَوْمًا عَنْ رَبِّكَ كَالْفَ سَنَةٌ مَا تَعْدُونَ﴾ فالسنة منها هي التي خلق اليه فيها السموات والارض ، لأن الخلق حجاب الحق ، فمعنى خلق اختفى بهما فاظهرهما وبطن ، ويوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش والظهور بالاسماء ، وهذا الظهور يبتدىء بالسبعين من أولبعثة ، ويزداد الى تمام هذا اليوم ويزول الخفاء بتمام الظهور لقيام الساعة ، التي قد طلع فجرها ببعثة نبينا عليهما السلام كما ورد في الحديث عن النبي (ص) انه قال : بعثت أنا والساعة كيهاتين ، وجمع بين المسماة والوسطى (١) .

وقال : بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه - وأشار باصبعيه المسماة والوسطى (٢) ولطلب تحقيق هذا المطلب في تفسيرنا للسورة الحديدة بما لا يكون عليه مزيد .

و هذا الاصطلاح في تقدير اليوم يستفاد من الاخبار ايضاً ، كما روی (٣) عنه عليهما السلام انه قال : اني لارجو ان لا يعجز امتى عند ربه ان يؤخرهم نصف يوماً عنى خمسماة سنة ، وروى ايضا انه قال : ان استقامت امتى فلهما يوم وان لم تستقم فلهما نصف يوم .

واعلم اني منذ الان ما رأيت احداً عنده علم تام بتصحيح كون السموات

(١) الترمذى : كتاب الفتن بباب ماجاء في قول النبي عليهما السلام «بعثت أنا...» ٤٩٧/٤

ويوجد الحديث في جميع الصحاح راجع المعجم المفهرس للفاظ الحديث ١٩٤/١

(٢) المصدر والباب السابق ٣٩٦ .

(٣) ابى داود : كتاب الملائم ، باب قيام الساعة ١٢٥/٤

والارض وما فيها مخلوقة في ستة أيام ، ولا وجدت في كلام احد المفسرين وغيرهم ما يطمئن به القلب في بيان ذلك ، فان الايام هي مقادير الحركات وهي متأخرة عن وجود الاجرام الكلية ، كالافلاك وما فيها ، سواء كانت عبارة عن مقادير ادوار الحركة اليومية كما هو المعترف بين الناس ، او عن مقدار دورة القمر التي اسرع الدورات لكواكب السيارات ، وهو الشهري المشهور ، او هو مقدار دورة الشمس وهي السنة في المشهور ، او غيرها كدورة الفلك الثامن التي هي مقدارها خمس وعشرين ألف سنة تخميناً بحسب الارصاد الجديدة ، او غيرها من الايام الالهية التي بحسب الادوار القرآنية للكواكب السبعة فان جميعها ليست الامقادير الحركات الكلية ، وهي متأخرة عن وجود الاجرام الكروية الدورية الحركات كالافلاك وما فيها ، فكيف يكون ظرفاً لوجود هذه الاجرام بأنفسها و مقداراً لاصل تكون نها عنه تعالى .

وأكثر المشغلين بالعلوم العقلية اعترفوا بالعجز عن تطبيق هذا الحكم على القوانين الحكمية ، لأن الحكماء اقاموا حججاً فلسفية على ان وجود الافلاك والفلكيات ليس الاعلى سبيل الابداعي ، لا على نهج التدرج في الحصول ، ولا لاجل الاسباب الجسمانية ، كاستعداد القوابل وتهيئة الالات ، وكذا فنائتها ليس بالذبول والضعف والمرض ، بل مجرد ارادة الصانع البديع ، فهذا الاشكال غير منحل الى الان .

وغاية ما ذكر هيئنا هو قول بعض المحققين من العرفاء (١) في تأويل هذه الآية وأمثاله ، وهو ان يكون الخلق فيها بمعنى الاحتياج فقوله ﴿خلق السموات والارض وما بينهما﴾ اي : احتجب بها في الايام الستة الالهية ، التي هي مدة دور الخفاء من لدن آدم ﷺ الى دور محمد ﷺ .

وانت خبير بأن خروج الالفاظ القرآنية عن معانيها المتعارفة المشهورة توجب

(١) التفسير المنسوب الى محى الدين ج ٢ ص ٢٧٣ .

تحسّير الناظرين فيها ، والقرآن نازل لهداية العباد وتعليمهم وتسهيل الامر عليهم مهما أمكن لا للتعقيد والاشكال ، فيجب ان يكون اللغات محمولة على معانٍها الوضعية المشهورة بين الناس ، لئلا يوجب عليهم الالتباس .

كشف الهامى

قد من الله علينا في تحقيق هذه الآية ونظائرها بما يشفى العليل ويروى الغليل من غير حاجة الى صرف اللفظ عن مفهومه الظاهر ، وهو يستدعي تمهيد مقدمات : اولاها : ان الامور الصادرة عن الحق اقسام :

أولها ما لا يحتاج في وجوده وتعلقه الى قابل وحركة وزمان ، ومنها ما يحتاج اليها في وجوده لافي تعلقه ، ومنها ما يحتاج اليها في الوجودين ، فالاول كالعقل ، التي هي ضرب من ملائكة الله ، ويقال لامثاله الامور الالهية ، والثاني كالعدد والمقادير ، ويقال لها الرياضيات ، والثالث كأشخاص الاجسام الطبيعية وغيرها ، ويقال لها الطبيعتيات .

وثانية : ان لوجود كل من هذه الموجودات عالماً آخر ، فالدنيا للامور الطبيعية ، وهي عالم الشهادة وعالم المحس ، والآخرة للامور المقدارية من غير مادة ، ويقال لها : عالم الغيب وعالم الجزاء ، وما هو فوقهما للامور الربانية ، ولكل من هذه الموجودات مشعر آخر للانسان ، وبالحس يدرك الدنيا وما فيها ، وبالخاطر والعقل يدرك الامور الاخروية ، وبالروح والعقل النظري يدرك الامور الالهية .

وثالثها : ان الشيء قد يكون بحسب حقيقته و Maher من الامور العقلية ، وبحسب تشخصه من الامور المفتقرة الى المادة وانفعالها ، كالجوهر الصورية التي تقوم المادة وعوارضها بحسب ساخت تجوهرها ، واما بحسب تعينها الخاص وعوارض تعينها فهي مما تقو "مها المادة وانفعالاتها .

ورابعها : ان الأفلاك وما فيها يفتقر الى المادة وعوارضها الانفعالية في التشكيل

والمكان وغيرهما من المشخصات .

و خامسها : ان تشخص الشيء عبارة عن كونه مدركاً بالادراك الحسى ، واما المحسوس بما هو محسوس اي قابل لان يناله الحس فوجوده انما يتقوم بانفعال المادة وعوارضها ، وكذا الجوهر الحاس مفترض وجوده الى مادة محسوسة . وسادسها ، ان الامر التدريجي للوجود من حيث هو كذلك زمان بقائه عين زمان حدوثه .

فاذاته مهدت المقدمات . فنقول :

لما اشتهر ان ابتداء وجود العالم مقارن لابتداء وجود بنى آدم ، لانه من الانواع الشريفة التي لا ينفك العالم عن وجودها المستحظنون عنها ببقاء الاشخاص ، وجميع العقول قائلون بأن الكائنات ابتداء وانقضاء بحسب الادوار والاكرارات والطوفانات العظيمة ، حتى أن بعض الحكماء ذكر كيفية نشوء الانسان من غير توالد عند ابتداء الكائنات ، وعلمت أن كيفية وضع السماء على هذه الهيئة المخصوصة ليست الابامور زائدة على ذاتها ، وتلك الامور مفتقرة الى انفعال المادة وتغيراتها ، والهيولى حقيقتها محض الانفعال والقوة والدثور والتغير ، حتى قيل انها من باب الحر كفى جوهريه الشيء : ثم ان اسم السماء كانها معتبر في معناه الفوقي ، لانها موضوعة للحقيقة السماوية مع هذا الشكل المخصوص المحسوس ، وهذه الهيئات المخصوصة من الفوقي وغيرها ، والعرب يقول : «سماء كل شيء سقفه» وكذا القلك معتبر في معنى اسمه حر كة الدورية ، لانه مأخوذ من فلكة المغزل ، ولهذا يقال بالفارسية «آسمان» اي : المشابه للرحي .

فحينئذ بحكم المقدمة الاخيرة يكون حدوث السماء بما هي سماء حاصلا بالتدريج المفتقر الى زمان يقع فيه ، وأما وجود الزمان والحر كة فهم مفترضان الى اصل حقيقة السماء ، لاعلى وجه دوري مستحيل ، بل على الوجه الذي حققه الراسخون في العلم عند كيفية استناد كل متغير الى ثابت ، وهذا أمر يحتاج تحقيقه الى مقام آخر لبسط المقال ، ومجال اوسع من هذا المجال .

فقد ثبت ان السماء بما هي شخصية محسوسة وكذا غيرها من الامور المحسوسة المادية الموجودة في عالم الدنيا أمر زمانى الوجود ، تدريجي الحصول ، مدة كونها البقائي عين مدة حدوثها الانشائى ، فهذه المدة المضروبة في الكلام الالهى هي مدة بقاء وجودها الذي هو عين الحدوث ، ويشير إلى هذا قوله سبحانه : ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/٢٩].

واما قوله عليه السلام : جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة (١) فهو بالقياس إلى عالم آخر فوق الدنيا وما فيها ، ولو نظرت حق النظر إلى حقيقة كل أمر متغير محسوس من حيث حقيقته الثابتة العقلية ، وجدتها خارجة عن الزمان والمكان ، مرتفعة عن التجدد والتغيير والحدثان ، وعن قول «أين» و«متى» ، فإن قولنا «الله عالم» و«الإنسان إنسان» و«الفلك فلك» لتعلق لها بهذا وهناك ، ولا بعد وامس ، فكذا حكم جميع الصفات الذاتية للأشياء ولو اذن الماهيات ، فلو ارتفعت الحواس منا لارتفاعها بارتفاعها جميع الاعتقادات الرمانية والمكانية الواقعة ، وتبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات ، لكونها مطويات بيمين الحق ، كما قال بعض الناظمين من حكماء فرس وهو السنائي المسمى بالالهى (٢) . شعر :

تازمين دل آدمی زایست خیمه روزگار بر پایست

آدمی چون نهاد سر درخواب خیمه او شود گسته طناب

* * *

فقد انكشف مما بيناً بوجه حكمى سر كون السموات والارض وما بينهما مخلوقة في ستة ايام من الايام الالهية ، وهى من يوم السبت إلى يوم الخميس يوم ولادة عيسى بن مريم عليهما السلام ، وأما يوم الجمعة فابتداؤه وصبيحته وقت بعثة رسول الله عليهما السلام وهو رسول آخر الزمان ، وامام الجماعة من الانبياء والولياء ، وخطيب يوم الجمعة ،

(١) من الاحاديث النبوية المشهورة . راجع البخارى : باب القدر ٨/١٥٢.

(٢) حديقة الحقيقة للسنائي ١٢٧ وفيه : تازمين جاي.....

وداعي الله والمنادى للصلوة فى هذا اليوم، وهى ذكر الله تعالى وشهود وحدانيته، لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَوْدَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَيْهِ ذِكْرَ اللَّهِ وَذِرُوهَا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٩/٦٢]

* * *

وقد قلت ابياتاً في هذا المعنى عند انشراح صدرى وافتتاح قلبى في ذكرى وهى هذه . - شعر - :

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| دين توحيد خدا ظاهر شدى | چون ظهور دین پیغمبر شدی |
| در يکی هفته با تمام آمده | مسجد جامع بانجام آمده |
| زین شمار دوره لیل و نهار | روز این هفته بود هر یک هزار |
| پس ز آدم تا بخاتم هفتادان | «ان یوماً عند ربک» را بخوان |
| شد خطیب آنیاء اندر نیاز | روز جمعه چون شدی گاه نماز |
| میشود قائم قیامت بی شکی | در میان روز آدینه یکی |
| میرسد پیش از قیامت یک‌زمان | بانگ قدقاًمت بگوش مردمان |
| تابسمت الرأس زین عالی صفت | مرتفع شد آفتاب معرفت |
| اول این روز اعلامی بگاه | این مؤذن گفته «قدقاًمت صلوٰة» |
| در درون هر کسی کان در رهست | جدبة «فاسعوا إلی ذکر الله» است |
| که محمد ﷺ رسالت شد درست | اول این روز وقت بعثت است |
| روح قدسی باملاّتک صفت زدن | از آذانش خفتگان آگه شدند |
| کز قیامت نیست در جانت اثر | تو «زقدقاًمت» کجاذاری خبر |

* تبیان *

قد تحررت أفهام العقلاء وأفكار العلماء في معنى استواه تعالى على العرش ،
وانقسموا في متشابهات القرآن إلى مجسم كالحنابلة وإلى مأول كالمعزلة وإلى

مقتصد - مجسم في البعض و مأول في البعض - كاصحابنا الإماميين ليسوا في مرتبة اسراف المأولين في رفع الظواهر ، ولا في مرتبة تقصير المجمسة في حسم باب التاویل وهن اقسام رابع هم الراسخون في العلم المشار اليهم في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَرَأْسُ الْمُرَجِّعِ فِي الْعِلْمِ﴾ [٢/٣] على قرائة الوصل - وقد اشرنا الى طريقتهم في تفسيرنا لآية الكرسي وذكرنا هناك أن نموذجاً من مقامهم في كلام الله الملك العلام بمقتضى دينهم وديانتهم في ضبط الفاظ الكتاب المجيد عن التحرير والتحديد ، فان مقتضى الدين والديانة ورعاية الضبط والامانة أن لا يأول المؤمن شيئاً من الأعيان التي نطق بها القرآن والحديث ، الابصورها كما جاء وفسرها علماء التفسير الواقفين في عهد النبي (ص) والائمة الماضين المعصومين عن الخطأ سلام الله عليهم اجمعين اللهم الا ان يكون محققاً خصصبه الله تعالى بكشف الحقائق والمعانى والاسرار والاشارات في فهم التنزيل وتحقيق التاویل ، فإذا كوشف بمعنى خاص او اشاره وتحقيق وتقرير ذلك المعنى من غير ان يبطل صورة الأعيان ، مثل الجنة والنار والميزان ، وما في الجنة من الحور والقصور والانهار والأشجار وما في النار من الحميم والزقوم وتصليبة جحيم والمهل يشوى في البطون كغلى الحميم ، وغيرها من العرش والكرسي والشمس والقمر والليل والنهر ، لا يأول منها شيئاً على مجرد المفهوم ويظل صورته ، بل يثبت تلك الأعيان كما جاء ويفهم منها حقائقها ومعانيها ، فإن الله تعالى مخلق شيئاً في عالم الصورة الاول له نظير في عالم المعنى ، وما خلق شيئاً في عالم المعنى وهو الاخرة الاوله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جداً ، وما خلق شيئاً في العالمين الاوله مثل وانموذج في عالم الانسان .

فاذعرفت هذا على الكشف واليقين فقد اعتصمت بحبل متين من حبال القرآن المبين ، واستمسكت بعروة وثقى من عروة الدين - فالزم .

واعلم ان مثال العرش في العالم الصغير الانساني قبله ، اذ هو محل استواء الروح عليه بخلافة الله تعالى ، فكما أن كون القلب - بل البخار اللطيف الذي فيه مستوى للنفس الانسانية بل للروح العقلى لا يوجب تجسماً لها ، لأن حقيقة هذا الاستواء

ليس كاستواء جسم على جسم ، بل هذا تجل للروح بواسطه قوتها العمليه في القلب وظهور منها عليه يوجب استعماله وتحريكها اياه بحيث يكون آثارها فيسائر الاعضاء وغيرها بواسطه القلب ، فما يفعل فعلا الا ويظهر أولاً أثرا من الروح في قلبه ، ثم يسرى منه في الاعضاء الآلية ، ثم في الات الخارجيه ان كان فعلا خارجياً ينقر اليها ، ثم يوجد ذلك الشيء الذي يقال انه اثر النفس كالكتابه في مادة خارجية كالمداد وصفحة القرطاس فكذلك معنى استواه تعالى على العرش استعماله تعالى اياه بواسطه ملك مقرب هو مثال رحمانيته وتجليه له وظهوره فيه ، بحيث لا يتكون متكون في عالم العناصر الا ويظهر أصله في عرش الله ، ثم بواسطته يسرى في عالم السموات التي هي بمنزلة الاعصاب والرباطات للانسان الكبير ، ثم يوجد في هذا العالم صورة منه في هيولى النصريات التي هي مداد كلمات الله على صفحة الارض ، وهي المعبر بالبحر المسجور وليها الاشارة في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلْمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جَثَنَا بِمَثْلِهِ مَدَادًا ﴾ [١٠٩/١٨].

و هيئنا اسرار عظيمة عزيزة اعز وأرفع من أن يمكن كشفها على غير أهلها كما هو حقه ، بها يتبيّن تمام المضاهاة بين فعل الادمي داخل العالم الصغير وخارجه ، و فعل القدرة الالهية داخل العالم الكبير وخارجها ، فان من لم يعرف شمول جوهر النفس الادمية جميع افاعيلها الغيبية والشهادية ، الداخلة والخارجية ، يرجع ويقول اغتراراً بظواهر ماوصل اليه من كتب الحكماء او فهمه من كتب الاطباء ان فعل النفس لذاتها ليس الادراك المعقولات ، واما افاعيل البدنية الداخلة فهي منسوبة الى القوى كالهاضمة والجاذبة والدافعة وغيرها ، أما افاعيل المخارجة كالكتابه و الحياكة والصياغة فهي منسوبة الى الاعضاء بواسطه الالات الصناعية ، فلم يتم في حقه كون النفس مثلا للرب تعالى ذاتاً و صفة وفعلاً و آثاراً ، ولم يتم عنده التوحيد الافعالى المستفاد في هذه الآية من قوله : ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ إِلَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤/٣٢].

ثم لا يخفى ان المكونات النصرية خارجة عن العالم الكبير الحيوي لمائت

في مباحث الغايات لحر كات السماويات ان لها في حر كاتها اغراض اعلو يق وما يترتب على فعل الافلاك والسماويات ليس بالذات وجود العنصريات ، كما أن الفعل الذاتي للنفس هي الارادات والتدبرات ثم بواسطتها انشاء الحوادث في عالمها الخاص - أعني بدنها - وغاية فعلها ما يلحق اليها من الحكم والمصالح والخيرات او اللذات ، وأما الفعل الخارجي فهو فعل تبعي ، واما الغاية الخارجية كتسود وجه القرطاس ، فهي غاية عرضية بأحد الوجوه المذكورة في بابها .

و بالجملة فكما ان في الحيوان توجد امور لا يسرى اليه الحياة الا بالتبع كالاظفرو والشعر والظلف والقرن ، فان هذه كثائق يؤدي اليها البخارات والادخنة المزاجية ، فينجمد عندها وينقطع دونها اثر تصرف النفس في انشاء الروح الغريزي النساني ، الحامل للحياة والحس والحركة الارادي ، فهي حية بحياة البدن بالعرض فكذلك في الوجود امور يقال لها في عرف العرفاء «الاثار» وهي عبارة عن الموجودات العرضية التبعية ، التي ليست الطبيعة الكلية متو جهة اليها ، ولا هي غايات ذاتية للحر كات الكلية ، وهذه كالشخصيات العنصرية ، فهي واقعة في الوجود اتفاقاً بهذه المعنى الذي ذكرناه ، كما ان وجود الكثائق والواسخ التي تحصل في دكة القصاب وينتفع بها الذباب ليس من الغاية الذاتية لصنعة القصابين ، بل هي امور ضرورية : اتفاقية لازمة لصنعة المذكورة من غير توجه الفاعل اليها بالذات .

و الله سبحانه عالم قادر بجميع الاشياء لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولافي السماء ، الان غاية ايجاده للكائنات وجود العقول النظرية المعرفة لذاته تعالى لقوله : ﴿وَمَا خلقت الجنَّ وَالْأَنْسَ إِلَّا يُبَدِّلُونَ﴾ [٥١/٥٦] واما غير هامن الشخصيات الكائنة الفاسدة فوجودها خارج عن القصد الذاتي ، لانها طفل ذات الانسان الكامل . ومن هيئنا استتم وجه من وجوه المضاهاة بين فعل النفس خارج البدن ، وبين فعل الله تعالى بواسطه العرش فيما دون السموات فيكون كل منها اثر من آثار فاعل قادر حكيم مدبر .

بسط حكمة رحمانية

ان استواهه تعالى على العرش بعد الفراغ من خلق الانواع على نهج الابداع تصرفه تعالى في العالم بواسطته وتدبيره الامور بوسيلة تحريك السماء الموجب لحدوث الاشياء المتتجدة ، وانما خص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام (الاشياء -ن) اللطيفة القابلة للفيض الرحماني .

وعند بعضهم العرش فلك عظيم مشتمل على جميع الاجرام الفلكية والكونية يحيط به سطحان: أحدهما مقعر مائل القمر، والآخر ما هو منتهي الاشارة الحسية اي جهة فوق الحقيقى ، وهو متحرك بالحركة اليومية السريعة الحافظة للزمان المحاطة بسائر الحركات المستديرة ، وبه يتجدد الابعاد المكانية والزمانية ، والحوادث والاستعدادات وغيرها ، فما من حادث من الحوادث من الحركة والاجسام الكائنة والفاصلة الا وللعرش مدخل في وجوده وعدمه ، كما أن القلب الانساني رئيس سائر الاعضاء ولا يسرى قوة الحياة والحس والحركة الفائضة من النفس على البدن الا بتوسط القلب فانه اول ما يتمحرك من اعضاء البدن ، وآخر ما يسكن منها ، فهو بحسب حقيقته وذاته محاط بالبدن.

والنفس مستو عليه على مثال استواء الرحمن على العرش ، فان الاستواء صفة من صفاته تعالى لا يشبهه استواء المخلوقين ، كالعلم وسائر الصفات ، لا اشتراك بينه تعالى وبين الخلق الا بحسب الاسم والحكاية **﴿ليس كمثله شيء﴾** وهو السميع البصير **﴿[١١/٤٢]﴾** وهذه الاية توجب نفي المثل واثبات المثال ، ولا مثال له تعالى ذاتاً وصفاتاً وأنعala في الوجود الا النفس الادمية بحسب جمعيته الاحدية .

ولو أمعنت النظر في خصوصية خلافتك للحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك ، وذلك ان الله تعالى لما أراد خلق شخصك من النطفة المودعة في الرحم ، استعمل روحك بخلافة ليتصرف في النطفة ، وهو بذر شجرة عالمك وبدنك ، كما

ان الهيولى الكلية المطلقة بذر شجرة العالم الجسمانى الذى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، فتصرفت فيها أيام الحمل فى أطوارها ، فجعلتها عالماً صغيراً مناسباً للعالم الكبير ، ف تكون المعدة بمثابة الأرض والرأس بمثابة السماء والقلب بمثابة العرش والصدر لمكان الكبد بمثابة الكرسى ، وهذا كله بتدبیر الروح وتصرف خلافة عن ربها . ثم استوى الروح بعد فراغه من الشخص الكامل على عرش القلب ، لاستواءً مكانيًّا ، بل استواءً ارتباطياً تعليقاً معنوياً ، ليتصرف فى جميع أجزاء الشخص ، وتدبیر اموره بافاضة فيه على القلب أولاً ، ثم من القلب على الكبد والدماغ والاعضاء الشريفة الرئيسة ثانياً ، ثم على سائر الاعضاء والجوارح بتوسطها ، فالعرش مقسم فيض الحق على العالم كله كما ان القلب مقسم فيض الروح الى القالب كله . فإذا تأملت فى هذا المثال تأملاً شافياً وجدته فى نقى التشبيه عن الصفات المقدسة المنزهة كافياً ، وتحققت بحقيقة قوله ﴿إِنَّمَا يُنَزَّلُ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (١) : « من عرف نفسه فقد عرف ربها » انشاء الله .

تلويح عرشي

لا يستر على العارف المكافئ ان فى الوجود وجوهاً من المشابهة والمماثلة بين القلب الانساني وعرش الرحمن ، ذكرنا فى بعض كتبنا العرفانية بوجه تفصيلي لا يأس بذكر جملة منها على وجه التلخيص وهى خمسة :

الأول : انهم يشتهر كأن فى كونهما محل استواء الرحمن ، اما العرش فدلالة هذه الآية ونظائرها على كونه كذلك ، واما قلب المؤمن العارف فلقوله تعالى فى القرآن : ﴿ هُوَ مَعَكُمْ إِنَّمَا كَتَمْ ﴾ [٤٥٧] وفي الحديث القدسى : « ياداود فوجع لي بيتك ، اذا عند المنكسرة قلوبهم » .

(١) مصباح الشريعة : الباب ٦٢ ص ٤١ ونسبة ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٤٧

وروى ايضا انه سئل عن رسول الله ﷺ (١) : اين الله ؟ فقال : «في قلوب عباده» فعليك ان تتفحص القلب الانساني ، فإذا وجدت وصرت ذا قلب فقد وجدت بيت الله ، لأن الروح محل معرفة الله ، وقلب المؤمن عرش الله وهو لطيفة صافية ينبعث من صفوه الاخلاط الاربعة وبخاريتها ودخانيتها ، كما ان السماء وهي دخان حاصلة من صفو الاجرام ودخانيتها .

الثاني : كونهما بين اصبعين من اصابع الرحمن ، والاصبعان هما النفس والعقل ، المحر كان للأشياء ، أحدهما بال المباشرة والتذليل ، وثانيهما بالأمداد والتشويق ، وهما ملكان مقربان روحانيان . أحدهما عقلي والآخر نفسى ، اما كون العرش بينهما فلما ثبت أن وجوده بعد القلم واللوح المعبران عن العقل والنفس والقضاء والقدر ، وأما كون القلب بينهما فلكونه مسببا عن القوة العاقلة والعاملة من الروح الانساني .

الثالث : اشتراكهما في السعة والاحاطة ، اما العرش فقوله تعالى : **﴿وَسَعَ كُرْسِيَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [٢٥٥/٢] والعرش وسع الكرسي فتكون أوسع منه وما يحويه ويسعه ، ولكثير من الاحاديث الدالة على ان العرش محيط بما في هذا العالم الجسماني ، واما قلب العارف فقوله تعالى (٢) : **«لَا يَسْعُنِي أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَكِنْ يَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِيِّ الْمُؤْمِنِ»** .

وأنت اذا تأملت في احضارك لكل شيء تريده في قلبك ، من الأفلاك العظيمة والكواكب بأى مقدار وعدد شئت ، واحتيارك الصحاري الواسعة في بالك بأى سعة شئت ، والخلائق الكثيرة بأى كثرة شئت ، فلا تتعجب في قول أبي يزيد البسطامي : «لو أن العرش وما حواه ألف مرة دخل في زاوية من زوايا قلب أبي يزيد لما أحسن به» وما قبله : ان العرش مع نسبة باستواء الرحمانية كحلقة ملقة بين السماء والارض

(٢-١) قال العراقي : لم اجده بهذا اللفظ . وللطبراني من حديث ابي عتبة الخولاني برقمه الى النبي ﷺ قال : « ان الله آنية من اهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ... الحديث » . ذيل احياء العلوم : ١٥/٣ .

بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن.

الرابع : ان كلامهما بمنزلة السرير للسلطان تحته أربعة أركان ، وفوقه أربعة قواائم ، أما الاربعة الفوقيات فهي العقل العملى والنفس والروح القدسى والطبع ، وكل منها ملك عظيم ، واما الاربعة التحتانية فهي الارض والماء والنار والهواء ، ولكل صورة من صور العناصر حقيقة روحانية وهو ملك رباني يدبرها ويربيها باذن مبدع الكل ، فاذا اتصل كل مستفيض بمفيضه ، وانصب كل ماء بانائه ، وانضم كل معلول الى علته ، وصار عرش الله بارزاً ، وبرز كل الحقائق للواحد القهار ، ينضم هذه الاربعة الجسمانية بتلك الاربعة الروحانية وتصير ثمانية ^{﴿﴾} ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ^{﴿﴾} [١٧/٦٩] وهي الانوار القاهرة القدسية ، أرباب الاصنام العنصرية مع طبائعها الاربعة التي هي الصور النوعية ، يحمله بالمجتمع من الطرفين - العلوى والسفلى - عند البعد والنشور من كل طرف أربعة فيكونون ثمانية ، أى عند النشور .

ولهذا قال (١) ﴿علي ماروى عنه : هم اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيمة أيدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية .﴾

ولكون تلك الاملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف اصنامها العنصرية قال بعضهم انهم على صور مختلفة ، ولكونها مستولية مستعملية على تلك الاجرام شبهت بالأحوال (٢) وسميت بها تشبيهاً لاجرامها بالجبال ، ولكونها شاملة لتلك الاجرام بالغة الى افاضتها حيثما بلغت لازمة لها فاعلة ايضاً فيها .

قال بعضهم : هي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون ، مسبحون لله ، والله أعلم بحقائق الامور .

الوجه الخامس : ان كلامهما نهاية الجسمانيات وبداية الروحانيات ، وكل

(١) الدر المنشور : ٥/٣٤٦ و ٦/٢٦١

(٢) الدر المنشور : ٦/٢٦١

منهما صورة الصور في هذا العالم ومادة المواد في عالم الآخرة ، وكل منها بربخ
جامع بوجهه وحد فاصل بوجهه ، وخط واصل وصراط ممدود على متن جهنم ،
و طريق مستقيم إلى الله تعالى ، وكل منها بمنزلة سور ذوبابين ، باب داخلى إلى
عالم الرحمة والرضوان ، لا يلتج من يلتج ملكوت السموات إلا من هذا الباب ،
وباب خارجي إلى عالم المقت والنيران ، لا ينزل ما ينزل إلى منازل الشياطين ومزابر
الملائكة إلا من هذا الباب كما أشير إليه في قوله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بِيْنَهُمْ بِسُورٍ
لَهُ بَابٌ بِاطِّنُهُ فِي الرَّحْمَةِ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ [١٣/٥٧] والله أعلم بالصواب
واليه المرجع والمأب .

قوله سبحانه :

بِدِيرُ الْأَمْرِ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُعُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعَدُّونَ ﴿١٠﴾

«الامر» هو وجود الأشياء في أنفسها ، وتدبير الوجود المطلق من الله تعالى
هو افاضته بالفيض الإيجادي المعبر عند بعض العارفين بالنفس الرحمانية ، فان علمه
تعالى بالأشياء عين موجوديتها لها .

وقوله : «من السماء إلى الأرض» اشارة إلى الموجودات الواقعة في سلسلة
البدو والصادرة على سنة الابداع من غير مدخلية الحركات والاستعدادات ، اذ
الوجود ابتدأ منه بأن أبدع أولاً عقلًا قدسيًا مع ما يتلوه في الشرف من العقول القادسة ،
وعالماها عالم القضاء وعالم القلم الاعلى ، ثم أبدع نفساً كلباً متعلقاً بالفلك مع سائر
النفوس الفلكية التي دونها في الشرف ، وعالماها عالم القدر وعالم اللوح المحفوظ ،
ثم الصور النوعية وقوتها وكيفياتها ، ثم الصور الجرمية الامتدادية ، ثم الهيوليات
الفلكية والعنصرية ، واحدة للعنصرية والتسع الباقية للفلكيات ، لأنها تسع جمل

كما بيّن عددها وترتيبها بالرصد والحساب في علم الهيئة .
وقوله تعالى « ثم يعرج اليه » اشارة الى وجود سلسلة العود اليه ورجوع
الأشياء الى فطرتها الاصيلية ، وذلك بتمزيق العناصر الحاصلة من هيولى هذا العالم
وتحصيل مزاج متوسط بين الاضداد ، معتدل بعيد عن الفساد ، مظهر اسم الله الجامع
المستحق لخلافته تعالى ، فيبتدئ الوجود فيها من أحسن الموجودات رتبة الى
الاشرف فالاشرف ، وهي الهيولى الاولى ، ثم الجسم المطلق ، ثم المركب المعدنى ،
ثم النبات ، ثم الحيوان ، ثم الانسان ، ثم ذو العقل الهيولانى ، ثم ذو العقل بالملكة ،
ثم ذو العقل بالفعل ، وهلّم جراً الى مرتبة الانبياء والآولياء الواصلين الى عالم
الربوبية ومجاورة الحق الاول والملائكة المقربين .

وقوله تعالى : « في يوم كان مقداره الف سنة مماثلون » يحتمل ان يكون
ظرفاً لقوله : « يدبِّر الامر » مع ما يتلوه ، او لقوله : « ثم يرجع اليه » وعلى الوجهين
لاتفاق التقدير لأن التقدير بالزمان يختص بسلسلة العائدات ، واما البادئات
فوجودها عنه تعالى دفعي كلمح البصر لا يقدر بالزمان أصلاً .

تبصرة

قيل : « الامر » هو المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزل له مدبراً من
السماء الى الارض ، ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده
ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة
لأنه لا يوصي بالصعود الا للخاص ، ودل عليه قوله تعالى على اثره « قليلاً ماتشكون »
او يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف
سنة كمقابل : « وان يوماً عند ربكم كالثانية مماثلون » [٢٢/٤٧].

ثم يعرج اليه « اي يصبر اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت
من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود ، الى أن تبلغ

المدة آخرها ، ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهم جرأ الى أن تقوم الساعة .
وقيل : ينزل الوحي مع جبرئيل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الرحمى او رده مع جبرئيل عليه السلام ، وذلك فى وقت هو بالحقيقة كالف سنة ، لأن لمسافة مسيرة الف سنة فى الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والارض مسيرة خمسة سنة ، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبرئيل عليه السلام ، لانه يقطع مسيرة الف سنة فى يوم واحد ، وقيل : يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله ، اي يصير اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة - وهو يوم القيمة - .

* * *

وانى أقول - والعلم عند الله - يحتمل أن يكون «الامر» فى قوله «يدبر الامر» اشارة الى الروح الانسانى لقوله تعالى ﴿قُلِّ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [١٧/٨٥] وذلك لمروره على مراتب الموجودات عند خروجه عن مقام الفطرة الاصلية ونزوله فى العالم الارضى بحسب الانسلاخ عن عالمه الاعلى ، ثم عروجه من هذا العالم الاسفل بحسب العلم والعمل - ان ساعده التوفيق من الاذل - الى مقامه الاصلى لقوله سبحانه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا النَّاسَ فِي أَحْسَنِ تَوْقِيمٍ * ثُمَّ رَدَنَا إِلَيْهِ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [٩٥/٥-٦] .

وكون بدو وجود الروح الانسانى من عالم القدس لا ينافي قوله تعالى : ﴿وَبَدَءَ خَلْقُ النَّاسِ مِنْ طِينٍ﴾ [٣٢/٧] لأن الخلق لكونه بمعنى التقدير عبارة عن جسمية الانسان وقلبه ، وفطرة الروح غير فطرة البدن ، لأن بداية أحدهما من التراب وببداية الآخر من رب الارباب ، ماللترباب ورب الارباب .

تفصيل تنبئيهى

انما ذكرناه من مرور الحقيقة الإنسانية والفطرة الادمية على جميع العوالم والنشأت، واستجماعها لجميع الحقائق من أعلى سماء عالم القدس الى أسفل أرض التجسم شيء استبعده ذوق أرباب العلوم الرسمية، لعدم انتظامه على ملقات أفكارهم القياسية ، و أما ارباب الحكمـة المتعالية والناظرون بعقولهم المستفادة من الحق وعيونهم المكحلة بنور التوحيد في الاسباب الاول والغايات الاخيرة لموضوعات علومهم ومعارفهم، فهم عارفون بأن علة الشيء كما أنها مقوم وجوده، فهي مقوم حده الحقيقي، وأن «ما هو» «ولم هو» أمر واحد في كل وجود صوري يحتمل البقاء الابدي اذا المجعل عندهم نحو وجود المعلول بالجعل البسيط ، وهو عين هويته الخارجية التي هي وجه من وجوه علته الجاعلة، والعلة الجاعلة تمام حقيقة المعلول وصورته العقلية. ثم ان كل موجود من الموجودات الكائنة في هذا العالم له طور واحد من الاطوار لا ينبع ، الا الهوية الإنسانية ، فان لها قابلية الارتفاع من أسفل الاسفل الى أعلى الاعالي. وهذا ايضاً يخص بعض افراد الانسان المسافر الى ربى تم القوس الصعودية من دائرة الوجوب، دون غيره الذي لا يكون له هذه السعة من القابلية. وانقطع في سيره الضعيف مقداراً قليلاً من تلك القوس النصفية الصعودية منها كباقي الحيوانات، بل ربما يكون اضل سبيلاً وأضيق مجالاً منها كمانطق به التنزيل .

والسرى في هذا أن مواطن افراد الانسان معاد كل صنف منه الى ما هو مبدئ ووجوده ان لم يمنعه عائق خارجي - فرب انسان يكون الحق علة وجوده ومبادر تكوينه بيديه فيكون اليه معاده كمامنه بدؤه، ورب انسان يكون مبدئ وجوده القريب أحد المبادى النازلة التي يكون في اخير المراتب .

بل ربما يكون وجوده بمدخلية بعض الشياطين ، الذين هم من عمار عالم الشر والوسواس ، فيكون مثل هذا الانسان الممسوس بنار الشيطان راجعاً الى أصله الذي

نشأ منه، فيحترق بالنار التي هي أصل وجوده، مثل هذالاشرار، فكم بين من باشر الحق تسوية وجوده وتعديلها وجمعه بين يديه المقدسين ثم نفع بنفسه فيه من روحه نفعاً استلزم معرفة الاسماء كلها وسجود الملائكة له أجمعين واجلاسه مرتبة الخلافة والنبوة عنه في الكون، وبين من خلقه بيده الواحدة او بواسطة ماشاء من الوسائل الوجودية الواقعه في سلسلة البدو، فلم يقبل من حكمي السوية والتعديل ما قبله من اختياره واصطفى للخلافة .

* * *

وهذا الذي ذكرناه من تفاوت خلقة الإنسان بحسب الفطرة الأصلية مما يستفاد من الأحاديث الكثيرة المختلفة الفحوى في الاخبار عن كيفية بدو الإنسان ، وبه أيضاً يحصل التوفيق بين الجميع ، لأن اختلاف المعاليل والمسببات في الحقيقة مما يستدعي اختلاف الأسباب والعلل، فان الذي ينفع فيه الروح وهو الملك بالاذن - كما يدل عليه بعض الاخبار - كيف يكون مساوياً في الحقيقة لمن باشر الحق انسائه بيده فانظر فيما روى عنه عليه السلام انه قال: (١) يجمع خلق احدكم في بطن أمه اربعين يوماً نطفة ، ثم اربعين يوماً علقة ، ثم اربعين يوماً مضغة ، ثم يؤمر الملك فينفع فيه الروح . فيقول : يارب أذكر ام انتي ؟ أشقي ام سعيد ؟ مارزقه ؟ وما اجله ؟ وما عمله فالحق يملئ والملك يكتب .

فain هذا من قوله تعالى : ﴿فَإِذَا سُوِّيَتْ وَنَفَخْتْ فِيهِنْ رُوحِي فَقَعُوا مَسَاجِدِنِ﴾ [٣٨/٧٢] وشنان ما يبينهما ؟ اذها هنا أضاف المباشرة الى نفسه بضمير الافراد الرافع للاحتمال ، ولذلك فرغ بذلك من أبيه واستكبر عن السجود له ولعنه وطرده ، وقال : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدْ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِكَ إِسْكَرِتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينِ﴾

[٣٨/٧٥]

(١) جاء ما يقرب منه في المسند: ١/٣٨٢ و ٤١٤ و الترمذى: ٤٤٦ و سائر

الصحاب و كذلك روى ما يشبهه عن الصادق عليه السلام راجع الكافي: ٦/١٣ .

واكد ذلك ~~عَنْهُ~~ بامور كثيرة روى عنه ، منها قوله: (١) ان الله خلق آدم «على صورته» او «على صورة الرحمن» ولقوله «ان الله اذا خلق خلقاللخلافة مسح يسميه على ناصيته» (٢) فنبه على مزيد الاهتمام والتخصيص قوله ~~عَنْهُ~~ : «لا تسبوا عليا فانه ممسوس بنور الله» (٣) فكيف يكون الممسوس بنور الله كالمسوس بنار الشيطان ؟

وفي حديث آخر عنه ~~عَنْهُ~~ (٤) ان الذي باشر الحق سبحانه ايجاده اربعة اشياء - ثم سردها فقال - : «خلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده ، وخلق آدم بيده ». وقال ايضاً: «الانسان اعجب موجود خلق» فافهم .

تبين مقال لكشف حال

فلا يزال الانسان الكامل مباشرأ في سائر مراتب الاستبداع الى ان ينزل الى اسفل عالم الاجتماع ، فكان اولاً متعيناً تعينه الخاص في علم الله ثم انفرز بارادته تعالى وظهوره في مقام القلم الاعلى ، الذي هو العقل الاول المشتمل على عالم العقول ، ثم في مقام اللوحي النفسي ، ثم في وتبة الطبيعة باعتبار ظهور حكمه في الاجسام ، ثم في العرش المحدد للجهات مستوى اسم الرحمن ، ثم في الكرسي الکريم مستوى اسم الرحيم ، ثم في السموات السبع ، ثم في صور العناصر المتعلقة بهيولى العنصريات ، هذه غاية تدبير الامر النازل من سماء العقل الاول الاعلى الى ارض الهيولي السفلي ، التي هي محض القوة والعدم ، المشار اليها بقوله

(١) البخاري: ج ٤ ص ١٢ البخاري: ج ٨ ص ٦٢ . المسند: ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٢) الجامع الصغير: باب الالف: ج ١ ص ٦٧ .

(٣) جاء في المناقب: ٢٢١/٣: عن النبي ~~عَنْهُ~~ «لا تسبوا عليا فانه ممسوس في ذات الله» .

(٤) جاء في الدر المنشور ٣٢١/٤ ما يقرب من هذا .

تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ [١/٧٦] .
 ثم شرع في الصعود والارتفاع إلى منزلته والرجوع إلى ما بدأ منه ، فصار
 بالامتزاج وحصول المزاج طينا ثم منيا فيه صورة حافظة للتركيب كالمعادن ، ثم
 صار مضغة قابلة للنمو كالنبات ، ثم صار علقة قابلة لأن يلجه الروح ، ثم صار يشرا
 سمعيا بصيرا ، ثم رجلا بسالفاً انتفع بصره قليلاً إلى ما وراء هذا العالم ، كما
 قال سبحانه ﴿ إِنَا خَلَقْنَا إِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا جَاءَهُنَا سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا
 هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا ﴾ [٢/٧٦ - ٣] وهلم إلى أن يبلغ درجة
 العقول ، بل العقل الأعظم والقلم الأعلى ، لولم يعفه العوائق وقواطع الطريق ..
 وأما كون زمان هذا الصعود ومدة هذا الارتفاع يوماً كان مقداره ألف سنة فهو
 شيء لا يعلمه بخصوصه إلا علم الغيب ، أو من اصطفاه من رسوله ، أو من ينتمي
 إلى وصيه ، فان مكث الإنسان في كل عالم وحضره يمر عليها بحسب طول مسافة
 سفره وتهيئة أسباب ارتحاله وانتفاع كل عالم من وجوده ، واستئمام أهل كل نشأة
 ومرتبة به وبخدمته ، وامداده وحسن تلقيه أولاً ومسايعته ثانياً ، هو بحسب ما يدر كونه
 فيه من شيمة العناية وأثر الاختصاص وشرف الاصطفاء ، ومامن عالم يمر عليه الا وهو
 بقصد التعويق في الانحراف المعنوي لغلبة صفة بعض الارواح يتصل حكمه عليه ،
 او بعض الأفلاك الذي ينوط به طالع ولادته البدنية ، او بحسب دولة بعض الاسماء
 الالهية المدبلة : الذي هو طالعه الاسمائى قبل طالعه السمائى ، فيعوق او ينحرف
 عما يقتضيه حكم الاعتدال الجماعي الاستقامى الذي هو شأن من يختار النهاية من
 الانبياء وال أولياء ﴿ قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَوْلَيَاءِ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

فإذا دخل عالم المولدات سيمما من حين تعددت مراتب المعدن إلى مرتبة النبات
 وعالمه ان لم تصحبه العناية بحسن المعاونة والمرافقة والحرامة والرعاية حيف عليه
 فإنه بقصد آفات كثيرة ، لانه عند دخوله عالم النبات ان لم يكن محروسا معتنا به
 فقد ينجذب في بعض المناسبات التي يشتمل عليها جمعيته إلى نبات ردي لا يأكله
 حيوان ولا يأكله الآبوان أو أحدهما ، ويفسد ذلك النبات فيخرج منه إلى عالم

العناصر ، و يبقى فيه حائزأ عاجزاً حتى يعان ويتدارك بلطف جديد ؛ ويؤذن له في الدخول مرة أخرى بعد دخوله واتصاله بنبات صالح للتنفسى، فربما عرضت له آفة من العناصر من برد شديد او حرّ مفرط او رطوبة زائدة او يبس بالغ ، فيتلف ويخرج يستأنف دخولا آخر هكذا مراراً شتى حسب ماشاء الله وقدر .

ثم على تقدير سلامته مما ذكرناه بسبب الرعاية والحراسة وباقى النعم التي يستدعيها استحقاقه ، ربما تم في صورة نبات لكن تناوله حيوان ولم يقدر للأبوين أكله او أكل ذلك الحيوان لمانع من المowanع لما لم يكن رزق الذين سبق فى علم الله أن يكونا أبويه ، واذا قدر مواطأة كل ما ذكرنا وتناوله الشخصان المعينان فى العلم أن يكونا ابويهما وأحدهما ، وصار ذلك النبات كيلوساً ثم دمائهما منيماً، فإنه قد يخرج على غير الوجه الذى يقتضى تكوينه فهو مفتقر الى نعمة الحراسة والرعاية فى كل مرتبة وحال الى حال مسقط النطفة مدخلًا كريماً وحال انتصاله ونزوله عن الوالدة منزلًا مباركاً ، فان لمسقط النطفة ومسقط الرأس فى امر الانسان الكامل الجامع للاسماء مدخلًا عظيماً من حيث ظاهره وباطنه .

وجملة القول انه ما من مرتبة من هذه المراتب التى ذكرت ولم تذكر الا و يتصور للانسان تعوقات عما بصدده من السلوك الى عالم الربوبية بحسب امور شتى، من عدم توافق الاسباب الارضية ، وعدم اجتماع المعاونات الفلكية على وضع يؤدى الى وجود مثل هذا الانسان الذى يستحق الارتفاء اليه تعالى ، وقطع القوس الصعودية تماماً ، او الحكم والمصالح التى يترتب على مكنته فى كل مرتبة وعالم التى يعلمها علام الغيوب ، حتى يخلص من الجميع ويصعد الى الله فى الترقى من مقام الى مقام ، ومن عالم الى عالم ، بـأن يترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال، ثم الى مقام النبات ، ثم الى الحيوان، ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ، ثم فى منازل السلوك كالانتباه و اليقظة والتوبة والانابة الى آخر ما اشار اليه أهل السلوك من منازل النفس ومناهل القلب ، ثم فى مراتب

الفناء في الأفعال والصفات إلى الفناء في الذات بما لا يحصى كثرة .

* * *

ثم اعلم انه ليس في قوله تعالى : « ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة » نص صريح على ان كل روح من الارواح المقدسة لابد وان يكون مدة مكنته نزولا وصعوداً مابين البدو والانتهاء هذا المقدار ، بل يحتمل ان يكون بعضها هكذا وبعضها يقطع المسافة العروجية في أقل مدة يتصور ، لأن ذلك يتفاوت في الناس بحسب مراتب جواهر رواحهم ، لطافة وكثافة ، ومراتب توافق المعاونات والمعدات كثرة وقلة ، وتطابق الاوضاع للطالع السماوي ومتضييات الطالع الاسمائى من حيث توجه الحق اليه شدة وضعفها بحسب ضرب من اعداد من الاسماء التي يقتضى سرعة العود لمظهرها اليها او اقل منها او بخلافها ، فرب انسان يقول : الان في اذني قول الحق في الازل : « المست بربكم » وذلك لقله الحجاب وشدة الصفاء في الفطرة ..

كشف استفادي

لا يبعد ان يكون اليوم المذكور المقدر بألف سنة من أيام الدنيا اشاره الى آخر الأيام الأسبوعية الدنياوية التي ستة منها مضت وانقضت قبل هذا اليوم الآخر المسمى بالجمعة ، وهي السنة التي كان كل واحد منها ميلاد واحد من الانبياء العظام الستة ، الذين بهم وبمتابعتهم صعدت نفوس الشريفة الانسانية من أسفل سافلين الى اعلى عليين ، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين ، واما اليوم السابع وهو الذي للمحمديين من اولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين ، ووراثه الراسخين في العلم ، الكاملين في العمل ، القائمين بأمر الله ، المعلنين كلمة الحق ، المستحفظين دينه الى زمان ظهور المهدى عليه السلام ، الذي به يكون غاية ارتفاع نهار هذا اليوم ، وغاية سطوع شمس الحقيقة في وسط سماء الاستقامة الحقيقية ، ومعدل النهار الاعتدال الجمعي الكمالى ، فيه ظهور نور دين

التوحيد الالهي ، وانفلات ظلام الشرك الابليسى ، وانقماع الباطل الوهمى بالكلية، اذ به يملأ الله الارض قسطا وعدلا، بعدها ملئت ظلما وجوراً، وعند ذلك تقوم الساعة ، لان وجود الدنيا مبني على الحجاب والاحتجاب ، وحيث رفع النقاب وانقضى السحاب ، فلا وجود للامم السراب ، لشدة اشراق الحقيقة الموجبة لاضمحلال الرسوم والاطلال والسحب والظلال، اضمحلال الجميد وذوبان الثلوج عند ارتفاع الشمس في رابعة النهار .

واما اليوم المقدر بخمسين الف سنة في قوله تعالى : ﴿تَرَجَّعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ الْفَ سَنَةً﴾ [٤٧٠] فهو يوم من أيام الله تعالى العلي بالذات ، ذي المعراج العلى التي يرجونها اهلقيامة الكبرى الى حضرته الذاتية ، وهى ايام السنة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد ، وهو غير هذا اليوم ، لانه يوم من ايام الرب ، المقدر بالف سنة الذى وقّت به التدبير . في قوله تعالى : ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ الْفَ سَنَةٌ مَمَاتِعُهُنَّ﴾ ووقّت به العذاب وانجاز الوعد في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَخْلُفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [٤٧/٢٢] وهو اليوم الاخر من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا ، المنتهية بنبوة خاتم الانبياء صلوات الله عليه وظهور دينه وانتشار نوره الذى يكمل فى آخر الزمان لقوله تعالى : ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٣٢/٩] وان كان أول بعثته كان فى آخر اليوم السادس ، والى هذا السابع أشار بقوله ﴿إِنَّ أَسْتِقْمَاتَ أَمْتَى فَلَهَا يَوْمٌ وَإِنْ لَمْ تَسْتِقِمْ فَلَهَا نَصْفُ يَوْمٍ﴾ مع قوله : « بعثت اذا والاساعة كهاتين » ، كما مر ذكره .

وبالجملة فهذا يوم من الايام الالوهية ، وهو مقدار اقتضاء الربوبية بظهور اسماء الله الغير المتناهية التى يندرج مع لاتناهيتها فى الائمه السابعة ، وهى : الحى ، العالم القادر ، السميع ، البصير ، المتكلم ، المريد . ولكل من هذه السابعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ، مقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد

من اخوانه الى انتهائه بالتجلى الذاتى ، وكمان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى ، الحاصل من ضرب ايام الدنيا في عدد اسماء الربوبية ، وهو تسعه واربعين سنة ، وآخره الخميس (الخمسين - ن) الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيمة الكبرى ، والله اعلم بحقائق الامور .

تنوير تمثيلي

اعلم ان الله تعالى وضع العالم على هيئة مدينة كاملة ، فيها مساجد وبيع وصلوات ، ولأهل الدين فيها مجالس ومجامع وجمعات وأعياد ، وكما ان للمدينة صناع وعمال لهم اجرة وأرزاق ، وفيها بيع وتجار يتعاملون بموازين ومكائيل ، ولهم مظالم وخصومات ، ولهم فيها قضاة وحكام وعدول ، ولهم فقه وأحكام وفصول ، وان من سنة القضاة والحكام البروز والجلوس لفصل القضاء في كل سبعة أيام يوم واحد ، فهكذا يجري حكم القضاء الالهى في كل سبعة الف سنة مرة ، لعرض النقوص الجزئية لدى الملك الحق المبين ، لفصل القضاء بينها ﴿فلا تظلم نفس شيئاً وان كان متقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [٤٧/٢١] .

وروى عن النبي ﷺ انه قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعشت في آخرها ألفاً (١) .

وقال : لأنبى بعدي على هذه الامة .

يقوم القيمة وهو يوم العرض الثاني ، كمان يوم العرض الاول ما اشار تعالى اليه : ﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وشهادهم على انفسهم ألسست بربكم قالوا ابلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين﴾ [١٧٢/٧] وبين اليومين سبعة أيام ، كل يوم كألف سنة مما تعدادون .

قوله سبحانه :

ذَلِكَ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

ذلك المدبر «عالم» يكون عين ايجاده للاشياء على احکم وجه واتقنه، وايجاده للاشياء على ابلغ النظم والاحکام عين علمه وتدبیره ، فيكون غيه شهادة وشهادته غيماً وهو العزيز في غاية العظمة والكبراء، لبرائة ذاته عن وصمة الحدوث والامكان وعن شوب الاشتراك والممااثلة مع الماهيات ، «الرحيم» الذي يصل نور فيضه وأثر جوده الى كل عال وسافل ، وقادس ودان ، لكونه في العلو الاعلى من جهة الذات والوجود ، والدنو الاندى من جهة الفيض والجود ، ولذا عقبه بقوله : «احسن كل شيء خلقه» فان ذاته لما كان في غاية الجلاله والعظمة، وكان الموجودات كلها نتائج ذاته واسعة أنوار صفاتة ، فيكون في غاية ما يمكن من المحسن والجمال والكمال ، ولانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة الالهية ، وواجبته العناية الازلية، فيكون جميع المخلوقات حسنة في غاية الحسن المتتصور في حقه ، وان تفاوتت وانقسمت الى حسن وأحسن اذا قيس بعضها الى بعض ، كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ﴾ [٩٥/٤]

اما الشرور والافات التي يترأى في نظر المحجوبين ، فهي ليست شروراً بالحقيقة ، لأن الشر الحقيقي عدم او عدمي لا وجود له ، واما الذي يؤدي الى عدم ذات او عدم كمال الذات مما يسمى باسم الشر مجازاً فهو انما خلق لاجل النفع في اشياء اخر ، لا يهم لها خالق القضاء والقدر ، وما بعد شرآ في تركه شر اكثربكثير منه ، وهو ايضاً لا يوجد الا في جزء من وجه الارض ، وهي حقيقة بالقياس الى سماء الدنيا الخالية عن هذه الافات مع حقارتها بالنسبة الى جملة السموات المقهورة ،

المطموسة تحت اشعة الانوار القدسات والقاهرات، الاسيرة كلها في قبضة الرحمن ولا نسبة لعالم الامكان الذي هو مثار القصور والنقسان الى جانب الكبراء الباهر برهانه على الضياء .

فقدلاح أن الوجود كله على أحسن ما يتصور من الحسن والنظام، ولنابراهين نيرة على هذا المطلب او ردناها في مواضع من كتبنا على وجه البسط والتحقيق، من أراد الوقوف عليها فليطلب من هناك ، والله ولـى التوفيق .

وقيل: معنى «أحسن كل شيء خلقه» علم كيف يخلقـه ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : قيمة كل امرء ما يحسنـه . (١) وحقيقة بحسنـ معرفـه ، اي يعرفـ معرفـة حسنة بتحقيقـ واتقـان ، وقرىـ « خلقـه » على البـدل ، اي أحسنـ خلقـ كـلـشـيـ و« خلقـه » على الوصف ، اي كلـ شـيـ خـلـقهـ فقدـ أـحسـنـه .

قولـهـ سـبـحانـهـ :

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسَلَهُ مِنْ سُلَّمَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سُونَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ
لَكُمُ الْسَمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَةَ قَلِيلًا مَا تَسْكُرُونَ

لما وصف خلقـهـ بالـحسنـ ولـاريـبـ فيـ أنـ حـسنـ النـظـامـ بـتـرـتبـ الغـاـيةـ المـطلـوبـةـ منهـ ، وـغاـيةـ اـيجـادـ العـالـمـ كـماـ بيـنـ ذاتـهـ تعـالـى مـعـرـوفـاـ وـمـعـلـومـاـ كـماـ دـلـ عـلـيـهـ الـحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ منـ قولـهـ تعـالـىـ : (كـنـتـ كـنـزـاـ مـخـفـيـاـ فـاـ حـبـيـتـ أـعـرـفـ فـخـلـقـتـ الـخـلـقـ لـاعـرـفـ) وـحامـلـ مـعـرـفـةـ اللهـ منـ جـمـلةـ الـاـكـوـانـ الـحـادـثـهـ هوـ الـرـوـحـ الـاـنـسـانـيـ التـيـ هـيـ نـورـ منـ أـنـوـارـ اللهـ الفـائـضـةـ عـلـىـ الـلـطـيفـةـ الـقـلـبيـةـ ، وـسرـهـ الـوارـدـةـ منـ اـمـرـ «ـكـنـ»ـ عـلـىـ عـرـشـ

الجسم البخارى القلبى ، المشابه للجرم السماوى المعنوت بقوله تعالى : «وھي دخان» [١١/٤١] فأراد ان يشير عقیب ذكر احسان خلق كل شئ الى كيفية خلقة الانسان الذى هو الثمرة لوجود الخلائق .

ثم لما كانت حقيقة الانسان ذات جهتين ، مركبة من أصلين هما خلاصة العالمين : بدن هو صفة الاجسام العنصرية ، وروح هي صفة الارواح - كما أن العالم بتمامه منقسم الى غيب وشهادة - كذلك الانسان الذى هو على صورة العالم عالم صغير مشتمل على غيب وشهادة، اي روح وجسم ، فأشار الى اصل تكون كل منهما وقدم بيان نشو البدن على بيان نشو الروح ، لكونه أظهر وجوداً وأجلى معرفة على المתוطنين في دار المحسوسات ، فقال مشيراً الى انشاء البدن : «وبعد خلق الانسان من طين» هذا بحسب اصل خلقته الحدوثية في أول شخص وجد كادم ^{الليلة} فانه كان انساناً تولد من غير مادة باقية من شخص آخر او شخصين ، استعدت لوجود ذلك الانسان استعداداً قريباً .

ثم قال : «وجعل نسله من ماء مهين» ، وهذا بحسب وجوده الباقي التوالدى ، الحاصل من بقية اصل بدني ، كان جزء من بدن مماثل للبدن اللاحق المسمى بالنسل ، اي الذرية ، وانما سميت ذرية الانسان نسل الله ، لأنها تنسل منه اي تفصل منه وتخرج من صلبه ، ونحوه قوله قولهم للولد «سليل» و«نجل» .

وقال مشيراً الى انشاء الروح وابداعها « ثم سواه ونفح فيه من روحه» ونعم ما قال الزمخشري من قوله : ودل باضافه الروح الى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو ، كقوله : **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من امرربى وما وتيتم من العلم الاقليلا﴾** [٨٥/١٧] .

* * *

واعلم ان الخطب في الروح عظيم والكلام فيه طويل ، قل من الحكماء من حسّل معناه ، وقل من النظار من بلغ الى فخواه ، وليس هذا الروح المذكور في هذا الموضع ما اثبته الاطباء وهو الجرم الشبيه بالاجرام السماوية ، لصفاته واعتداله

وتوسطه بين الكيفيات المتقابلة التي هي من أوائل الملموسات، والاطراف المتضادة والتوسط بين الكيفيات المتقابلات بمنزلة الخلو عنها.

وليس المراد منه ما سماه الحكماء «النفس الناطقة» التي هي جوهر مدبر للبدن ، مرتبتها مرتبة العقل الهيولاني ولها استعداد الترقى الى مقام الروح الالهى الذي هو من أمر الله ، وكل ما كان من أمر الله وعالم جبروته وقاهراته ف شأنه التأثير في الاشياء بالقهر والإبداع من غير افعال واستكمال بما تحته، فكيف يكون منفعلا عن البدن ويكون الحاصل منه ومن المادة البدنية نوعاً طبيعياً ذاماً دة وصورة ، له تكيب اتحادي بينهما ، كما هو شأن النفس ، والنفس اذا اثرت في شيء ما اثرت الابتأيد هذا الروح المسمى عند بعضهم بالعقل الفعال .

واليه أشار النبي (ص) في قوله : «ان الله تبارك وتعالى خلق العقل من نور مخزون مكتون في سابق علمه الذي لم يطلع عليهنبي مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ، وهو أول مخلق الله ، قال له : «أدب» فأدب . ثم قال له : «أقبل» فأقبل . فقال : «تكلم» فقال : الحمد لله الذي ليس له ضد ولا ند ، ولا شبيه ولا كفو ، ولا عديل ولا مثيل ، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل .

فقال رب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً احسن منك ، ولا اطوع لي منك ، ولا ارفع منك ، ولا اشرف منك ، ولا اعز منك ، بك احبي وبك آخذ ، وبك اعطي وبك اوحد ، وبك اعبد وبك ادعى ، وبك ارجو وبك ابتغى ، وبك اخاف وبك احذر ، وبك الثواب وبك العقاب .

فخر العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده الف عام ، فقال رب تبارك وتعالى : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع .

فرفع العقل رأسه فقال : الهى اسئلتك ان تشفعنى فيمن خلقتني فيه .

قال الله جل جلاله : اشهدكم انى قد شفعته فيمن اخلقه فيه . وهذا الحديث متافق عليه بحسب الفحوى ، وان كانت العبارات مختلفة النقل ،

وانى اخترت هذا النقل لكونه أمن واثق ، وقد شرحت معنى الادبار والاقبال المنسوبان الى العقل الفعال فى تفسيرنا لآية الكرسى بما لامزيد عليه ، وذكرنا هنا ان هذه الصفات كلها صادقة فى حق النبي ﷺ بحسب المقام المحمود عند ربه .

اشارة

واعلم ان الروح البخارى الموضوع لمسائل علم الطب ، ظل محاك للروح الالهى ، ومحل استوائه عليه ومعسکر لقواه وجنوده ، وهو ايضاً حاصل بعد تسوية العناصر وتعديلها وتوسيطها في الكيفية بين الاطراف المتضادة ، كما ان هذا الروح الالهى الذى هو موضوع لمعرفة الله وعلم المعاد حاصل بعد تسوية الاخلاق وحصول العدالة والتوسط في الصفات الاربعة بين اطرافها المتنقابلة ، فان «العدالة» كيفية حاصلة من العفة المتوسطة بين افراط القوة الشهوية - المسممة بالفجور - وتفریطها - المسممة بالخمول - ومن الشجاعة المتوسطة بين افراط القوة الغضبية وتفریطها - المسمماتين بالتهور والجهن - ومن الحكمة المتوسطة بين طرفى القوة الادراكية ، المسمماتين بالجربة والبلاءه .

والعدالة ايضاً متوسطة بين الظلم والانظام ، الحاصلتين من افراط بعض تلك القوى وتفریطها .

ومعنى قوله ﷺ : «العلم علمان ، علم الابدان وعلم الاديان »^(١) اشارة الى ان كمال الانسان بحسب النشأتين منوط باصلاح هذين الروحين ، اذ بمعرفة الطب والعمل بمقتضاه ينصلح الروح الذى بدء خلقه من طين ، لأن صفوته العناصر الغالب عليها الارض ومرجعه اليها ، وبمعرفة العلم الالهى والدين الربانى ينصلح حال الروح الذى هو من امر الله ومرجعه اليه تعالى ، فباصلاح احدهما

وتعديله ينصلح امر المعاش فى الدنيا، وباصلاح الاخرة ينصلح امر المعاد فى الآخرة، والاحوط عند الاكياس ترجيح صلاح المعاد على صلاح المعاش، وعيش الآخرة على عيش الدنيا ، بل « لا عيش الا عيش الآخرة » كما ورد في الحديث(١) ، وعليه الانبياء والولياء والصديقين سلام الله عليهم اجمعين .

تنبيه فرقاني

اعلم ان اكثر الالفاظ الواردة في الكتاب الالهي كسائر الالفاظ الموضوعة للحقائق الكلية مجملة ، يطلق تارة ويراد به الظاهر المحسوس ، ويطلق تارة ويراد به سره وحقيقةه وباطنه ، وتارة يطلق ويراد به سر سره وحقيقةه وباطن باطنه . وذلك لأن اصول العوالم والنشأت ثلاثة : الدنيا والآخرة وعالم الالهية ، وكلها متطابقة ، وكل ما يوجد في أحد من هذه العوالم يوجد في الاخرين على وجه يناسب كل موجود لما في عالمه الخاص به .

فالروح مثلاً كما يطلق على الجسم البخارى، يطلق ايضاً على النفس الحيوانية او الإنسانية ، ويشترك جميع افراد الإنسان في الاول والثانى ، وكذلك يطلق على الروح الالهى الذي هو محل استواء الرحمن بلا واسطة ومحل نفخه وفيضه ، وله الخلافة الكبرى من الحق والسلطنة العظمى نيابة عنه تعالى .

فمن تلك الالفاظ : السمع والبصر والفؤاد ، فان هذه الثلاثة ربما يراد بها الاعضاء الثلاثة ، كالاذن الغضروفى ، والعين الشحمى ، والقلب اللحمى ، وما يتعلق بها من الاعصاب والارواح التي كلها من عالم الخلق والتقدير وعالم الشهادة والحسن ، وربما يراد بها القوة السمعية المدركة للاصوات والالفاظ والنعمات ، والقوة البصرية المدركة للأصوات والالوان ، والقوة القلبية المدركة للمفهومات واوائل المعقولات والمسلمات المقبولات ، وتارة يراد بالسمع سماع الموعظ والحكم القرآنية ،

(١) البخارى : باب ماجاء في الرقائق ١٠٩/٨ .

والآيات الإلهية ، وبالبصر مشاهدة أولياء الله واحبائهم ومعارفهم وتصديق حالهم ، وبالرؤى الروح القدس الواصل الى الله تعالى بنور العرفان .

وهذه المعانى الأخيرة مما لا يشترك لجميع الناس فيه ، بل يختص بالمقربين ، وكذلك معانىها المتوسطة مما لا يشترك الجميع فيه الا انها اشمل وجوداً من الاخيرة ، بل يختص بالمتوسطين من الناس ، وهم اصحاب اليمين وأهل السعادة العملية ، الفائزون بنعيم الآخرة بميراث عملهم ، ان لم يكن اعمالهم مشوشة بالجهل المركب والاستبداد بالرأى ، والخروج عن صفو الاستعداد المطلق بالاكدار الاعتقادية الباطلة الوهمية في احوال المبدء والمعد .

فإذا علمت هذا فاعلم ان قوله « و جعل لكم السمع و الابصار » لما وقع في معرض الامتنان واظهار الاحسان ، فالظاهر ان المراد بالسمع والبصر هيئنا ما يختص بأحباء الله والمتأنين والمقربين ، لا المبعدين الناكرين من ليس لهم نصيب من القرآن ، وهم عن السمع لمعزولون ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [٢٣/٨] ولا من الذين كانوا عمي القلب عن مشاهدة الحقائق كأبى لهب وأبى جهل ونظرائهما في الجهل والعمى والصم عن مشاهدة آيات الله وسماع ذكر الحبيب .

ولو كان لفظ السمع والبصر والقلب أينما وقع في القرآن كان المراد منه ما وقع فيه الاشتراك لجميع الناس من هذه المشاعر الحسية الدنياوية لما سلب الله سبحانه معاناتها عن أهل الكفر والجهل بقوله ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [٢/١٧١] مع وجود هذه الآلات فيهم ، وكذا قوله : ﴿ولقد ذرنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقرون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها او لثك كالانعام بل هم اضل﴾ [٧/١٧٩] ولعدم انتفاعهم بهذه الآلات بصرفها فيما خلقت لاجله ليزيد لهم بسبب شكر هذه النعم الدنياوية نعمة بواطن هذه المشاعر وحقائقها ، ولعدم نصيبهم عن تلك النعم الباطنية وزوال استعدادهم واستحقاقهم لها

كما لانصيب للانعام منها، وانماهم أضل لبطلان استعدادهم بالمسخ والطمس لعدم الشكر منهم لله على هذه النعم و العمل بخلاف ما اعطيت له .

و في قوله : ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ اشارة لطيفة الى ان هذه الظواهر نعم جليلة يجب الشكر عليها ، ليصل الى مقام اسرارها و حقائقها .

و قوله : « جعل لكم السمع و الابصار » و ان كان ظاهره مشعرأً بعموم هذه العطية ، الا ان الواقع في معرض الامتنان والاحسان ليس الا ما يختص بالقليل النادر من الناس من بواطن هذه الظواهر و غيوب هذه الشواهد ، لأن قوله هذه الآلات ب مجرد لها ليست من الامور الشريفة الباقية الاخروية حتى يلائم ذكرها بعد ذكر الروح الامری الحاصل بالنفح الالھی وعدها في معرض ذكر الافعال الالھیة و بعد ذكر عظام الامور الصادرة من الحق سبحانه .

و من الدلائل القاطعة على أن اهل المحجوب الكثيف وأصحاب التجسم والبعد عن عالم الملائكة محرومین عن النظر الى آيات الله و شهود أهل الله ، مع وجود هذه البصيرة الدنياوية قوله تعالى : ﴿ و تراهم ينظرون اليك و هم لا يصررون ﴾ [١٩٨/٧] اي ينظرون اليك من حيث بشرتك ولا يصررونك من حيث نبونك ، فانهم لا يرون من اولياء الله وأحبائه ومحبوبيه الا البشرية المحسوسة ، وليس لهم اطلاع على اعيان الآخرة وأهل القرابة الالھیة ، ولذلك حکى الله عن نسکرهم وجهلهم وانكارهم واستنكارهم لوجود الانبياء بقوله : ﴿ قالوا ما انتم لابشر مثلنا ﴾ [١٥/٣٦] و يقوله ﴿ ان انتم لابشر مثلنا ﴾ [١٤/١٠] .

وان سئلت الحق فييس معنى الكفر بهذه النكرة ، والاحتاجب بهذه الحيوة الدنياوية ، والالتباس بهذه الحواس الحسية ، والانسان مالم يتجرد من هذه الغشاوات والاسباب (الاسباب - ز) لم يخرج الى فضاء الایمان و معارفه أهل الایقان وأصحاب المشاهدة والعيان ، فكن أحد الرجالين : اما سمي عاصيراً بالسمع والبصر الاخريوين عارفاً بحقائق الامور شاهداً بحال اولياء الله تعالى ، و اما مقلدة متشبثة بذيل قائد

يسمع آيات الله بسماع عقلى ويسرى ملکوت السموات والارض ب بصيرة كشفية ، فتكون بصيراً ببصره وسمعاً بسمعه ماشيأ بمشيه ، كقول النبي (ص) (١) «صلوا كما رأيتمونى اصلى» ولو قال: «صلوا كصلوتى» من الذى قدر على مثل صلوته ، فانه قىتل كان يصلى وفي قلبه ازير كازير المرجل (٢) لهيبة الحضور مع الرب سبحانه ودهشته مشاهدة ملکوته .

فالرجل الاول حى بالذات حبوة طيبة ، والثانى حى بالعرض كشعر الحيوان
وعظمه وظلفه (٣) .

قوله سبحانه :

وَقَالُوا إِذَا ضَلَّنَا فِي الْأَرْضِ أَئْنَا لَنِي خَلَقْ جَدِيدٌ
بَلْ هُمْ يَلْقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٦﴾

قالوا- اي منكروا البعث والحيث ، وقيل : القائل ابي بن خلف و لرضاه
بقوله اسند اليهم جميعاً .

اذاضللنا في الارض ، اي غبنافيها وصرنا نتراباً محضاً ، او ذهبنا مختلطين بتراب
الارض لا تتميز منه كما يضل الماء في اللبن ، فان كل شيء غالب عليه غيره حتى
يغيب فيه فقد ضل ، وقيل معناه: غبنا في الارض بالدفن فيها ، من قول الشاعر: (٤)

(١) بحار الانوار: ١٦٢ و ١١٠ / ٩٩١٠ . المسند: ٥ / ٥٣ .

(٢) المسند: ٤ و ٢٥ .

(٣) وفي النسخة المطبوعة: واليه وأشار بما روی عنه قىتل: انوا اياكم كراعي
غم .

(٤) البيت للنابغة الذبياني يرثى النعمان بن الحارث بن ابي شمر الغسانى*

و آب مضلوه بعين جلية وغودر في الجولان حزم ونائل
وعنق قتاده ومجاحد: ان معنى «صللنا»: «هلكنا».
وروى عن أمير المؤمنين عَلِيٌّ، «صللنا» - بكسر اللام - يقال: ضل يضل وضل
يضل .

وقرء الحسن: «صللنا» من: صل اللحم وأصل اذا انتن ، وربما يقال في معناه
صرنا من جنس «الصلة» وهي الأرض .
«أتنا لف خلق جديد» استفهام انكارى لغاية كونه مستبعداً، بل مستحبلاً عندهم ،
اي أنحن أحيا مبعوثون بعد الفساد والاصح محلال ؟ فالظرف في: «أذا صللنا» متعلق
بما يدل عليه «أانا لف خلق جديد» من نحيي او نبعث او نخلق مجددين .

بل هم بلقاء ربهم كافرون: اي انكارهم للوعد والوعيد والثواب والعقاب ،
و كفرهم بجميع ذلك ان manus من كفرهم بلقاء ربهم وجحودهم لبعثة الرسول ﷺ ،
وتکذیبهم لاصل النبوة ، و الا وبعد تصحیح أصل التوحید والرسالة لم يبق لانکار
ما يخبر به المخبر الصادق مجال ، نعم ينبغي أن يزال ظاهره عن الاستحالقة والامتناع
وهو كذلك كما يظهر عند التأمل .

هذا ماسنح لهذا العبد ، وظني أنه أولى مما ذكر في الكشاف بعد ما جعل معنى
«لقاء ربهم» الوصول إلى العاقبة ، اي تلقى ملك الموت وماورائه ، وهو انه لم اذكر
كفرهم بالانشاء ، أضرب عنه الى ما هو أبلغ في الكفر ، وهو أنهم كافرون بجميع
ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده ، الاترى كيف خوطبو ابتو في ملك الموت وبالرجوع

*فإن تحى لا أملك حياتي وإن تمت
فما في حياة بعد موتك طائل
فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل
يريد بمضليه دافنه حين مات ، و قوله «بعين جلية» اي بخبر صادق انه مات
و «الجولان» موضع بالشام ، اي دفن بدقن النعمان الحزم والعطاء .
(لسان العرب - ضلل)

إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء .

حكمة قرآنية

اعلم ان علم المعاد من اعظم امهات الایمان واصوله واشرف الحكمة المتعالية وفصولها ، قل من الحكماء من لم يزل قدماه في سلوك طريقه . وندر من العلماء من بلغ فهمه الى درك تحقيقه ، و خاض في لجة بحر تعميقه ، الناس في الاعتقاد بهذه المسألة بين مقلد ممحض وجاحد صرف ، كم من مجتهد في سائر المسائل اذاوصل هيئنا حمل قلادة التقليد على عنقه طاعة للشرع المبين ، وكم من باحث يسلم سائر المقدمات الایمانية ويقبل بفهمه جل الاصول الاعتقادية متى استعرضت هذه المسئلة على طبعه الوقاد جحدوا نكر ونهج طريق الغواية ، وانحرف عن جادة الحق واليقين ولا مر ماوقع التكرار والتکثار في القرآن المجيد لبيانها ودفع الانكار والاستنكار عن الخصوم بطرق كثيرة لبيانها ، والاهتمام لتحريرها وتقريرها ازيل من غيرها ، وذكر جحود الجاحدين فيها اكثرا من ذكر جحودهم في غيرها .

وانى لم ار احداً من الفضلاء عنده خبر تحقيق في هذا المرام ، الذى هو قرة عيون الكرام ، لا وجدت في كلام احد من فحول علماء الاسلام من السابقين واللاحقين ما كان فيه شفاء لعليل هذا الداء العضال التي عيّت اطباء القلوب من الحكماء العظام ، او يكون به رواء غليل في حل هذا الاشكال التي عمّت داهيته الخاص والعام ، وقليل من فحول اساطير الحكماء الروابطين من حقق علم المعاد الجسماني على النهج اليقيني و الطمأنينة البرهانية و السكون العرفاني ، لأن المقدمات الحسية الدنياوية لا ينتج النتيجة الاخروية ، و القضايا الدائمة العقلية لا يستوجب المطلوب المثالى ، فكيف يجد الانسان الطريق الى مثل هذا المطلوب الذى هو أحد عمودى الاعتقاد ، وهم اعلم المبدئ وعلم المعاد ؟

والحكماء كأبى على سينا ومن فى طبقته وان بلغوا فى تقدیس المبدئ وتنزييهه عما لا يجوز عليه من المثل والشبيه والنظير الى ما بلغوا ، ووصلوا فى توحيده تعالى

عن شوب الاثنينية والتركيب العيني والذهني والاعتباري والتحليلي ، وعن وصمة القصور والامكان العقلى الى ماوصلوا ، لكنهم قد قصرروا بأسرهم فى علم المعاد ، وقد اعترفوا عن آخرهم بالعجز والقصور عن الاطلاع والشعور على أحوال الآخرة ونشأة القبور وحالة النشور . وكان هذا المقصود مملا يمكن الوصول اليه والاطلاع عليه الابنور متابعة أفضل الأنبياء ﷺ ، و الاقتباس من مشكاة نبوته و الاستضائة بنور أوليائه وأتباعه والاقتداء بهداهم .

لمعنة الهيبة لازاحت ظلمة شيطانية

ان ما حکى الله سبحانه عن الكفار بقوله : «إذا ضللنا في الأرض ؛ انalfى خلق جديد» اشارة الى اعظم شبهة يتمسك بها المجاهدون للمعاد ، و اقوى ريبة يتثبت بها السنكرون للبعث يوم التناد ، و قوله : «بل هم بلقاء ربهم كافرون» اشاره الى اجل ما يصلح للجواب و اعلى ما يتصور في دفع الخطاب .

اما شرح تقرير الشبهة : فهو ان عدمة ما يشوش الذهن و يتبدلطبع في باب المعاد ، انه يلزم من اعادة الانسان بعد موته اما اعادة المعدوم – وان كان البدن المعد هو بعينه البدن الذي كان في الدنيا – وذلك امر مستحيل عند العقل ، واما ان يكون المثاب والمعاقب غير الشخص الذي فعل الطاعة او المعصية بحسب العدد ، فقوله «إذا ضللنا في الأرض – الآية اي عدمنا وصارت أجسامنا مستحيلة الى التراب وزالت هوينا الشخصية ، فعند ذلك يتجدد لنا وجود آخر ، و الوجود يساوق الشخص ، فكما أن شخصاً واحداً لا يكون له تعينان وهو ييان ، فكذا لا يكون له وجودان ، والا لزم أن يكون الواحدانين ، وهذا بعينه هو ما حکى الله تعالى عن قول من يجدد الآخرة بقوله : **﴿وَيَقُولُ الْأَنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسُوفَ أَخْرَجَ حَيَا﴾** [١٩/٦٦] .

اما تفسير الجواب وتوضيحه على وجه يندفع هذه الشبهة ونظائرها فهو مما يستدعي تمهيد مقدمة هي : ان جميع الموجودات العالمية سيمانا الانسان كائنة على وجه يتوجه نحو المبدء بحسب الجبلة والقطرة ، وهو الدين الالهي الفطري التي لا يخلو

عنه طبيعة ولا جسم ولا عقل ولا نفس ولا سماء، والأرض ولا بحر ولا ملك ولا حيوان، الامن غالب عليه الوهم من شياطين الانس والجن، فجميع الموجودات متوجهة نحو المبدئ جل شأنه طبعاً وارادة لقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اتَّهَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنِ﴾ [١١/٤١] الا ان الانسان الكامل ممن وصل في سيره الحثيث الى المقصود الاصلى ، والمحبوب الاول العلى ، وبلغ الى الغاية التي يتوجه اليها بحسب فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ورجع وعاد الى المبدئ الذي فارقه وصدر عنه ، ﴿كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَذِهِ وَفَرِيقاً حَقٌّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ﴾ [٣٠-٢٩/٧] ﴿وَمَنْ يَهْنِ اللَّهَ فِيمَالَهُ مِنْ مَكْرُمٍ﴾ [١٨/٢٢].

ف اذا علمت هذا فاعلم أن هذه الحركة المعنوية الانسانية من لدن كونه منياً وجنياً الى غاية كونه بالغا عاقلا ذكيّا صبوراً شكوراً حكيمًا ولیاً ، وهلم الى ان يصل الى جوار الله وقربه ، لابد لها من موضوع باق من اول الحركة الى منتهاها ، والالم يمكن الشاب ما كان طفلا صغيراً بعينه ، ولا الذي سيكونشيخاً كبيراً ، ومع ذلك فقد تبدل منه جميع ما كان له من مقداره وكيفه وأينه ووضعه وماته وانفعاله وفعله وجميع ما يقال له في عرف أهل النظر العوارض المشخصة .

فقد علم ان من ظن ان هذه الامور مفيدة للشخص ، او هي باعيانها مساوقة للشخصية ، فقد اخطأ خطأ خطيرا فاحشا ، بل امثال هذه الامور ماهي الامارات لشخص واحد وآثار منسوبة اليه بوجه من الوجوه من غير علاقة لزومية بينها وبينه ، وإنما الهوية هي نحو وجوده الذي هو نصيبيه من فيض الروبية ، ولكل وجود من الوجودات الفائضة عنه تعالى شهونات مختلفة متباوتة في كثرة التطورات وقلتها ، بحسب سعة قوته وبسط نشأته والوجود في غير الانسان من موجودات هذا العالم ليس له الامجال ضيق من حد من النقص الى حد من الكمال بحسب الدنيا كالبذر الذي يصير ثمرة ، كان انتقاله من حد الجمادية الى حد النباتية ، او كنقطة الحيوان التي تصير حيواناً غير ناطقا ، فان سعة سيره ومسافة سفره من حد الجسمية الى حد الحيوانية .

واما وجود نوع الانسان فهو اوسع مجالاً و اكثر آثاراً و افعالاً ، وارفع صعوداً الى جهة العلو ، واعظم قوساً من النصف الصعودى من دائرة الوجود الذى وقع فيه السفر الى الله والتوجه الى جنابه للموجودات العالمية ، و ذلك لانه يرتاح فى سيره الحيث من هذه الدار الفانية الى الدار الباقيه الدائمه ، وينتقل فى جوهره من نشأة الى نشأة ثانية .

وهذا الارتحال والانتقال امر عام فاش مشترك بين سائر افراد الانسان ، يستوى فيه الشقى والسعيد ، فان التوجه الفطري الى الله تعالى لاينافى الشقاوة والكفر ، لما ذكر ننان الكل متوجهون اليه تعالى والى الدار الاخرة ، لأن النفس الانسانية منه تعالى بدؤها واليه رجعواها ﴿وَإِنَّ إِلَيْهِ رَجْعًا﴾ [٩٦/٨] ومن الله شر وقها وغروبها ، فهبطت الى هذا القالب الفاني ، وغربت فيه ، وستطلع هذه الشمس عند خراب القلب من مغربها ، وتعود الى بارئها وخالقها ، الان نفوس السعداء شموس زاهرة مشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية ، وأن نفوس الاشقياء المردودين الى أسفل السافلين مظلمة منكسفة ناكسة رؤوسها عن جهة أعلى عليين ، كما في قوله :

﴿وَلَوْ تُرِى أَذْ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [١٢/٣٢] فيبين أن نفوس الاشقياء ايضار اجمعه الى ربهم متوجهة اليه فطرة كالسعداء فطرة وارادة ، الانهم لكراهة لقائهم بهم منكسون منحوسون ، قد انقلبوا وجوههم الى افقيتهم ، وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل ، وذلك لحكم الله وقضاءاته السابق فيما حرمته توفيقه.

واما تمام هذا السفر الجبلى والتوجه الفطري الى الغاية الحقيقية والمقصود الاصلى فانما يتأتى للكميل والافراد والاقطاب والاوتداد ، الذين لاجلهم خلق العباد ، وبهم رزق الورى ولهم يمطر السماء ، فهم الذين يرتفون بالمعراج المعنوى والممبل الباطنى الجبلى من حد الهيموانية والجسمية والنطفية الى عالم البشرية والفلكلورية والملوكية ، مارأعلى كل نفس وعقل ، حتى بلغو الى الغاية القصوى والمقصد الاسنى ، قاطعاً كلتى نصفى دائرة الوجود نزولاً وصعوداً الى مجاورة الحق المعبد ، مسافراً من هذا العالم

الفانى الهيولانى الذى وقع فى صف نعال مجلس الافاضة والخير والجود، منتهياً واصلاً بقدمى العلم والعمل الى كعبه المقصود، وفي جميع هذه المراتب والدرجات هو شخص واحد يحفظ وحدته وشخصيته بفاعله ومو جده ويبقى هو بيته العينية بنحو وجوده اللائق به - وان تطور بهذه الاطوار وتشأن بهذه الشؤون .

* * *

فإذا تبين وتحقق لك هذا فاعلم ان قوله سجانه «بل هم بلقاء ربهم كافرون» اشارة الى رد شبهتهم وفك عقدتهم من وجوه :
الاول: التنبية على قصورهم عن درك هذا التوجه الفطري للعباد الى عالم الآخرة ولقاء ربهم في المعاد .

الثاني : التنبية على فساد قولهم « ان الشخص المعاد في المعاد غير الذي كان في الدنيا بحسب الشخصية والعدد مطلقاً» بل هذا ذاك بحسب الباطن والحقيقة، كما ان زيد الشاب هو بعينه زيد الطفل ، وان تبدلت جثته وجميع اعراضه وصفاته، وذلك لأن تشخيص الشيء بفاعله ومقومه ونحو وجوده الذي هو به هو ، لا يبينه واعراضه المتبدلة ، واطلاق الشخص على الاعراض المكتنفة من باب تجوّز التسمية للشيء باسم سببه ، وزوال الاثر والعلامة لا يستلزم زوال المؤثر المعلوم به - فتفطن - .

والثالث : الاشعار بأن انكار المعاد والجهل بوجود عالم آخر اليه رجعى العباد وفيه حشر الاجساد للحساب والميزان انما نشأ للمفترىن بعقوتهم القاصرة ، الممحجوين بفطانتهم البتراء وبصیرتهم الحولاء ، لعدم اهتدائهم بأن وجود الانسان ووقوعه في هذا العالم أمر عارض له بعد خروجه عن فطرته الاصيلية التجردية : ونزوله عن جنة آدم أبيه بجنائية صدرت منه ، وكل من خرج من موطن ومعدن لامر عارض لابد وأن يرجع اليه ولو بعد حين مadam بقائه على فطرته الاصيلية ، وعدم مسخه وطمسمه

بالكلية ، وكما ان معادن النفوس مختلفة لقوله ﷺ (١) : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » فكذلك غaiات قصودهم ومراكز حركاتهم ونهایات اسفارهم كما اشير اليه في قوله تعالى : ﴿قد علم كل اناس مشربهم﴾ [٦٠/٢] . فالنفوس التي لا يكون بينها وبين الحق الاول واسطة ينجذب الى جنابه طبعاً ، كما ينجذب ابرة من حديد الى مغناطيس غير متناهى القوة ، وهذه النفوس هي العارفة بالله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واما النفوس الصادرة عنه بواسطه الوسائل الفلكية أو النفسية أو العقلية أو البرازخ الجسمانية الجنانية أو الجهنمية ، فيقع لهم الانجداب الى معادنهم الاصلية لحكمة قضائية وقدرية ، واليه أشار الشيخ عبدالله الانصارى في قوله : «الهـى تلطفت لا ولـيـائـك فـعـرـفـوك ، ولو تـلـطـفـتـ لـاعـدـائـكـ لـماـ جـحـدوـكـ» .

فالنفوس التي لم يكن بينها وبين الاول حجاب من عقل او نفس او دنيا او آخرة ، فهم الذين يكونون في الصف الاول في القرب والعرفان بالوحى او الالهام او المشاهدة ، لقوله تعالى : ﴿والسابقون السابقون او لـثـكـ المـقـرـبـونـ﴾ [٥٦/١٠] واما النفوس التي بينها وبينه حجاب وواسطة ، فاما ان يعرفوها من وراء حجاب او حجب كالرسالة والامامة ، لقوله تعالى : ﴿ما كان ليـشـ اـنـ يـكـلمـ اللهـ الاـ وـحـيـاـ اوـ منـ وـرـاءـ حـجـابـ اوـ يـرـسـلـ رـسـوـلاـ﴾ [٤٢/٥١] فكل من هؤلاء له مرتبة معينة من الجنان ، ودرجة خاصة من ثوابهم عن الرحمن ، واما ان يجحدوا لقاء الله تعالى والدار الاخرة فلا محالة ليست درجتهم فوق أن يصلوا الى أدنى المنازل وأسفل السوائل ، وهي الجحيم التي هي حقيقة هذه الدنيا الفانية ، وصورة الطبيعة التي هي الحطمة الكبرى وستصير متطلعة على الافتدة ، لقوله تعالى : ﴿نـارـ اللهـ المـوـقـدـةـ التـىـ تـطـلـعـ عـلـىـ الـافـتـدـةـ﴾ [١٠٤/٧] وستظهر صورتها الحقيقة منكشفة على من خرج من غبار هذا العالم ، كصورة الجنان لمستأهليها ، لقوله : ﴿وازـلـفـتـ الـجـنـةـ لـلـمـتـقـينـ﴾

(١) المسند : من حديث ابى هريرة ، ٥٣٩/٢

وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ [٢٦/٩١].

فَالنُّفُوسُ الْكَافِرَةُ الْجَاهِدَةُ لَيْسَتْ لَهُمْ وَزْنٌ بِعَوْضَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا لَهُمْ نَصِيبٌ إِلَّا مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي سَيَرِزُ لَهُمْ فِي صُورَةِ جَهَنَّمَ لِلَاشْرَارِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرِى﴾ [٧٩/٣٦] فَيُصِيرُ مَعْلُومَةً لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالشَّهُودِ الْعَيْانِيِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ﴾ ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ [٤٠/٤-٦] وَذَلِكَ لِكَشْفِ الغَطَاءِ عَنْ عَيْنِ بَصِيرَتِهِمْ فَصَارَتْ بَصَرُهُمْ بَصِيرَتِهِمْ حَدِيدًا ، لِقَوْلِهِ : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غَطَائِكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٢٢/٥] وَلَا فَهْيَ مُوْجُودَةٌ مَعْهُمْ هِيَهُنَا وَفِي اهْبَاهُمْ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ مَا كَنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ﴾ [٥٠/١٩] ، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَحِيطَةِ الْكَافِرِينَ﴾ [٩/٤٩].

تَهْمَةٌ تَنْبِيَهِيَّةٌ

اعلم ان في هذا المقام أبحاث قوية وتحقيقـات شافية يتکفل لدفع شـكوكـ ، وشبهـ اوـردـتـ علىـ مـسـئـلـةـ المـعـادـ الجـسـمـانـيـ وـبـعـثـ الـاـبـدـانـ وـرـدـ الـاـرـواـحـ الـيـهاـ حـسـبـ مـاـنـطـقـتـ بـهـ الـاـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ وـجـائـتـ بـهـ الشـرـيـعـةـ النـبـوـيـةـ عـلـىـ الصـادـعـ بـهـ وـآلـهـ السـلـامـ وـالـتـحـيـةـ ، وـأـثـبـاتـ وـجـودـ عـالـمـ آخـرـ مـقـدـارـيـ غـيـرـ هـذـاـ العـالـمـ فـيـ دـاـخـلـ حـجـبـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ ، غـائـبـ عـنـ شـهـوـدـ هـذـهـ الـحـوـاسـ الـدـنـيـاوـيـةـ ، فـيـ جـنـةـ السـعـادـ وـجـحـيـمـ الـاشـقيـاءـ ، ذـكـرـناـهـاـ فـيـ كـتـابـنـاـ المـسـمـىـ بـالـمـبـدـءـ وـالـمـعـادـ ، لـوـ لـمـ مـخـافـةـ الـخـرـوجـ عـنـ طـوـرـ التـفـسـيرـ لـأـوـرـدـتـهـاـ جـمـلـةـ ، فـمـنـ اـرـادـ فـلـيـرـاجـعـ إـلـىـ هـنـاكـ ، لـكـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ الـمـسـتـبـصـرـ أـنـ يـعـلـمـ هـذـاـ الـقـدـرـ الـذـيـ نـذـكـرـهـ مـنـهـاـ اـجـمـالـاـ . وـهـوـ اـعـمـدةـ شـبـهـ الـمـنـكـرـيـنـ لـلـمـعـادـ الـجـسـمـانـيـ وـاـشـكـالـاتـهـمـ أـمـوـرـ :

اـحـدـهـاـ : هـوـ الـذـيـ ذـكـرـهـ اللـهـ تـعـالـىـ حـكـاـيـةـ عـنـهـمـ وـأـزـاحـ فـسـادـهـ وـوـقـىـ شـرـهـ فـيـ عـدـةـ مـوـاضـعـ مـنـ الـقـرـآنـ ، مـنـهـاـ مـاـمـرـ فـيـ هـذـهـ السـوـرـةـ سـؤـالـاـ وـجـوابـاـ . وـمـنـهـاـ مـاـ ذـكـرـهـ فـيـ سـوـرـةـ مـرـیـمـ بـقـوـلـهـ : ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَا مَاتَ لِسْوَفَ

اخراج حياً * أولايد كر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً [١٩/٦٦-٦٧].
ومنها ما ذكره في سورة يس بقوله : * وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من
يحيى العظام وهي رميم * قل يحييها الذي انشأها اول مرة [٣٦/٧٨-٧٩] واسلوب
ازالة الشبهة في الجميع واحد ، كما مر ذكره .

* * *

وثانيها : ان القيامة والبعث والحضر والجنة والنار اذا وقعت وتحقق فهى في
اي موضع تكون ؟ أهى في السماء او في الارض او فيما بينهما ؟ فان كانت واقعة
في وجه الارض فكيف يسع وجه الارض لجميع الخالقين كلها ، وقد برهن على قدر
مساحتها بحيث لا يسع افراد الانسان التي حصلت في مدة ألف سنة اذا بقى التناسل
وارتفع الموت ، فكيف من اجتماع الافراد الحاصلة في مدة متطاولة ودهور غير
محصورة في عدد ؟ وان كانت في داخل أطباقي السموات فكيف يوافق هذا قوله
تعالى : * جنة عرضها السموات والارض [٣/١٣٣] وان كانت فوق الافلاك
كلها ، فيكون وجودها في لاجهة مع كونها ذات جهات .

والجواب عنه : ان الاخرة عالم تام برأسها ليست تنتمي مع هذا العالم في
سلك واحد ، ولا هي واقعة في جهة من جهات هذا العالم ولا في حيز من احيائها ،
لكونها نشأة ثانية غير هذه النشأة ، كما ان ميراث الانسان في نومه من الامور العظيمة
والافلاك والصحابي الواسعة ، ليست واقعة في حيز من احيائها هذا العالم الحسي ،
فهذا جواب اشكالهم من جهة المكان .

* * *

وثالثها : وهو الاشكال الناشئ من جهة الزمان والحركة ، وبيانه أن وجود
القيامة لابد وان يكون في زمان مستقبل يتجدد عقيب هذا الزمان الذي نحن فيه ،
فيلزم ان يتصل زمان الدنيا مع زمان الاخرة في امتداد واحد ، واتصال الزمان يستلزم
اتصال الحركة الحافظة له واستمرار الجسم المتحرك حرارة سردية دورية غير

متناهية الاعداد والادوار والاکوار ، وهذا يستلزم استمرار هذه الدار وبقاء الفلك الدوار ، وهو مما يصادم القوانين الدينية والقواعد المثلية ، لقوله تعالى : ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ﴾ [٤٠/١٦] وقد اشار تعالى الى تقرير هذه الشبهة المفصلة بقوله : ﴿وَيَقُولُونَ مٰنْ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كَنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٠/٤٨] .

والجواب الحق ما وقعت الاشارة اليه بقوله سبحانه : ﴿مَا يَنْظَرُونَ الْاَصْيَحَةُ وَاحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصُمُونَ﴾ [٣٦/٤٩] وتوسيعه على وزان ما علمنا من المذكور في دفع الشبهة الواردة من جهة المكان ، فان الزمان والمكان متوافقان في الاحکام ، و«اين» و«متى» متلازمان في نحو الوجود والقوام ، منسلكان في سلك واحد من الانتظام ، فكما ان مكان الآخرة خارج عن امكانة هذا العالم ، فكذا زمانها خارج عن ازمنة هذه الدار الفانية ، بل هما محظيان بهذين ، نسبة كل منهما نسبة واحدة إلى مابازائهما من خصوصيات امكانة هذا العالم وازمنته .

اولاً ترى انه قد عبر عن زمان الآخرة بغاية العلة ، لقوله ، ﴿وَمَا امْرُ السَّاعَةِ الْاَكْلَمُ الْبَصَرُ اَوْ هُوَ اقْرَبُ﴾ [١٦/٧٧] تنبئها على فعلية الاشياء هناك وكونها على غاية الكمال وال تمام ، وأنت أذاقست مبادي الحركة كات المفارقة قوة وضعاً أو سرعة وبطء بعضها إلى بعض ، كقوى الرامين سهاماً نحو المرمى في مسافة واحدة فوجدت كلما كان أقوى قوة وأسرع حركة فهو أقل زمان حركة ، حتى لوفرضت قوة مباشرة للتحريك في غاية الشدة كانت الحركة واقعة منها دفعه واحدة ، فإذا اشير إلى زمان الآخرة اشير إلى أقل ما يتصور من الأزمنة ، وإذا اشير إلى مكان الآخرة اشير إلى أوسع ما يتصور من الامكنة ، كقوله : ﴿جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [٣/١٣٣] وامر الاعادة كامر الابداع ﴿وَمَا امْرُنَا الْاَوَّلَةُ كَلْمَحُ بِالْبَصَرِ﴾ [٥٤/٥٠] و شأن البداية كشأن النهاية حذو القذة بالقذة ، وكل انسان يرجع في آخر أمره إلى فطرته الاصيلية التي خرج عنها ، ورد إلى مبدئه الذي صدر منه مالم يتغير فطرته الاصيلية بالمسخ أو الطمس ، نعم ذبالله من الحور بعد الكور .

وقد اختلفوا في أن البرزخ الذي سيصير الأرواح اليها بعد المفارقة عن الدنيا، هو عين البرزخ الذي بين الأرواح المجردة وال أجسام الطبيعية أم غيره والاكثر على أن أحدهما غير الآخر حقيقة ، قائلين بأن تزلات الوجود و معارجه دورية ، مستدلين بأن الصور التي تلحق الأرواح في البرازخ الاخير انما هي صور الاعمال و نتيجة الافعال السابقة في النشأة الدنياوية ، بخلاف صور البرزخ الاول ، فلا يكون أحدهما عين الآخر ، لكنهما مشتركان في كونهما عالماً غير مادي وجوهراً غير طبئي .

وأقول فيه بحث كشفي لا يمكن عرضه لغير المكاشف على وجهه ، الا أنه يجب أن يعلم كل سالك أن وحدة الجوادر العالية والمبادى المتعالية ليست من قبيل وحدة الاشخاص الطبيعية الواقعة في عالم التضائق والتصادم والتضاد ، ويعلم ايضاً ان وحدة الموضوع التي اعتبرها المنطقيون في شرائط التناقض لابد أن يختص بما يتحقق في الماديات ، حتى يثبت التناقض بين الامرين المتناقضين ، والافکثيراً ما يجتمع المتناقضات في موضوع غير طبئي موجود في غير هذا العالم ، فان المتقابلات حاضرة عند المرتفعين عن حضيض هذا الادنى ، وصدق الكلى الطبيعي على افراده المقابلة تبهك على هذا ، وكذلك الحكم عندما يتصور العقل وجوداً وعدماً وسوداً وبياضاً لشيء واحد .

ومما يدل على ما ذكرنا قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [٥٧/٣] وكذا قول الحكماء ان الواجب تعالى مبدئ الاشياء وغايتها ، وقولهم : ان العقل الفعال ثمرة العقل المستفاد ، كما انه مبدئ فاعلي له ، وكذا ما عليه المحققون من العرفاء ، ان العقل الاول هو الحقيقة المحمدية عند اباعاته ووصوله الى المقام المحمود المختص به . وبالجملة ان العالم المتوسط البرزخي من جملة مبادى الانسان التي قد نزلت حقيقته و ماهيته منها ، وسيقع رجوع النفس اليها ، والكلام في وحدة ذلك العالم و تعدد صدوراً ووروداً كالكلام في سائر المبادى المحصلة ل ما هية الانسان اولاً ، والمكملاة لوجودها أخيراً .

فافهم واغتنم ان كنت من اهله والافانت وشأنك .

* * *

والاشكال الرابع: انه اذا صار انسان معين غذاء لانسان آخر ، فالاجراء المأكولة اما أن يعاد في بدن المأكل ، او في بدن الماكول ، وأياماً ما كان لا يكون أحدهما بعينه معاداً بتمامه .

وايضاً اذا كان الاكل كافراً أو المأكول مؤمناً يلزم تعذيب المطيع وتنعيم العاصي او يلزم ان يكون الاكل كافراً معدباً والمأكول مؤمناً منعماً مع كونهما جسم واحداً واندفعه بما هدناه في ان تشخيص كل انسان انما هي بنفسه ، واما بدنه من حيث هو بدن فليس له تشخيص الابالنفس ، بل ليس له من هذه الحقيقة حقيقة ولا ذات حتى يكون له في ذاته تعين بهذا الاعتبار وتحدد الابحسب ما يتصرف فيه نفسه ومن حيث اضافته الى نفسه ، وليس من شرط كون بدن زيد مثلاً محشوراً ان يكون الجسم الذي منه صار مأكولاً لسبعين اوانسان من حيث هو جسم معين له حقيقة في نفسه لحمية او عظمية او عصبية محشوراً يوم القيمة ، اي بهذا الاعتبار، بل المحشور ليس الابدن زيد بما هو بدن زيد بعد ما ان حفظت شخصيته بنفسه التي يكون جهة وحدته وتشخصه ، وان تبدلت بجميع اجزاءه وصفاته في نفسه ، لبانها اجزاء بدن زيد من حيث هي اجزاء بدن زيد بعينها ، فاعتبر ببقاء شخصية زيد تمام عمره مع تبدل اجزاءه كلاماً او بعضاً .

فاعتقدنا في حشر الابدان يوم الجزاء ، هو أن يبعث من القبور ابدان اذار أيت كل واحد منها لقلت هذا فلان ، وذاك فلان – اعتقاداً مطابقاً للواقع – لأن يكون تلك الابدان مثلاً وابساحاً للأشخاص الانسانية، وذلك لأن المعلوم من الآيات والمفهوم من الشرائع والبيانات أن المعاد في المعاد هو مجموع النفس والبدن بعينهما دون مجرد النفس – كمار آه المشاون او مع بدن آخر عنصري – كمار آه بعض – او مثالي كما ذهب اليه الاشراقيون، وهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للعقل والشرع ، الموافق

للملة والحكمة ، فمن صدق وآمن في المعاد بهذا فقد آمن بيوم البعث والحساب والجزاء ، وقد أصبح مؤمناً حقاً ، والنقصان عن هذا خذلان بل كفر وطغيان .
ولايلزم من هذا أن يعتقد أن مشوه المخلق يجب أن يبعث مشوه المخلق ، ولا
الاقطع والاشل والأعمى والهرم يجب أن يعيشوا كذلك ، كيف وقد ورد في الأحاديث
خلاف ذلك ، فعود الشكل والهيئة والمقدار عيناً أو مثلاً غير لازم ، كيف وقد ورد
في الحديث (١) «ان ضرس الكافر مثل جبل احد» «وان اهل الجنة جردمود» (٢)
بل اللازم شكل ما وهيئة ما ومقدار ما مع انحفاظ الشخص .

وليس بواجب في كل فرد من الإنسان أن يحشر مع بدن من الأبدان ، بل الكامليين
في العلوم إنما يحشرون إلى الله ، مفارقين عن الأجسام بالكلية ، منخرطين في سلك
الملائكة المقربين ، الذين طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس ، وهم الذين من خشية
ربهم مشفقون .

قوله جل اسمه :

قُلْ يَتَوَفَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ أَلَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيْنَا رَيْكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

«التوفى» و«الاستيقاء» بمعنى واحد ، فالمتوفى للنفوس والآرواح هو المخرج
لها كلها من الأبدان ، بحيث لا يترك منها شيئاً ، من قوله : « توفيت حقي من فلان
و واستوفيتها» اذا أخذته و افياً كاملاً من غير نقصان .

وفي الكشف نقلًا عن مجاهد : « حرية لملك الموت الأرض وجعلت له مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء » وهذا تمثيل لتصرفة في جذب الآرواح إلى الله تعالى

(١) المسند : ٣٢٨ / ٢ وجاء الحديث بالفاظ مختلفة راجع المعجم المفهرس :
٥٠٨ / ٣

(٢) المسند : ٢٩٥ / ٢ ترمذى : ٤٦٨٢ كتاب صفة الجنة الباب : ١٢ .

من اصول الاشباح ، كجذب الشمار بالقوة النامية من أسافل الشجر الى أعلىها ، وقريب منه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ماشاء الله أذا قضى عليه الموت من غير عناء ، خطوه تمهما بين المشرق والمغرب .

وقيل : ملك الموت يدعوا الارواح فتجبيه ، ثم يأمر أعوانه بقبضها .
وعن قتادة : يتوفاهم ملك الموت ومعه أعوان كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

ووجه ذلك ان نزع الصورة الشريفة من مادة غير لائقة ، وقضى الروح من بدن الى عالم آخر اعلى رتبة منه رحمة بالقياس الى الصورة المنتقلة ، وعذاب بالقياس الى المادة المنتقلة هي عنها ، فالملائكة النقالة والقوى الفعالة موكلة من عند الله لا يصل الى المفارقة عن الارواح العالية ، هي من سدنة العالم الادنى ، وهي المسماة بملائكة العذاب ، وان كانت في فعلها رحمة ومصلحة بوجه آخر .

فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس كما ذهب اليه جمع ، ويدل عليه قوله : **﴿توفته رسلينا﴾** [٦٤/٦] ونسبة القبض والتوفى الى ملك الموت وأعوانه من قبيل نسبة الفعل الى الاله ، لشأ ينافي قوله تعالى : **﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾** [٣٩/٤٢] ويلائم ذلك قوله تعالى «الذى وكل بكم» اذا التوكيل تفويض الامر الى غيره للقيام به ، وليس هيئنا تفويض محض ولا جبر محض ، بل أمر بين أمرين ، اي وكل ملك الموت بقبض ارواحكم أجمعين او واحداً واحداً حتى لا يبقى أحد منكم .

ثم الى ربكم ترجعون بجذبة «ارجعى» وان كان الوा�صل الى حضرته هم النفوس المطمئنة فاختص هذا الخطاب بهم في قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَةُ إِرْجِعِيهِ رَبَّكَ رَاضِيَةً مَوْضِيَّةً﴾** [٨٩/٢٧] و الباقيون يحشرون الى جزاء ربهم من الثواب والعقاب .

وروى عكرمة عن ابن عباس (١) قل لِرَسُولِ اللَّهِ قَلْ : «الاًمْرَاضُ وَالاَوْجَاعُ كُلُّهَا بِرِيدِ الْمَوْتِ وَرَسُولُ الْمَوْتِ ، فَإِذَا حَانَ الْاَجْلُ اُتِيَ مَلِكُ الْمَوْتِ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ كَمْ خَبَرْتَ بَعْدَ خَبْرِي ؟ وَكَمْ رَسُولٌ بَعْدَ رَسُولِي ؟ وَكَمْ بَرِيدٌ بَعْدَ بَرِيدِي ؟ أَنَا الْخَبِيرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي خَبْرٌ ، وَأَنَا الرَّسُولُ . أَجْبَرْتَ رَبَّكَ طَائِعًا وَمُكْرِهًا .

فَإِذَا قُبِضَ رُوحُهُ وَتَصَارَخُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : عَلَى مَنْ تَصْرُخُونَ وَعَلَى مَنْ تَبْكُونَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا ظَلَمْتَ لِهِ اجْلًا وَلَا كُلَّتَ لِهِ رِزْقًا ، بَلْ دُعَاهُ رَبُّهُ ، فَلَيْكَ الْبَاكِي عَلَى نَفْسِهِ ، فَانْ لَيْ فِيْكَ عُودَاتٍ وَعُودَاتٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدًا» .

وَهَذَا الْحَدِيثُ قِبْلَةُ عَلَى مَا بَيْنَاهُ مِنْ كَوْنِ الْقَابِضِ لِلَّارْوَاحِ اِنْمَا نَصْبُ مِنَ اللَّهِ لَا يَصْبَرُ كُلُّ اَحَدٍ عَلَى جُوارِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَدُعْوَةِ رَبِّهِ ، لِلِّنْقَمَةِ وَالْعَذَابِ ، اِلَّا انَّ النُّفُوسَ الشَّقِيقَةَ الْجَاهِلَةَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مُسْتَوْحِشَوْنَ عَنِ الْحَقِّ لِالْفَهْمِ بِهَذَا الْعَالَمِ وَأَنْسَهُمْ بِالْحَسْرَاتِ وَاعْتِيادِهِمْ بِاللَّذَّاتِ الْخَسِيْسَةِ وَمَقَارَنَةِ الْمَوْذِيَّاتِ ، كَمَا اشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُ عَلِيٍّ^ع : «فَلَيْكَ الْبَاكِي عَلَى نَفْسِهِ» .

رموز قرآنية ولوائح ربانية

مِنْهَا أَنَّهُ يُسْتَفَادُ لِلْمَتَأْمِلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَظَائِرِهَا أَنَّكَ قَاصِدُ الْمَنْدِيَّةِ يَوْمَ خَلَقَتْ نَطْفَةً فِي الرَّحْمَةِ وَتَعْلَقَتْ بِهَا فَسْكَةً ، فَإِنَّكَ أَبْدَأَ مِنْتَقِلًا مِنْ حَالَةٍ هِيَ أَدُونَ إِلَى حَالَةٍ هِيَ أَعُلَى وَأَشَرَّفَ وَمِنْ مَرْتَبَةِ هِيَ أَنْفَقَ إِلَى أَخْرَى هِيَ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ ، وَهَكُذا إِلَى أَنْ تَلْقَى رَبَّكَ وَتَشَاهِدَهُ وَيُوَفِّيكَ حِسَابَكَ ، فَإِنَّ لَمْ يَتَعْلَقْ بِكَ أَثْنَاقٌ وَأَوْزَارٌ مِنْ جَنْسِ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَّةِ فَتَبْقَى عَنْهُ مَخْلَدَةً مَسْرُوْرَةً دَهْرَ الدَّاهِرِيْنَ مَعَ التَّبَيِّنِ وَالصَّدِيقِيْنَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسْنَ اُولَئِكَ رَفِيقًا ، وَالْأُوْفُوكُونَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ وَالْمَنْكُوشِيْنَ وَالْمُتَرْدِيْنَ إِلَى اسْفَلِ السَّافَلِيْنَ ، وَمَا يَنْبَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادْحَ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيْهِ - إِلَى قَوْلِهِ - كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [٨٤/٦-١٣] .

(١) جاءَ مَا يَقُربُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الصَّادِقِ عَلِيٍّ رَاجِعُ الْبَحَارِ : ١٦٦/٦

ومنها ان هذه الآية وقعت جواباً تفصيلياً للشبهة المنسولة عن المنكرين للمعاد وحشر الاجساد بعد الجواب الاول الاجمالى على الوجه الذى او ضمحناه بفضل الله والهامه ، اذ قد علمت ان توجه النفوس و الارواح الى عالم المعاد و قرب المبدء الجواب امر فطوى فطرت عليه العباد ، لأن الموت نوع من الاستكمال ، لأنه بالقياس الى الروح العلوى وجود وحياة ، وبالقياس الى البدن العنصرى المركب والهيكل المحسوس عدم الموت ، ولكل استكمال بعد استكمال ، لا بد من وسائل بين الله وبين الخلق هى المسممة بملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، وقد يختلفان بحسب الاضافات كما اشرنا اليه ، فملك الموت يقبض الارواح من عالم أدنى الى عالم أعلى ، ونفس هذا القبض اماتة في هذا العالم واحياء في عالم الآخرة ، ولهذا يسمى بأبى يحيى ، لاما ظن من ان من بباب تسمية الشيء باسم ضدته كما هو من عادة العرب ، بل في تسميته بهذا روعى كل الوجهين بحسب النسبتين .

ووجه كون الآية بياناً وموضحاً لمسئلة الحشر الجسماني ان اجناس العالم مختلفة بعضها فوق بعض ، وقد ثبت في الحكمة الالهية ان الطبيعة ما لم تستوف النوع الاحسن لم يقصد النوع الشرف ، و مالم تصل الى العالم الادنى لم يتخط الى العالم الاعلى ، أولانرى أن المنى في الرحيم يزداد كمالاً بعد كمال على الولاء حتى يصير انساناً فيصير اولاد انفس نباتية ثم حيوانية ثم بشرية - من غير ان يطير مرتبة من المراتب ؟

والى هذا المعنى اشار تعالى في كثير من الآيات الفرقانية كقوله ﴿ افرأيت النساء الاولى فلولا تذكرون ﴾ [٦٢/٥٦] وك قوله ﴿ افرأيت ماتمنون ﴾ [٥٦/٥٨].

ثم لما كانت اجناس العالم منحصرة في اربعة : اثنان منها روحانيان وهما عالما العقول والنفوس ، واثنان منها جسمانيان وهو عالما الغيب والشهادة ، فالارواح الانسانية لا بد أن ترتحل من هذه الدار إلى الدار الآخرة عند توجهها الجبلي إلى الحق واستكمالها الفطري بحسب النشتات والحالات ، فقوله ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾

برهان مبين وبيان متين لاثبات الحشر الجسماني عندمن له توغل في القواعد الحكمية والقوانين العقلية .

* * *

ومنها : انه يجب ان يكون متحققاً عندك ان ملك الموت واعوانه لا يعدمان ، بل يفرق بينك وبين ما هو غير صفاتك وأجزاء ذاتك ، لأن القواطع البرهانية والسواطع القرآنية والاشارات النبوية والكلمات الولوية قائمة على أن محل الايمان والمعرفة لا ينعدم ، كما ورد في الحديث : «ان الارض لاتأكل محل الايمان» وورد ايضاً : «خلقتم للبقاء لالفناء» (١) .

فإذا تيقنت هذا فاعلم ان للانسان الكامل في ايام كونه الدنياوي اربع حيات : النباتية والحيوانية والتطقية والقدسية ، فالاوليان دنياويّتان والاخريان عقاويّتان .

مثال ذلك «الكلام» و«القول» فان له حيوة تنفسية كالنبات ، وحيوة صوتية كالحيوان ، وحيوة معنوية كالنفس المفكرة ، وحيوة حكمية كالنفس القدسية ، فإذا خرج الكلام من جوف المتكلم ودنياه دخل إلى باطن السامع وآخره ، فورداً ولا في جوفه - اي في صدره - كما قيل : «صدور الاحرار قبور الاسرار» ثم إلى قلبه الذي هو آخر منزله ومواه ، فإذا ارتحل من عالم التكلم إلى عالم السمع انقطع عنهحيات الاوليان - اي انقطع النفس وفنى الصوت .

ولايخلو حاله بعد هذا عن أحد أمرین ، لانه اما أن يقع في روضة من رياض الجنة ، وذلك اذا كان الجوف الذي دخل فيه صدرأً منشراً بـانوار معرفة الله والهامت عالم ملوكته ، فيكون قرین ملائكة الله وعباده الصالحين الزائرين لهذا القبر ، واما أن يقع في حفرة من حفر النيران ، وذلك اذا كان صدرأً منشراً بالشر

(١) راجع بحار الانوار : ٢٤٩/٦ وجاء في علل الشوايع باب علة الخلق و

اختلاف احوالهم عن الصادق عليه السلام ١١ .

والفساد ومعدن للشياطين والظلمات ومورداً للعنة الله ومقته أبداً مخلداً، لقوله تعالى:
 ﴿نَ شَرُّ الْكُفُورِ صَدِرًا فَعَلَيْهِمْ غُصْبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٥٦/١٦].
 فان من البواطن والصدور ما ينزل لزيارته في كل يوم وليلة ألف ألف من الانبياء
 والأولياء عليهم السلام لغاية صفاتهم ونفائهم وكونه مشحوناً بالمعارف الالهية والعلوم
 الربانية ، والعلم صورة المعلوم وحقيقةه ، فهو روضة الجنان ، ومن الاجواف ما
 يقع فيه في كل يوم وليلة ألف مجادلة ومخاومة مع الناس ، ويكون معدن الكذب
 والظلم والوسواس ومنبع الوحشة والكدوره والغصة والعذاب الاليم واللعنة المقيم ،
 فهو بعينه كحفرة الجحيم .

فالقول والكلام اذا وقع الى الصدر المنشرح بنور الايمان والمعرفة يتجرد
 عن العوارض المادية وينقشر عن الغواشى الظلمانية ، فيصير لبأ خالصاً معقو لا لائقاً
 لان يتغدى به اولو الالباب فقد وقع في دار الجنان . واذا هوى الى جوف الرجل
 الجاهل والمستجن في صدره المنشرح بالكفر والخسران فقد وقع في دار الجحيم ،
 واحترق بنيرانه ملتهبة من الحسد والشر والطغيان .

فاذما علمت هذا المثال فاعلم ان الانسان اذا مات وارتحل عن هذا العالم
 وانقطعت عنه حيواته النباتية والحيوانية فقد بقيت له حياتان اخر ويتان ، فيكون قبره
 الحقيقي الذي يدخل فيه اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ، واطلاق
 القبر على ما يتعارفه الجمهوه ومن باب التجوز على ما يدل عليه ألسنة الشرائع الحقة ،
 ويشير اليه الاحاديث الصحيحة الواردة في احوال الموتى وعذاب القبور ، لان قبر
 كل انسان يناسب صفاته وأعماله ولا يمكن مشاهدة القبر الحقيقي بهذه الحواس
 الدنياوية ، لانه منزل من منازل الاخرة ، وانما ينكشف احوال القبور للمتجرددين
 عن جلباب البشرية لغلبة سلطان الاخرة على بواطفهم ، وانما قلنا : « انقطعت عنه
 الحياتان الدنيوية » موضع « انعدمت » لان الحقيق عندهما أن ما وجد من الاشياء
 فلا يمكن انعدامه بالحقيقة ، والافيلزم ان يكون مما خرج وزال وغاب عن علم الله ،

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ ذَرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [٦١/١٠].

* * *

فإذا تحقق هذا ظهر ان للجسد وجوداً كما للنفس، وللقلب تكون نائماً كمال للقلب، وكل منهما قبراً حقيقةً.

فقبور الحيوة الجسدانية النباتية والحيوانية هو مقدار تكونها التدريجي ومدة حركتها الاستكمالية في دار الدنيا التي هي مقبرة ما في علم الله من صور الاشكوان الحادثة الموجودة سابقاً ولاحقاً في علمه تعالى : اما الوجود الاول فقبل الورود في مقابر الدنيا بموتها الجسماني وهو مفاد قوله عليه السلام : خلق الارواح قبل الاجساد بالفی شام (١) ، واما الوجود الثاني فيبعد مدة مكثها الدنياوي كما قال : ﴿وَالى الله ترجع الأمور﴾ [١٠٩/٣] .

واما قبر النفس والروح فالى مأوى النفوس ومرجع الارواح كل يرجع الى أصله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦/٢] .

فالله سبحانه أنه أبدع بقدرته الكاملة دائرة العرش وحقيقة العقلية والنفسية، وجعلها مأوى القلوب والآرواح، وأنشأ بحكمته البالغة نقطة الفرش وجعلها مسكن القوالب والاجساد ، ثم أمر بمقتضى حكمته الازلية وقضائه الحتمي الاجمالي وصورة الاسرافيلي لتلك الآرواح والقلوب العرضية أن تعلقت بالقوالب والابدان الفرعية، وأمر بقدرته التفصيلي الاستعدادي ان تقبل قابلية هذه القوالب بحسب اعداد المواد واستعداد هذه الاجساد شطراً من الازمنة والامداد قلوب العباد وآرواح اهل الحشر والمعاد واصحاب الرجوع الى الله المجاد .

فإذا بلغ اجل الله الذي هو آت وقرب موعد الممات للملائكة والحياة ، رجعت الآرواح إلى رب الآرواح قائلين بسان الحال والمقال : « إنا لله وانا إليه

(١) جاء في معانى الأخبار عن الصادق عليه السلام : باب معنى الامانة التي عرضت

راجعون) [٢/١٥٦] وعادت الاشباح الى التراب الرميم ، ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدهم ﴾ [٢٠/٥٥] واما الارواح المكدرة الظلمانية المنكوبة والنفوس الشفقة التي كفرت بانعم الله وصرفها في غير مائلة لاجله ، قصدت مع اثقالها واوزارها من حضيض الفرش الى ذروة العرش باجنة مقصوصة وقلوب مقبوسة وأيدي مغلولة بحبائل التعذيب وأرجل مقيدة بقيود الشهوات و﴿ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ﴾ [٤/٢٦] فصاروا ملعونين منكوسين معلقين بين العرش والفرش لقوله تعالى ﴿ ولو ترى اذا مجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴾ [٣٢/١٢] .

فظهر وتبين أن المقابر بعضها عرضية وبعضها فرشية ، فالاولى للسابقين المقربين واصحاب اليمين ، والثانية للاشقى والمردودين الى أسفل سافلين ، فثبت ما دعينا به أن الموت وارد على الاوصاف لاعلى الذوات ، لانه تفريق وقطع ، لا اعدام ورفع كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلال [٧/٢٩-٣٠] ﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم ﴾ [٢٢/١٨] .

فالعرش مقبرة الارواح العرضية : « اول مائل الله جوهرة » الحديث (١) والفرش مقبرة الاجساد الفرشية ، ونفوسها المنكوبة المتعلقة بها .

* * *

ولبعض الجهات المفترضين بلا مرجع سراب الاقوال ان يتعرض اليها ، بأن ما ذكرت من البيان يستلزم أن لا يكون للاجساد حشر في الآخرة ، وهو يخالف ما أحكمت بنائه واوضحت تبيانه فيما مر مع حشر الاجساد ، واعادة الرميم من العظام من ضروريات الشرع المبين لقوله تعالى : ﴿ من يحيي العظام وهي رميم قد يحييها الذي انشأها اول مرة ﴾ [٣٦/٧٩] .

فليعلم - ان كان جهله بسيطاً قابلاً للصلاح والتعليم - ان ما ذكرناه هنا ليس

مخالفاً لما بينا سابقاً ولا مبطلاً حشر الاجساد ، بل تتحققه وتصححه ، لكن لغموضه ودقته يحتاج دركه إلى قلب سليم وفطرة صافية عن كدوره التعصب والتقليد ، وسمع خال عن غشاوة ما يتلقف من الاساتذة او يطالع من كتب المشايخ من غير بصيرة ولا فهم جديد ، وقد بينا تفاوت هذا المطلب الشريف العالى والدرالثمين الغالى فى بعض كتبنا ورسائلنا وتفسيرنا لبعض السور والآيات القرآنية، وبرهنا على حقيقة المعاد الجسماني في كتاب المبدء والمعاد بمعنى اعادة الاشخاص الانسانية بعين هذه الابدان ، لا مجرد أشباهها وأمثالها برهاناً صحيحاً سالماً عن النقوض ، وبياناً شانياً مبتنياً على مقدمات عقلية جازمة لا يعتريها شك وطعن على ما هو دأب اهل الحكمة والمعرفة ، لا مكتفياً فيه على ما يقبله الجمهور ويستحسن في المشهور ، وان لم يكن مطابقاً للواقع كما هو عادة اصحاب الجدل في صنعة الكلام ، ولا بد لطالب اليقين أن يراجع الى ذلك الكتاب في مسألة المعاد لضيق المجال هيئنا عن تكثير المقال .

واما القدر الذي يقع له التنبيه على هذا المطلب بوجه وجيه يقنع به العاقل النبيه: ان الجسم المعين المحسوس والبدن المشكل الملموس كالانسان مثلاً أمر مركب من جواهر متعددة يتقوم بها ذاته ويظهر من اجتماعها الابعاد الثلاثة مع اعراض لازمة او مفارقة . و العرض المفارق الزمانى لا يبقى زمانين [بل هم في لبس من خلق جديد] [١٥/٥٠] لاعلى وجه قوله المتكلمون ، بل على وجه قوله الحكماء في الاعراض الانفعالية ، ثم اذا بطل التأليف رجع كل جواهر من جواهره الى عالمه ، والجوهر يرقوم بذاته او بمقومات ذاته ، و العرض قائم بغيره ، ولا يجوز له الانتقال والارتحال من موضوع الدنيا الى موضوع الاخرة .

لما عرفت أن العرض الزمانى المستجibil مما لا يبقى زمانين ، والاعراض المحسوسة من الكميات والكيفيات الموجودة في جواهر هذا العالم متغيرة ، لما ثبت أن الامور الطبيعية مستحيلة من حال إلى حال ، متحركة في المقادير بحسب النمو والذبول ، وفي الكيفيات المحسوسة والاستعدادية والمحصصة بالكميات

بحسب تجدد الانفعالات و الاستعدادات من المواد المتنافلة عن آثار حركات السماويات المتأثرة عمابيرد عليها من تجدد آثار العلويات وتصرفها للسفليات ، كل ذلك طاعة لباريها وجعلها بحسب الشؤون الواقعه منه بحسب : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/٢٩] التي يستدعها افاضة الخيرات وبث نعمة الكمالات بمقتضى ﴿وَانْتَدُوا نَعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [١٤/٣٤].

واما بواقي الاعراض السبعة النسبية فهي في وجودها وبقائها تابعة لغيرها ، لكونها معان انتزاعية فتجدد ذلك الغير يوجب تجدها ، وكل ما يكون متغيراً متبدل لا يمكن بقاوه في دار القرار وانتقاله بعينه من الدنيا إلى عالم البقاء ، فالعرض الذي شأنه التجدد والتغيير شيئاً كالحركة وما يقع فيه من الزمان وما يطابقه ويوازيه لا يجوز ان يرتحل من هذا العالم إلى عالم الثبات والدوم ، والا لكان للحركة حركة وللموت موت ، فيلزم أن يكون دار البقاء دار الفناء ، فينقلب الآخرة دنياً ، والقرار فراراً ، والحقيقة بطلانا والثبات زوالا وهداً وهباء ، والكل مستحيل باطل. فثبت أن عالم الآخرة غير هذا العالم بالحقيقة والماهية وهو عالم مستقل تمام لا ينتمي مع هذا العالم في سلك واحد ، ولا واحد منها مع الآخر في سمت واحد وفي اتصال واحد زماني او مكاني موجود او موهم ولا أحدهما جزء من الآخر ولا في جهة من جهاته ، بأن أحدهما فوق الآخر او تحته او قدامه او خلفه او يمينه او شماله و الا لم يكن كل منها عالمًا تاماً له محدد واحد للجهات المكانية وامتدادات الزمانية، بل كان أحدهما داخلا في الآخرة مشمولا كلاهما لمحدد واحد لمكانه وزمانه وليس كذلك ، هذا خلف .

ومحصل القول ان الموت اذا فرق بين جواهر هذه الاجسام الدنياوية وتلاشى التركيب ، بقى الجواهر المفردة واضمحللت الاعراض والهيئات ، ثم اذا جاء وقت العود بأمر الله تعالى ركب جسم من تلك الجواهر تركيباً محكمـا ونشأت نشأة ثانية باقية أبداً الدهر ، لكون الجسم الآخروى حاصلاً من محض جهات الفاعلية،

كالامكان الذاتي وغيره ، لامن جهات القابلية كالامكان الاستعدادي وصلاح المادة وحصول المزاج لامتزاج العناصر ، فالاجسام مجرد الجواهر بلا اعراض هذه الدنيا ، ولم يكن لها صفات مستحبة متغيرة حاصلة من انفعال المواد للاستعداد ، بل كل جوهر من جواهرا الادميين يكون في الآخرة عالمأ تاما برأسه كجملة هذا العالم ، فيكون كل انسان هناك عالماً تماماً في نفسه لا ينتظم مع غيره في عالم واحد ، مع ان كل انسان سعيد في الآخرة يحضر عنده كل ما يريد ويرغب في صحبته بلحظة عين وفلترة خاطر وخطرة قلب ، وهذا عام فاش لكل واحد من السعداء ، وهو أقل مرتبة من مراتب أهل الجنان ، فالعالم هناك عدد غير متناه ، كل منها كعرض السموات والارضين من غير تداخل ولا مزاحمة ولا مضائق ، كما يعرفه المكتشفون ويشاهده المقربون .

ومما ينبيه على هذا أن هذا العالم الذياوي بجملة ما فيه اذا اخذ مجمعاً واحداً لا يحصل من الجواهر العقلية الا على سبيل الابداع بحسب جهات عقلية فاعلية ، لأنّه قد حصل بتمامه من جهة استعداد قابل ، ولا ايضاً وجد في مكان ولا في زمان ، اذ لامكان للمكان ولا زمان للزمان ، فليس لجملة الاجسام مع مامنها وفيها زمان ولا مكان ولا جهة من الجهات ولا يمكن أن يقال حدث في أي وقت وفي أي مكان وجهاً فهكذا - يجب أن يعلم ويتصور حال كل عالم من العوالم الاخروية المتعلقة بوحد واحد من أهل السعادة من الجواهرا الانسانية ، فقد علم من هذا وجه كونه تعالى رب العالمين - بصيغة الجمع - المختص بذوى العقول لأن كل عالم رباني عالم تام لا يعوزه شيء من الاشياء ولا يفتقر الى امر خارج عنه وعن ملكه وعالمه وسلطانه ، فاذالم يكن شيء من الاشياء الا ويكون في ذلك لعدم غيبة الكل عن الكل ، فلا يفوته شيء ففيها ماتشتته فيه الانفس وتلذ العين [٢٣/٧١] فبعد حشر الاجساد لا يمكن لأحد ان يقول: هذا الجسد غير ذلك ، وليس له ايضاً من كل وجه أن هذا ذاك فان هذا من الذهب وذاك من الرصاص . بل له ايضاً أن يقول: هذا كان ذلك فان الرصاص صار بالاكسيير في كورة سجن الدنيا او جهنم الآخرة هذا ، فان كنت

تستنجز عن اصل الذهب وسخن جوهره ، فقلت «هذاذك» واذا استخبرت عن حقيقة الذهبية والصفاء واللطافة والنورية ، فقلت ليس هذاذك فهو هرية هذا العبد وروحه واحدة في الدنيا والآخرة ، لكنه كان في الدنيا دنيا وفي الآخرة عليا **﴿فَلَكُلِّ**
يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه﴾ [٨٤/١٧].

ومنها بيان السر في اختلاف نسبة التوفى تارة الى الله تعالى كما في قوله :
﴿إِنَّ اللَّهَ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهِ﴾ [٣٩/٤٢] وتارة الى رسليه اي ملائكته ، كما في قوله تعالى : **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ تَوْفِتَهُ رَسُلُنَا وَهُمْ لَا يَفْرَطُونَ﴾** [٦١/٦]

وتارة الى ملك الموت ، كما في هذه الآية .

ووجه ذلك ان الانسان نشأة جامعة روحًا وبدنًا وقد بنى الله وجود كل منهما من اصول أربعة – كما سبق القول فيه – وقد ارتكز في عقول الجماهير أن القابض لا جزء بدنـه هو المتوفى له القابض لروحـه والجاذب له الى الحق تعالى ، فان العلة المحدثة والمبقية شيء واحد في التحقيق اذا كانت فاعلية ، والجامع لاجراء المني والمحافظ أمر واحد بالنوع والماهية ، وان كانت متفاوت الظهور .

وتفصيل المقام ان الغاية الحقيقية في بناء هذا المسجد الجامع الانساني الذي اجتمعت فيه افراد الموجودات وأشخاص الكائنات ، من كل طائفة وقوم خطابة خطيب العقل على منبر دماغه بشهادة أن لا إله إلا الله ، ودلالته بوجوده الجمعي (الحقيقي – ن) المتوحد في مرتبة ذاته وروحـه البسيطة الاجمالية التي لها أحديـة جمع الجمع يوم جمعـة الحقـائق على وحدانية الحقـ سبحانه ، وامتثال خلائقـ قواه الادراكـية التـركيبـية والتـحرـيـكـية أمرـه واستـماعـها في ندائـه اذا نـفذـ الى مسامـعـها صـدائـه ، ومشـايـتها للـروحـ وترـكـها لـاستـعمـالـ الـبـدنـ وـاـغـرـاضـهـ وـمـعـاـمـلـاتـهـ اـمـتـثـالـاـ لـاـمـرـ اللهـ وـاجـابـهـ لـداعـيـ الحقـ فيـ قـولـهـ : **﴿إِذَا نـوـدـى لـلـصـلـوةـ مـنـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ فـاسـعـواـ إـلـىـ ذـكـرـ اللهـ وـذـرـواـ الـبـيـعـ ذـلـكـمـ خـيـرـ لـكـمـ إـنـ كـنـتـمـ تـعـلـمـونـ﴾** [٦٢/٩] وقد مرتـ الاـشـارـةـ الىـ أنـ الموـتـ اـمـرـ طـبـيـعـيـ وـسـعـيـ جـبـلـيـ منـ القـلـبـ وـالـقـالـبـ جـمـيعـاـ .

ثم انه قد وردت الروايات في باب المตولى لهذه العمارة والأخذ لطينة وجود هذا المسجد الجامع متفاوتة ، ففي بعضها : ان الجامع لاجزاء بدنه وترابه هم الملائكة ، وفي بعضها : ان الآخذ لتراب قاليبه هم رسول الله ، ليكون هم الرسالة الى عباده(١) ، وفي بعضها : ان ملك الموت قد أخذ قبضة من التراب(٢) ، وفي بعضها : ان الله تعالى قبض بيده قبضة من أديم الأرض(٣) .

فهذه الروايات كلها صادقة الفحوى متوافقة المعنى عند الواقف على حقيقة ذات الانسان ، فان فى ذاته وطينته اصولاً أربعة ، وفيها الطينة النباتية لحياته النباتية من التغذية والتنمية والتوليد ، وفيها الطينة الحيوانية للاحساس والتحريك ، وفيها المادة النفسانية والعقل الهيولاني الذى هو محل الحياة العقلية بمعرفة الحقائق ، وفيها الطينة القدسية التى هي محل معرفة الله ، وهى الفانية عن ذاتها والباقيه ببقاء الله . فاما الطينة النباتية فهي التى قبضها الملائكة الموكلة بعمارة هذا العالم العنصري ،

فاحياها الله بالماء ، كقوله ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٌ﴾ [٣٠/٢١] .

واما طينته الحيوانية فهي التى جاء بها رسول الله بأمره ، ﴿قُلِّ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ﴾ [٨٥/١٧] اي حاصلة من عالم الامر .

واما حصة طينته التى ينشأ منها النفس النطقى فهي التى تكون حيوتها بنفسه تعالى روحه فيها ، لقوله : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [٢٩/١٥] .

واما حصة طينة من كان عبداً مؤمناً عارفاً بالله فانياً عن ذاته باقياً ببقائه تعالى فهي التى قبضها الله تعالى وأحياها بروح القدس ، لقوله تعالى في حق عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام - : ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقَدْسِ﴾ [٢٥٣/٢] .

(١) راجع علل الشرائع : ٢

(٢) بحار الانوار : باب فضل آدم وحواء وبعض احوالهما ١٠٣/١١ . الدر

المنشور ٤٧/١ .

(٣) بحار الانوار : الباب السابق ١١٦ .

ثم لما كان المفترر عند ذوى البصائر والالباب - كما مر - ان القابض لطينة الانسان هو المتوفى له والقابض لروحه ، فتلك الطينة النباتية التى قبضت الملائكة ترابها ، وجعل الله حيوتها من الماء ، فتلك الملائكة تتوفاها وتقبض روحها الى الله لقوله تعالى ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [٢٨٣٢/١٦] واما الخلقة الحيوانية الماشية التى قبضها الرسل وأحياتها رب سبحانه بأمره ، فهم يأخذون روحها ويتوفونها قوله تعالى ﴿تَوْفِيَهُ رَسُولُنَا وَهُمْ لَا يَفْرَطُونَ﴾ [٤١/٦] واما السنخة الناطقة التى قبضها ملك الموت وأحياتها الله تعالى بنفحة منه اسرافيلية ، فيتوفاها ملك الموت لقوله في هذه الآية ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكُلُّ بَكْمٍ﴾ [١١/٣٢] واما المادة القدسية والخميزة المقدسة الالهية التى قبضها الله تعالى وأحياتها بروح القدس فهي التي يتوفاها ويرفعها اليه لقوله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ إِلَيْهِ الْأَنفُسُ حِينَ مَوْتِهِ﴾ [٣٩/٤٢] وقوله : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [١١/٥٨] وقوله : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [٤٣/٣٢] فافهموا واغتنم .

* * *

ومنها انه قد انكشف عند أهل الله ان العالم كله أعني ماسوى الله حقيقة واحدة يشتمل على الخلق والامر ، لقوله تعالى : ﴿أَلَا لِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [٥٤/٧] والامر كله هو قلب العالم وروحه ، لقوله : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [٨٥/١٧] لأن نسبة احدهما الى الآخر كنسبة أحد جزئي الانسان الى الآخر ، اي روحه وبدنه ، بل هما روح الانسان وبدنه صارا بالنزول الانسان الجزئي ، كما أن الانسان الكامل يصير بالعروج عالماً كبيراً ، وهذا من الامور المستتبنة المستوضحة عند الراسخين في المعرفة ، ثم التعانق بين هذا الامر وهذا الخلق والازدواج بين هذا العلوى وهذا السفلى هو حيوة العالم الكبير ، كما أن التعانق والازدواج بين روح الانسان وبدنه هو حيوة العالم الصغير ، فكذلك التفارق بينهما هو موت الانسان الكبير والقيامة الكبرى : ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [١/٧٥] كما أن الفراق بين روح الانسان وبدنه

هو موت هذا العالم الصغير والقيمة الصغرى لقوله ﷺ : «من مات فقد قامت قيامته»^(١) وسبب حياة الجسد الانسانى استكمال النفس وبلوغها الى غايتها وكمالها، ووصولها الى عالمها ومعدنها، وسبب جسمية العالم بلوغ روحها الى عالم الربوبية واختصاص ملكها لله الواحد القهار ، والله سبحانه خالق الموت والحياة لقوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [٢٦٧] .

فإذا وقعت الواقعة وقامت القيمة يرجع الامر كله الى الله : ﴿إِلَيْهِ يَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [١١/١٢٣] ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحِيمِ﴾ [٦/٩٦] ويعود الخلق الى الخالق ، ﴿مِنْهَا خَلَقَنَاكُمْ وَمِنْهَا نَعْيَدُكُمْ وَمِنْهَا نَخْرُجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [٢٠/٥٥] هذا في القيمة الصغرى ، فالارواح كلها ترجع اليه تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَصِيرُ الْأُمُورَ﴾ [٤٢/٥٣] والاجساد كلها ترجع الى العدم والكمون والبطون ، لأن مبادى حصولها جهات العدم والقوة والامكان .

ومن هيئنا يعلم سر شريف ، هو ان الموت لا يخبر له عن أن المخلق والامر متى تفارق كل منهما عن صاحبه ، بل في الانسان خلقة الحيوان والنبات مما قد فنت وتلاشت وهي في الذوبان والاضمحلال دائمًا لقوله : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٌ﴾ [٥٥/٢٦] وبقيت حقيقة الانسانية والملكية ، أي حقيقة عقله وروحه ، لقوله ﷺ : «خلقتم للبقاء ولم تخلقوا للفناء»^(٢) .

مثال ذلك الجوز ، فله لبّان - لب ولب اللب - وقشران - قشر وقشر القشر - فاللبان أحد هما بمنزلة العقل والآخر بمنزلة الروح القدس صالحان للاغتناء والدواء ، كما ان الحياة الانسانية والملكية من أهل الجنان وخدمة الرحمن ، والقشران بمنزلة النبات والحيوان ، خلقتا للبقاء والاحتراق بنار الطبيعة .

- (١) قال العراقي : اخرجه ابن أبي الدنيا في الموت . (ذيل احياء علوم الدين ٤/٣٩٥) .
- (٢) من الحديث آنفًا .

فظهر من جملة هذا أن النقوس الإنسانية تصير في الآخرة قوله أهل الجنة ، مصورة بصورهم اللطيفة ، ويكون أرواحهم من العقول الفادحة ، ويكون عقلهم من نور الانوار ، وهذا المعنى مما لا ينكشف إلا بالروح القدسى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [٤٠/٢٤] .

فهذه النفس الإنسانية هي جسم لطيف وروحها القدسى جوهر مفارق من كل الوجوه ، وهذا النور الإلهي أرفع من أن يتصور في فكر أو عقل ، لأن العقل مأوى الصور الكلية والحقائق العقلية ، وهو المسمى بالعرش عند قوم ، وأما القوة المفكرة فهي منتهى التصورات النفسانية والعقول التفصيلية ، ويقال لها الكرسى والصدر المعنوى عند طائفة .

* * *

وقد انتهى الكلام إلى ما عجز عن دركه جمهور الانام ، اللهم اجعل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة الناقصين ، واسترها عن أعين المغوروين ، واجعل لاصحاب القلوب الصافية نصيباً وافراً من دركها ، ورغبة تامة في حفظها ، ثم في صونها عن الاغيار ليكون مستقر هذا المعانى صدور الاحرار التي هي قبور الاسرار ، لتكون في روضة من رياض الجنان ، ولا تجعلها في بطون الاشرار كيلا يكون في حفرة من حفر النيران ، وهم الظاهريون الذين زينوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة والأقوال المزينة الملية الحلوة ، كالاطعمه والحلوات ، واهملوا بوطنهم ، بل احسوها بالنفاق والجهل والاستكبار عن الحق والحقائق ، كبطون الفجار وقبور الكفار.

همجو گور كافران بيرون حلل واندرون قهر خدا عز وج

اللهم اجعل قبرنا روضة من رياض الجنان ولا تجعلها حفرة من حفر النيران .

* * *

قوله سبحانه :

وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصَرُنا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلَ صَلِحًا إِنَّا مُوْقِنُونَ ﴿١٢﴾

جزاء «لو» محذوف ، وهو مثل : «لرأيت امراً فظيعاً» ان كانت امتناعية كما عليه الاكثرون ، و الخطاب حينئذ اما للرسول ﷺ ، او لكل أحد كما يقال : «فلان لشيم ان أكرمه أهانك» من غير ان يقصد مخاطب مخصوص .

«لو» «واذ» وان كانتا للمضى الا انه ساع وشاع استعمالها في كلام الله للتربق ، لانه بمنزلة المتحقق الواقع ، وفيه سر آخر . ويحتمل أن يراد به التمنى ، ونسبة التمنى هي هنا للرسول ﷺ كنسبة الترجى له في قوله تعالى : ﴿لَعَلَهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٣١/٢١] لتجربته منهم كاسات الغصص لاجل تكذيبهم اياه وعداؤتهم وضرارهم ، فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من انتكاس رؤسهم وحزنهم وغمامهم وتأسفهم ، ليشمت بهم .

هذا ما في الكشاف ، وفيه أن هذا لا يلائم كونه ﷺ رحمة للعالمين ، وجلالة قدره أرفع من الشماتة والانتقام للتشفي لسوره الغضب ، لأن هذا من افعالات القوى الجرمانية المتعلقة بالمواد ، ولـه مقام العندية الى فوق كل غرض جزئي وجراحة قلبية ، سيعما وسياق الآية تدل على كون المجرمين ممن لهم شائبة نور الإيمان ، اذ لو سقطوا بالكلية عن نور الفطرة واحتسبوا رأساً ، وانطممت نفوسهم لقلبة الكفر ، وزالت انوارهم العقلية بالرلين ، وانفلقت ابواب المغفرة في حقهم ، لم يقولوا «ابصرنا وسمعنا» ولم يتمنعوا الرجوع لأن يعملوا العمل الصالح ، ولم يكونوا موقنين ، فهو لـاء وان احتسبوا عن لقاء الله بسبب شدة ميلهم الى المجهة السفلية ، وانتكاس رؤسهم الى الجرميات والظلمات ، لكنهم لبقاء الاعتماد بالمبعد

والمعاد ، و مرتبة الرسالة الحاصلة لخير العباد ، و تمنيهم الرجوع للعمل الصالح لا يخلدون في العقاب ، كما توهمه المعتزلة كالزمخشري و اترابه ، بل يعذبون حيناً بحسب رسوخ الهيآت ثم يرجعون إلى الفطرة – كما عليه أكثر الأمة و أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم – و شأن النبي ﷺ و عادته بالقياس إلى مثل هؤلاء و من هو أبعد منهم عن الحق ما أفصح الله عنه بقوله : ﴿وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ فَإِنْتَ لَهُ تَصْدِيرٌ﴾ [٨٠ / ٦] و قوله ﴿فَلَعْلَكَ بِأَخْرَى نَفْسٍ كَعَلَيْهِ آثَارٍ هُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ اسْفَافٌ﴾ [١٨ / ٦]

اثر بصري

فانقلت: ان هذا الانكشاف ربما يحصل للمجرمين بعد الموت عند مشاهدة الاحوال ومعاينة الاحوال، فيعلمون بصدق الوعد والوعيد، ويصدقون خبر الرسالة قلت : هذا القدر من الايقان لا يحصل للكفار المطموسة أبصارهم وأسماعهم بالكلية ، المحتجبة نفوسهم بالرین والظلمة الدائمة لقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَخْرَى أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [١٧ / ٧٢] فبحكم عكس النقيض: كل من كان في الآخرة بصيراً سمعياً ، فله في الدنيا شيء من نور البصيرة اليمانية، وان كان في غاية الضعف والقصور والافلافة والمرض والعمش والسبيل ، لا العمى والكمه .

سر افاضي

اعلم ان الله تعالى لما ذكر مبدئ خلقة الانسان بحسب كل من أصليه الروحاني والجسماني ، وبيّن كيفية معاده بأنه توجه معنوي لنفسهم ، وسلوك طريق في الباطن اليه تعالى اما بالوصول والرجوع اليه تعالى والى رضوانه – ان كانت من السعداء ، وذلك يتوفى ملك مو كل على جذب الارواح اليه تعالى بطريق مستقيم- واما بالانحراف عن الصراط المستقيم والانتكاس الى أسفل الجحيم، وذلك يتوفى

ملائكة العذاب ، فحسب ايها على ما ذكر فأراد أن يبين أن استنفاف هذه الحركة المعنوية للنفوس الغير البالغة حد الكمال ، هل هو متصور أملا ، فكشف قناع الابهام عن وجه هذه المسئلة على وجه ظهر استحالة رجوع المفس إلى مبدئ تكونها ، كى ينقطع طمع بعض الناس في تجويز العود إلى الدنيا مرة أخرى كما ذهب إليه طائفه من التناصخية .

وهذه الاستحالة لا يظهر حق الظهور الابنور الرسالة وما ينتهي اليه لأن عقول العقلاء و اذهان جماهير الحكماء الغير المقتبسين أنوار حكمتهم من مشكاة النبوة والولاية قاصرة عنها ، والدلائل على ابطال التناصح غير قاطعة ، ولهذا وقع الخطاب للنبي ﷺ لاختصاصه بمشاهدة أحوالهم على وجه يمتنع لهم الرجوع إلى الدنيا ، لصيروحة نفوسهم مصورة بهيئات ردية خرجت بها عن أصل الفطرة والاستعداد ، وبقيت فيها داعية الاستكمال مع بطلان الآلة المعدة للكمال .

ومما ينتهي على بطلان التناصح واستحالة الرجوع إلى الحالة الأولى ، مقاييسنك حال النفس في تطوراتها وشيووناتها بحال البدن في تدرجاته وترقياته من حد الطفوالية بل من أول قرار المني في الرحم إلى غاية الشيخوخة ، فكماؤن للبدن بعدما خرج من القوة والاستعداد اللذين كانا له حال كونه منيًّا و في كل حالة من حالات الطفوالية والصبوية والمراهقية والشباب والكهولة والشيخوخة طوراً إذا بلغ إليه يستحيل له بحسب الطبع أن يرجع إلى حالة سابقة له ، فكذلك قياس النفس في أوقات تكونها وبلغها إلى مرتبة من الفعلية بعد كونها أمرًا ساذجًا ولو حاصافيًّا أو عقلاً هيولانياً ، يكون بالقوة من كل الوجوه ، فإذا خرجت عن الهيولانية وصارت بالفعل بسبب اشتغالها بالبدن ، وبسبب استعمالها للحواس والمشاعر والآلات ، سواء فيما خلقت لأجله ، حتى يكون شاكراً ، أملاً حتى يصير كفورة ، فلا يمكن رجوعها إلى حالتها التي كانت بحسبها بالقوة .

وبهذا الأصل دفعنا شبهة التناصح باذن الله وتأييده ، فإن من جوز انتقال النفس

بعد موتها الى جسدها يتكون فى الرحم من المنى ، يلزم عليه أن يكون شيء واحد بالقوة و بالفعل فى مرتبة واحدة ، فتمنى الرجوع الى اول الخليقة و حالة الترابية والهيوالية للانسان كما وقع للكفار على ماحكى الله عنهم بقوله : ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا إِيَّاكَ نَعْبُدُكَ نَعْبُدُكَ تَرَابًا﴾ [٤٠/٧٨] تمنى أمر مستحيل الحصول

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتُوفَّ أَكُمْ مَلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكُلُّ بَكَمْ﴾ [١١/٣٢] اشارة طيبة الى أن التوجيه من هذه النشأة الى نشتات اخرى أمر منوط بالأسباب القاصية الفاعلية والعلل الذاتية السابقة القضائية ، فيكون التوجيه الى عالم الموت والنشأة الثانية أمرأً طبيعياً ، والحر كات الطبيعية المنوطة بالأسباب العالية يستحيل عليها الرجوع كما في حركات الأفلاك .

ورأيت فى خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ما ترجمته هذا البيت الفارسى :

سوى مرگ است خلق را آهنگ دم زدن گام و روز و شب فرسنگ

قوله سبحانه :

وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى نَّهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ

مِنِّي لِأَمْلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ (٦٦)

لما ظهر مما سبق ان رجعة النفوس الى فطرتها الاصلية بعد اكتسابها طريقة الخذلان والشقاوة والحرمان أمر مستحيل وقعت هيئتنا للاذهان الوهمانية مظنة شبهة هي انه لماذا لم يخلق النفوس كلها من الله سعاده من أهل الهدایة والرحمة ؟ حتى لا يكونوا مجرمين محرومين عن درجات الجنان والسعادة والرضوان ؟

فازال تعالى هذا الوهم وأزاح امكان وقوعه في الخارج ، لأن ما هو الواقع على أشرف الامكانات وترجيح الاخير على الاشرف مستحيل الوقوع من الواهب الحق ، والمحال لا يكون مقدوراً عليه ، لانه لاشيء محض لا ماهية له ، وإنما هو

أمر يخترعه الوهم الكاذب .

فقال : « ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها » بال توفيق والايام والاجاء ايها لسلوك سبيل الرحمة والرضوان ، ولكنها ينافي الحكمه والمصلحة الكلية المقتضية لحفظ النظام على افضل ما يمكن من الوجود والقوام ، اذ لو كان الامر كما توهם لبقيت النفوس كلها على طبقة واحدة ، وفات بقاء سائر الطبقات المتتصورة في حيز الامكان من غير ان يخرج من الكمون والبطون الى منصة البروز والظهور ، والرحمة مقتضية لا يصلح كل مستحق الى ما يليق به ، لشأ يخلو اكثراً مراتب هذا العالم عن أربابها ، فيبقى في العدم امور جمة غفيرة ، ولا يتمشى الامور الخسيسة ، التي يحتاج اليها في بقاء النفوس الشريفة ، كيف ولو لم يكن الكناس والحجام في العالم لاضطر الحكيم الى مباشرة الكنس والحجامة .

ولابد ايضاً في ظهور بعض صفات الله الجلالية من وجود اهل الحجاب والذلة والقسوة والظلمة ، البعد عن الرحمة والمحبة والنور ، والا فللينضبط نظام العالم ، ولا يتم صلاح المهتدين لوجود الاحتياج الى سائر الطبقات ، كما لو حنا اليه من أن المظاهر لو كانت كلها انباء واولياء وآخياراً لاختل بقائهم بعدم النفوس الغلاظ والشياطين من الانس والجن القائمين بعمارة هذا العالم ، ألا ترى الى ما ورد من قوله تعالى : اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم .

فوجب في الحكمه الحقة الالهية ، التفاوت في الاستعدادات بالقوة والضعف ، والصفاء والكدوره ، وترتباً الدرجات على حسبها ، والحكم بوجود كل طبقة من السعاده والاشقياء في الفضائل والرذائل ، لتجلى الله سبحانه بجميع الصفات ، ويظهر منه جميع اسمائه الحسنى ، فان الغفور ، والعفو ، والعدل ، والمنتقم ، والتواب ، والمضل وامثالها اسماء لا يتجلى الحق بها الا اذا جرى على العبد ذنب .

ولذلك وقع في الحديث : « لو لا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون » وعن النبي ﷺ : « ائن المذنبين احب الى من زجل المسبحين » .

والى الاشارة بقوله : « ولكن حق القول مني » اى بحسب اقضاء العناية الازلية والقضاء السابق ، وكثيراً ما اطلق القول والكتابة من قبل الله سبحانه وتعالى ، الفعل من جهة ما يوجبه التقدير الازلی المنوط بالأسباب القصوى الالهية ، كقوله تعالى ﴿ وَحَقٌ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [٢٥/٤١] وقوله : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ [١٢/٦] . « لاملان جهنم » اى جهنم الطبيعة السفلية التي ستطلع نيرانها ويبرز ايلام عذابها في الآخرة ، فان حقيقة نار الجحيم انما نشأت من هذا العالم ، واما ظهورها على الافئدة ، فهو مختص بيوم الآخرة ، فكما ان الدنيا مملوقة من الكفار والفحار ، فكذا جهنم الآخرة مملوقة من الجن والانسان اجمعين ، وهم اكثرا عمار هذا العالم من النقوس المكاراة الوهمانية والارضية الجاسية الغليظة الطبايع لما من ان النظام لا ينصلح الا بأن لا يكون هذا العالم مشحوناً بالجهلة والارذال والكفرة والمنافقين ، وان اهل الله لا يكونون الا اقلين ، مع ان غيرهم من اشخاص المواليد ما خلقت الا لاجلهم ، لأنهم اللب الاصفي من شجرة الطبيعة ، والباقي بمنزلة القشور على مر ايتها ، فحققت عليهم كلمة العذاب ، كما حققت على العود والمحطب الاحتراق بالنار ، لما صدر عنهم ما يؤدى الى ذلك على وجه الاختيار المنبعث عن الأسباب الغائبة لاعلى وجه الالجاء والاضطرار ، لأنهم استحبوا العمى على الهدى ، ووقعوا باختيارهم في المحنة والبلوى ، والقوا انفسهم بآيديهم الى الهملا .

* * *

فإن قلت : اذا كان الكل بقضاء الله وقدره فلماذا يعاقب الله من ساقه القدر الى ارتكاب الجرائم والخطىء ؟

قيل : هذا السؤال منك ناش من جهلك بحقيقة العقوبات الالهية ، فانك لا تعيادك بأفعال الناقصين من المختارين كانوا مأمورهم على الصدق وانتقامهم عن العدو ، الناشين من اعتقاد النفع ودفع المغضب والغيظ ، تعتقد ان العقوبات الاخروية من باب الانتقام للتشفي الحاصل منه للمنتقم ، فيتخلص به عن الم تهاب نار الغضب ، هيهات

انما العقاب امر يتعقب على فعل الخطىات وهو من اللوازم وال subsequات التي يتأنى اليه اقتراف السيئات، وبالحقيقة النقوص العمالة في الدنيا هي بعينها حمالة حطب نير انها يوم الآخرة «رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا» بل نفس الشهوة هيئنا يتصور ب بصورة النار المضمرة هناك .

وقد افصح الله تعالى عن هذا المعنى في قوله: ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ [١٨٠/٧] وقوله: ﴿فاصابهم سيّات ماعملوا﴾ [٣٤/١٦] وقوله: ﴿انا عذتنا للظالمين فارأاً احاط بهم سرادقها﴾ [٢٩/١٨] وقوله : (انما هي اعمالكم ترد اليكم) (١) .

ولهذا عقب هذه الآية بقوله سبحانه:

فَذُوقُوا مَا نَسِيْتُ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْنَكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَلْدِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤

فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان امر المعاد وقلة التأمل فيه وترك الاستعداد لها .

«والنسيان» خلاف «التذكر» ونسبة اليه تعالى امامن بباب صنعة المشاكلة ، كما في قوله سبحانه ﴿وَجَزَاءُ سَيِّةٍ مِّثْلُهَا﴾ [٤٢/٤٠] و المعنى أن انهم ما كتم في الشهوات أغفلوكم وأنساكم عن معرفة الله وعلم المعاد ، فنسيناكم اي جازيناكم جزاء نسيانكم ، واما لان علمه تعالى بالإمكانات لما كان ناشياً عن علمه تعالى بذاته الذي هو عين ايجاده لها ، ويكون علمه بها تذكرة لها لانه علمها اولافي مرتبة ذاتها عالماً كمالياً اجمالياً . ثم علما في مرتبة متاخرة ، هي عين وجوداتها علمها ثانياً ، و عدم هذا العلم بشيء الذي هو النسيان ، عبارة عن عدم ايجاده ايها عدماً ناشياً عن عدم

(١) في مسلم: ١٣٣/٢٦: انما هي اعمالكم احصيها لكم .

الاستعارات وفقدان الاسباب الموجبة الى نحو كمالى من الوجود ، فان للوجود والحياة والنورية مراتب متفاوتة ، ومقابل كل مرتبة منها مرتبة من العدم والموت والظلمة .

فحيوة اهل الايمان مطلقاً مرتبة لا يكون لغيرهم لاختصاصهم بقوله ﴿وَلَا تُحْسِنَ الدَّارِينَ﴾ .
المؤمن حى في الدارين .

وحية الشهداء مرتبة اخرى فوتها لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُحْسِنَ الدَّارِينَ﴾
في سبيل الله امواتاً بليل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله [١٧٠/٣]
وحية الاولياء مرتبة فوق الجميع لقوله ﴿أَيْتَ عِنْدَ رَبِّي يَطْعَمُنِي
وَيُسْقِنِي﴾ (١) وهم الذين قال تعالى فيهم : «من قتلتني فانا دينته» اي حيواته .
وفرق بين من يكون مزروقاً عند الرب تعالى ومن يكون يطعمه ويسقيه ربه
وكذا فرق بين من يكون حياً عند الرب ومن يكون حياته بالحق تعالى .
وبازاء كل من هذه الاقسام للحياة قسم من الموت ، كما قال الله تعالى للكفار
﴿لَا تَدْعُوا إِلَيْكُمْ ثُبوراً وَاحِدًا وَادْعُوا إِثْبُوراً كَثِيرًا﴾ [١٤/٢٥]

فالمراد بنسيان المجرمين ايها تعالي هي هنا موت الجهل ، لأن معرفته ومعرفة
اليوم الآخر يؤديان إلى حياة الآخرة بلقاء الله ، لأن ذات الله تعالى مبدئ الاشياء وغايتها
والمعرفة هنا بذر المشاهدة هناك ، لأن الدنيا مزرعة الآخرة ونسيانه تعالى ايهم
لازم ، لانه عبارة عن عدم افاضة نور الحق عليهم لعدم خروجهم عن غلاف البشرية
وتحجب الشهوات والتعلقات بالاجرام الكثيفه الدنياوية حتى صاروا عين هذه الحجب
وقيل : النسيان هنا بمعنى الترك اي تركتم ذكر العاقبة ، فتركتناكم من الرحمة .

* * *

واعلم ان السعادة الانسانية منوطه بشيئين : بالعلم الذي هو عبارة عن الايمان

(١) البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة : [١١٩/٩] وجاء الحديث
ايضاً في بقية الصحاح راجع المعجم المفهرس : [٤٨١/٢]

بالتة وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالعمل الذى حاصله تصفية مرآة القلب عن شواغل الدنيا ومستلزماتها ، وترك الاول يوجب السقوط عن درجة أهل القرب والسعادة وانتكاس الرأس ، وترك الثاني يوجب العذاب الاليم ، فالله سبحانه وتعالى راعى هذه الدقيقة ، فيجعل كلا من الشقاوتيين منوطه بما يوجبه ، والمعنى : فذوقوا ما أنتم فيه من نكس الرؤوس الى عالم الجحيم والخزي والمحاجب الدائم بسبب نسيان اللقاء ، وذوقوا العذاب الخلد الاليم فى دار جهنم ، بسبب ما عملتم من ترك النظر فى امر العاقبة و فعل المعاصي الموبقة والكبائر المهلكة ، والاخلاط الى ارض الطبيعة السفلية ، فالموت العقلى والهلاك الاخروى من لوازم الكفر والجهل المركب ، والخلود فى عذاب الجحيم ونار الحميم من لوازم الاخلاط الى شهوات الدنيا وحلواتها التى هى بعينها آلام مؤذية وسموم مهلكة .

قوله سبحانه :

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعِيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا نَحْرُوا سِبْدًا

وَسَبُّهُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكِرُونَ ﴿١٦﴾

لما ظهر من الآية السابقة كون الشقاوة الابدية متسببة عن الكفر الذى هو ضرب من الجهل بالله وآياته واليوم الآخر ، وعن النقصان الذى يحصل من فعل المعاصى وترك الطاعات ، اراد ان يشير الى ان اي مرتبة من المعرفة يحصل منه السعادة العلمية ويتخلص به من الشقاوة التى بازائها ، واى مرتبة من العمل الصالح يوجب الفوز بنعيم الجنان ، والنجاة من عذاب النيران .

ولما كان اليمان اسماً جاماً لمجموع هذين المعنيين ذكر للمؤمن خواص ثلاثة علمية قلبية ، وخواص ثلاثة عملية بدنية ، ليبين ان مجرد كلمة الشهادة من

غير معرفة برهانية او كشفية لا يوجب الخلاص من الشقاوة الذاتية العلمية ، ومجرد الاعمال البدنية من غير تهذيب الباطن وتصفية القلب لا يوجب النجاة من العذاب الاليم .

فالاولى من الصفات العلمية ، كون العبد بكثرة مزاولة المعارف الالهية بحيث اذا ذكر بآيات الله ، اى المعارف المذكورة في القرآن ، او افيده بالحقائق اليمانية او وعظ بتقوى الله والزهد الحقيقى ، تذكر بها واتعظ بمواعظها واعتبر بأمثالها ، وفهم دثارور الدنيا وفنائتها ، خاصعاً لآيات الله ، للين قلبه وصفاء فطرته ساجداً فانياً فيها ناز لاما كان قبل ذلك من نشأته الحيوانية وعمما يعتقد من حوله وقوته وقدرته ، وهذا اخص خواص المؤمن الذي لا يوجد لغيره كما افصح الله عنه بقوله : ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذ اذلتهم عليهم آياته زادتهم ايماناً﴾ [٢/٨] لأن هذه خاصية علمية لا توجد الا في العارفين بالله وآياته ، وهي اساس الدين واصل سائر الحسنات .

والثانية منها : ان يكون العبد مسبحاً مقدساً ربه حامداً له ، وهو عبارة عن تجرييد ذاته عن صفات الاجسام ، واتصافه بصفات الملائكة ، وتشبيهه وتخلقه باخلاق الله ، فذلك هو تسبیح المؤمنين حقاً ، كما صرّح به بعض ائمۃ العلم والعرفان ، ووجه ذلك ان كثرة مزاولة الفعل والرسوخ في الاتصال بصفة على الكمال يؤدى بصاحبها إلى صيروته من حقيقة ذلك الفعل و الجنس تلك الصفة ، او لاترى ان كثرة تسخن الحديد بمحاورة النار بواسطه النفاخات تؤدى به الى أن يكتسى صورة الناريه ويفعل فعلها ، فلاتتعجب من صيروة المؤمن الحقيقى مفارقاً محضًا كالملائكة المقربين الذين شأنهم التسبیح والتقدیس ، لأن دأب العرفاء والحكماء تجرييد الحقائق عن الزوائد والمشخصات ، وتنفيح المقاصد عن الفضول والحسوبيات ، والتفرقة بين الذاتي والمعرضي في كل باب ، كيف والتعقل ليس معناه في مصطلح القوم الا هذا التجريد والتوحيد ، فبكثرة فعل التجريد والتوحيد الواقعتين منهم دائمًا بلغوا الى

مرتبة التجرد عن المخلائق ، والتوحيد عن الغواشى البدنية ، حتى عرفوا وشاهدوا تنزيه البارى وتوحيده وحمدوه حق حمده .

والثالثة: انهم لا يستكبرون عن سماع آياته، كما يستكبر عنهم من يصر مستكبراً كان في اذنيه وقرأ ، لانه لا يبلغ الى مقام الایمان الابسماع العلوم والآيات ونحوه قوله تعالى : ﴿اَنَّ الَّذِينَ اوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اذَا يَتَلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلادْقَانِ سَجَدًا وَيَقُولُونَ سَبَّاحَنَ رَبِّنَا﴾ [١٧/١٠٧] ولا يتکبرون ايضاً على أحد بظهور صفات النفس والانانية ، وذلك لفنائهم ذاتاً وصفة واستغراقهم في شهود ذاته تعالى وصفاته كيف والوجود مقصور عندهم على ذاته تعالى وصفاته وافعاله ، فعلى من يتکبرون؟

واما خواصهم الثلاثة العملية فهى التي ذكرها الله في قوله سبحانه :

تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦٦﴾

«التجافي عن المضاجع» ظاهراً تنجي أبدانهم عن الفراش ومواضع النوم لصلوة الليل ، لأنهم المتهجدون بالليل القائمون عن مواضعهم للصلوة - عن الحسن ومجاهد وعطاء ، وهو المروى (١) عن أبي جعفر وابي عبدالله عليه السلام .

وباطناننجي ارواحهم بحسب قواهم العملية عن الغواشى الطبيعية والشواغل الجسمية التي تلـى الجنبة السافلة منها ، والقيام عن المضاجع البدنية والخروج عن عالم الاجسام بقطع التعلقات ومحـو الاثار ، او عن عالم الامكان بمحـو الصفات . روـى الواحدـى (٢) باستـاده عن معاذ بن جبل «قال : بينما نحن مع رسول الله

(١) تفسير البرهان : ٣/٢٨٤ .

(٢) اسباب النزول : ٢٦٢ . وفيه فروق يسيرة .

صلى الله عليه وآلـه فى غزوـة تبوك ، وقد أصابـنا الحـرـفـتـرقـ القـومـ ، فـاـذا رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ أـقـرـبـهـمـ مـنـىـ ، فـدـنـوـتـ مـنـهـ فـقـلـتـ : يـا رـسـوـلـ اللهـ ! اـبـنـتـىـ بـعـمـلـ يـدـخـلـنـىـ الجـنـةـ وـيـبـاعـدـنـىـ مـنـ النـارـ .

قال : سـئـلـتـ عـنـ عـظـيمـ ، وـاـنـهـ لـيـسـيرـ عـلـىـ مـنـ يـسـرـهـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـيـهـ ، تـعـبـدـ اللهـ وـلـاـ تـشـرـكـ بـهـ شـيـئـاـ ، وـتـقـيـمـ الـصـلـوةـ الـمـكـتـوـبـةـ ، وـتـؤـدـيـ الزـكـوـةـ الـمـفـرـوـضـةـ ، وـتـصـوـمـ رـمـضـانـ .

قال : وـاـنـ شـتـتـ أـنـبـأـنـكـ بـأـبـوـابـ الـجـنـةـ(١)ـ ؟

قال : قـلـتـ : أـجـلـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ .

قال : الصـوـمـ جـنـةـ ، وـالـصـدـقـةـ تـكـفـرـ الـخـطـيـئـةـ ، وـقـيـامـ الرـجـلـ فـيـ جـوـفـ الـلـيـلـ يـبـتـغـىـ وـجـهـ اللهـ تـعـالـىـ - ثـمـ قـرـءـ هـذـهـ الـآـيـةـ -».

وقـيلـ : نـزـلـتـ فـيـ الـذـيـنـ لـاـ يـنـامـونـ حـتـىـ يـصـلـوـاـ الـعـشـاءـ الـآـخـرـةـ .

وـعـنـ اـنـسـ(٢)ـ : نـزـلـتـ فـيـنـاـ مـعـاـشـرـ الـاـنـصـارـ ، كـنـاـ نـصـلـىـ الـمـغـرـبـ فـلـاـنـرـجـعـ إـلـىـ رـحـالـنـاـ حـتـىـ نـصـلـىـ الـعـشـاءـ الـآـخـرـةـ مـعـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ .

وـقـيلـ : هـمـ الـذـيـنـ يـصـلـوـنـ مـاـبـيـنـ الـمـغـرـبـ وـالـعـشـاءـ الـآـخـرـةـ ، وـهـىـ صـلـوةـ الـأـوـاـبـيـنـ .
وـاـمـاـ دـعـائـهـمـ رـبـهـمـ : فـهـوـ تـوـجـهـهـمـ إـلـىـ التـوـحـيدـ وـمـقـامـ الـعـنـدـيـةـ ، وـعـبـادـهـمـ بـمـقـتضـىـ الـعـبـودـيـةـ خـوـفـاـ مـنـ سـخـطـ اللهـ وـالـتـرـدـىـ فـيـ مـهـوـيـ الـطـرـدـ وـالـبـعـدـ ، اوـ مـنـ جـهـةـ الـاحـجـاجـ بـصـفـاتـ الـنـفـسـ وـطـمـعاـ فـيـ بـقـاءـ ذـاـتـهـ - انـ كـانـ مـنـ الـمـقـرـبـيـنـ - وـفـيـ رـحـمـةـ اللهـ وـجـانـهـ ، انـ كـانـ مـنـ اـهـلـ الـعـملـ .

وـعـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ(٣)ـ : «اـذـ جـمـعـ اللهـ الـأـوـلـيـنـ وـالـأـخـرـيـنـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ،

(١) المـصـدـرـ : الـخـيـرـ .

(٢) المـصـدـرـ السـابـقـ : ٤٦٢ .

(٣) جاءـ ماـيـقـرـبـ مـنـهـ فـيـ الدـرـ المـنـثـورـ : ٥/١٧٦ .

جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم : سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم .
 ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجاهي جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون
 وهم قليل .

ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء ،
 فيقومون وهم قليل ، فيسر حون جميعاً إلى الجنة ، ثم يحاسب سائر الناس » .
 واما اتفاقهم مما رزقوا : فهو ايتاؤهم الزكوة من المال وتعليمهم المعارف
 والحقائق على اهل الاستعداد .

قوله سبحانه :

﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُم مِّنْ قَرَّةِ عَيْنٍ جَزَاءً إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

اي لا تعلم نفس من النقوص - لاملك مقرب ولا نبى مرسل - ما ادخله الله
 لاوئثك الموصوفين بالأوصاف المذكورة وأخفاه لهم من جميع خلائقه ، لا يعلمه
 الا هو مما يقر به عيونهم من جمال الذات ولقاء نور الانوار ، فيجدون من اللذة
 والسرور ما لا يبلغ كنهه ولا يمكن وصفه ، كما في الحديث الربانى (١) : « اعددت
 لعبادى الصالحين ما لا يعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » جزاءاً
 بما كانوا يعلمون من الاعمال القلبية والتأملات القدسية ، المستلزمة للاعمال
 البدنية على وفق احكام التجليات وشروط الافتراضات .

(١) ابن ماجة : كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ١٤٤٧٢.

اشراق فرقاني

اعلم ان اسعد الخلق في الآخرة اقواهم حبأ الله وأشدتهم شوقاً للقائه ، فان معنى الآخرة القدوم على الله ودرك سعادة لقائه ، وما اعظم نعيم المحب المستهتر اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقيه وتمكّن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير مزاحم ومكدر ومنفخ ورقيب وخوف الانقطاع ، الا ان هذا النعيم على قدر الحب واستيلاته وشدة ، وان لم ينفك عن اصل المحبة مؤمن ، كما لا ينفك عباده عن اصل المعرفة ، والا لم يكن المؤمن مؤمناً - هذا خلف - .

وانما يحصل ذلك بشيئين :

احدهما : قطع العلاقة وخارج حب الدنيا وما فيها من القلب ، فبقدر ما يشغل القلب بغير الله ينقص منه حب الله ويفرغ اناه قلبه عن ذكر الله بقدر اشتغاله بغيره ، لأن قلب كل احد واحد : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [٤/٣٣] والكفر عبارة عن امتلاء القلب بمحبة الباطل ، وكل ماسوى الله باطل دون وجهه الكريم ، والمحب الشام المحبة لله من امتلاء قلبه من محبيه ، واليه الاشاره بقوله : ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ [٩١/٦] هل هو معنى قول ﴿لا اله الا الله﴾ على التحقيق ، اي لا معبود ولا محبوب سواه ، ولذلك قال ﴿افرأيت من اتخذ الله هواه﴾ [٤٥/٢٣] وفي الحديث عنه ﴿ابغض الله عبد في الأرض الهوى﴾ (١) ، ولذلك قال النبي ﷺ : «من قال لا اله الا الله مخلصاً وجنت له الجنة» ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله ، فلا يبقى فيه شر كة لغير الله ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنها ، لأنها مانعة له عن مشاهدة محبوبه ، وموته خلاصه من السجن وقدومه على محبوبه .

(١) في الدر المنشور : ٧٣ : قال رسول الله ﷺ ماتحت ظل السماء من

اله يعبد من دون الله اعظم عند الله من هو متبوع .

والسبب الثاني لقوة المحبة قوة المعرفة لله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهيره من الشواغل وهي بمنزلة وضع البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش ، فيتو له من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة ، وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله لها مثلاً في قوله : ﴿الْمُتَرَكِيفُ ضُرِبَ اللَّهُ مثلاً كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرِعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٢٤/١٤] واليه الاشارة بقوله : ﴿إِلَيْهِ يَصُدَّ الْكَلِمُ الْطَّيِّبُ﴾ [٣٥/١٠] فهى المعرفة ، نعم والعمل الصالح يرفعه ويحركه ، ولذلك قال : ﴿جُزَءًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٣٢/١٧] لأن العمل الصالح كالحامل (كالخادم-ن) له ، وإنما فائدة العمل كلها في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم في إدامة طهارته ، واصل الطهارة والصفاء لكونه امرأً عديمًا لا يراد لنفسه بل لهذه المعرفة ، وكذا العلم المتعلق بكيفية العمل يراد للعمل ، فالعلم هو الأول والآخر .

تتمة

الواصلون الى هذه النعمة العظيمة ينقسمون الى الاقوياء والضعفاء ، فالسابقون الاولون هم الذين درجتهم درجة العقول القدس والملائكة المهيمنة ، اول معرفتهم لله تعالى وبه يعرفون غيره ، واليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿اَوْلَمْ يَكُفِّرْ بِرَبِّكَ اَنْهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٥٣ر٤١] وبقوله : ﴿شَهَدَ اللَّهُ اَنَّهُ لَا إِلَهَ اِلَّا هُوَ﴾ [١٨ر٣] .
ومنه نظر بعضهم حيث قيل له : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربى بربى ،
ولولا ربى ما عرفت ربى .

واللاحرون التالون هم الذين درجتهم درجة النقوس الكلية والملائكة المدببة،
فيكون اول معرفتهم بالافعال ، ثم يتربون منه الى صفات الله ، ثم الى ذاته ، فالله
سبحانه غاية افكارهم كما ان الله فاعل افكار الاولين ، والى هؤلاء الاشارة بقوله :
﴿ سرّي لهم آياتنا في الافق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ [٤١/٥٣]
وبقوله : ﴿ اولم ينظروا في ملوكوت السموات والارض ﴾ [٧/١٨٥] وبقوله : ﴿ قل ﴾

انظروا ماذا في السموات والارض ﴿١٠١/١٠١﴾ [٦٧/٣-٤] وبقوله: ﴿الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين﴾ - الآية - [٦٧/٣-٤] .

وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين ، وهو الاوسع على السالكين ، ولهذا وقعت دعوة القرآن إليه أكثر ، والامر بالتدبر والتفكير في بدائع الفطرة والاعتبار والنظر في آيات الافق والأنفس خارج عن الحصر ، اذ النجاة من العذاب الدائم موقوف على حب الله تعالى ، وعدم الاشتراك فيه ، وهو متوقف على المعرفة ، فطلبه واجب لكونه مقدمة امر واجب هو الخلاص من العقاب الدائم ، وما لا يتم واجب المطلقا الا به فهو واجب ، فطلب المعرفة والعلم بالله فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ايضاح تفصيلي

لک أن تقول ان كلا الطريقين وعر وصعب ، فاوضح منها ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة .

فاعلم ان الطريق الاعلى والمشرب الاصفي عن شوب الاشتراك هو الاستشهاد بالحق على سائر الخلق كما هو الواقع ، فان وجود الموجودات رشح وتبع لوجوده ، فينبغي ان يكون المعلوم المشهود على وفق الواقع الموجود ، الا انه غامض دقيق ، والكلام فيه خارج عن فهم اكثير الخلاائق ، فلافائدة في ايراده في الكتاب والتعاليم . واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام ، وانما قصرت عنه افهام الاكثرين لاعراضهم عن التدبر في الآيات ، واشغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس .

والمشتغلون بهذا الطريق الاسهل امان يكون نظرهم في ما يقبل الفساد والتغير والحركة والزمان ، و موضوع علمهم الاجسام الطبيعية والفلكلية و العنصرية من

الحيثية المذكورة، وبحثهم عن معرفة انواعها وعوارضها الذاتي بالبرهان المستفاد من العلة القريبة كالمادة والصورة في الادراك التصديقى او بالحد المستفاد من الجنس والفصل في الادراك التصورى ، فيسمى عليهم علماً طبيعياً، وهم الحكماء الطبيعيون الذين يصلون إلى معرفة الله تعالى والاعتقاد بوجود ذاته وصفاته وأنعاله من طريق الحركة وعوارضها، وبهذا الطريق سلك الخليل عليه السلام على ماحكى الله عنه بقوله : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ رَأَى كُوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ الآية [٦/٧٦].

وان كان نظرهم في حقائق الممكناط مطلقاً ومبادياً وغيابتها الثابتة الخارجة عن الحركة والزمان ، وموضع علمهم الموجود المفارق عن المادة ولو احقيقها في الوجرد والتعقل جميعاً ، وبحثهم عن اثبات انواعه وعوارضه بالبرهان الضروري الأزلي الدائم ، المستفاد من فاعل الوجود وغايته ، وبالحد المستفاد منهما ايضاً ، اذ الصورة في السفارقة غير مفترقة إلى علتين مقاربة ، بل انما يتقوّم ذاته وما هيته مما يتقوّم به وجوده ، لما تقرر هناك ان «لم هو» و«ما هو» في البساط المفارق شيئاً واحداً ، فيكون معرفتهم بهذه علماً الهيبا وهم الحكماء الاهيون ، لأن غاية معرفتهم وحكمتهم هو الوصول إلى الحق الاول ومجاوريه من الملوكات الاعلى.

بل غاية هذين العلمين جميعاً وثمرتهما معرفة البارى جلت اسماؤه الا ان في الادون منها حصلت بتوسط معرفة النفس التي هي مرقة معرفة الرب ، كما في الحديث المشهور (١) وفي الاعلى من غير توسطها .

* * *

واما الطريقة التي هي فرق بينك الطريقتين ، فهي التوصل إلى معرفة ذاته تعالى بذاته : وذلك بان ينظر اولاً إلى نور الوجود المنتشر في أهوية ماهيات الممكناط المنبسط على سطوح هياكل الممكناط ، ثم يعرف من حقيقته المطلقة التي هي اجلى من دل متصور واول كل تصور تقدمه على كل شيء له ماهية غير الوجود ، حتى

(١) من عرف نفسه فقد عرف ربه .

يتكشف له منافس حقيقة الوجود المجرد عن كل موضوع ومحل ، والمستغنى عن كل سبب فاعلى او غائى كالماهيات او مفهوم فصلى كالانواع ، او مقسم كالاجناس او مشخص كالكلى مطلقا ، او صردى كالمواد ، او مادى كالصور والاعراض ، او الجميع كالاجسام ، لأن كلامن هذه الامور يسقط اوليته وتقدمه فيعلم انه بسيط الحقيقة من كل الوجوه ، غنى عما سواه ، مفتقر اليه ما سواه دفعا للدور والتسلسل ، فيعلم من هذا ان صفاته الكمالية عين ذاته والجميع امر واحد فلاتذكر [في] الواجب بالذات ، فيكون البارى احدى "الذات والصفات جميعا ، فيكون خالقته بما هو ذاته ووجوده .

فإذ أعلم ذاته وصفاته على هذا الوجه وعلم أن ذاته وصفاته [واحد][يعلم أفعاله، وأنها نهج واحد مستمر لقوله : ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣-٦٢] فيعلم أن أول ما صدر يجب أن يكون جوهراً قدسياً ثم جوهراً آخر كذلك إلى ما شاء الله من سلسلة الملائكة المقدسين ، ويتوسط أولئك المقربين سلسلة أخرى من الفوس المجردة ضرباً من التجدد ضرباً من التعلق بالاجرام الدوارة شوقاً وطرباً إلى لقاء الله لورود الاشرافات العقلية المتالية على ذواتهم ، لكل منها بواسطة علة مفارقة قريبة مخصصة ، وذلك لاختلاف الحركات والأذار الدالة على اختلاف الوسائل لشلائهم وحدة البارى جل مجده ، وبالجملة ينتقل من كل عال إلى سافل ويعرف من خاصية كل فاعل كيفية فعله وأثره إلى أن يستقصى الموجودات ويحيط بالعالم الموجود بنور مبدع الوجود ، وهذه طريقة الصديقين الذين يعرفون بنور الحق ماسواه ، ولا يستدلون على نور الوجود بهذه الظلام ، ولا على صباح الفطرة بليالي هذه الأجسام .

تہذیب

ثم ان قوله تعالى «جزاء بما كانوا يعملون» قد حسم عرق أطماع المتمميين وقلع باب اغترارات المعطّلين القاعدين عن تحصيل العلم والعرفان ، ظناً منهم ان مجرد دعوى الایمان او التثبت بأئمة هذا المذهب أو صورة الاعمال الظاهرة يؤدي الى نعيم الجنان ، اورضوان من العزيز الرحمن ، من غير معرفة السبب المجازي

ومن غير تحقق الوجه الذى يؤدى العمل به الى حصول الشمرة الاخروية التى بذرها المعرفة الثابتة فى القلب أولاً ، وهذه الاعمال بمنزلة السقى لها .
اذ التحقيق ان وجود الاعتقادات الایمانية والمعارف الالهية اذا قوى فى الباطن واشتد رسوخها فى القلب يؤدى بصاحبها الى صورة النعيم الاخروي ، بل هذه سيصيرهى اذا رسخت فى الباطن ، كما أن الميل الى اللذات الحسية والاعتقاد بوجودها ور كون النفس اليها والاحlad الى عالمها ، اذا تكررت ورسخت فى الباطن ينجر الى عذاب الجحيم كما اشرنا اليه سابقاً .

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على ثبوت هذا الانجرار ، كقوله تعالى فى الاعراف : ﴿وَنَوْدُوا أَنْ نَلْكِمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَثَمُوهَا بِمَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣ر٧] وَكَوْلَه تعالى فى يس : ﴿فَالِّيَوْمَ لَا تَظْلِمُنِّي نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا نَجِزُونَ إِلَمَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٥٤ر٣] وَكَوْلَه تعالى فى النجم : ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَامَسْعَى وَأَنْ سَعِيهِ سُوفَ يُرَى ثُمَّ يَجزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى وَإِنَّ إِلَيْ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [٤٢ر٣٩-٥٣] وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿سِيَجِزُّهُمْ وَصَفْهُمْ﴾ [٦ر١٣٩] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَراً﴾ [٣ر٣٠] وَقَوْلِهِ : ﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَحِيطَةِ الْكَافِرِينَ﴾ [٥٤ر٢٩] وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الشُّورِيِّ : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفَقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ﴾ [٢٢ر٤٢] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

ومما يدل ايضاً على أن السعادة الاخروية والقرب عند الله والوصول الى الخير الحقيقي منوط بالحكمة والمعرفة ، والله الهادى والموافق لهم ، وأن الصارف للانسان عن طلبها والباعث عن الاعراض عنها والرضا بالجهل هو الشيطان اللعين الباعث لطلب الجاه والدنيا والشهرة عند الناس والخوف عن زوال الثروة والعزة قوله سبحانه : ﴿الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَوْتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا وَلُوِ الْأَلْبَاب﴾ [٢٦٩ر٢] .

وكما أن السعادة الاخروية منوط بالحكمة ، فكذلك التوغل فى الدنيا

والتتوسع في لذاتها وشهواتها مرتبطة بنسیان الحكم وترك التدبر في الآيات وفهم المعرف والبيانات ، قوله : ﴿فَلَمَانسُوا مَا ذُكِرَ وَابْرَاهِيمَ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [٤٤] الآية قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسِهِمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ﴾ [٤٩] فهو اشاره الى عاقبة هذه اللذات الدنياوية ، فالاعراض عن الحكم والمعرفة والتکذيب بالآيات البيانات مما يفتح على النفس أبواب التنعمات في الدنيا ، وحقيقة هذه الشهوات ليست في القيمة الاصورة النار والمحسرة والندامة ، والدنيا هي هنا ماتاع قليل ، وفي الآخرة عذاب شديد ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطُرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ [١٢٦ ر ٢]

وقس على ذلك ايضا قوله : ﴿وَمَنْ اعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكَا﴾ [١٢٣ ر ٢٠] فان المراد من تلك المعيشة الضنك ما هي بحسب النشأة الآخرة ، ولهذا عقبه بقوله : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ أَعْمَى﴾ * قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك اتيك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي [١٢٤ ر ٢٠ - ١٢٦ ر ٢] والعاقل ينبغي أن يرجع إلى ذاته ويتأمل في نفسه ، ويطرد عن باطنه التعصب والعناد والاستكبار ، والسكر الحاصل له بجاه مستحق واحتلال بعلوم جزئية فيحصر عنده الآيات الدالة على حقيقة القرآن ووصفه ، وما هيبة الرسول المنزلي عليه كتاب الله ونعته ، بحسب ما هو الداخل في قوام كل منهما غير الاوصاف الخارجة عن ملاك الامر فيهما ، فيرى هل يوجد فيها دلالة على فضلها وشرفها الامن جهة مزية علمية ، وفضيلة حكمية لها على سائر الكتب وسائر الناس ، لأنظن عاقلا في مريء من هذا .

وهي كقوله تعالى في نعم القرآن : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم [١٥/٥ - ١٦].

وكقوله في نعم الرسول ﷺ : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَنْذُرُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٢ ر ٤٢].

وقال سبحانه في صفة أهل الإيمان : ﴿يَوْمَ تُرَى الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَسْعَى
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبَأَيْمَانِهِمْ﴾ [١٢٥٧] .
ومما يدل على أن العلماء بالله ورسوله أهل الإيمان خاصة قوله تعالى :
﴿وَيَرِي الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [٣٤] وقوله : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
كَمْنَ هُوَ أَعْمَى أَنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [١٩١٣] .

كذلك من تصفح كلام الله وحديث رسوله ﷺ و كلمات الأئمة المعاصومين
صلوات الله عليهم أجمعين ، يعرف أن رأس الشقاوة كلها هو الكفر بالله وصفاته
وافعاله واليوم الآخر ، وليس الكفر الا ضرب من الجهل المضاد للحكمة ، كقوله
سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءُ الْآخِرَةِ حُبِطَ اعْمَالُهُمْ﴾ [١٤٧] .
ومما يدل على أن الجهل والنسيان منشأ العذاب في الآخرة قوله تعالى :
﴿أَوَلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمَعَهُمْ وَابْصَارُهُمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ *
لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٦١٥] .

وكقوله تعالى في مذمة أهل الجحود : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ * إِنْ شَرَ الدُّوَابَ عِنْ دَلَّ اللَّهِ الصَّمَدَ الْبَكَمُ الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ * وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَا سَمِعْهُمْ وَلَا أَسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ﴾ [٢٠-٢٢] .

وقوله سبحانه في مذمة المعرضين عن الحكمة : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ
بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأُوا وَانْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَأُوا﴾ [٥٧-٥٨] .

وقد جعل الله سبحانه الرجس على النفوس الجاملة الغير العارفة بحقائق الإيمان
في قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ﴾
[١٠٠] والسر فيه ان من لم يبلغ الى درجة بصير نفسه عقلا بالفعل ولم يرد الا
ما يدل على الحواس ، فهو متعلق الوجود بالاجسام الدنيوية وأرجاسها الشهوية والغضبية

مثل الكلب والخنزير ، والدنيا دار النجاسة وطالبها الارجاس والانجاس لقوله ﷺ : «الدنيا حيفة وطالبها كلام» وفي الحديث (١) : «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها». والآيات الدالة على أن منشأ العذاب في الآخرة هو الجهل والاعراض عن تعلم الحكمة والمعرفة كثيرة لاتحصى ، ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين .

قوله سبحانه :

﴿أَفَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

وكلمة «من» في الموصعين مفرد لفظاً مجموع معنى ، فالاعتبار الأول اورد «كان مؤمناً» و«كان فاسقاً» محمولين على اللفظ ، واورد «لايستون» حملاً على المفهوم كما يدل عليه قوله : «اما الذين آمنوا» «اما الذين فسقوا» ومثله قوله تعالى : «*ومنهم من يستمع إليك حتى اذا خرجوا من عندك» [١٦٤٧] . والمراد «بالفاسق» هنا الكافر لخروجه عن الإيمان لما في الآية التالية من ذكر عدم الخروج والتکذيب .

قال ابن أبي ليلى نزلت في على بن أبيطالب ﷺ ورجل من قريش ، وقال غيره نزلت هذه الآية إلى قوله : «لعلهم يرجعون» فيه ﷺ والوليد بن عقبة ، فالمؤمن على ﷺ والفاشق الوليد ، وذلك انه قال على ﷺ : «انا أبسط منك لساناً واحداً منك سناناً» فقال ﷺ : «ليس كما تقول يا فاسق» قال قتادة : «لَا وَاللَّهُ مَا سَطَوْيَا ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ» .

مكاشفة

انه لما علم مماسيق غاية خمسة الكافر والفاشق بحيث ينزل درجتهم عن درجة الانعام والبهائم لقوله : «ذوقوا عذاب الخلد بما كتتم تعملون» وغاية درجة المؤمن بحيث يعلو ويغوص على كثير من خلقه تعالى ، حتى ضروب من ملائكة الله لقوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا خَفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ إِعْنَانٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيتوهم هيهنا المفوس الغير المتدرية في العلوم الدقيقة والانظار اللطيفة العميقة ، ان افراد الانسان لما كانت متساوية الحقيقة فيمتنع أن يصير بعضهم أعلى علينا وبعضهم اسفل سافلين .

والجواب بأن هذه التفاوت إنما يكون بالعوارض الغريبة التي لا مدخلية لها في تقوّم شيء من الأفراد غير منجح (صحيح - ن) ولا يقبله الطبائع السليمة ، كيف والسبب الاتفاقى لا يكون دائمياً ولا أكثرياً ، فلابد أن يكون علة خلود المؤمن في الجنة وعلة خلود الكافر في النار أمراً داخلاً في تجوهر العبد وحقيقة ذاته ، بل الحق الحقيق بالتصديق ان الانسان بحسب النشأة الاخروية انواع مختلفة حسب اختلاف الاخلاق والملكات الراسخة في باطننه ، وستظهر فيقيمة بصورها المناسبة لمعانيها المتختلفة الحقائق .

ومن تفطن بهذا المطلب المنكشف بنور القرآن واحد من الفلاسفة المعروف بفرفوريوس ، القائل باتحاد العاقل والمعقول ، لكن لم يبلغ نظره إلى مرتبة البالغين من رجال هذا الدين المتيين ، الذي هو صراط السالكين إلى عالم الحق واليقين ، فالله سبحانه رفع نقاب الاختفاء وكشف غطاء الامتراء عن المحاجة البيضاء ، وبين هيهنا نفي المماثلة بين المؤمن والكافر في الذات والحقيقة ، وسلب المساواة بين العارف والمنكر في درجة الماهية ، كما في قوله تعالى : «« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »» [٩٣٩] .

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على أن الإنسان بحسب النشأة الطنية متخالف النوع متبادر الحقيقة والصورة ، سيمات التناقض بين المؤمن والكافر والم والجاهل ، مثل قوله تعالى : ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ إِيَّاهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٥٩:٣٦] قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا وَلَئِكَ هُمْ شَرِّ الْبَرِّ﴾ * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أو لئك هم خير البر [٩٨:٧-٦] . وقوله تعالى : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٤٨:٣٥] . ومن الشواهد الدالة على هذا المطلب قوله سبحانه في حق المؤمنين ﴿يَخْرُجُونَ﴾ يخرجون من الظلمات إلى النور أو لئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون [٢٥٧:٢] . وفي حق الكافرين : ﴿يَخْرُجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَوْ لَئِكَ اصحابُ الظُّلُمَاتِ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢:٢٥٧] وكذا قوله في حق المؤمنين ﴿اصحاح البينة﴾ وفي حق الكافرين ﴿اصحاح المشتمة﴾ تنبئه بل يبلغ على ثبات «عيناه» . وما يدل أيضًا في الحديث قوله عليه السلام : «يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى صُورِ نَبِيِّهِمْ» (١) وقوله عليه السلام «يَحْشُرُ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى صُورَةٍ تَحْسُنُ عِنْدَهَا الْأَذْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ» . ولو لا مخافة الاطنان لا وردت هيئنا برهاناً تفصيلاً على هذا المطلب مما ألهمني الله به تبين منه كون الإنسان متخالف الماهية في الباطن حسب ما يخرج عقله الهيولاني من القوة إلى الفعل ، وإن كان نوعاً واحداً في ظاهر بحسب ما يخرج مادته الجسمانية من القوة إلى الفعل ويتبيّن أن نفسه الناتجة صورة الصور في هذا العالم ومادة المواد في عالم آخر – إن هذا لبلاغاً لقوم بدين .

قوله سبحانه :

أَمَّا الَّذِينَ عَنْوَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ تُرْلَأِيمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
يَعْمَلُونَ^{لهم} أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَإِنَّهُمْ أَنَّارٌ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا أَعِدُّوا فِي وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ^{فب}

﴿جنات مأوى﴾ نوع من الجنان، كل منها غاية ما يمكن لطائفة من الناس أن يصل إليها بقواليمان والعمل الصالح ، لأن صيغة الجمع تدل على أنها مراتب متباينة ، قال جاعزه ﴿ولقد رأه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [١٥/٣] .

وقيل: سمي بذلك لما روی عن ابن عباس ، قال: تأوى إليها أرواح الشهداء ، وقيل: هي عن يمين لعرش ، وقرء: « جنة المأوى » - على الأفراد . و«النزل» عص النازل ، ثم عم .

والمعنى : لمقارن الحق سيخانه في الآية السابقة بين المؤمن والكافر في الحقيقة والمرتبة ، ونفع عنهم المساوات ، أراد أن ينبه على ذلك بتفصيل دواعي كل واحدة من هاتين الآفتين عن الآخرى والفرق بين أعراضهما وغاية قصودهما ونهاية توجههما ، لأن تن المأوى الطبيعي يدل على تباهي الطبيعة المقتضية ، فإن لكل طبيعة حيزاً طبيعياً ^{وكل} من الطيور مأوى خاصاً ، والتعبير عن مقام كل من القبيلتين بالمأوى تنبئه بلين من وفق لادراء الإشارات القرآنية والإيات الالهية على أن السعيد مفظود في أن عمل عمل أهل الجنة والشقي مفظور في أن يعمل أعمال أهل النار ، وهو طالبان بالاتهام لما قدر لهم في دار القرار .

واما قوله في حق الكفر: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا - مِنْ غُمْ - أَعِدُّوا

فهيها لهم وبيان لكيفية ترديهم إلى عالم البوار، فان أحد الداعمين المقتضيين اذا كان جلبياً والآخر عرضياً اتفقاً فلا محالة يغلب الاول على الثاني بـالآخرة ، او لاترى ان عمال الدنيا وأهل الحرف والمتوغلين في الشواغل الحسية كلما بلغوا الى صحبة الخائضين في العلوم واستطابوا حالتهم واستنشقوا روائحهم وتهوسوا الوصول الى مرتبتهم والخروج من ظلمة المجهالة وضيق النقص وخمسة الرذالة الى نور العلم وفسحة الكمال وشرف العرفان ، غلبت عليهم شقوتهم وقويت فيهم جواذب الطبيعة السفلية ، وأهبطتهم ثقل الاوزار والانتقال وال العلاقات مثل السلسل والاغلال حتى توصلهم الى اسفل درك المحجوم ، لاستيلاء الميل السفلي عليهم ، وقهرا الملوك حتى ينبعوا من ارضاً بسبب رسوخ الهيئات الدمية .

والآيات الدالة على أن أهل الحجاب الكلى والمتوغلين فى الحسبيات اضطروا إلى التردى والتقلب فى النار كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا هم بخارجٍ مِّنَ النَّارِ﴾ [١٦٧/٢] وقوله : ﴿أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْا نَلَهُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لِيَقْتَدِوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣٦/٥] وقوله : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجٍ﴾ [٣٧/٥] وقوله : ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرْدَهُ اللَّهُ أَنْ يَظْهِرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَرَزٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٤١/٥] وقوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِمْتَاعُهُ قَلِيلٌ ثُمَّ أُضْطَرَهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [١٢٦/٢] . والسبب العقلى فيه ان المجنحيم الآخرى من جنس هذه الدار ، فكل من غلب عليه جهة الحسن والمحسوسات ولم يصدق بوجود عالم آخر ضميرأً واعتقاداً وان أقر به قوله و لساناً ، وليس له رتبة الوصول الى حقائق الایمان ، ولا العمل بمقتضاه والسلوك على وفق مؤداته ولا يخرج طير روحه أبداً من قفص هذا العالم ، فما له الى الجحيم وله عذاب مقيم .

قوله سبحانه :

وَلَنْدِيَقُنُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلَدَنِ دُونَ الْعَذَابِ أَلَا كَبِيرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾

اختلف المفسرون في ما هو المراد من العذاب الأدنى ، فقيل : هو المصائب والمحن في الانفس والاموال - عن أبي بن كعب وابن عباس وابي العالية والحسن - وقيل : هو الاسر والقتل يوم بدر - عن ابن مسعود وقناة والسدى - وقيل : ما محنوا به من السنة والجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب - عن مقاتل - وقيل : هو الحدود - عن عكرمة وابن عباس - وقيل : هو عذاب القبر - عن مجاهد - وروى أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام (١) والاكثر في الرواية عن أبي جعفر وابي عبدالله عليه السلام (٢) : ان العذاب الأدنى الدابة والدجال .
واما العذاب الاكبر فهو عذاب الاخرة بالاتفاق .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ اي ليرجعوا إلى الحق ويتوبوا من الكفر ، وقيل : ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنبهم ، وقيل : لعلهم يرجعون أى يريدون الرجوع إلى الدنيا ويطلبونه ، كقوله تعالى : **﴿فَارْجُنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾** [٣٢/١٢] .
والظاهر ان هذا الوجه ناظر الى كلام من وجہ حمل العذاب الأدنى بعد عذاب القبر - كما نقل عن مجاهد - وهو ليس بشيء ، لأنه يلزم تعلييل فعل الله تعالى بأمر عبث لفائدة فيه ، فان اراده الرجوع منهم الى الدنيا بعدقيمة اراده امر مستحبيل الواقع كما مر ، فلا يجوز أن يكون اذقة العذاب ايها من الله معللة بتلك الارادة الوهمية الجزافية ، اللهم الا ان يقال نفس تلك الارادة نوع من الالم والعداب فيهم - وهو كما ترى - .

ولا يبعد أن يراد من العذاب الأدنى نفس البقاء في الدنيا والبشرية ، فان

البشرية كلها عذاب ، وهو منشأ عذاب القبر ، بل القبر الحقيقي هو الكون في حفرة هذا القالب الدنیاوی وهو موت الروح وعذابه .
وسئل عن بعض الاکابر من العذاب في القبر ، فقال القبر كله عذاب ، الا انه قبر متتحرك ، كما قيل : در حبس چرخ گور روانست این تنم .
وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : من اراد ان ينظر الى هیت یهشی فلينظر الى .

مشكوة فيها مصباح

ان مفهوم الترجى المستفاد من لفظ « لعلهم » هيئنا وفي مواضع كثيرة من القرآن مما استصعب القوم استناده إلى الله تعالى، لكونه يستعمل فيما لاقطع لوجوده من الاحتمالات المرجوة الواقع ، والله محبط بالأشياء من غير احتجاب وخفاء عليه ، وايضاً « لعل » من الله اراده ، وارادة الله اذا تعلقت بشيء كان ثابتاً ولم يمتنع تتحققه ، وتوبتهم مستحيلة الواقع ، والا لم يكونوا ذاتين العذاب الاكبير ، ولم أجد في كلام أحد من الناظرين في الكلام والباحثين في علم الكلام ، ما به يطمئن القلب ويسكن الروع ، و كنت منتظراً حتى يأتي الله بأمر كان مفعولاً [١) اما المذكور في اقوالهم فوجوه :
احدها : ان الترجى راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله : **﴿لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشِي﴾** [٢٠/٤٤] اي اذهبنا انتما على رجائكم وطعمكم في ايمانه ، ثم الله عالم بما يقول اليه أمره .

وثانيةها : ان من دين الملوك أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطّنون انفسهم لإنجازها على أن يقولوا : « عسى ولعل » وحيثند لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب .

(١) مابين المعقفين غير موجودة في المطبوعة .

وثلاثها : انه جاء على طريق الاطماع دون التتحقق ، لثلا يتتكل العباد مثل : ﴿توبوا الى الله توبة نصوحًا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم﴾ [٨/٦٦] .

ورابعها : انه وقع « لعل » موقع المجاز لالحقيقة ، لأن الله عزوجل خلق عباده ليستعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأذاح العلل في اقدارهم وتمكنهم ، وهداهم النجدين ، وأراد منهم ان يتقووا ويتبوا اليه ليرجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان ، كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ليلوكم أياكم أحسن عملا﴾ [٧/١١] وقيل : لعل بمعنى « كي » ووجهه بأنها للاطماع ، والاطماع من الكريم يجري مجرى المختار.

وخامسها : ما قال الفقال وهو أن في « لعل » معنى التكرير والتأكيد ، اذ اللام للابتداء ، نحو « لقد » ولقولهم « علك » اي تفعل كذا و« عل » يفيد التكرير ، و منه العل ” بعد النهل ، فقول القائل : « افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك » معناه : افعل فان فعلك يؤكد طلبك ويقويك] .

* * *

واما ما ألهمني الله به وقدف في قلبي من نوره ، وهو أن لعلم الله تعالى وارادته مراتب متفاوتة في النزول ، فكما أن لعلمه مرتبة كمالية هي نفس ذاته بذاته ، اذ بذاته يعلم جميع الأشياء الكلية والجزئية ، وهذا العلم ليس متكرراً بل علم واحد اجمالي ، هو واجب بالذات وهو مرآة كل الحقائق ومجلى جميع الرقائق ، وبعد ذلك مرتبة تفصيل المعقولات الكلية ، وهو مرتبة القضاء الإلهي وهي مفاتيح الغيب ، لقوله : ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو﴾ [٥٩/٦] وهي ايضا خزان الرحمة لقوله تعالى : ﴿وان من شئ الا عندنا خزانه﴾ [٢١/١٥] ثم بعده مرتبة الجزئيات والشخصيات المقدرة باوقاتها وازمنتها المثبتة بعيثاتها في كتاب لا يجعلها لوقتها الا هو ، وهذه المرتبة « عالم القدر » لقوله : ﴿وما نزله الا بقدر معلوم﴾ [٢١/١٥] وهذا هو « كتاب المحظوظ والاثبات » كما ان السابق « اللوح المحفوظ » لقوله : ﴿يمحو

الله ما يشاء ويثبت وعنه ام الكتاب [٣٩/١٣]

وبعد ذلك مرتبة وجودات المعلومات في موادها الخارجية الجئية المكتوبة بمداد الهيولي التي تسمى « بالبحر المسجور » و« الكتاب المبين » كما اشير في قوله : **﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي - إِلَيْهِ﴾** [١٠٩١٨] وفي قوله **﴿لَا رَطْبٌ**
ولا يابس الا في كتاب مبين **﴾﴾** [٥٩/٦٤] وهاتان المرتبتان قابلتان للتغير ، وبهاتين الاخيرتين يتضمن (يسترجع - خ) عروض التغير في علمه تعالى بالحوادث من حيث هو معلوم ، لا بما هو علم ، وان كانوا امراً واحداً بالذات ، وهذا مما لا يعلم الا المحققون المتحقق ، المتحققون بالشهود .

فكذلك الحكم في مراتب ارادته ، فان علمه تعالى بالأشياء بعين ارادته بمعنى مراديته لما ثبت بالبرهان والكشف أن صفاته الكمالية كلها بعينه حقيقة واحدة ، وبمعنى واحد بلا اختلاف حسيّيات ولا تعدد جهات الا بمجرد التعبير .

فإذا علمت هذا اتضحت لك حق الإيضاح من مشكلة هذا المصاح كيفية نسبة هذه المفهومات التجددية والمعانى الامتحانية الاختيارية ، التى بازا بعض الالفاظ الواردة في القرآن ، المتكررة ذكرها كهذا اللفظ ، وكلفظ « الانلاء » في قوله **﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ﴾** وقوله **﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْمَلَ الْمُجَاهِدِينَ﴾** وقوله **﴿وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾** وكلفظ « الدعاء » و « التعجب » و « الاستهام » ، كقوله : **﴿قُتِلَ الْأَنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾** [١٧٠/١٧] وقوله **﴿قَاتَلُوكُمُ اللَّهُ أَنِي يُؤْفِكُونَ﴾** [٩/٣٠] .
وامثال هذه ونظائرها كثيرة في القرآن ، فافهموا واغتنموا وثبت فيها ولا تكن من الخطاطفين ، ولا تتصرف في كتاب الله باخراجها عن معانٰها الأصلية من غير ضرورة داعية ، واحملها على الحقيقة ، ولا تنكر ما لم تسمعه من أحد ولم تبلغك بالقول ولا وصل اليك من العقول ، ولا تنحصر العلوم فيما سمعته او فهمته ، فان الله لطائف رحمة في قلوب عباده ، وكمال بدائع صنع في اراضي بلاده ، فلا تعجب من هبوب رياح رحمته ونزول أمطار عنائه ورأفته على من يشاء وهو رؤوف رحيم ،
وائل قوله : **﴿وَفَرَقَ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ﴾** [١٢/٧٦]

قوله سبحانه :

وَمِنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ
عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُحْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٧)

اي لا اخذ اظلم لنفسه من نبه على حجج الله وبيناته التي توصله الى درجة الكمال وقرب المهيمن المتعال، ثم اعرض عنها جانباً ولم ينظر فيها، لأن منشأ الاعراض الجحود والانتكaro والجل والاستكبار، ولفظ «ثم» يستعمل في هذا الموضع للابتعاد، والمعنى ان هذا القسم من الاعراض مستبعد في العقل ، كما يقول لصاحبك : « وقع بيده مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها » استبعاداً لتركه ، والله ينتقم منهم بان يعاقبهم بما يستدعيه اعراضهم عن آيات الله من العذاب الدائم والعقاب الاليم الحاصل من الطرد والابعاد السقوط عن مقتضى الفطرة .

ايصال فرقاني

مفهوم الآية تدل على أن المراد من لفظ الموصول هم المنافقون المستعدون بحسب نقوفهم نذكر الآيات، لأن النقوس الجرمانية الظلانية الصنم البكم العمى الذين لا يعقلون ، وهم المختوم على قلوبهم رأساً ، فإن الاعراض عن المعرف والحكم والآيات عند ذكرها المستدعى لضرب من التذكر إنما يتصور فيمن له نوع من القطانة التراء والاستبداد بالرأي الذي قل من ينفك عنه المستغلون بالباحث والعلوم الجزئية، وهؤلاء أشد عذاباً يوم القيمة من الذين لا يستعدون بحسب الفطرة الارقاء الى ذروة الكمال من هبوط النقص والوبال ومزابل الجهاز .

ومما يدل على هذا ما سيدكره تعالى في الآية اللاحقة بقوله : ﴿فَلَا تَكُنْ

فِي مَرِيَةٍ مِّنْ لِقَائِهِ [٢٣٥٣٢] فَإِنْ شَاءَ هَذِهِ النُّفُوسُ الْأَمْتَرَاءُ وَالْمَرَاءُ وَالْبَحْثُ وَالْمُجَادَلَةُ وَإِيَادُ الشَّبَهَ وَالشَّكُوكَ ، وَشَاءَنَهُ تَعَالَى تَثْبِتُ عَبْدَهُ عِنْدَ تَزْلِزلِ الْأَقْدَامِ بِالشَّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ وَتَأْيِيدهِ عِنْدَ مَعَارِضَةِ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الْأَقْوَامِ ، كَقَوْلُهُ : ﴿وَلَوْلَا إِنْ ثَبَّتَنَاكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا﴾ الآية [٧٤١٧] .

وَأَكْثَرُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُعْرَضِينَ عَنْ حِجَاجِ اللَّهِ النَّاطِقَةِ وَالصَّامِتَةِ أَمَّا اغْتَرَّ وَأَبْطَانَهُمْ لِسَمَا عُهِمُوا وَحَفَظُهُمْ بِعِضِ الْأَقْوَالِ مِنَ الْمَشَايخِ وَالسَّابِقِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَدَرَائِهِ، بِلْ بِمَجْرِدِ قَوْلٍ وَرِوَايَةٍ ، وَشَكَّكَ الْمَلَاحِقُ مِنْهُمْ السَّابِقُ وَطَعَنَ الْأَتَى مِنْهُمْ الْمَاضِي ، يَغْتَبُ بِعِصْبِهِمْ بِعِصْبِهِمْ بِعِصْبِهِمْ بَعْضًا ، وَيَنْتَظِرُ بَعِصْبِهِمْ مِنْ بَعِصْبِهِمْ بَعْضًا بِحَرْقَةٍ قَلْوبِهِمْ وَأَلْمِ نُفُوسِهِمْ ، وَهُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ، أُولَئِمْ مَعَ آخِرِهِمْ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿كَلِمَاتُهُمْ دَخَلَتْ أَمَّةً لَعْنَتَ اخْتَهَا﴾ [٣٨٦] وَهُمُ الْأَشْرَارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ أَثْرَ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ وَهُمْ أَهْلُ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ شَرُّهُمْ كَلِمَاتُهُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَنِ والَّذِينَ ، وَأَضَرُّهُمْ عَلَى الْعُلَمَاءِ الرِّبَانِيِّينَ ، وَأَشَدُّهُمْ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ، هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمُجَادَلَةُ وَالْمُخَاصِّمَةُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْفَرْوَعِ وَالْمُخَالَفَاتِ وَيَهْمِلُونَ الْأَصْوَلِ وَالْيَقِينِيَّاتِ ، وَمَعَ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الْعُقُولِ السُّخْيِفَةِ يَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهِ وَيَعْرُفُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ ، نَعْوَذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُهْبَرِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَأَفْسَادِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

قوله سبحانه :

وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِهِ
وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا يَعَايِثِتَنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

قرء حمزه والكسائي ويونس عن يعقوب: لما صبروا - بكسر اللام - والباقيون
بح اللام وتشديد الميم ، فعلى الاول «ما» مصدرية والجار متعلق «بجعلنا» اي :
علنا منهم أئمة لصبرهم ، وعلى الثاني «لما» للمجازات ، وحذف الجزاء لاغناء
الفعل المتقدم عنه . و«الكتاب» للجنس والضمير في «لقائه» اما لموسى عليه السلام ، اي
من لقائك موسى ليلة الاسراء . او يوم القيمة . او للكتاب ، اي : من لقاء موسى
الكتاب ، يعني : انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ، ولقيناه مثل ما لقيناك
من الوحي ، فلا تكن في شك من لقائك مثل لقائه قوله : ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍ فِي
مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسُئِلُ الظَّالِمُونَ كِتَابًا مِّنْ قَبْلِكَ﴾ [٩٤:١٠] ومثل قوله «من
لقائه» قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدْنِ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [٢٧:٦٢] وقوله : ﴿وَنَخْرُجُ
لِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [١٧:١٣] .

وقيل : «من لقائه» معناه : من لقاء موسى اياك في الآخرة ، وقيل : معناه
فلاتكن - يا محمد عليه السلام - في مرميتك من لقاء موسى الكتاب ، اي : من تلقيه بالرضاء
والقبول - عن الزجاج - وقيل معناه : فلاتكن في شك من لقاء الاذى كما لقى موسى
الاذى - عن الحسن .

والضمير في «جعلناه» اما لموسى واما للكتاب لما في التورات من الاحكام
وبيان المحلال والحرام ، اي : وجعلنا موسى هادياً لبني اسرائيل - عن قتادة - او

وجعلنا الكتاب هادياً لهم - عن الحسن - وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم إلى ما في التورات من دين الله وشرائعه لما صبروا عليه من مشاق التكليف وتثبيتهم على اليقين ، كما نجعل من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهدایة لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين - وعن الحسن : صبروا عن الدنيا .

ونقل في الكشاف : إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسماعيل إلى بنها . وهذا النقل أيضاً يدل على أن الغالب فيها الأحكام العملية التي يتطرق إليها التسخن والتغيير ، دون المعارف والربوبيات المحفوظة عنها .

مكاشفات سرية ونفيات روعية

اعلم أن الفرق بين القرآن المجيد وسائر كتب الله المنزلة على الأنبياء ، بأن القرآن كلام الله وكتابه جميعاً وغيره كتاب فقط ، وكلام الله أشرف من كتابه بوجوهه : أولها : أن كلامه تعالى قوله ، وكتابه فعله ، والقول أقرب من القائل من الكتاب إلى الكاتب ، فكلام الله أشرف من كتابه .

وثانيةها : أن الكلام والقول من عالم الأمر : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون﴾ [٤٠-١٦] والكتاب من عالم الخلق ، وعالم الأمر كله علوم عقلية وحقائق معنوية بخلاف عالم الخلق ، لأن العلوم والمعانى زائدة فيه على صحائف مدار كها وألواح مشاعرها .

وثالثها : أن كلام الله نزل على قلب الرسول صلوات الله عليه وسره ، وكتاب الله نزلت صورة ألفاظها على الواح وقراطيس .

ورابعها : أن تلقى الكلام وتعلمك بأن يتجلى حقيقته وتتورع معناه على قلب من يشاء من عباده ، لقوله تعالى : ﴿ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [٥٢-٤٣] ومن علم الله تعالى القرآن بهذه التعليم كان عليه من الله فضلاً عظيماً ، كما قال لحبيبه بعد تعليمه : ﴿وعلمتك ما لم تكن

تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً [١١٣ ر ٤] فتلقيه فِتْلَقَهُ بالقرآن من حيث هو قرآن
بأن ينخلق به ، اذ كان القرآن خلقه ، كما هو المروي عن بعض أزواجها حين سئلت
عن خلقه فِتْلَقَهُ فان الله يقول : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ [٨٤ ر ٤] قالت : كان خلقه
القرآن (١) وأما تلقي الكتاب و تعلمه فهو بالدراسة والقراءة والتلاوة ، فلا نبياء لَا نَبِيٌّ
يتدارسون الكتب لقوله تعالى كُتُبٍ يَدْرِسُونَهَا [٤٤ ر ٣٤] .

و خامسها : ان تنزيل القرآن على قلب النبي فِتْلَقَهُ ومكاشفة أسراره منه وتجلى
أنواره له أمر بينه وبين الله لا يطلىع عليه ملك مقرب ولانبي مرسى ، وأما نزال الكتب
على سائر الانبياء فهي مما يقرأها كل قار .

وسادسها : ان سائر الكتب يستوى في هداها الانبياء والامم ، لقوله في هذه
الآلية : وَجَعَلْنَا هَدِيًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ [١٣ ر ٣٢] - قوله هَدِيًّا لِلنَّاسِ [١٨٥ ر ٢]
واما القرآن من حيث هو كلام فالرسول فِتْلَقَهُ مخصوص بالهدایة به عن تجلی أنواره
في التنزيل على قلب الرسول ، كما قال وَلَكُنْ جَعَلْنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ
عِبَادِنَا و قال : وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ اي خصصتك بهداه وعلمه .

سابعها : ان الكتب المنزلة عليهم كانت تصرف فيهم بأن يكون الكتاب
مع أحدهم نوراً من الله يجيء به الى قومه ليكون هدي لهم ، كما قال : فَلَمْ يَأْتِ
أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى [٩١ ر ٩] واما تنزيل القرآن على
قلب الخاتم فِتْلَقَهُ فكان تصرفه فيه بأن جعله نوراً من الله يجيء ذلك النور الى
الامة ومعه القرآن ، كما قال تعالى : قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ فِتْلَقَهُ - وكتاب
مبين [١٥ ر ٥] فشتان بين نبي يجيء ويكون هو بذاته نوراً ومعه كتاب ، وبين
نبي يجيء ومعه نور من الكتاب .

وثامنها : قد فرق الله بين ما شرف النبي الخاتم فِتْلَقَهُ بانزال الكلام على قلبه ،
وبين ما شرفوا به من انزال الكتاب ، فقال تعالى تشريفاً لموسى (ع) : وَكَتَبْنَا لَهُ

فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ [١٤٥/٧] وَقَالَ تَعَالَى تَشْرِيفًا لِنَبِيِّنَا ﷺ : ﴿فَأُوحِيَ إِلَيْهِ بِمَا أُوحِيَ﴾ [١٠/٥٣] انْظُرْ وَتَدْبِرْ كَيْفَ قَالَ : ﴿أَوْلَئِكَ كَتَبْ فِي قُلُوبِهِمْ إِيمَانٌ﴾ [٢٢/٥٨] فَشَتَّانٌ بَيْنَ نَبِيٍّ تَشْرِفُ بِكِتَابَةِ الْمَوْعِظَةِ لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ وَبَيْنَ نَسِيٍّ تَشْرِفُ امْتَهَ بِكِتَابَةِ الإِيمَانِ لَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَتَاسِعُهَا : أَنْ مِنْ خَصائِصِ انْزَالِ الْقُرْآنِ بِمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ أَنَّهُ مَنْزَلٌ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ صَارَ خَاشِعًا مَتَصْدِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿لَوْا نَزَّلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مَتَصْدِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [٢١/٥٩] وَلَمَّا نَزَلَ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ صَارَ قَلْبُهُ خَاشِعًا خَاشِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، حَتَّى قَالَ كَمَا هُوَ الْمَرْوُى عَنْهُ : «إِنَّا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ مِمْهُ» (١) وَأَمَّا انْزَالُ الْكِتَابِ فَلَيْسَ مِنْ لَوْازِمِ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّخْلُقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ، وَلَذَا قَبْلَ لَوْ كَانَتِ التَّوْرَاتُ انْزَلَتْ عَلَى قَلْبِ مُوسَى عليه السلام لَافِي الْأَلْوَاحِ ، لَعِلَّهُ مَا أَلْقَى الْأَلْوَاحِ فِي حَالِ الغَضْبِ ، وَمَا احْتَاجَ إِلَى صَحْبَةِ خَضْرَاءِ اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لَعِلَّهُ تَعْلَمُهُ الْعِلْمُ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿هَلْ اتَّبَعْتُكُمْ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مَمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا﴾ [١٨/٦٦-٦٧] .

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ :

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

«الفصل» هو ما يميز به الشيء عن غيره بحسب تجوهر ذاته وقوام حقيقته ، وكثيراً ما يطلق الفصل على مبدئه القريب ، كالنفس الحيوانية للحساس ، والنفس الناطقة للنشاط ، فإنهما مبدآن قريبان لهذين الفصلين المنطقين المحمولين بوجه ، وبوجه آخرهما عين هذين إذا أخذ كل منهما لا بشرط شيء من التقييد والاطلاق ،

(١) في البخاري : ٣١/٨ والمسندي : ٤٥/٢ و٤٥/١٨١ جاء بلفظ : لَانَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَشَدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً .

وربما يطلق على المبدء العالى لحقيقة الشئ وتحصله وتميزه ، فان الصور النوعية عند طائفة هى الفضول المنواعات للحقائق الجرمانية ، وعند طائفة اخرى يطلق الصور على المفارقات النورية والجواهر العقلية الواقعة فى عالم الصور المفارقة ، كما هو عند افلاطون الالهى والرواقين وائمههم القدميين كسفراط وفيثاغورس وانباذلس واغاثاذيون ، وعند طائفة اخرى هم أعلى مرتبة وأدق مسلكاً (وامتن) دليلاً وأجل ذوقاً واوثق برهاناً وارفع نظراً ، وهم الحكماء اليمانيون والافاضل الربانيون كأبي يزيد البسطامي وسهيل التسترى والجندى البغدادى ومحى الدين الاعرابى وتابعىهم ، ان اسماء الله تعالى بعينها مبادى الفضول الذاتية للحقائق الامكانية ، وما يحاذيها من الصور المجردة فى عالم العقول او الصور الحسية فى عالم الجسم مستهلكة التأثير و الاثر فى تحت سطوع الانوار الالهية والاسماء الربوبية ، استهلاك النور الضعيف فى النور الاقهر القوى ، واضمحلال وجود السافل تحت وجود العالى .

فاما علمت هذا وتذكرت ما دعيناها فيما سبق ، من ان الانسان بحسب الباطن والنشأة الاخروية انواع كثيرة حسب كثرة الاخلاق المتخالفه ، والصفات الغالبة الراسخة المتنوعة ، ايقنت معنى كون « يوم القيمة » « يوم القضاء » « ويوم الفصل بين الخلاقين » فالله يقضى بينهم يوم القيمة بحسب ظهور مظاهر اسمائه ومجالى شؤونه ، ويفصل بينهم بالحق ويميز المحق عن المبطل فى ما يختلف فيه من الاديان والمذاهب ، وقد مر منا نقل آيات دالة على ان انواع الانسان كثيرة بحسب النشأة الاخرة ، وظهور هذه الكثرة فى حقائق الانسان انما يتوقف على قيام الساعة لقوله تعالى : **﴿وَامْتَازُوا إِيَّاهَا الْمُجْرِمُونَ﴾** [٣٦/٥٩] .

تذكرة

الدنيا دار اشتباه ومخالطة ، متشابك فيها الحق والباطل ، ويتعانق فيها الخير والشر والنور والظلمة ، ويتقابل المتخاصمان ، والآخرة دار الفصل والتفريق ، يتفرق المختلفان ، **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾** [١٤/٣٠] ويتميز المتشابهان ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفصل الخصمان ، ويحق الحق ويبطل الباطل **﴿لَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَهُ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَهُ﴾** [٤٢/٨] ليحق الحق ويبطل الباطل **﴿وَالْآخِرَةُ دَارُ جَمْعٍ أَيْضًا، وَلَا مَنَافَاةٌ بَيْنَ هَذَا الْفَصْلِ وَذَاكِ الْجَمْعِ﴾** ، بل هذا يوجب ذاك كما في قوله تعالى : **﴿هُذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمِيعُنَا كُمْ وَالْأَوْلَيْنَ﴾** [٣٨/٧٧] و«الحشر» أيضاً بمعنى الجمع : **﴿وَحَشَرَ نَاهِمَ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** [٣٧/١٨] وحشر الخلاق على انحصار مختلفة حسب اعمالهم وملائكتهم ، فلقوم على سبيل الوفد **﴿يَوْمَ يَحْشِرُ الْمُتَقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفَدًا﴾** [٨٥/١٩] ولقوم على وجه التعذيب : **﴿وَيَوْمَ يَحْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾** [١٩/٤١] وبالجملة يحشر كل أحد إلى ما يتوجه إليه باطنه ويعمل لاجله ظاهره ويحبه بقلبه ويستache بجناهه : **﴿إِحْشِرُوهُمْ أَذْلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ﴾** [٢٢/٣٧] **﴿فَوْرَبِكُمْ لَنْحَشِرَنَاهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾** [٦٨/١٩] وفي الخبر عنه **عليه السلام** : انه لو أحب أحدكم حجر الحشر ٤٥٥ (١) .

تذكرة أخرى

اعلم ان عجائب عالم الآخرة عظيمة واسخاذة وانواعه كثيرة ، وكل ما يوجد في هذا العالم من الحيوانات يوجد نظيره في الآخرة مع انواع آخر لم يعهد في الدنيا ، وما سوى الانسان لا تنتهي من هذه الدار الى تلك الدار ، وإنما نشأت

جميع الخلائق يوم القيمة من ماهية الانسان وعقله الهيولاني .

ووجه ذلك ان تكرر الافاعيل والانفعالات البدنية يوجب حدوث الاخلاق والملكات النفسانية ، وكل صفة وملكة تغلب على باطن الانسان يتصور في الآخرة بصورة تناسبها ، ولاشك ان أفاعيل الاشقياء المدبرين بحسب هممهم القاصرة عن ارتقاء عالم الملوك ، النازلين بحسب دواعيهم الخسيسة في البرازخ الحيوانية بالاعمال الشهوية والغضبية والوهمية البهيمية والسبعية والشيطانية ، فلا جرم تكون تصوراتهم مقصورة على أغراض حيوانية أو شيطانية تغلب على نفوسهم ، ويحشرون على صور تلك الحيوانات والشياطين في دار الآخرة ، كما في قوله : ﴿وَإِذَا الْوَحُشُونَ حَشَرْتُمْ﴾ [١٩/٤٨] وقوله : ﴿لَنْ حَشِرُنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينُ﴾ [١٩/٤٨] وقوله : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصُّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٤٣/٣٦] وفي الحديث (١) : « يحشر الناس على نياتهم » « يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير » وهكذا الناس يتصورون بتصورهم الحقيقة الاخروية التي تقتضى ملكاتهم واخلاقهم على اهل الكشف واصحاب الشهود ، الذين غلب على باطنهم سلطان الآخرة ، ان في ذلك لaiات لقوم يعقلون .

قوله سبحانه :

أَوْلَمْ يَهِدِّ لَهُمْ كُلُّ أَهْلَكَانَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَلْفُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَبَرِّكِنَّهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَأْتِي إِلَّا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾

« الا او » للعطف على معطوف عليه أمر منوى من جنس المعطوف ، والفاعل في « يهد » مادل عليه « كم » اي كثرة اهلاكتنا القرون ، لانفس « كم » لانها لاتقع فاعلة ، فلا يقال : « جائنى كم رجل » ولأن « كم » في محل النصب على تقدير الاستفهام

الذى له صدر الكلام ، لأنه مفعول أهلك و«يمشون» فى محل النصب على الحال ، ويحتمل ان يكون الفاعل نفس هذا الكلام بحسب المحكى عنه ، والمعنى كقولك : «يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال » أو ضمير يرجع الى الله بدليل قرائة زيد « نهد » بصيغة المتكلم .

وقرء يمشون - بضم الياء وتشديد الشين - اي : اولم يبصرون لهم كم اهلكنا من القرون الماضية لکفرهم وعتواهم وارتكابهم المعاصي فانتقمنا منهم يمشون هؤلاء القوم - يعني کفار قريش - في مساكنهم ويمرون في متاجرهم على ديارهم وبладهم ويرون آثارهم .

وقيل معناه : انا اهلكناهم بغتة وهم مشغولون بصنائعهم ومساواون في منازلهم ، ان في ذلك دلالات واضحات على حقارة الدنيا والبحث على طلب الامور الباقيه ، أفلما يسمع هؤلاء الكفار من أهل التواريخ والحكايات ما يوعظون به من المواجهات والمنبهات .

مکاشفة الھامیة

« المشى في المساكن » اشاره الى وقوف قوم على أوائل الانظار ومبادى الافكار ، وعدم خروجهم عن عتبة باب المحسوسات وال الاوليات مع غاية سعيهم فيما لا يعني ونهاية جدهم في طلب هذا الفانى ، وهم يمشون في الحقيقة في مساكنهم ويجمعون تلقيقات أقوام بلا رؤية جمعاً ، وهم ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ [١٠٣/١٨] ومشاهدة هذا الحال في أكثر الجهال المتشبهين بأرباب الكمال ، المتورطين في م الواقع الهلاك والوبال ، الھائمين في اودية الشبه والضلال ، تنبيه بلين وهداية واضحة دلالة کاشفة لأهل الاستبصار والسلوك إلى عالم الملکوت وقرب الحق المهيمن المتعال ذى الجمال والجلال ، فيتفطن اللبيب الذکى انهم في واد واهل الآخرة في واد آخر ، ان في ذلك لایات لقوم يسمعون .

نصيحة

أهل الاستبصار لا يستنكفون عن التعلم استبداداً بالرأي ، ولا يجحدون الحق استباعاً للنفس والهوى ، او تقليداً وتعصباً للمذاهب والآباء ، ومما يؤيد هذا الوجه تعقيب هذه الآية بمثل وارد منه تعالى في غاية الملائمة لما كانابصده بحسب المضرب كما سنوجه .

قوله سبحانه :

أَوْلَمْ يَرَوْا إِنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجَرْزِ فَتَخْرُجُ بِهِ
زَرْعًا تَكُلُّ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَانْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ (٢٧)

«السوق» الحث على السير «والجرز» الأرض اليابسة التي جرز نباتها، اي قطع ، اما لعدم الماء او لامر آخر كالرعى وغيره ، ولا يقال للنى لاتبت كالسباخ «جرز» كما دل عليه قوله : «فتخروج به زرعا» واشتراق هذا اللفظ من قولهم : «سيف جراز» اي : قطاع لا يبقى شيئاً اقطعه ، وفي «الجرز» اربع لغات : بضم الجيم والراء ، وبفتحهما ، وبضم الجيم واسكان الراء ، وبفتح الجيم واسكان الراء .

قد نبه الله سبحانه الكفار بوجه آخر معطوف على الوجه السابق بقوله : أولم يروا انا - اي : اولم يعلموا انتا - نسوق الماء بالامطار والثلوج او الانهار والعيون الى الأرض اليابسة التي لانبات فيها ، وقيل : نسوق الماء بالسيول اليها ، لأنها مواضع عالية وهي قرى بين الشام واليمن - عن ابن عباس - وقيل : هي ابين(1).

(1) ابين : بفتح اوله ويكسر بوزن احمر ، ويقال : يبين ... وهو مخالف باليمن منه عدن (معجم البلدان) .

فيخرج به زرعاً تأكل منه - اي : من ذلك الزرع - انعامهم من عصبه ،
وانفسهم من حبه كمافي قوله تعالى : ﴿فَاكِهُوَ وَابْنُ مَتَاعٍ لَّكُمْ وَلَا نَعِمْكُم﴾ [٨٠/٣١-٣٢] فلا يتصرون بدائع صنعه ولطائف رحمته في حق انفسهم وفي حق انعامهم .

مکاشفہ قرآنیہ

لما كانت الآية السابقة بحسب ما وげهناها وأولنا اليه، اشارۃ الى الحث و التریغ للامتداء بانوار كتاب الله تعالى ، والارتفاع على اعلام الحقائق القرآنية ، و الزجر والتهذيد والنهی والوعید للقاعدین عن سلوك هذه الدرجة العظيمة ، بحكایة اهلاك قرون ماضیة كانوا يمشون في مساکنهم السفلیة و يتربدون في منازلهم الحسیة البدنیة ، لطلب الاغراض المخیسسة والمقاصد الحیوانیة ، فی هذه الایة اشارۃ تمثیلیة الى کون القرآن ماء يحيیی به اراضی القلوب المیتة بموت الجھالة والنقص ، كما يحيیی الارض الجرز بوابل السماء .

وتمثيل القرآن بماء المطر شائع في كتاب الله كما في قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاءِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [١٦/٦٥] وقوله يعني اولم يروا انفسهم ماء العلم القرآنى من سماء الملوك العقلى وجواً العالم الاعلى الى ارض النقوص الساذجة المنقطعة عن شواغل الدنيا وعواقب الهوى، فنخرج به زرع العلوم الكشفية الالهية والاداب والاحكام العملية يتغدى ويتقوى بالاولى روح الانسان وباطنه تكميلاً للقوة العقلية ، ويتروض ويتهذب بالثانوية نفس الانسان وظاهره تكميلاللقوة العملية ، فان النفس بمنزلة المركب للروح العقلى، كما ان البدن بمنزلة المركب للنفس الحيوانية ، ولهذا استعير لفظ الرياضة الموضوعة لمن يروض الحيوان - اى : يمنعه عن العلف لتقبل التأديب والتعليم - لاجل النفس الحيوانية عند تسخير الروح العقلى ايها وضبطه لها عن اللذات ، لتشابع قواها الروح في سلوكه طريق الحق وسيره الى الله .

فكمما ان القرآن العظيم يوجد فيه علوم الآخرة ومكاشفات الاسرار الالهية والآيات الربوبية، فكذلك يوجد فيه احكام الحل والحرمة، وطريق المعاملات، وكيفية المعاشرة مع الخلق وعلم التمدن والسياسات ، والجروح والقصاص ، والقضية والحكومات ، فتلك الآخرة، وهذه الدنيا على وجه يكون وسيلة للاحارة ، فافهم واغتنم .

ا فلا يصرون: اى آثار الحياة العقلية وشواهد الانوار الملكوتية في القلوب المهتدية بآيات المعارف القرآنية ، والنقوس التي أنبت الله فيها بمياه الالطاف الروحانية (الرحمنية-ن) اشجار الكلمات الطيبات التي اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ، وتلك الامثال نصر بها للناس .

قوله سبحانه :

وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ
الْفَتْحِ لَا يَسْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾

قال الفراء: المراد بهفتح مكة ، وقال السدي: «الفتح» هو القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر ، وقال مجاهد: هو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيمة كان الكفار يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم ، فقالوا لهم: متى هذا الفتح ، فامر الله نبيه ﷺ بأن يقول لهم وينبئهم على أن بعد الفتح لا ينفع ايمان من كان كافرا من قبل ، كما في قوله تعالى ﷺ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل ﷺ [٦/١٦٩] اى لا يمهلون ولا يؤخر عنهم العذاب .

هذا على تقدير أن تكون يوم الفتح القيمة ، وأما على أحد الوجهين الآخرين ففيه اشكالان: أحدهما عدم مطابقة الجواب للسؤال في الظاهر ، والثانى انه قد ندفع الایمان الطلقاء يوم فتح مكة وناساً يوم بدر .

والجواب عن الاول : أن مقصود السائلين عن وقت الفتح واستعجالهم به على وجه التكذيب والاستهزاء ، فوقع الجواب على حسب غرضهم واسلوب استبعادهم له ، فقيل لهم : لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا (تستبعدوه - ن) فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم به ، فلم ينفعكم ايمانكم يوم الحساب وللكم الاستمهال عن حلول العقاب .

وعن الثاني : أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل ، كمالاً ينفع ايمان فرعون حين الغرق .

كشف تنبئي

«يوم الفتح» يطلق تارة على وقت الولادة المعنوية التي ينفتح مملكة البدن وعساكر قواها البهيمية والسبعينية والشيطانية للروح ، وتارة يطلق على القيامه الصغرى وهو الموت الطبيعي الذى يفتح باب حجاب البدن ، وتارة يطلق على يوم القيامه الكبرى بظهور المهدى عليه وغلبه على الدجال والدجالين ، ولا ينفع حينئذ ايمان المحظوظين ، لانه لا يكون ايمانهم بحسب الكشف والبرهان ، بل بحسب حيث النفس واللسان والمجادلة والبحث والغيبة والطغيان ، فلا يغنى عن هؤلاء المحظوظين عذاب الطرد والبعد والحرمان .

قوله سبحانه :

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٢﴾

وانتظري يا محمد بوعدى لك ولقومك المؤمنين بالنصر على أعدائكم الجاحدين والمكذبين ، انهم متظرون حوادث الزمان فيكم من موت او قتل او غلبة منهم عليكم ، كما في قوله تعالى : «فتربصوا انتا معكم متربيصون» [٥٢/٩] وفي

قرأة ابن السمييع «منتظرون» - بفتح الظاء - وقيل في معناه : وانتظر هلا كهم فانهم
احقاء بأن بنتظر هلا كهم يعني : انهم حالكون لامحالة .

إشارة

يحتمل أن يكون المراد : انتظر الفتح الحقيقي والخلاص من آلام الدنيا
 وعداوة أهلها وكيد الاعداء وملاقاة الاصدقاء ومشاهدة أرواح الانبياء وملائكة الله
 في السماء، فان الأرواح والملائكة ينتظرون قدومك عند الارقاء الى الملك الاعلى
 الذي بيده ملکوت الاشياء .



خاتمة

في فضل السورة وعدد آياتها وموقع نزولها
عن أبي بن كعب (١) عن النبي ﷺ ، قال : من قرأ «الم تنزليل» و«تبارك
الذى بيده الملك» فكأنّما أحيا ليلة القدر .

وروى ليث (٢) عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ «الم
تنزيل» و«تبارك الذي بيده الملك» ، قال : ليث فذكرت ذلك لطاووس ، قال :
فضلتنا على كل سورة في القرآن ، ومن قرأهما كتب له ستون حسنة ومحى عنه ستون
سيئة ورفع له ستون درجة .

وروى الحسين بن أبي العلاء (٣) عن أبي عبدالله ؓ قال : من قرأ سورة
السجدة في كل ليلة جمعة ، أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه ، وكان
من رفقاء محمد وأهل بيته ؓ .

وفي الكشاف (٤) انه قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ «الم تزليل» في بيته
لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام .

* * *

وعدد آياتها تسع وعشرون آية بصرى وثلاثون عند الباقيين ، والاختلاف
في الآيتين : ألم - كوفى جديد حجازى شامي :
وهي مكية ماحلا ثلث آيات منها نزلت بالمدينة ، وهي : افمن كان
مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يسترون - الى تمام آلات .
تمت سورة ألم سجدة والحمد لله وحده

(١) مجمع البيان : ٣٢٤/٤

(٢) دار المنشور : ١٧٠/٥

(٣) ثواب الاعمال : ١٣٦

(٤) الكشاف : ٥٢٧/٢

تَعْصِيَرُ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

سُورَةُ الْحَدِيدِ

تأليف

صَدَّلُ الْمُنَّاْهِينَ

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَدَّلُ الدِّينِ الشَّيْخِ الْأَنْجَانِيِّ

تصحيح محمد خواجو

أَثْثَارَاتُ بِسْدَارٍ

قُمُّ

١٤٠٢ رجب ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبيه محمد خاتم النبئين، وعلى وصيه وخليقه خير الوصيin ، وعلى الآئمه المعصومين ، لاسمها خاتمهم حجة الله في السموات والأرضين صلوات الله عليهم اجمعين ، من الان الى قيام يوم الدين . وبعد : لما طبع الجزء الاول من التفسير الكبير لاستاذ البشر ، ومن تقدم بقدم العقل والكشف على من يأتي واغبر ، انسان العين وعين الانسان ، امام السالكين المقربين ، وبرهان الحكماء الالهيين ، صدر الملة والحق والدين ، محمد بن ابراهيم الشيرازي قدس الله سره الزكي وروح الله روحه العلى ، المشتهر بصدر المتألهين ، كانت منيتي ان اشرع في طبع الجزء الثاني ، ولكن حوادث الزمان وطوارق الحدثان كانت تعوقني عن طبع هذا الاثر القيّم ، كما كتبت في مقدمة كتابه الشريف المسمى بأسرار الآيات وانوار البينات الذي صحته وطبعه مجمع الفلسفة الاسلامية (انجمن حكمت وفلسفة ايران) .

فحينئذ شرعت في بقية اجزاء التفسير ، وتنقيحها الذي كتبه انا ملهم الشريفة في الازمان الماضية وبقى الى الان في المكتبات والمخازن محفوظة ، وتم التصحیح بحمد الله وحسن توفيقه في مدة قليلة وان كان بعد قد مضت عليها مدة من الزمان طويلا .

فلما اطلعت ان صديقى الفاضل المدير لمكتبة بيدار شرع فى طبع احد الاجزاء من تفسير القرآن لاصاحبنا قدس سره من قصار السور الى الطوال ، وهى سورة الزلزلة والطارق والاعلى وال الجمعة والواقعة، سلمت اليه كلما صحيحته ونحوته وكتبته بيدي ، كما قال فى تصديقه الذى طبع ونشر اخيراً ، والان شرع فى طبع الجزء الثاني من التفسير ، وهو سورة الم سجدة والحديد ، وأمرنى ان اقدم لها مقدمة بالاختصار واشير الى النسخ التى كان عليها مدار التصحح والمقابلة .

وكانت عندي نسخة مطبوعة طبعت فى سنة ١٣٢٢ هجرية طبعة حجرية ، وصورة فتوغرافية لمكتبة ملي ، ونسخة مصححة من مكتبة ملك ، المشتملة على سورة الم سجدة والحديد وآياتي النور والكرسى ، التى صحيحتها وقابلتها الاخوان الفاضلان الاخوند ميرزا محمد جعفر الكاشانى والاخوند ملا ابو القاسم الكاشانى مع نسخة المؤلف قدس سره وكتب احدهما فى آخر النسخة : «تمت المقابلة بقدر الوسع والطاقة بنسخة اصل مع اخوى جناب قدوسى ذات ملكوتى صفات ميرزا ابو القاسم فى سنة ١٢٩٧ هجرية» وبهذه النسخة قد تم تصحح سورة الم سجدة والحديد .
واما شرح حاله وشخصيته وآرائه الخاصة واساتذته وتلامذته مضبوط فى كتاب السير ، لاسيما فى مقدمة الجزء الاول من التفسير الكبير الذى طبع قبل سبع سنين .

وفي الخاتمة ارجو من الله الكريم ان يوفق الناشر فى طبع بقية الاجزاء من هذا التفسير النفيس باحسن وجه ، وعن القراء الكرام ذوى العزوالاكرام ان ينظروا بعين العفو والاغماض ، وانا حوج خلق الله الى رحمة ربى البارى محمد الخواجوى جعل الله تعالى آخرتى خيرا من دنيائي ، وكان الفراغ عن تحرير هذه المقدمة فى التاسع والعشرين من ربىع المولود سنة اثنتين واربع مائة بعد الالف من الهجرة البوية على صاحبها آلاف الثناء والتحية
محمد خواجوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه لآلی جواهر القرآن ودلائل كنوزه، وأشرق على ضمائر أحبائه لوامع أسرار التبيان وشواهد رموزه ، وأنار أرواحهم بمعرفته وأراهم بهدايته ملکوت السموات حينما جن " عليهم ليالي حجب الأجسام ليكونوا من الموقنين ، وكشف عن أبصار بصائرهم برياح رحمته أغشية التعلقات المانعة عن شهود جلال رب العالمين ، وأيد بنصره من يشاء من عباده لتفوية الدين ونصرة رجال المعرفة واليقين .

والصلوة على من أنزل عليه التنزيل بلسان جبرئيل، المنعوت اسمه في التوراة والإنجيل - محمد - وأهل بيته المكرمين العالمين بتأويل الأحاديث العارفين بأسرار التأويل المطهرين عن أرجاس مذاهب الجاهلية للباطل ، المقدسين عن أدناس العقائد الباطلة من التشبيه والتعطيل .

أما بعد : فيقول أفقر خلق الله وأحو جهن المستغنى بتأنيد مولاه عما عداه ، والمكتفى بنور هداته عن سواه -- محمد الموسوم بصدر الدين القوامي - قوّه الله بلطفة الاعتصامي :

اوسيكم -- أيها الأخوان الباحثين عن دقائق معرفة الله وملکوته بقوة التفكير والانتقال المتحررين أن تقصدوا جو الملکوت وتطيروا سماء قدس اللاهوت بجناحى

الوهم والخيال - عليكم بحبيل القرآن أن أردتم أن ترتفوا في الأسباب ، فان من لم يعتصم بحبيله فهو جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ، مخذول عند أولى البصائر والآباب في جميع الطرائق والابواب وان من لم يحكم أولاقواعد ظواهر التنزيل وأر كان بداياته ، ولم يتمرن بالعمل بأحكامه وآدابه عند سماع آياته - حتى اللغة والقراءة والترتيل - فهو حرى بأن لا يبلغ نهاياته ، بل عليه أن يقف عند ظواهر الشريعة موفيا حقوقها اذ لم يرزق من لوامع انوار الطريقه شروقها وبروقها والا فيقطع الشيطان طريقه بدقة كيده وجلائه ، ولا يبالى في أى واد يهلكه او يصيده بشركه وحياته .

ثم اقول لطائفة اخرى من اخوان الایمان الذين رزقهم الله فطنة يمكن لهم
بها الارتفاء الى مدارج العلم والعرفان اذا سلوكوا اطريق الصدق في اليقان: الى كم تر غبون
عن لباب القرآن الذى هو شفاء ورحمة للقلوب والصدور الى التبن والقشور الذى
فيه متع لكم ولذاتهمكم وأجسامكم التى هي آلات المعبود وتنسلون (يتسلىون -ن)
بالقرطاس المنقوش عن الرق المنشور ؟

حتّام تطوفون على سواحل ظواهر التنزيل وتعرضون عن غوص بواطن التأويل؟

أما حان لكم أن تغبطوا لمن غاص في عمق نيل التنزيل لنيل جواهر ما وادعه
الله على لسان جبرئيل؟ إلىكم تقتصرون عن الوصول إلى غررها وزواهرها بادمان
النظر والفكر إلى سوا حلها وظواهرها؟ ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله﴾ وأن تصوروا هممهم في التقرب إليه والابتغاء لوجهه دون من سواه؟

فهذه - اخلاقي في الكشف واليقين - بلغكم الله الى اوصي مناكم في معرفة
باب الدين - طائفة من قواعد أسرار القرآن المجيد وجملة من لطائف نكات ودلائل
معجزات ليات بينات من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد متعلقة بتفسير سورة الحديدة - ذكرت فيها لب التفاسير

المذكورة في معانيها ولخصت كلام المفسرين الناظرين في مبانيها، ثم أتبعتها بزائد طيبة يقتضيها الحال والمقام، واردقها بفوائد شريفة يفيضها المفضل المنعم ونستعين به في أن يمهلني الزمان للاتمام ويساعدني الدوران في الاختتام.

﴿فاتحة﴾

ان هذه السورة مشتملة على المقصد الاقصى والباب الاصفى من كيفية ارتقاء العباد من حضيض النقصان والخسنان الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله تعالى طلباً للقائه والارتحال من أسفل السافلين وتحت الشري في البعد، والحرمان عن مجاورة الرحمن الى اوج عوالي العلين وفوق السموات العلي من قرب رب الانس والجان وخالق النيران والجنان.

فإن خلاصة دعوة العباد ونقاوة سياقهم إلى الملك الجبار منحصرة في اقسام ستة: ثلاثة منها كالدعائم والأصول المهمة ، وهي تعريف الحق المسوق إليه المصمود له ، وبيان الصراط المستقيم الذي يجب سلوكه للوصول إليه ، وبيان الحال عند الوصول :

فالاول هو معرفة المبدئ ، والآخر هو معرفة المعاد ، والوسط هو معرفة الطريق .

واما الثلاثة الاخيرة فهى كالمعينة المتممة التي كانوا فل ، والقرب المحاصل بها للعبد من الحق هو قرب النوافل ، كما ان القرب المحاصل بالثلاثة الاول هو قرب الفرائض المشار اليه في الحديث المشهور.(١)

فاحدها تعريف السالكين إلى الحق تعالى المحبوبين دعوة العزيز الوهاب ولطائف تربية الرب لهم ودقائق صنعه فيهم لصفاء جواهرهم وظهوره أعيانهم عن الخبث والشين ونقاوة وجه مرآتهم عن الطبع والرین وتهيؤهم واستعدادهم لقبول

(١) لايزال العبد يتقارب إلى بالنوافل حتى أحبه ...

صورة الحق، وتصويف الناكبين عن الطريق الصالحين وكيفية حلول غضب الله عليهم وكيفية تذكيرهم لسوء استعداداتهم وخبث جواهرهم وذواتهم وترانيم الرؤساء والطبع على مرآتهم ، والمقصود فيهم اما التشويق والتغريب - كما في احوال المحبوبين - او الاعتبار والترهيب - كما في احوال المغضوب عليهم - . وثانيها حكاية افتضاح حال المجاهدين وكشف عواقبهم وتفسير عقوبائهم وتجهيزهم في تحريهم طريق الهلاك والبطلان بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق ، والمقصود فيه في جنحة الباطل الافضاح للتحذير والتنفير ، وفي جنحة الحق الاضاح للتبني والتقرير .

وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاهبة والاستعداد ، والمقصود فيه ان معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع اعيان مرحلة من مراحل سفره البعيد الذي يتطلب به تجارة لن تبور . فهذه هي المقاصد الستة المشتمل عليها المنحصر فيها سور القرآن وآياته ، وهذه السورة الواحدة لغاية شرفها وفضلها عقلاً وفلاحيث روى عن النبي ﷺ (١) «ان في المسبحات آية افضل من ألف آية يشتمل عليها وينحصر فيها جميع القرآن» .

* * *

ولنشرع في استنباط هذه النفائس الشريفة عن هذا البحر الخضيم بقوة العزيز الحكيم ، ولنسم «كل واحد من المعارف الثلاثة القرآنية التي هي الاصول باسم يناسبه كما فعله بعض أكابر العلماء وقد وجدناه في بعض مصطلحات العرفاء وذلك للدلالة على أن هذه المعارف في درجات متفاوتة من الشرف والفضيلة مع الشراك الجميع في الخير والمنفعة ، فأين معرفة ذات الحق وصفاته وأفعاله من معرفة علّف الدابة وسقيها في طريق المسفر اليه .

شرح المعارف الالهية المشتملة على معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاتاته

ومعرفة افعاله هو المصطلح عليه بـ «الكبوبيت الاحمر» الحاصل من الخوض في لجة بحر القرآن وأبعاضه والغوص في اعماقها .

وشرح طريق السلوك إلى الله تعالى وتعريف التبتّل إليه والانقطاع عن الدنيا هو المسمى بـ «العنبر والأشهب» و«العود الانفر» الحاصلين من السياحة في سواحل هذا البحر المحيط المتشعب عنه علوم الاخر والأوائل .. كما يتشعب من البحر الانهار والجداول .

وشرح احوال المسافرين عند الوصول إلى المهيمن المتعال هو الملقب بـ «الترافق الاكبر» و «المسك الاذفر» الحاصلين من التغلغل إلى جزائره عند استدرارهما من حيواناته .

ولك ان تسمى الثلاثة الروادف واقسام كل قسم منها باسم يناسبه . ولا يخفى على الزكي المتبصر مناسبة كل قسم بما وقعت التسمية به عليه ، واياك وان تحمل هذه الاسامي على الاستعارات الرسمية والتکلفات المجازية ، فانها ممقوته عند ذوى الجد من أبناء الحقيقة ، بل تحتتها رموز واسارات الى معان خفية يعرفها من يعرف الموازنة والمماثلة بين عالمي الملك والملكون والشهادة والغيب ، ولو ذهبنا الى تحقيق الموازنة بين هذه الامثلة الحسية وحقائقها الغيبية لادى الى الاطنان .

فلنعرض عنه الى الخوض في الكتاب مستمدأ من العزيز الوهاب .



قرله تعالی :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

لما لاح لك ان المعرف الالهية المشتملة عليهـا القسم الاول الذى يتوزع الى معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال هى «الكبريت الاحمر» فاعلم ان هذه الثلاثة ليست على رتبة واحدة ، فكما ان اخص فوائد الكبريت هو اليقوت الاحمر لانه اجل قدرأ و اعز وجودا ، لا يقع الا يسير منه بيد الملوك والسلطانين ، وربما يظفر بما دونه بالكثير ، فكذلك معرفة الذات لكونها اجل قدرأ ورتبة وأعظم رفعة لا يظفر بشئ منها الا ملوك الاخرة وسلطانينها - مثل الاولياء والانباء عليهم الصلوة والدعـاء «جل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحدا بعد واحد». .

ولكون معرفة الذات أضيق المعارف الالهية مسلكا ومجالا وأصعبها على الضمير اعتقادا ومقالا وأعصاها على الروية والفكراذعناؤن وأنفرها عن التحفظ والذكر ضبطا فلذلك لايشتمل القوآن منها الاعلى اشارات وتلویحات يرجع أكثرها الى

السلوب والتقدسيں ، كقوله تعالى بعد ما ختم سورة الواقعة بالامر بالتسبيح .
سبح لله - اى : نزهه وقدسه عما لا يليق بشأنه مما يوجب التكثير والتغيير ،
وببرئه من كل نقص - ما في السموات والارض .
وهو العزيز - في ذاته - والحكيم - في أفعاله لكونها على أحکم ترتيب
وأتقن نظام .

والصيغة تدل هيئنا على أن ما سند إليه الفعل ذلك هجّراً ودينه ، ويؤكّد
ذلك مجيهه على صيغة المضارع أيضاً في بعض الفوائح وهذا الفعل يتعدى باللام تارة
وبنفسه أخرى ، وأصله الثاني ، لأنَّه المنقول من سبْح اذا ذهب وبعد . فمعنى سبْحته
بعدته عن الشين . فاللام فيه اما أن يكون كاللام في «نصحته» و«نصحت له» .
او يكون معنى الكلام : احدث التسبيح ابتغاء لوجه الله خاصة ما فيهما .

قال مقاتل : يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيهما . ولعل
الغرض ان العقلاء يسبحونه قوله واعتقاد أو ما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات
فيسبحه بما فيه من الادلة الدالة على وحدانية مبدعه وصفاته التي تخصه ، فغير سبْحانه
عن هذه الدلالة بالتسبيح كانها اقرار منهم بلسان الحال من جهة امكانها وحدودتها
على الصانع القديم الواجب لذاته .

و يجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ و الدلالة لاسناده الى
ما يتصور منه ، وعليهما عند من جواز اطلاق اللفظ على معنويه وجوز بعضهم أن يكون
«ما» هيئنا بمعنى «من» ويؤيد ما حكى أبو زيد ان الحجاج زين كانوا اذا سمعوا الرعد
قالوا : «سبحان ما سبّحت له» وقيل : المراد منه كل ما يأتى منه التسبيح .

* * *

هذا تمام كلام الاعلام في هذا المقام ، ولا يخفى عدم ملائمة كل من النأويل
والتحصيص المستفاد من كلامهم لكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة
على تسبيح جميع الموجودات حقيقة - حتى المسمى بالجماد والنبات .

منها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ترَ إِنَّ اللَّهَ يَسْبِحُ لِهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطِيرَاتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [٤١/٢٤] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ترَ إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنَّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [١٨/٢٢] . وفي هاتين الآيتين اشعار بأن هذا تسبيح فطري وسجود ذاتي نشأ عن تجلٍ الحق لكل من خلق الله له وأنطقه الذي أنطق كل شيء ، فأحببواه وتواضعوا له من غير تكليف ، بل اقتضاء ذاتي طباعي ، والذى يمنع من هذه العبادة الذاتية الأفكار الوهمية والتخيلات الشيطانية التي يكون لاكثر الناس التي بها يستحق كثير منهم العقوبة والعذاب ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقٌ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [١٨/٢٢] .

والنكتة في أن «ألم تر» انى بها بصيغة خطاب المفرد ان غير النبي لم يشهد ذلك فهو له عيان ولنا ايمان .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوُ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِئُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سَجَدَ اللَّهُ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [٤٨/١٦] .

وكذا أمثلها ونظائرها من الآيات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة على وجه يستلزم الشعور والإدراك ، وكفاك في هذا التعميم والشمول قوله تعالى : ﴿ تَسْبِحُ لِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقِهُنَّ تَسْبِيحةَهُمْ ﴾ [٤٤/١٧] .

وحكاية تسبيح الحصى في كف النبي عليه السلام وسماعه و اسماعه أمر مشهور وفي ألسنة الرواية مذكور ، وبالإيمان والتصديق مقرر عند الجمهور .

ويعتقد أيضاً بماروى عن ابن مسعود انه قال : كنت مع رسول الله عليه السلام بمكة فخر جنافى بعض نواحيها، فما استقبله حجر ولا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله (١) وأمثاله كثيرة في الروايات فلا وجہ للعدول عن الظاهر المنقول المتلقى بالقبول

عند أرباب الكشف والشهود وأصحاب الإيمان والتسليم .

فإن قلت : التسبيح بالمعنى الظاهر منتف عن الجماد لعدم الارتك فيه .

قلنا : لأنسلم ذلك لعدم مайдل على نفي الشعور فيه مطلقا ، بل الدليل قائم في العلوم العقلية على أن الطبائع النوعية لها غايات طبيعية متربة على أفعالها ، وفيها علل غائية وأسباب مستدعاة لوقوع الفعل المخصوص منها ، الا ان غير أهل الكشف والحال اذا لم يقنعوا بمجرد التقليد في العقائد والآقوال تأبّت عقولهم عن الإيمان بهذا التسبيح وتعصّت عن دركه أفكارهم إلى أن يأتي الله لهم بالفتح أو أمر من عنده .

مِكَاشِفَةٌ

واعلم ان اثبات الشعور والارتكاك لجميع ما في العناصر والافلاك مما دلت عليه المباحث البرهانية وشهدت به العلوم الذوقية وأيدّته المقامات الكشفية كما أشرنا إليه ، وهو مذهب جم غفير من الراسخين في العلم واليقين ورأى طائفة عظيمة من المكاففين ، منهم الشيخ العارف والمحقق المكافف هحيي الدين الاعرابي وأتباعه وتلاميذه .

قال - قدس سره - : إن المسمى بالجماد والنبات لهم أرواح بطنّت عن ارتكاك غير أهل الكشف ايها في العادة (١) فلا يحس بها مثل ما يحس به من الحيوان ، فالكل عند أهل الكشف حيوان بل ناطق ، غير ان هذا المزاج المخاص يسمى انساناً لا غير ، ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف ، فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان يسمعه آذاناً منه و تناطينا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل

(١) وإنما قيد بقوله في العادة لامكان ظهورها والاحساس بها للمحجو بين أيضاً على العادة بواسطة نور النبوة كما في اسماع تسبيح الحصى في كفه فَلَمْ يَرَهُ كل من كان حاضراً . (منه - ره) .

انسان . انتهى .

* * *

وتحقيق هذا التسبیح يستدعي بسطاً في الكلام لا يسعه هذا المقام و ربما يؤدى ذلك إلى شنعة الجهال واللثام عند سمعائهم شيئاً يخالف ماتلقفوه من أخذوا منه تعصباً وتقليداً ، والذى يليق ذكره هيئناه ان لكل نوع من الانواع الجسمانية ملكاً مو كلاً عليه مدبراً لاحاده و معتينا بتربيه أفراده – كما ذهب اليه افلاطون والحكماء المشرقيون طباقاً للشريعة الحقة من تسمية بعض ملائكة الله المدبرين لأنواع الاجسام بالإضافة الى نوع ما يتعلّق بـ تعلق التدبیر والتأثير باذن رب العالمين الخبير ، كملك المجال وملك البحار وملك الرياح وملك الامطار .

فهذه حزب من الملائكة موكلة بجنس الاجسام ونسبة كل منها الى افراد مظهره الذي يقال له في عرف بعض عرفاء الحكماء الطالسين اتم في باب المعينة من نسبة النفوس الى ابدانها ، بل نسبة اليها نسبة حقيقة الشيء و ذاته المطلقة عن العوارض الخارجة الى ذلك الشيء .

فكما ان الافعال الصادرة عن الانسان بالاختيار انما يصدر عن هويته و ذاته الباطنة عن ادراك الحس – وهو نفسه المدبّرة له – والبدن في ذاته من حيث هو بدن لا شعور له بل لا وجود له كما حققنا ذلك في موضعه – فكذلك هذه الاجسام الطبيعية انما يصدر ما يناسب اليها من الحركة والسكنون والتغذية والتنمية والتواليد وغيرها من ملكتها وب بواسطتها التي هي صورة حقيقتها و مقوم ذاتها ، لامن جسميتها ومادتها .

ثم انه قد ثبتت في المعارف الربوبية ان كل ما يصدر عن المبادى الذاتية فهو انما يصدر عنها تضرعاً ورجوعاً الى باريها العالى ، لا التفاتاً الى السافل ، وحقيقة التسبیح ليست الا ما يستلزم الخضوع والتمجيد سواءً كان باللسان او بالآلة اخرى ، فأشخاص العالم بأسرها في هذه العبادة الذاتية وهذا السجود الفطري متدينة بهذا الدين الالهي الذي قام به وواظبه عليه الجميع ، الاكل مخلوق له قوة التفكير والروية وليس الا نفوس

الناطقة الإنسانية والحيوانية خاصة - من حيث أعيان نفوسيهم لامن حيث هيا كلهم ، فـان هيا كلهم كسائر العالم في التسبيح والسبود له ، لأنراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيمة من الجلود والأيدي والأرجل والأسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير .

فـان قلت : فـما تقول في الاستثناء الواقع في قوله تعالى : ﴿ فـسـجـدـ الـمـلـائـكـةـ كـلـهـمـ أـجـمـعـونـ إـلـاـ بـلـيـسـ اـبـيـ وـاسـتـكـبـرـ وـكـانـ مـنـ الـكـافـرـينـ ﴾ [٣٤/٢] فـان المسـجـدـةـ المـأـمـوـرـبـهـ لـادـمـ فـىـ الـحـقـيقـةـ سـجـدـتـهـ لـهـ تـعـالـىـ وـطـاعـةـ لـاـمـرـهـ ،ـ فـابـاءـ بـلـيـسـ مـنـ سـجـدـةـ آـدـمـ عـيـنـ اـبـائـهـ مـنـ سـجـدـةـ رـبـهـ وـلـهـذـاـ كـانـ مـنـ الـكـافـرـينـ ،ـ فـيـنـافـيـ ذـلـكـ بـحـسـبـ الـظـاهـرـ عـومـ الـآـيـاتـ الـمـنـقـولـةـ وـكـلـيـةـ الـحـكـمـ بـعـبـادـةـ كـلـ مـوـجـودـ مـنـ حـيـثـ هـوـ مـوـجـودـ عـبـادـةـ جـبـلـيـّـةـ .

قلـناـ :ـ انـ اـبـاءـ بـلـيـسـ عـنـ السـجـودـ وـاسـتـكـبـارـهـ وـعـصـيـانـهـ بـحـسـبـ ظـاهـرـ الـامرـ هـوـ عـيـنـ سـجـودـهـ وـطـاعـتـهـ وـخـدـمـتـهـ وـتـوـاضـعـهـ لـرـبـهـ باـعـتـبـارـ الـقـضـاءـ الـاـزـلـيـ ،ـ فـانـ العـزـيزـ الـجـلـيلـ أـقـامـهـ فـىـ حـجـابـ الـعـزـةـ وـالـجـلـالـ ذـلـيـلاـ مـحـجوـباـ حـتـىـ يـكـونـ بـلـيـسـ مـطـرـودـاـ مـلـعـونـاـ مـحـترـقاـ بـنـارـ الـبـعـدـ وـالـضـلـالـ فـىـ الدـنـيـاـ وـمـعـذـبـاـ بـنـارـ الـجـحـيمـ وـالـنـكـالـ فـىـ الـأـخـرـىـ .ـ حـسـبـ ماـ جـرـىـ عـلـيـهـ الـقـضـاءـ .ـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـ بـدـ منـ موـافـقـةـ عـلـمـهـ تـعـالـىـ الـذـىـ هـوـ عـيـنـ اـرـادـتـهـ وـلـذـلـكـ أـقـسـمـ بـعـزـتـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ لـاـغـوـاءـ لـاـنـ اـغـوـاءـ مـنـ مـقـتضـيـاتـ الـعـزـةـ ،ـ الـاحـتـجـابـ يـجـبـ الـجـلـالـ .

ولـلـعـلـ فـىـ قـوـلـهـ :ـ «ـ وـ هـوـ العـزـيزـ الـحـكـيمـ »ـ --ـ فـىـ هـذـهـ الـآـيـةـ .ـ اـيـمـاءـ بـأـنـ طـاعـةـ الـمـوـجـودـاتـ وـتـسـبـيـحـهـاـ لـلـحـقـ تـعـالـىـ عـلـىـ النـهـجـ الـطـبـاعـيـ الشـمـوـلـيـ الـذـىـ جـرـىـ عـلـيـهـ الـقـضـاءـ الـاـزـلـيـ ،ـ وـلـاـ يـمـكـنـ لـاـحدـ التـفـصـيـ عنـهـ وـالـعـدـولـ إـلـىـ غـيـرـهـ ،ـ فـعـصـيـانـ الـعـصـاةـ وـتـمـرـدـهـمـ نـحـرـ مـنـ الطـاعـةـ وـالـإـمـتـالـ لـحـكـمـ الـأـسـمـاءـ فـأـهـلـ الـحـجـابـ اوـ عـبـادـ الـكـثـراتـ لـاـ يـجـبـونـ دـعـوـةـ التـوـحـيدـ ،ـ وـمـنـ كـانـ فـىـ مـرـتـبـةـ الـجـمـعـ يـطـلـعـ عـلـىـ مـرـاتـبـهـ وـيـعـذرـ الـكـلـ فـيـمـاـ هـمـ عـلـيـهـ وـيـعـلـمـ اـنـ اـنـكـارـهـمـ عـيـنـ اـقـرـارـهـ وـفـرـارـهـمـ عـيـنـ الـاجـابـةـ لـدـعـوـةـ الـعـزـيزـ الـجـبارـ .

كما نقل عن سيد الاولىء أمير المؤمنين عليه اه قال: تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود . (١)

* * *

قوله عزوجل :

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحِبُّهُ وَيُمِيَّتُهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

المالك للشيء هو المتصرف فيه بأى وجه أراد من التصرف ، وهذا بالحقيقة لا يكون الا لمن له ذات ذلك الشيء بحيث يحييه ويميته اذا أراد والا لكان تصرفه متوقفا على تأثير سبب مبائن ، فلا يكون له التصرف بأى وجه شاء ، بل ببعض وجوه التصرف . فالمالك بالحقيقة من له ذات كل شيء فعبر عن الجميع بالاجسام العظام لانها الجلية المكشوفة الواقعة في عالم الشهادة .

وفي قوله تعالى : « وهو على كل شيء قادر » اشعار لطيف بما ذكر وبرهان شريف عليه ، لأن الموجودات مرتبطة بعضها ببعض ، متوقفة بعضها على بعض كأعضاء بدن واحد ، فلو لم يكن الباري موجوداً للكل لم يكن مالكا للبعض بالحقيقة .

مُكَاشِفَة

واعلم ان الموجود قد يكون وجوده لنفسه ، وقد يكون لشيء آخر كالاعراض
والصور لان وجوداتها ليست الا نعموتا واصفافا لغيرها لالذاتها ، بخلاف الاعيـان
الحـوـرـيـة لـان مـاهـيـاتـها لـيـسـتـ نـعـومـتاـ لـغـيرـهاـ .

والتحقيق ان وجود الموجدات في أنفسها ليس الا وجودها له تعالى ، لأن

جميعها فعل الحق ، والفعل من حيث هو فعل لاقوام له في نفسه الابالفاعل ، وما وجد من الافعال والاثار مستقلة دون ماتصدر عنها فليست هي بالحقيقة آثاراً لها بل يتعلق بها على نوع آخر من التعلق .

* * *

وهو وضع «يحيى» وما ينطوي عليه اما مرفوع على أنه خبر مبتدأ محدود ، أو منصوب على أنه حال من الضمير المجرور في «له» . ويحتمل عدم تعلق هذه الجملة بشيء فلا يكون لها موضع من الاعراب ، كقوله : «له ملك السموات» . او معناه : يحيى النطف والبيض في الدنيا ، والموتى يوم القيمة ، ويميت الاحياء في الآخرة .

وعن امير المؤمنين على عليه : يحيى بالطاعة ويميت بالمعصية .

وعن ابي بكر الوراق : يحيى بالعلم ويميت بالجهل .

وعن ابن عباس : يحيى عندبعث ويميت في الدنيا .

وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة في المعنى ، فان حياة العلم والطاعة من قبيل حياة الارواح في الآخرة ، وموت الجهل والمعصية من قبيل موت الاجسام في الدنيا .

مِكَاشَفَةٌ

ان نوع الاحياء مختلف في النشأتين ، لأن في الاولى تدريجي وفي الآخرة دفعي ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾ [٣٠/٢٧] مع كونه على كل شيء قادر بمنسبة واحدة من قبله ، فلا يتأبه قدرته عن شيء من المقدورات كما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات .

فإن قلت : ما واجه صدور الاماته منه تعالى مع كونه محض الرحمة ومنبع الخير والحياة ؟

قلنا : فعل الاماته منه تعالى لكونها مستلزمة للاحياء على وجه ابقى وأشرف حسن ، كما أن الامر بالقصاص لكونه يوجب الحبوبة على وجه أكثر وأصح حسن . او نقول : موت البدن من ضروريات قوام الروح بذاتها حية موجودة بالفعل وان كانت من أرواح الاشقياء المردودين وممن يأتيه الموت من كل مكان وما هو بيميت . ومما يؤيد ان الحياة الاخرة نوع أقوى من الحياة الدنيا قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غُطَائِكَ فِي صُرُكَ الْيَوْمِ حَدِيدٍ ﴾ [٢٢/٥٠] اذ حدة البصر وال بصيرة تدل على قوة الحياة والوجود .

قوله عزوجل :

هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

الواوات الثلاثة للجمعية ، لكن الاولى للدلالة على انه تعالى مجتمع صفتى التقدم والتأخر ، والثالثة على انه مجتمع الظهور والبطون ، والوسطى على انه الجامع بين ذينك المجموعتين - مجموع الاولية والاخيرية ومجموع الجلاء والخفاء - . وعن عبدالعزيز : ان الواوات مقحمة والمعنى : هو الاول الاخر الظاهر الباطن . لأن من كان منا أولا لا يكون آخرا ، ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا ، وهذا يلائم القول بأن أوليته عين آخريته ، وظاهريته عين باطننته .

وعن ابن عباس : الاول قبل كل شيء بلا ابتداء ، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء ، فهو الكائن لم يزل ، والباقي لا يزال ، والظاهر الغالب العالى على كل شيء فكل شيء دونه . والباطن العالى بكل شيء فلا أحد أعلم منه .

وتجيه هذا المنقول وان كان فيه عدول عن الظاهر المفهوم انه مأخوذ من بطنه الشيء بمعنى علم باطنه ، ولهذا أردف بقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لأن العالم بوجوه الشيء عالم بما سواه .

وعن الضحاك : هو الذي أَوْلَ الْأَوَّلَ وَآخِرُ الْآخِرَ، وَأَظْهَرَ الظَّاهِرَ وَأَبْطَنَ الْبَاطِنَ .

وقال البلاخي : هو كقول القائل «فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه» أى : عليه يدور الامر وبه يتم .

وقيل : هو المستمر الوجود في جميع الاذمنة الماضية والآتية ، الظاهر في جميعها بالادلة وال Shawahed ، الباطن عن ادراك الحواس والمشاعر الجلدية ، فيكون حجة على من جوز رؤيته تعالى في الآخرة بهذه الحاسة .

وقيل : ان الاول والآخر صفة الزمان بالذات ، والظاهر والباطن صفة المكان كذلك ، والحق تعالى وسع المكان ظاهراً وباطناً ووسع الزمان أولاً و آخرأً وهو منزه عن الافتقار إلى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان .

مِكَاشِفَةٌ

الاولية قد يكون بمعنى كون الشيء فاعلا ، والاخريه بمعنى كونه غاية متربة على وجود الفعل في العين – وان كانت الغاية بحسب وجوده في العلم متقدمة ايضاً فالله سبحانه اول كل شيء بمعنى أن وجوده حصل منه ، وبمعنى أن الغرض في حصول ذلك الشيء منه هو علمه بالمصلحة وكونه تماماً في الجود والرحمة ، فيضاً على الاشياء بلا عوض ، وآخر كل شيء بمعنى انه الغاية التي تطلبها الاشياء وتقصدده طبعاً وارادة .

والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه في جميع المخلوقات – على تفاوت طبقاتهم -- فالكتانات السفلية كالمبدعات العلوية على اقتراح شوق من هذا البحر الخضيم ، واعتراف شاهد مقر بوحدانية الحق العليم (ولكل وجهة هو مولّيه) [١٤٨/٢] فهو الحق الاول الذي منه ابتدأ أمر العالم ، وهو

الآخر الذى اليه ينساق وجود الاشياء سيّما بني آدم ، اذ منه صدر الوجود ولا جله وقع الكون .

وهو الآخر أيضاً بالإضافة الى سير المسافرين اليه ، فانهم لا يزالون متrocين من رتبة الى رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفناهم عن ذاتهم وهو يتهم واند كاك جبل وجودهم وانيتهم ، فهو أول في الوجود وآخر في المشاهدة ، والله عزّ اسمه - حيث أنبأنا عن غاية وجود العالم قال : ﴿ وَمَا خلقتُ الْجِنَّةِ وَالْأَنْسَسِ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنَ ﴾ [٥٦/٥١] أى : ليعرفون : وقوله : كُنْتَ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَيْتَ أَنْ تُعْرَفَ فَخَلَقْتَ الْخَلْقَ لِتَعْرَفَ . فدللنا على أنه الغاية القصوى لوجود العالم معروفاً كما أنه الفاعل له موجوداً، ودللنا أيضاً على بعض الغايات المتوسطة الضرورية بقوله: لولاك لاما خلقت الافلاك .

فالمبداً والغاية لوجود العالم ولقاء الآخرة هو الله سبحانه ولذلك بني العالم ولا جله نظم النظام .

قال بعض الحكماء : ولو أن أحداً من الخلق عرف الكمال الذي هو الخير الأقصى ، ثم كان ينظم الأمور التي صدرت منه على الوجه الذي صدرت هي عليه وعلى مثاله حتى كانت الأمور على غاية من النظام وال تمام لكان غرضه بالحقيقة هو ذات البارى ، فهو الأول والآخر بهذا المعنى أيضاً .

﴿ تَنْهِيَّمُ ﴾

قد انكشف ان الموجودات العالمية كلها بحسب فطرتها التي فطرها الله عليها متوجهة نحو غايات حقة وأغراض صحيحة ، بل الغاية في الجميع أمر واحد هو الخير الأقصى ، الا ان هيئنا غايات وهمية زينت لطوائف من المكلفين ، فهم سالكون إليها في ليس وعمادة من غير بصيرة و دراية ، فهو لاء الطوائف مع ولـي " الوجود ومنبع الرحمة والوجود في شقاق ، فهم ليسوا عباد الله في الحقيقة ولا الله مولـيـهم الحق ، وحيث ما يتوـلـونـه فلهم لامحالة ولـي" ، وهو شيطان من الطواغيت ، ولـما كان

فَعَلَ الشَّيْطَانُ الْوَسُوْسَةَ وَالْأَضْلَالَ وَلَا يُطِيعُهُ الْاَنْسَانُ اَلَا بِقُوَّتِهِ الْوَهْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ جُنُودِ الشَّيْطَانِ ، فَإِنْ شَاءَتْ سَمْهُمْ عَبْدَهُ الْهُوَى وَإِنْ شَاءَتْ سَمْهُمْ عَبْدَهُ الطَّاغُوتِ فَقَدْ نَزَلَ لِكُلِّ ذَلِكِ الْقُرْآنَ .

فمن تولى الله وأحب لقائه وجرى على ما أجرى عليه النظام فقد تولىهم و
﴿موليهم الحق﴾ [٦٢/٦] وهو يتولى الصالحين ﴿[١٩٦/٧] من كان الله
له، و ﴿من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت﴾ [٥/٢٩].

ومن تعدى ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع الهاوى فلكل نوع من الهاوى طاغوت ، فشخص كل الى معبوده ووجه اليه كما في قوله تعالى : ﴿ أَفْرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ اللَّهَ هُوَ إِلَهًا ۝ ﴾ [٤٥/٢٣].

وأنك لتعلم ان النظمات الوهمية والغايات الجزئية تض محل وتبقى ، فكل من كان الهه هواه ووليته الطاغوت - والطاغوت من جوهرة هذه النشأة الدنياوية التي هي دار الغرور وموطن الزور - كلما أمعنت هذه النشأة في العدم ازداد الطاغوت اضمحللاً فيذهب به معيناً في وروده العدم ، متقلبًا به في الدركات حتى يحله دار البوار .

عصمنا الله واحواننا في اليقين من متابعة الهوى والركون إلى زخارف الدنيا
وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم رحمته يوم الدين .

* * *

واما كونه ظاهراً : فلكونه نور السموات والارض ، والنور حقيقته الظهور ،
لان ماليست حقيقته النور فانما يظهر بالنور ، والنور بنفسه ظاهر وبذاته متجلٍ .
واما كونه باطناً - أى مختفيأً : فلشدة ظهوره وغاية وضوحه ولاجل ذلك
يمختفى على الصمائير والانظار ويحتجب عن العقول والابصار فذاته بذاته متجلٍ
للاشياء ولاجل قصور بعض الذات عن قبول تجلّيه يحتجب ، فبالحقيقة لا حجاب الا
في الممحوجين .

والحجاج هو القصور والضعف والنقص ، وليس تجلّيه الا حقيقة ذاته ،

اذ لامعنى له بذاته الا صريح ذاته ، لأن صفاته ليست زائدة على ذاته كما أوضحته الربانيون .

أولاً ترى الشمس التي هي أشد الانوار الحسية وأقوى الاصوات البصرية كيف احتجبت لفروط ظهورها على الحاسة البصرية حتى لا يمكن للبصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها الا من وراء الحجاب كالمرآة أو الماء أو السحاب الرقيق ، كما قال الشاعر :
 كالشمس يمنعك اجتلاوك وجهها * فإذا اكتست برقق غيم أمكننا
 وكذلك الحق سبحانه ، فإنه وإن لم تحظ بحقيقة العقول والافكار ولم يدرك ذاته البصائر والابصار الا انه ليس لوجهه نقاب الا النور ، ولا لذاته حجاب الا الظهور ، ولم يمنع القلوب من الاستئنار والاستجلاء بعد تزكيتها عن كدورات الشهوات الا شدة الاشراق وضعف الاحداق .

فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق نوره واحتجب عن عقولهم لفروط الوضوح ظهوره ، وهو بكل شيء علیم ، لأنه بنور ذاته يظهر جميع الأشياء على ذاته ، اذ العلم بالشيء ليس الا ظهوره عند شيء آخر ومشوله بين يديه والله خالق كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء اذ بيده ملکوت الأشياء ، ومنه ينشأ حقائق الانباء .

قوله عز وجل :

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ

أصل الخلق : التقدير . والاستواء : الاعتدال والاستقامة ونقضيه الاعوجاج . والعرش : السرير ومنه : ﴿ولها عرش عظيم﴾ [٢٣/٢٧] والعرش : الملك ، يقال : ثل عرشه . والعرش : السقف ، ومنه قوله تعالى : ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ [٢٥٩/٢]

والمعنى : انه لما ذكر ان جميع الموجودات يمجدونه ويسبحونه ويعظمونه

- كل منها على قدر وعاء وجوده وحوصلة ادراكه وشعوره - لعظمته ومجده وجماله وجلاله، وبين ذلك بأن له التصرف في الجميع بالملكية والإفادة والحياة والامانة ، وانه أول كل شيء وآخره ظاهره وباطنه ، والمملوك لا محالة تكون خاضعاً ساجداً لربه ومطيناً لخالقه ، فأراد أن يشعر بأن كونه بحيث يخضعه ويُسجد له الجميع ليس أمراً جزافياً أو اتفاقياً ، او حكماً اجبارياً من غير استحقاق ، بل هو أمر يليق بشأنه ، واقع في مقابلة لطفه واحسانه وكرمه وامتنانه ، حيث نظم امور العالم على أبدع نظام وأفاد وجود كليات الجواهر وعظام الاجرام على أشرف وضع وانتظام .

اذا أنشأ أعيان السموات وأبدعها لامن شيء يقتضيه ولا على مثال يحتذيه ، ثم أمسكها بلا عمد وأنشأ الأرض وأوجدها بلا اعتماد في ستة أيام - ولم يخلقها في لحظة واحدة وان كان مقدوراً له تعالى لأن خلقها في هذه المدة أصلح وألائق بحال الكائنات وأنساب بنظام المخلوقات .

ورتبها على أيام الأسبوع ، فابتداً بالاحد وختم بالجمعة ، فاجتمع له الخلق يوم الجمعة ، فلذلك تسمى الجمعة -- عن مجاهد .

وقيل: ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على التدرج والترتيب أدلّ على كون فاعله عالماً مدبراً يصرّفه على اختياره كيف يشاء حريراً بأن يعبده ويُسجد له ويطيع أمره جميع عباده ومن كان في ملکه وملکوته .
وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي : استوى أمره الى ملکه لأن الامور والتداريب تنزل منه .

وعن الحسن : يعني استقر ملکه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة .

وانما أخرج هذا على المتعارف في كلام العرب كقولهم : «استوى الملك على عرشه » - اذا انتظمت امور مملكته - و اذا اختعل أمر ملکه قالوا : « ثلّ عرشه » . ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير أصلًا ولا يجلس على سريره أبداً ، قال الشاعر :

اذا ما بنو مروان ثلثت عروشهم وأودت كما أودت أياد وحمير وقيل معناه : ثم قصد الى خلق العرش - عن الفراء وجماعة واختارة القاضى . ويلزم منه أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض ، وليس بذلك مع بعده عن اللفظ .

وروى عن مالك بن أنس انه قال : الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة ، والسؤال عنه بدعة .

وعن أبي حنيفة انه قال : اقرؤه كما جاء . أى : لاتفسوه .

مِنْ كَا شَفَةٌ

اعلم انه خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير محكم ، فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب مع نقوسها المجردة المحرك ايها بأمر باريها طاعة وخدمة لمبدعها وتشوقاً الى جعلها ، كما أشار اليه بقوله : ﴿فَقَضَيْهِنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا﴾ [٤٢/٤١] .

وعدل الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسمًا قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال وأشار اليه بقوله : خلق الأرض - أى : مافي جهة السفل - في يومين . ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتراكيب موادها أولاً وتصویرها ثانيةً كما قال بعد قوله : « وخلق الأرض في يومين » - وجعل فيها رواسى من فوقها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام - أى مع اليومين الاولين ، لقوله في سورة المسجدة : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ﴾ [٣٢/٤] .

ثم لما تم عالم الملك بأمره عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة ، فدبّر الامر من السماء الى الارض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب

وتمزيج القوى والكيفيات مما يلح في الأرض وما يخرج منها ، وامدادها بما ينزل من السماء ، وهدايتها بما يعرج فيها ، وهو أقرب إلى كل شيءٍ من هذه الوسائل لأن له التأثير والإيجاد ومنها التهيئة والأعداد ، فهو تعالى مع كل شيءٍ أينما كان ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت .

مِنْ كَاشِفَةٍ

اعلم ان المكشوف عند ذوى البصائر ان الحق سبحانه خلق السموات والارض في ستة أيام من الايام الالهية التي كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، وهي من زمان آدم الى زمان محمد ﷺ جميع دور خفاء الذات واحتياجاتها بالاسماء ، وظهور الاسماء في مظاهر الاشياء كل يوم منها ميلاد واحد من الانبياء العظام من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - .

ثم استوى على عرش الذات وهو الروح الاعظم باسم الرحمن في اليوم السابع وهو يوم الجمعة لحشر الخلائق فيه وجمعهم وحسابهم وميز انهم لقوله تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ [١١/١٠٣].

وقد اشتهر فيما بين الناس في جميع الامصار ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب السبعة ، فكل الف سنة يوم من أيام الله لقوله تعالى : ﴿ وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [٢٢/٤٧].

فالستة منها هي التي خلق الله فيها السموات والارض وما فيها لان الخلق حجاب الحق . فمعنى خلق : اختفى بهما فأظهرهما وبطن ويوم السابع هو يوم الجمع ، وزمان الاستواء على العرش ، والظهور بالاسماء ، وهذا الظهور يتدنى في السابع مع ظهور محمد ﷺ كما روى انه قال : « بعثت اذا وال الساعة كهاتين - وجمع بين المسابة والوسطى - » (١).

(١) الترمذى: كتاب الفتن بباب ماجاء في قول النبي ﷺ : بعثت أنا.. ٤٩٧/٣

ويزداد الى تمام سبعة آلاف سنة من لدن آدم أول الانبياء الى زمان خاتم الاولىء - المهدى صاحب الزمان عليه السلام - وتنقضى الخفایا لظهور النام لقيام الساعة ووقوع القيمة الكبرى ، وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب والميزان ويتميز أهل الجنة والنار ويرى عرش الله بارزاً - كما حكى بعض العرفاء عن شهوده - .

وتمام ظهور هذه الامور في الاخرة ، وان كان العارفون يشاهدونها في مرآة الدنيا ، فابتداء يوم القيمة - الذى قد طلع فجره - ببعثة نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسالم ، فالمحمديون لكونهم خير امة آخر جرت للناس أهل الجمعة ومحمد صلوات الله عليه وآله وسالم صاحبها وخاتم النبيين . واتفق أهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع ، الا ان اليهود قالوا : انه السبت وابتداء الخلق من الاحد . وعلى ما ذكر يكون هو الجمعة .

وان جعلنا الاحد أول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء وفي السادس ابتداء الظهور وازداد في الخواص كما ذكر انه « يوم خلق آدم » - أى : الحقيقي - « ويوم الساعة » « ويوم المزيد » حتى ينتهي الى تمام الظهور وارتفاع الخفاء في آخره عند خروج المهدى عليه السلام ، ويعلم الظهور في السابع الذي هو السبت .

* * *

ولزيادة توضيح هذا المقام نمهد مقدمة من الكلام ، فنقول :
ان ما أوجده الله تعالى بحكمته البالغة ونظمها بنظامه البديع لا يخلو عن قسمين :
اما امور طبيعية جسمانية ، واما امور الهمية روحانية .

اما الامور الطبيعية الجسمانية فحدودتها وانشاؤها لا يكون الا على سبيل التدرج ومرالدهور والازمان ، اذ المعنى بالطبيعي هو ما يصدر عن الطبيعة بقدرة الله تعالى ، والطبيعة بما هي طبيعة ليست حققتها الا منشأ الحركة والسكن في الجسم الطبيعي - وهو ما زمانيان كما حافق في مظانه - والطبيعي اذن تدريجي لامحالة ، فوجود العالم

الجسمانى – فلكيأً كان أو عنصرياً – تدريجي ، لأن حقيقتها متقومة بالتغيير .
 وكل عاقل لبيب اذا فكر في كيفية ايجاد الاجسام الطبيعية وعوارضها وصفاتها
 الطبيعية يعلم ويتحقق انها واقعة في مقدار من الزمان ، ويتيقن ان هيولى الكل قد
 أتى عليه دهر طويل وأمد مديد الى أن تم prez وتميز اللطيف منها من الكثيف ،
 والعالى منها من السافل ، والفلکي منها من العنصري ، والنير من المظلوم ، وتقبل
 الکرات الفلكية والانوار الكوكبية وتحيط بعضها ببعض ، والى أن استدارت الاجرام
 الكلية والكرات الكوكبية وركبت على مراكزها ، والى أن تميزت الاركان الاربعة
 وترتبت مراتبها ومزجت فنون تمزيقاتها ليتنظم الكل كأنها شخص واحد متعاون
 بعضها ببعض ، متنفع بعضها من بعض كبعض بدن واحد انسانى فى مدة العمر .
 والدليل على ذلك قول الله سبحانه : ﴿ خلق السموات والارض فى ستة أيام ﴾
 ﴿ وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون ﴾ [٤٧/٢٢] .

وأما الامور الربانية والاشعة الالهية فهي كأنها من مراتب علمه الازلى وعالم
 قضائه وأمره السرمدى وحجب ربوبيته وسرادقات عزته لا يبلغ عقول البشر كنهها ،
 وقد يعبر عنها فى لسان الشريعة بعبارات ورموز لا يفهم مغزاها الا من أيدى الله
 بنوفيق خاص وهى المشار اليها فى قوله تعالى : ﴿ وما أمرنا الا واحدة كلمح
 بالبصر ﴾ [٥٤/٥٠] تنبئها على عدم تجددها وتغيرها وارتفاعها عن عالم الزمان والتغيير .

* * *

وقد وقع فى بعض شرائع السابقين وملل الاقدمين اشارة الى كيفية حدوث
 الافلاك وما فى جوفها من أمر الله سبحانه على سبيل الرمز (١) :
 انه قد أتى دهر طويل على النفس الكلى – أى الملك الاعظم المحاصل للعرش
 الرئيس على جملة الحملة والمدبرات السماوية – قبل تعلقها بالجسم ذى الابعاد ،

(١) مقتبس من رسائل اخوان الصفا : الرسالة التاسعة من النسانيات
 والعقليات ٣٥٣٥ :

و كانت في عالمها الروحاني ومحلها النوراني مقبلة على مفاصيلها و مبدعها و مكملاها يقبل عنه الفيض والفضائل الكثيرة وكانت منعمة ملائكة مسترية فرحانة من تلك الفضائل والخيرات فأخذها شبيه المخاض ، فأقبلت تطلب ما تفيض عليه من تلك الخيرات وكان الجسم بحسب هيوليته فارغا قبل ذلك من الاشكال و الصور والنقوش ، فأقبلت النفس على الهيولي ليميز الكثيف من اللطيف ويفيض عليه تلك الفضائل والخيرات .

فلما رأى البارى جل ذكره ذلك منها ومن الجسم تهيئ لها فخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك وأطباق السموات من لدن العرش الى قرار الأرضين على أحسن نظام وترتيب مما هي عليه الآن ، وهكذا يفيض تلك الفضائل والخيرات من الصور والكيفيات متتجدة متعاقبة في أزمنة متراولة و دهور كثيرة لاستحالة الجمع بين الصورتين في زمان واحد .

فهمهما استوقفت افاضة الصور والكيفيات المقدرة في قضاء الله وقدره على المواد الفلكية و العنصرية سكنت الأفلاك عن الدوران ، والكواكب عن السير ، والاركان عن الاختلاط والمزاج ، وكلت القوى الجسمانية و الآلات ، وبلي الحيوان والمعادن والنبات ، وخلع الصور والاشكال والنقوش ، وانفطرت السموات وانشققت ، وهدمت الجبال وبرست ، وتبقى فارغة كما كانت بديتا .

فرجعت النفس المدبرة الكلية الى عالمها الروحاني ومحلها النوراني وحالتها الاولى وأعرضت عن شغلها الذي كان وأقبلت نحو علتها المفيدة ولحقت بها. لأن مثل النفس في اقبالها على الجسم و اشتغالها بتدبیره واصلاحه - بعد ما كانت مقبلة على مبدعها مستفيدة منه الفيض - كمثل الرجل الخير العاقل المقبول أولا على استداره المحب لعلمه ، المحرirsch في تعليمه للعلوم والحكم والمعارف ، المتخلق بأخلاقه الجميلة وآدابه الصحيحة برهة من الزمان حتى امتلاء من الخيرات والفضائل والعلوم والحكم أخذه عند ذلك شبه المخاض و اشتهى و تمنى و طلب من يفيض عليه من تلك المخيرات والفضائل ويفيده ايها ، فإذا وجد تلميذًا يعلم انه

يقبل منه ويفهم عنه علمه وحكمته أقبل عليه بالفيض والارشاد والافادة – طمعا في اصلاحه وحرضا على تعليمه وتأديبه تشبهها باستاذه الاول – فإذا فرغ من تعليمه وتأدبيه أقبل عند ذلك على عبادة ربه وطلب الخلوات بمناجاة ربه وتمني اللحوق بأسلافه وأقاربه والدخول في زمرة الملائكة .

وهكذا كانت سيرة الانبياء ﷺ وكذلك كانت سيرة الحكماء المتقدمين الذين أخذوا الحكمة من مشكوة النبوة ، كل ذلك تشبهها بالله في اظهار حكمته وفيض فضائله على بريته واعطاء نعمته على خليقته .

كلام من الحكماء شبه رمز (١)

ذكروا ان ملكا عظيم الشأن ، عزيز السلطان ، واسع المملكة ، كثير الجنود والعبيد ولد له ولد ذكر كان أقرب الخلق به شبها والى والده (والديه - ن) طيبا وخلقها ، فلمّا تربا ونشأ وكملا ولاه أبوه بعض مملكته وأمر أجناده وعيده بطاعته ، واوصاه بحسن سياستهم وأباحه جميع النعم – غير انه نهان عن مرتبته . فمكث ذلك الابن زمانا طويلا قدر نصف يوم متذبذبا الا أنّه كان ساهيا ، فحسده بعض عبيد الملك من كأن متنينا قبله ، فقال : « انت لست تعرف نعمة ، ولا تجد لذّة ، لأنك ممنوع من أرفع نعمة ، منهي عن أذشهوة » .

فاغتر بقوله وطلب ما ليس له أنيتناوله قبل حينه فسقطت مرتبته وانحطت درجهه عند أبيه وبدت له سوئته وخسته واستبانة خطيبته ، فهرب خوفا من أبيه ذاهبا في مملكته شبه المستتر ، فأصابه العناء ولقيه البأساء والضراء والجهد والبلاء ، فتذكر يوما ما كان فيه من نعمة أبيه ، فحزن على ما فاته وبكي أسفًا ، ثم نعس فنام ، فحمل الى أبيه . فقال : « دعوه نائما الى يوم الجمعة » .

ثم انه ولد في اليوم الثاني ابن آخر أشبه الناس بأخيه ، فتربي ونشأ وكمل

ونما و كان حكيمًا و قوراً صبوراً شكوراً ، فولاه أبوه بعض مملكته و أمرهم بطاعته و اوصاه بسياستهم . فدعاهم و أمرهم و نهاهم . فلم يسمعوا ولم يطعوا له أمره لانه كان شبيه زحل ، بل آذوه فصبر زمانا ثم شكى الى أبيه ، فغضب عليهم ورمى أكثرهم في الماء .

فلما رأى ما أصحابهم اغتم وحزن ونعش فنام وحمل الى أبيه ، فقال : « اتركوه نائما الى يوم الجمعة » .

ثم انه رزق في اليوم الثالث ابن آخر و كان أشبه بأخويه الذين تقدم ذكرهما ، و كان خيرًا فاضلا نجحا ، فولاه أبوه مكان أخويه و أمرهم بطاعته و اوصى اليه بما اوصى الى أخويه من قبل ، فدعاهم و أمرهم و نهاهم فلم يسمعوا ولم يطعوا لانه كان يشبه المشتري وفزعوه بالنار ، فذهب الى أبيه و بنى له هيكلًا ونذر له قرباناً وعلم مناسكاً . ونادى في الناس : « تعالوا لتروا مالم ترروا ، وتسمعوا مالم تسمعوا ». ثم نام وحمل الى أبيه فقال : « اتركوه نائما الى يوم الجمعة » .

وبقى نداوه في مسامع النقوس يتوارثونه من غير أن سمعوا وينهبون الى هيكله فيرون ظاهره — ومر ما مم لا يصرون — ويفعلون شبه مناسكه ولكن أكثرهم لا يفهمون لأنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون .

ثم انه رزق في اليوم الرابع ابن آخر ، فنشأ وكمل ونم و كان جلدًا قويا مقداما ، فولاه أبوه مكان اخوته و أمرهم بطاعته ، فدعاهم و أمرهم و نهاهم ، فلم يسمعوا ولم يطعوا ، لانه كان يشبه المريخ . وبارزوه وبارزهم ، وناوشوه وناوشهم ونازعهم ، و كان مؤيدا بقوة أبيه فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتت الفهم ، ورمى بهم في البر والبحر ، ثم بقى وحيدا كالغرير يدعوا فلا يجاب ويأمر فلا يهاب ، فاغتم وحزن ونعش فنام وحمل الى أبيه ، فقال : « دعوه نائما الى يوم الجمعة » .

ثم انه رزق في اليوم الخامس ابن آخر أشبه الناس بأخيه الاول ، فتربي ونشأ وكمل ونم ، و كان هادياً رشيداً طيباً رفيعاً ، فولاه أبوه مكان اخوته ، فدعاهم و أمرهم و نهاهم ، فلم يسمعوا له الاقليلا ولم يطعوه الايسيراً لانه كان يشبه الزهرة ،

ثم وثبوا عليه فأخذوا قميصه الذى ألبسته امه ، فذهب الى أبيه فاستقر عليهم بمنوده وأيديهم (١) بروح منه ، فسرى فى نفوسهم وتحكم فى لاهوتهم بدلاً وقصاصاً لما تحكموا فى ناسوته ، و أراد أن ينزل من الرأس ، فقال أبوه : « اصبر الى يوم الجمعة » .

ثم قال الملك فى يوم السادس للمنجمين : « اختاروا لابنى الذى يشبه عطارد يوماً لينزل الى عالم الكون والفساد فيه اخوته النائم ، ويناديهم الى ربهم ، فقد رضيت عنهم ، ويأمرهم بالاستعداد للصلوة فان غدا هو يوم العيد - يوم الجمعة فيبرز للقضاء ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون » .

فاجتمع سادة النجوم ورؤساء الكواكب فى بيت المريخ ، وتشاوروا بينهم فقال رئيس الكواكب وملوكها: (٢) « أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائلى : العظمة والجلالة ، والرئاسة والسلطان ، والعز والرفة ، والبهجة والبهاء ، والمجد والثناء ، والبذل والعطاء » .

وقال شيخهم كيوان : « أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائلى : الحلم والوقار ، والصبر والثبات ، وبعد الغور وعلو الهمة ، والحفظ والأمانة ، والتفكير والرويّة » .

وقال برجيس القاضى العادل : « أنا اختار له من فضائلى وازوده من قوتي: الدين والورع ، والخير والصلاح ، و العدل والانصاف ، والصدق و الصيانة والمروة » .

وقال بهرام صاحب الجيوش : « أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائلى: العزم والصرامة ، والنجدة والشجاعة ، والهمة والنشاط ، والظفر والغلبة ، والبذل والسماء ، والتيقظ والانفة » .

(١) اخوان الصفا : فاستقر عليهم بمنوده وايديه

(٢) اخوان الصفا : وملوكها الشمس .

وقالت نــاهيد اخت النجوم : «أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائيــ :
الحسن والجمال والكمال ، والرأفة والرحمة ، والزينة والنظافة ، والحب والمودة
والسرور واللذة ». .

وقال أخوهم الأصغر - وهو أخفاهم منظراً وأجلهم مخبراً الذي صنعه أظهره
علومه أكثر وعجبائه أشهرــ : «أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائيــ وآؤيده
من مناببي : النطق والفصاحة ، والتميز والقطنة القراءة ، والعلوم والحكمة ». .
قالت أمــ النجوم : «أنا ارضعه واربــيه ، واختار له من قوتي وازوــده من
فضائيــ : النور والبهاء ، والزيادة والنماء ، والحركة في الاقطار ، والتنقل في
الاسفار ، وبلغ الامال ، والسير والاختبار ، وعلوم مواعيــت الاجال ». .

* * *

ثم انه دارت الافلاك وتم خــضــت قوى الروحانيــات - أهل السموات - فنزل
إلى عالم الكون والفساد في ليلة القدر قبل طلوع الفجر صاحب النشور ليتفتح في
الصور ، فمكث هذا المولود في الرحم أربعين يوماً من أيام الشمس وعشرين
يوماً في الرضاع ، حتى تربــى ونشأ وكمــل ونما ، وكان اشد الناس شــبها بــ أخيــه
الثالث ، لأنــه كان يشبه العطارد الذي هو أخــو المشترى .

فصار هذا المولود من بين اخــوته أتمــهم بنية وأكــملــهم صورة ، وكان أديــباً
عالماً حــكــيــماً مــلــكاً عــزــيزــاً رــحــيمــاً مــاماً عــادــلاً نــبــياً مــرــســلاً ، فــولــاه أبوه مــملــكة اخــوته كلــها ،
فــظــهــرــ وــقــهــرــ من خــالــفــهــ ، وــرــفــعــ وــاعــزــ من وــافــقــهــ ، وــحــكــمــ في مــمــلــكــتــهــ نحو ثــلــثــيــنــ يومــاً من
أيــامــ الشــمــســ ، ثــمــ أصــابــتــهــ العــيــنــ فــاعــتــلــ وــبــقــىــ على الفــرــاشــ نحو يومــ من أيــامــ القــمرــ
مــريــضــ الجــســمــ عــلــيــلــ النــفــســ ، ثــمــ تــحــوــلــ إــلــىــ دــارــ اــخــرــىــ وــنــهــضــ قــلــيــلــاــ وــمــشــىــ وــنــشــطــ
وــانــبــســطــ وــدــخــلــ إــلــىــ كــهــفــ أــبــيــهــ وــنــامــ معــ اــخــوــتــهــ .

فــمــكــثــوا زــمانــاً ، فــلــمــا انــقــضــى دورــ الرــقــادــ وــتــقــارــبــ المــيــعــادــ نــادــاــهــمــ الــمــلــكــ : «أــلمــ
يــأــنــ تــنــتــبــهــوا مــنــ نــوــمــكــمــ ، وــتــســتــيقــظــوا وــتــذــكــرــوا مــا نــســيــتــ منــ أــمــرــ مــبــدــأــكــمــ ،
وــتــرــجــعــوا مــعــادــكــمــ مــنــ أــســفــارــكــمــ ، وــتــأــلوــونــ إــلــىــ دــارــ مــقــامــكــ مــنــ غــربــتــكــمــ ؟ــ فــقــدــ تــمــ

خلق السموات السبع في سة أيام وغداً الجمعة يستوى بكم على العرش ويحمله يومئذ ثمانية » .

فانتبهت لذلك الاخوة الذين قيل : ﴿ انهم سبعة وثمانونهم كلبيهم ﴾ بعد رقتهم
ثلثاء وأربعة وخمسين من أيام الشمس بحساب القمر ، يتذكرونكم ليثبتم في كهفهم؟
قال أبوهم لأخيهما : ﴿ فلا تمار فيهم الا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً ﴾ [٢٢/١٨] .

فأحفى أمرهم وكتم أسرارهم لانه ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثرا هو معهم أينما كانوا
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ﴾ [٥٨/٧] وهو يوم جمع الخلائق كلهم للجزاء .

* * *

وكما (١) ان للملك مدينة فيها جنوده وممالكيه ، وlahل تلك المدينة عمال
وصناع لهم اجرة وارزاق ، وفيها تجار وبياع يتعاملون بموازين ومكائيل ، و لهم
مظالم وخصوصيات ولهم فيها قضاعة وعدول ، و لهم فقه واحكام وفصول ، وان من
سنة القضاة البروز والمجلوس فى كل سبعة ايام يوم واحد : فهكذا يجري حكم
النفوس الكلية وملائكة الله تعالى العمالة باذنه فى الانفس الجozئية فى كل سبعة أيام -
كل يوم ألف سنة - لعرض الخلائق لدى العزيز الجبار ، الواحد القهار ، لفصل
القضاء بينها باستخدام الملائكة العمالة باذنه ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال
حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [٢١/٤٧] .

وروى عن النبي ﷺ : انه قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعشت فى آخرها
ألفاً (٢) .

وقال ﷺ : لأنبيى بعدي على هذه الامة .

(١) اخوان الصفا : الرسالة الثامنة من النمسانيات والعلقليات : ٣/٢١٩ .

(٢) الجامع الصغير : باب الالف بعده الدال : ٢/١٧ : الدنيا سبعة ألف
سنة أنا فى آخرها ألفاً .

يقوم القيامة وهو يوم العرض الثاني، كما ان يوم العرض الاول ما اشار تعالى اليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخْذَرْنَاكَ مِنْ بَنْي آدَمَ مِنْ ظَهُورِهِمْ ذَرِيتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَسْتَبِّنُكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا إِيمَانَ الْقِيمَةِ إِنَّا كَنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [١٧٢/٧] .
وبين اليومين مدة سبعة آلاف .

وكما ان فى المدينة لاهلها جنان و Miyadīn وأنهار وبساطين ، وفيها مجالس ومصائق ومساجن - فالاولى لنزاهة النقوس وبهجتها وسرورها ولذتها ونعمتها ، والثانية لعقوبتها وعدابها على قدر جرائمها وذنبها - فهكذا فى طبقات الوجود ومراتب الكون فسحة وسعة .. أهلها فى جنات النعيم وروح وريحان ونعممة ورضوان - ومجالس ودر كات - أهلها فى عذاب أليم وعقاب شديد وغصة عظيمة - كما ذكره الله فى التوراة والانجيل والفرقان فى مواضع كثيرة من نعمت الجنان ولذاتها ، ووصف النيران وآفاتها .

* * *

هذا تلخيص ما وجدنا من كلام الاكابر العظام فاوردناه توضيحا للمقام ، وليعذرني بعض أعلام الانام من اولى الدرایة والافهام فى الخروج عن طورهم بعد المرام - والله ولى الہدایة فى البداية والنهاية .

قوله عزو جل :

يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

اي : يعلم ما يدخل فى جوف الارض ويستتر فيها من البدور وغيرها وما يبرز من الارض وما يتكون منها .

او يعلم ما يتربى فى الارض من المعادن والنبات والحيوان و ما يخرج منها

ويكون على ظهرها من هذا ، فيعلم أميانيها وأطوارها ، وتقلباتها وأحوالها – من القوة والفعل ، والكمون والبروز – ومدة بقائها ووقت فنائها . ويعلم ما ينزل من السماء – من مطر وملك وغير ذلك حتى القوى والكيفيات ومبادئها وفواعلها وأرزاق الخلق ، اذ الجميع مما ينزل من السماء لقوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاوَاتِ رِزْقٌ كُمْ وَمَا تَوْعِدُنَّ ﴾ [٢٢/٥١] – وما يعرج فيها – اي يصعد اليها – من الملائكة الحفظة وما يكتبون من اعمال الخلاائق كلها .

وهو معكم - اى : عالم بكم أينما كنتم ، وفي اى احوال من احوالكم وصفاتكم
التي انتم عليها ، وأفعالكم وأقوالكم التي فعلتموها وقلتموها .
والله بما تعملون - من خير وشر - بصير - اى : شهيد فيجازيكم على وفق
أعمالكم .

مُكَاشِفَةٌ

يعلم ما يلج في أرض العالم المحسناني التي هي تحت عوالم الامر من الصور النوعية لانها من صور معلوماته ، و ما تخرج من الارواح التي تفارقها الصور التي تزائلها عند الفناء والفساد وهي بعينها هي التي تنزل من سماء عالم الغيب الى ارض عالم الشهادة و تدرج فيها بعد الاستكمال وتطير اليها بجناحي العلم والعمل . او ما ينزل من سماء الروح الكلى من العلوم الكلية والانوار العقلية الفائضة على القلب وينزل منه الى ارض النفس جزئية ، وما يعرج فيها من الكليات المتنزعة من المجزئيات المحسوسة وهيئات الاعمال المركبة .

والاول اشارة الى العلوم الموهبية التي تفيض اولا على القلب فتتمثل في الخيال حكايتها وتنزل اليه مثالها .

والثانية إشارة إلى العلوم الكسبية التي ترقى إلى العقل بعد أن يقع الاحساس

بالجزئيات الجسمانية ، وتنزع منه الكليات لاجل المشاركات بينها والمباثنات .

والاول طريق الابرار ، والثاني مسلك النظار .

وهو معكم أينما كتم - لأن موجودية أعيانكم الثابتة بظهوره في مظاهرها وتجلّيه في مرأتها .

والله بما تعلمون بصير - لكونه مشهوداً له حاضراً عنده منقوشاً في الالواح
العالية وملكتها بحضوره .

* لمعنة الهمية *

ان معيته تعالى للأشياء ليست كمعية جسم لجسم ، أو جسم لعرض ، أو عرض لعرض ، وبالجملة ليست تلك المعية معية في الوضع والمكان ولا في الزمان والآن ، ولا في الم محل والحال ، ولا في الفعل والانفعال ، ولا في الحركة والانتقال : تعالىه عن هذه الاوصاف والاشياء والامثال .

وليس أيضاً معية في الوجود لكونه قبل كل موجود وقبليته قبلية لا ينقلب إلى المعية التي يقابلها . بل معيته تعالى نحو آخر من المعية مجهولة الكنه .

وانما يعرف الراسخون في العلم لمعة منها ويشمون رائحة من كيفيتها واذا أرادوا أن يفيضوا على غيرهم من المستعدين شيئاً منها مثلوا لهم مثال المرأة وقالوا : ان الله تعالى يتجلّى للأشياء كما تتجلّى صورة الشخص في المرائي المتعددة المختلفة صغيراً وكبراً ، واستقامة واعوجاجاً ، وصفاءاً وكدوره ، وغشاً وخلاصاً ، وان التجلي من قبله حاصلة دائماً لجميع الأشياء - لانه نور ، والنور من حقيقته التجلي والظهور على المجال والظاهر - لكن عدم ظهور هذا التجلي اما لضعف فيها وصغر في مرآة ذاتها لتطبيق احتمال النور العظيم الباهر - كما لا تطبق نور الشمس أبصار الخفافيش وعيون العمشان الا ظلالا ضعيفاً منه - وهذا مثال الاجسام والنفوس الناقصة كالجماد والنبات ، وغير الناطق من الحيوان والناقص من الانسان .

واما لكدورة في المرأة - كالابصار التي عليها غشاوة - وهذا مثال نفوس العصاة من الناس الذين على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة . أى على عقولهم وعلى ابصارهم التي بها يحصل معرفة الله وملكته غشاوة المعا�ي والشهوات التي بها يقع الحجاب من شهود معرفته تعالى .

واما لاعوجاج وانكسار في المرأة تقع الصورة فيها على خلاف ما هو الواقع -- كما في الحول وغيرها من الامراض العينية التي يقع بسببها الغلط في رؤية ما يتغير بنور الشمس من حقائق الاجسام -- وهذا مثال نفوس الجاحدين للحق ، المتعصبين لمذاهب تقليدية رسخت في نفوسهم من أول الامر بحيث لا يمكن زوالها أصلاً، فظهور بصيرتهم الحولاء وفطنتهم العوجاء صور الحقائق المستنيرة بنور الله تعالى على خلاف ما هي عليها ، والا فالحق متجل على كل شيء .

ك قوله -- وهو أصدق القائلين - : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[١٦/٥٠]

وفي الحديث النبوى ﷺ : انه تعالى فوق كل شيء وتحت كل شيء وقد ملأ كل شيء عظمته فلم يخل منه أرض ولا سماء ولا بحر ولا برد ولا هواء، هو الاول لم يكن قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، وهو الظاهر ليس فوقه شيء، وهو الباطن ليس دونه شيء فلو دلّى على الارض السفلی لهبط على الله . (١)

وفي طريق أهل البيت ﷺ أحاديث كثيرة متقاربة المعنى فربما من معنى هذا وكذا حديث قرب النوافل .

وقد روی عن موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - : أقرب أنت فأنا جيك أم بعيد فأناديك ؟ فانت أحس حسن صوتك ولا أريك فأين أنت ؟ فقال الله : أنا خلفك وأمامك ، وعن يمينك وشمالك ، أنا جليس عند من

(١) جاء ما يقرب منه في الدر المنشور : ١٧٠/٦ والترمذى : كتاب التفسير ،

يذكرني ، وأنا معه اذا دعاني . (١)

فما عليك – أيتها المتقى عن المعاصي البدنية والقلبية الا أن تنفي عن عين عقلك كدورته بالتخلي عن الرذائل وتفوي حدقته بكمال الطاعات والعبادات والقيام في الليالي والآوقات مع استقامة الفهم والتدبّر في المعانى العقلية والإيات ، فإذا هو فيه ، اذ ليس هناك ما ينافي ، فإذا غافصل تجليّه ولم تثبت هناك فبادرت وقلت انه فيه – كما نقل عن المحققوجبين بالحق عن مراتب مظاهر الالهية ولو ازخم الاسماء ماقالوا – الا أن يثبتك الله بالقول الثابت فتقول : ان الصورة ليست في المرأة ، ولا المعية بينهما كمعية الحال للمحل ، ولا المتمكن للمكان ، ولا غيره من أنحاء المعية ، بل تجلّت لها وظهرت فيها ، ولو حلّت لما تصوّر أن تحلّ صورة واحدة لمرأى كثيرة مختلفة في حالة واحدة ، بل كانت اذا حلّت في واحدة ارتاحت عن الأخرى ، وهيئات فانه يتجلّى لجملة من العارفين دفعه واحدة .

نعم ، يتجلّى في بعض المرائي أصح وأظهر وأقوم وأوضح ، وفي بعضها أخفى وأميل إلى الأعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرائي وصفاتها وصحة استدارتها واستقامتها بسيط وجهها .

وكما يتجلّى حقيقة الحق لجملة من العارفين من الملائكة المقربين وعباد الله الصالحين كذلك يتجلّى بوجه ظلّي للاشياء جميعها – على تفاوت درجاتهم في الضعف والقصور – .

ولهذا المعنى قال واحد من الحكماء المتقدمين : « ان المحسوسات كلّها يتشبه بالحق ، الا أنها لكثره قشورها وقلّة نورها لا تقدر على حكاية الحق من وصفها » .

(١) جاء ما يقرب من هذا الحديث في الكافي : كتاب الدعاء ، باب ما يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس : ٤٩٦/٢ . والتوحيد : باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى : ٠١٨٢

وبالجملة : لا يخلو ذرة من ذرات الكائنات من نور الحق وتجليّه وظهوره فيه ، لكن تحصيل هذه المعرفة والوصول الى مشاهدة هذا التجلي هو الاكسيـر الاحمر المستفاد من بحر عميق من بحار القرآن .

قوله عزوجل :

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^{١٤٦}

أى : يتصرف فيما يشاء ، الا ان مشيّته تعالى تعلق بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتسكين الارض في وسط الكل لقبولها الاثار النازلة عليها من السماء - من الانوار والامطار - ليتوارد منها المركبات ويكون منها الكائنات - من المواليد الثلاثة وغيرها - الحاصلة من الاسباب الفعلية والانفعالية السماوية والارضية ، ثم يرجع اليه الامور يوم القيمة لتجزى كل واحد بما عمل .

وقيل : جميع من ملكه شيئاً في الدنيا يزول ملكه ويفرد هو سبحانه بالملك - كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق - .

مُكَاشِفَةٌ

اعلم ان كل ما يصدر عن فاعل فهو في آخر الامر يرجع اليه كما ينكشف لنا من تتبع الامثلة الجزئية فان من بنى بيتاً ليسكن فيه فالداعي له في بنائه هو الراحة التي يتصورها عند تمام البيت ، فهو مع هذا التصور فاعل لفعله الذي يصل صورة منه ثانياً اليه ، فكل من فعل شيئاً فانما يفعل لنفسه .

فلما أفادنا النظر في خلق السموات والارض وما فيها اثبات فاعل لها ، موجود له ملكها ، كذلك أفادنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع ، ويجب أن يكون تلك

الغاية هي بعينها ما هو الفاعل لوجودها، لأننا لو جعلنا الغاية أمراً معلوماً لكن لوجودها غاية غيرها – كما أن لها فاعلاً – فيتسلسل أو يدور .

وايضاً : لا يكون مافرض غاية غاية ، اذ الكلام في الغاية القصوى ، ولكن البارى يحتاج في فعله الى داع يستولى عليه ويجبره في فعله .

وايضاً : يلزم أن يكون ناقصاً في فاعليته مستكملاً بغيره مما فرض غاية والتوالي بأسرها باطلة ، فكذا المقدم .

ثم اذا لو وصفنا كلا من الفاعل والغاية بالمبائنة الكلية يقتضى ذلك تعدد البارى ، ويقتضى ايضاً سلب الماهية عنهم ويسهيل وجود شيئاً كل منهما لاماهمية له ، فالله هو الاول الذي يبتدى منه الامور والآخر الذي يرجع اليه الامور ، فمنه يحصل الاشياء في الابتداء ، واليه ينساق الموجودات في الانتهاء وهو الفاعل للوجود والغاية له في الشهود .

فإن قلت : كيف يكون ما هو العلة الفاعلية علة غائية ؟ والفاعل قبل الشيء
لينبعث منه الشيء ، والغاية بعد الشيء ليستبعها الشيء ؟

قلنا : ان العلة الغائية – ان تأملت – فهى بالحقيقة هي العلة الفاعلية دائماً – لافي هذه المادة خاصة – فان الجائع اذا أكل ليشبع فانما أكل لانه تخيل الشبع فحاول أن يستكمل له وجود الشبع فيصير من حد التخييل – وهو وجود ضعيف – الى حد العين – وهو وجود قوى – فهو من حيث انه شبعان تخيل لا هو الذى يأكل ليصير شبعان وجوداً ، فالشبعان تخيل لا هو العلة الفاعلية ، والشبعان وجوداً هو العلة الغائية فالاكل صادر من الشبع ومصدر للشبع ، فالشبع هو الذى كان علة فاعلية للاكل وعلة غائية له ، ولكن باعتبارين : فهو باعتبار الوجود العلمي فاعل وعلة غائية ، وباعتبار الوجود العينى غاية .

لكن يجب للعارف البصير أن يفرق بين الفاعل الناقص الواقع تحت الكون وبين الفاعل النام المرتفع عن الكون المقدس عن الثنائيّة والتركيب لافي الذات ولافي الاعتبار ، لأن فاعليته تامة ليست له غاية زائدة على ذاته ، وعلمه بالأشياء

كباقي صفاته عين ذاته ، فافاضة الخيرات منه على الماهيات انما هي لكونه بذاته جواداً ، وبعلمه بوجه الخير في النظام ينشأ من الاشياء على احسن الانحاء وأفضلها في التمام .

قوله عزوجل :

يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي الَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ

أى : يدخل مانقص من كل منهمـا في الآخر حسب مادبره فيه من مصالح العباد والبلاد – كما نقل عن عكرمة وابراهيم –

وهو عليم بمكونات أسرار خلقه وخفیات ضمائر عباده كما يعلم وجوه الخير في نظام العالم ، كيف ولو لم يكن عليماً بخفیات الاسرار لم يصدر عنه المخلوقات على أفضل ترتيب وأحسن نظام ، فانظر إليها المتفكر في حكمه البارى وجوده انه لو لم يخلق الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع بها التفاوت بين الليالي والایام والتفاصل بين النور والظلماء بأن تلتج أحديهما في الآخر بأمره تارة وبالعكس تارة أخرى كذلك على نسق مضبوط ونظام محكم من غير اختلال ولا قصور لما انصلح حال الخالق والانام على هذه الكيفية والتمام .

ألم تر كيف خلق الله النيرات العلوية على هيئات واوضاع ينتفع منها الكائنات السفلية من أنها لو ثبتت أنوارها او لازمت دائرة الوجود لا ثرت بافراط فيما حاذها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم يكن لها حرفة سريعة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ، ولو لم يكن الانوار الكوكبية ذات حرفة سريعة مشتركة وآخرى بطيئة مختصة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة وسموتها مائلة عن سمت الحركة لما مالت تلك الانوار إلى النواحي شمala وجنوباً فلم تنتشر منافعها على بقاع الأرض ،

ولولا أن حرارة الشمس على هذا المontoال من تخالف سمتها لسميت الحرارة السريعة لما حصلت الفضول الاربعة التي يتم بها الكون والفساد ويصلح منها أمزجة البقاء والبلاد .

قوله عزوجل :

أَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفَقُوا مَا جَعَلَكُم مُسْتَحْلِفِينَ
فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ

خاطب سبحانه كافة ذوي العقول من الادميين دون الملائكة لكونهم مفطورين على العلم بالله ورسوله ، مقدسين عن مزاولة المخايب لاحتاجوا الى التزكية بالانفاق دونسائر الحيوانات وما هو دون منها من الجمام والنبات لانحطاط درجتها عن استماع هذا الخطاب ، فقال : معاشر العقلاء المكلفين - آمنوا بالله - أى : اعتقدوا بوجود الحق الاول وكونه الله الخلق؛ وأقرّوا بوحدانيته وتبريزه وتمجيده - رسوله - أى : بكونه مرسلا اياه ، او صدقوا رسوله واعتبروا برسالته لاتصافه بخصائص الانبياء من خوارق العادات والعلم بالمغيبات - وانفقوا - تقربا الى طاعته وتخليصا مما يلهيكم عن معرفته ويبعدكم عن جواره - مما جعلكم مستخلفين فيه - أى : من مال الله وغيره الذى خلقه لمصالحة عباده وانما مولتكم اياه لتكونوا خلفاء من قبل الله فى صرفه لوجه المنافع والمحاريج ، وخطركم الاستمتاع والانتفاع . فليست الاموال بالحقيقة الا لمن خلقها ، لا لمن كان متصرفاً فيها بنقلها من موضع الى موضع او مضافة هي اليه ، فان مجرد الاضافة الى شيء لا يوجب التسلط لأنها نحو ضعيف من التعلق ، وانما يكون التعلق القوى والتسلط التام على شيء بالقدرة على ايجاده واعدامه ، وال قادر على ما يشاء انما كان هو الله تعالى دون غيره فالاموال كلها عارية فى يد المحتولين بها الا أنه جعلهم الله برها من الزمان بمنزلة

وَكُلَّهُ مُسْتَخْلِفُونَ فِيهَا .

وانما أوضح الله سبحانه كون المال عارية بيد صاحبه ليهان على الناس الانفاق منه كما يهون عليهم النفقه من مال غيرهم اذا كانوا مأذونين فيه مأمورين به .

وعن الحسن : أَنْفَقُوا مِنَ الْمَالِ الَّذِي اسْتَخْلَفُوكُمُ اللَّهُ فِيهِ بُورَاثَتُكُمْ إِيَّاهُ عَمَّنْ قَبْلَكُمْ . وَفِي هَذَا تَبَيْهَ عَلَى أَنَّ الْمَالَ حِيثُ انتَقَلَ وَصَارَ إِلَيْكُمْ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ وَسِيَصِيرُ مِنْكُمُ الَّذِي مِنْ خَلْفَكُمْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرُوا بِحَالٍ مِنْ سَبِقَكُمْ وَعَدْمِ اِنْتِفَاعِهِ بِهِ نَفْسَهُ ، وَأَنْ تَنْفَعُوا أَنْفُسَكُمْ بِالاِنْفَاقِ مِنْهَا وَأَنْ يَسْتَوْفُوا حَظَوْهُمُ الْبَدْنِيَّةُ وَالْعُقْلِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالدِّينِيَّةُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِكُمْ وَيَنْتَقِلَ الْمَالُ إِلَى غَيْرِكُمْ .

مِكَاشِفَةٌ

واعلم ان هذا الحكم كما يشمل النعم الخارجية كذلك يشمل النعم الداخلية من الاعضاء والحواس والقوى التي أنعمها الله إيانا وخدعونا الاستمتاع بها في الدنيا للانتفاع بها لاجل الآخرة ، بأن نصرفها في عبادة ربنا ومعرفته وسيزول ويختلف عنّا عن قريب ، بل النعم الداخلية البدنية كالنعم المالية الخارجية في كونها مبائنة لارواحنا ، خارجة عن ذواتنا ، عارية في تصرفنا ، الا أن بعضها نعمة طبيعية متصلة بالبدن موجودة له ، وبعضها نعمة خارجة عن البدن مبائنة له كما للروح ، وسيهلك البدن ويفنى كل ماعليه وفيه من القوى والآلات والمشاعر ، ويبيّن الروح وحيدها منفرداً عنها عائدًا إلى ربه اما شاكراً واما كافوراً .

قوله عزوجل : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَانْفَقُوا لِهِمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أى : جزاء عظيم وثواب جسيم لا يقدر به آفة ولا ينفعه زوال ، وإنما يكون كذلك لأن كمال الإنسان منوط بالعلم والعمل ليتزين ذاته العقلية بالمعارف المحققة والالهيات ، ويخلص نفسه العملية عن التعليق بالشهوات الموزيات باقتنائه الفضائل والاجتناب عن

الرذائل ، ولاشك أن أفضل المعارف معرفة الحق الأول وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر وهي المعنى بالإيمان ، وأفضل الاعمال المزكية للقلب هو الإنفاق بالمال الذي هو الوسيلة إلى جميع اللذات الحيوانية والشهوات البهيمية .

ويمكن أن يكون الإيمان كنایة عن العلوم الحقة(الحقيقة) طلقاً وإنفاق عن الزهد في الدنيا مطلقاً ، اذ بهذين الامرين يطير القلب بجناحيه إلى حظائر القدس ، ولعل في قوله تعالى : لهم أجر كبير إيماء إلى ان أجر الاخرة جراء لازم وثمرة ضرورية مترتبة على اقتناء الملكات العلمية والعملية بحيث لا يحتاج حصوله إلى جعل مستأنف وتأثير جديد ، كما الشير إليه بقوله : ﴿إِنَّ الدِّينَ لِوَاقِعٍ﴾ [٥١/٤] يعني ان الجزاء لازم كما ان الالام والعقوبات الاخروية لواحد ضرورية لفعل المعااصي والشهوات ، الموجبة لردائة الاخلاق والملكات ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿سَيُعْجِزُهُمْ وَصَفْهُم﴾ [١٣٩/٦] ﴿وَانْ جَهَنَّمْ لِمُحِيطَةِ الْكَافِرِينَ﴾ [٤٩/٩] .

قوله عزوجل :

وَمَا أَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْأَسْوَلْ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا
بِرِّيْكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

قرء ابو عمرو « اخذ » بضم الهمزة و « ميثاقيكم » بالرفع ، والباقيون بصيغة المعلوم ، ونصب « ميثاقيكم » على المفعولية ، والضمير يعود الى الله تعالى وجملة : « لاتؤمنون » حال من معنى الفعل في « مالكم » .

حاصله : وما تصنعون كفّاراً بالله - مع وضوح البراهين على وحدانيه - والحال ان الرسول يدعوكم للإيمان بقواطع الحجج والبيانات ويتلو عليكم الكتاب الناطق والآيات المبينات ؟ ففي الكلام حالان متداخلان .

وقرء : ومالكم لاتؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم . أى : وأى عذر

لكم في ترككم الاعتقاد بوحدانية المعبود وما أتى به النبي ﷺ وقد اقيمت البراهين على ماتؤمنون به سمعاً وعقلاً؟

اما الاول: فلان الرسول يدعوكم لتومنوا بربكم، والعقل السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقاد بصدق قوله بما أظهره الله على يده من المعجزات التي هي خارجة عن طوق البشر.

اما الثاني: فلنوهض البراهين القاطعة الدالة على الايمان بالله والرسول، وكون الغريرة الانسانية مرتکزة فيها التصديق بحقائق الايمان مفطورة عليها، كما اشار اليه بقوله تعالى: وقد أخذ ميثاقكم.

والحاصل أنه: أي عذر لكم في ترك الايمان بعد ما ازيحت عنكم العلل، واوضحت لكم السبيل، بماركب فيكم من غرائز العقول، ونصب لكم من دعوة الرسول المؤيدة بالدلائل والآيات التي ينبه لكم بها على الايمان بمن هو ربكم، دون من هو مربوب مثلكم؟ ان كنتم مؤمنين - اي: من يهمكم التصديق بما يقولون البرهان الواضح على صحته، فقد قام ذلك عقلاً وسمعاً وهما فطرة العقول ودعوة الرسول.

هذا اذا جعل خطاباً للمشركيين، فان جعل خطاباً للمؤمنين فمعناه: أي سبب يزيلكم عن الايمان والرسول بين أظهركم يدعوكم الى الشبات عليه وقد أخذ هو عليه ميثاقكم ان كنتم مؤمنين بشرط الايمان؟ وهو كقوله: ﴿يَا ايُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ان تطْبِعُوا فِرِيقاً مِّنَ الظَّالِمِينَ اوْ تُوَلُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ ايمانَكُمْ كافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ﴾ [٣/١٠٠] وعلى التأويل الاول اخذ الميثاق من الله على عباده هر ميثاق الخلقة، وقيل هو اخذ ميثاق الذرية.

مِكَاشْفَةٌ

يحتمل أن يكون معنى قوله تعالى : ان كنتم مؤمنين : ان كنتم ممن يتمشى منه المعرفة والا يقان ، لامن الذين انحطت درجتهم عن هذا وقيل فيهم : او لئك كالانعام بل هم أضل سبيلا ، ولا من الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، فالبراهين والدلائل العقلية والسمعية ليست نافعة في حق الاشقياء الناقصين بحسب الفطرة لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم رأسا ، ولا اهل الجحود والانكار لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية لفساد اعتقادهم ، فهم أهل الخلود في النار الاماشأ الله . فالخطاب في هذه الآية اما لاهل الفضل والثواب سواء كانوا من المقربين والسابقين او من أصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او كانوا من أهل الرحمة الباقين على سلامه نقوسهم وصفائهم قلوبهم المتبوئين درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لاعلى حسب كمالاتهم من ميراث عملهم ، او كانوا من أهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئة سواء كان العفو عنهم لقوة اعتقادهم و عدم رسوخ سيئاتهم او لمكان توبتهم عنها وانابتهم الى الله - فاوئلئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . او لاجل نجاتهم من الجحيم بعد أن زال عنهم درن ما كسبوا من السيئات ، كالسيككة من الذهب التي تخرج عن النار خالصة ، وهم اهل العدل والعقاب ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا لكن الرحمة الالهية تدار كفهم وتثالهم بالآخرة.



قوله عزوجل :

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيْنَتِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾

وقره : «لرؤف» .

لما حث سبحانه المكلفين على المعرفة بالله وملكته من جهة مار كتب فيهم من فطرة العقول وقرع اسماعهم من دعوة الرسول اخبر بأنه لزمت دعوته وقبولكم ايها لما ايد الله به من المعجزات البينة التي أظهرها على يديه ، او الآيات الفرقانية خاصة ليخر جكم الله سبحانه بواسطة تلك الآيات من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة .

او ليخر جكم الرسول بدعوته ، او ليخر جكم المنزل بما فيه من الحجج المنيرة والبراهين الواضحة .

وان الله بكم لرؤف رحيم - حيث بعث الرسول ونصب الادلة ، وهذا يدل على كمال الرأفة والرحمة ، وللاشعار به اقترن الكلام بوجوه من التأكيد : منها الجمع بين لفظين متراوفين ، وقيل : «الرأفة» على المضروبو «الرحمة» على المحتاج .

قيل : في هذه الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ، فانه يبين ان الغرض في انزال القرآن الايمان .

اقول : تحقيق هذا المقام يحتاج الى طور آخر من اقتناص المعارف غير ما أكب عليه علماء الكلام ، لكن يجب على كل عاقل متذكر أن يفرق بين الغاية الاخيرة والمتوسطة ، وكذا بين الغاية بمعنى الداعي وما يسمى بالضروري الذي يلزم الفعل من غير أن يكون داعياً عليه ، كقوله تعالى : ﴿فَالنَّقْطَةُ آلُ فَرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدْوًا﴾

مكاشفة

اعلم ان الله تعالى كما ينزل على أشرف رسله محمد ﷺ آيات بينات ليخرج الناس من ظلمة الغباوة والغواية الى نور الدراية والهداية ، فما من عبد من عباده المهدىين الا و يأتيه من قبله تعالى اشارات وتنبيهات وينزل منه على قلبه انوار متناليات ليخرج بها من ظلمة الحجب الدنياوية الى نور المعارف الاخروية ، ولكن الناس اكثراهم غافلون عنها الاشتغال بهم بما يليهم عن ذكر الله وينسيهم امر الآخرة ، فلا يبعد أن يكون هذه الاية بيانا لأخذ الميثاق المذكور في الاية المتقدمة ، فان الله سبحانه خلق عباده على فطرة التجدد والنقا عن علاقى الاجرام ، والتقدس والصفا عن كدورات الاثم ، والتهيؤ لقبول دعوة الحق والالهام واستعداد الترقى بواسطة العلم والعمل الى ارفع المنازل في دار السلام ، ثم اذا أنشأهم في هذه الحياة الدنيا رباهم واكمل لهم واعظيهم العقل والتميز وبعث اليهم الرسول مؤيدا بالمعجزات ، فلا يزال ينزل على قلوبهم آيات بينات من انوار معرفته ويفتح عليهم أبوابا من فنون رحمته و هدايته ليهدىهم الى صراط مستقيم ويخر جهنم من ظلمات الجحيم الى أنوار النعيم .

وانما ينسى الناس ذكر مواثيقهم الجليلة مع الحق وعهودهم الذاتية مع سكان ملكته وسائر ما كانوا مفطوريين عليه بظهوره ذواتهم المخمرة بيد القدرة اربعين صباحاً - واستعدادهم للمعرفة واليقين تعلقاتهم بمشاغل الكون لضرورة حياتهم الدينية ويشغلهم عمایرد على قلوبهم من انوار المعارف باطننا وظاهرها ويلهیهم عن الاطاف الحق الواصلة اليهم داخلا وخارجا ارتکابهم الخطیئات واقترافهم السیئات المبعدة لهم عن جوار الله وقربه ، لأن المعاصي تعمى أبصارهم وتتصنم "اسماعهم عن ادراك أنوار الحق والهماماته ، فأعرضوا بها عن ذكر الله وسماع آياته البینات واشتغلوا بما يليهم الشیطان عما يليهم به الرحمن ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ

الرحمن نقىض لهشيطانا فهو لهقر بن ﴿٣٦/٤٣﴾ .

* * *

وتمام التحقيق في هذا المرام : إن قلب الإنسان ذو وجهين : وجه إلى عالم الملوك - وهو عالم المعرفة، وعالم الآخرة ، وعالم الالهام - ووجه إلى عالم الحسن - وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس - ثمان الخواطر التي ترد على قلبه وتبعثه على الأفعال والحر كات الأمان تبعث من الجنة العالية وتدعوه إلى الشر - كالعبادة والمعونة - او تبعث من الجنة السافلة وتدعوه إلى الشر -- كالمعصية والغفلة -- فهما خاطران مختلفان ، فافتقر إلى اسمين مختلفين -- أيضاً -- و هما حادثان فاحتاجا إلى سببين مختلفين ، لأن اختلاف المعاليل الحادثة يدل على اختلاف عملها القريبة وإن كان المؤثر في فيضان الوجود مطلقا هو والله لبرائته عن شوائب الامكان والدثور .

فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى في عرف الشريعة «ملكا» و ذلك الخاطر «الهاما» وسبب الخاطر الداعي إلى الشريسيمي «شيطانا» والخاطر «وسوسة» . والله تعالى خالق كل شيء ، فخلق الملائكة لصفة رحمته و لطفه ، وخلق الشياطين لصفة قهره و غضبيه ، وكما أن الجنة أثر من آثار رحمته و نور من انوار لطفه و رفاته فكذلك النار اثر من آثار غضبيه و شعلة من شعل قهره ، فالإنسان متى استغل بعبادة ربها و معرفة خالقه انخرط في سلك رحمته ودخل في زمرة الملوكتين ، ومهما استغل بالمعاصي و الشهوات و متابعة الهوى و الشيطان استعد لمقته و غضبيه وعد من جملة الشياطين فالالهامات من جانب الحق بواسطة الملك لعباده الصالحين في مقابلة الوساوس من جانب الشيطان .

وانما يسلط الشيطان على قلب ابن آدم بواسطة «الخدلان» الحاصل لهم من مخالفته الحق والعصيان ، والأفليس له في ذاته هذا التسلط على الإنسان و إنما يدفع كيده عنه بواسطة «ال توفيق» الذي يجعله الإنسان بفعل الطاعة و العبادة ، فإذا زال كيده ودفع وسواسه عن القلب استعد لقبول الالهامات الداعية إلى الخير والنور ، الصارفة له

عن الشرور والظلمات ، فأهل الرحمة مآلهم إلى الجنة والنعيم ، وأهل السخط مآلهم إلى النار والجحيم ، وكل جنس يحن إلى جنسه ، وكل طائر يطير إلى عشه الأصلي ومعدنه الفطري ، امأمن جهة التوفيق والهدایة ، او من جهة السخط والمذلان ، والكل بمشيئة الله وقدرته .

وقوله سبحانه : هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات - يمكن أن يكون اشاره الى الواردات التي يرد من جانب الرحمن على قلوب السالكين من عباده بواسطه ملائكة الرحمة من الالهامات والمعارف الحقة الواضحة لديهم انها من جانب الحق .
وقوله : ليخر جكم من الظلمات الى النور - اشاره الى ثمرة هذه الاطاف والانعام في حقهم وفي حق غيرهم ، اذ بهما ينتقل النقوس الانسانية من القوة المهيولانية الظلمانية الى العقل بالفعل المتنور بانوار المعرفة والايمان بالله وآياته واليوم الآخر او من ظلمات الصفات الشيطانية الى انوار الاخلاق الملكية ، او الجموع بينهما ليكون بها للعبد الخروج من القوة الى الفعل بحسب كل تأقويه - العلمية والعملية .

وكم أن الانسان بالتأمل في اسرار معرفة الله وسماع آيات ملوكه والتفكير في امر الاخره يخرج من ظلمات الجهل والنقسان الى نور المعرفة والكمال ، فكذلك في ارتكاب شهوات الدنيا ومتابعة الهوى والشيطان يخرج من نور الادراكات الحسنية الى ظلمات العمى والحرمان عن مشتهيات الدنيا لفقد (الفتورـن) الالات عند الفساد والبطلان ، ويدل عليه قوله تعالى . ﴿الله ولی الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليا لهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ [٢٥٧/٢]

والله أعلم بأسرار كلامه .



قوله عزوجل :

وَمَا لَكُمْ أَلَا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلًا الْفَتْحَ وَقُتِلَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ
 دَرْجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

قراء القراءسوی ابن عامر : «وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ» بالنصب على المفعولية لانه بمنزلة «زيداً وعدت خيراً» وقراء ابن عامر : وكل وعد الله . بالرفع محتاجاً بأن الفعل اذا تقدم عليه مفعوله لم يقوعمله فيه قوله اذا تأخر والدليل أن من قال : «زيد ضربت» وزيد بحسب المعنى مفعول ضربت، فإذا تأخر المفعول فوق بعد الفاعل يتغير اعرابه نصباً، وكذلك قوله تعالى : «كلا وعده الله الحسنی» يكون على ارادة «الهاء» وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات .

واما معناه : فقد حث سبحانه على الانفاق الذي هو من الاعمال الحسنة الجامحة لتكميل الشخص وتهذيبه من ذمائم الاخلاق المنوطة لمحبة الامر الفاني مع مصلحة النوع ، اذ بالانفاق تنتشر ما به ينتفع الناس ويصرف في وجوه المصالح كاهمة المجاهدين وغيرها ليست حفظ به الشريعة ، فقال : ومالكم الانتفقوا - اي : في ان لانتفقوا في سبيل الله - اي : اى شيء لكم في ترك الانفاق في طريق الحق والجهاد في سبيله مع كونه خيراً نافعاً لكم ولغيركم والحال أن المال في معرض الزوال عن يده عن قريب ، اما بهلاك أحدهما ، او كليهما في نفسه عن الآخر - والله ميراث كل موجود في السموات والارض - اذا كل يفني وهو يبقى فالله يرث كل شيء فيهما

من مال وغيره ، فما أقبح للعاقل أن يدخل بمال يكون عارية بيده من غيره وسينتقل اليه وهو يأمره بالإنفاق الذي فيه صلاح له ولغيره ، فالآية من أعظم الحث وأبلغ البعث على الإنفاق في سبيله .

ثم بين سبحانه مراتب المنفقين في الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الإنفاق في سبيله فقال : لا يُسْتُوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ - من قبل فتح مكة وشوكة الاسلام وكثرة أهلها وقوتهم وقلة الحاجة إلى القتال ونفقة المقاتلين ، ومن أنفق من بعد الفتح . وحذف لوضوح دلالة الكلام عليه ، وقرئ : « قبل الفتح » .

أولئك - اي : السابعون الاولون من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا قبل الفتح وجاحدوا في سبيل الله - أعظم درجة - عنده - من الذين أنفقوا - بعد الفتح ، ثم سوى بين الجميع في الوعد ومطلق الخير والمثوبة الحسنة - وهي الجنة - مع التفاضل في الرتب والدرجات .

والله سبحانه - لكونه عالم لا يخفى عليه شيء من الدقيق والجليل ، خبير بما تعلمون من إنفاقكم وجهادكم ، بصير بموازن الافعال والاعمال ومراتب فضلها بحسب الصعوبة والمشقة ، ودرجات شرفها بحسب النية وال بصيرة والاخلاص والسريرة .

مِكَاشِفَةٌ

واعلم انه كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب اعمالهم البدنية و افعالهم الظاهرة قبل انتشار نور الاسلام وظهور عزه وقوة أهلها ودخول الناس في دين الله أزواجاً وبعد ، كذلك يتفاوت درجات أهل الله و أولياء معرفته بحسب سلوكياتهم الباطني وسفرهم الى شهود معرفة الله و مهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله ومجاهدتهم مع أعداء الله و أولياء الطاغوت تقرباً الى الحق بحسب معارفهم و علومهم الاعتقادية الحاصلة قبل المكافحة ، فان من كانت اعتقاداته صفة مطابقة لنفس الامر

و عمل بمحاجاتها من الانفاق والزهد و الجهاد في سبيل الله قبل كشف الغطاء و معاينة الحقائق الدينية بالموت الارادي فهو اعظم جلاله وأجل مرتبة من الذين زهدوا في الدنيا و جاهدوا مع النفس والهوى بعد ذلك .

اذا الانسان لو لم يكن مؤيدا من قبل الله تعالى بتأييد قدسي ومدد سماوي لما كان حاله في ترك المشتهيات و مقاومة القوى النفسانية و مواجهة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح مملكة البدن من يدي القوى الامارة كحاله بعد ذلك اذا زهد الحقيقى والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت الاحتياج ، واما عند ظهور الحقائق معاينة فليس كذلك .

ويحتمل أن يكون في الآية اشارة الى تفاوت درجات القوى التي للانسان و تفاضل بعضها عن بعض بحسب الصفاء و الكدوره و القرب من عالم القدس و البعد عنه ، فان في العالم الصغير الانساني خلائق مختلفة و قوى متعددة بعضها ملكية شبيهة بضرب من الملائكة ، وبعضها شيطانية شبيهة بضرب من الشياطين وبعضها شهوية كالبهائم ، وبعضها غضبية كالسباع . والجميع خلقت لتكون مطيعة لامر الله ، مسخرة للقوة العاقلة ، و هي مكلفة بالمجاهدة مع هذه القوى الجسمية الشهوية ، والغضبية، والوهمية الفاسقة والظالمة والكافرة ، ودفع معارضتها و منازعتها مع القوة العقلية التي هي من اوليات الله اذا اكملت بالعلم والعمل ، وانما انبعثت من جانب الله لتسخير قواها و جاعها من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وعودها بالمجاهدة من عالم الغرور الى عالم النور ، ومن معدن الكذب الى مقعد الصدق .

والقوة العقلية التي ارسلت وجائت من عالم الملوك مبعوثة على عالم البدن وجنوده وقواته مأمور من قبل الله تعالى بمعاداة الشيطان و مطاردة حزبه وجنوده ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرُّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغَرِّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَدْعُو حَزْبَهُ لِيَكُونُو مِنْ أَصْحَابِ السُّعْيِ ﴾ [٣٥-٦]

فالانسان بالقوة العقلية مأمور باتخاذ الشيطان وحزبه عدوآله وبالمناقضة معها

والغالبة عليها ، ولا يمكن الغلبة عليها الا بتسخير القوى ، وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب ، وكل واجب مأمور به ولو تبعاً .

فالقوة العقلية مأمورة من قبل الله بتسخير القوى البدنية وفتح هذه البلدة المحرمة التي هي فيها بجنود لم تروها - من الاخلاق السليمة والصفات الملكية الحاصلة بتائيده سبحانه وامداده في بعض الادميين وبجنود منقادة لها من عالم الجسم والبدن ، وهي التي ليست مزاحمة للقوة العقلية بعنایة الله ولطفه ليسلط على المملكة والجنود ، فتصير القوى في جميع أوامرها وزواجرها طائعات ، وسلوك سبيل الله مستتبعات بعدهما كانت عائقات - وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء ، وسرعة التفكير ، والوجود ، والكرم ، والعزم ، والصبر الجميل ، والتوكّل وغيرها مما يتفاوت ويتفاصل في الشرف بحسب انواعها المختلفة بالحقيقة واصحاصها المختلفة بالمحل ، وفي المطاوعة والمتابعة لرئيسها وخليفة الله عليها في ارض البدن ، فلا يزال المطاردة والمقاتلة بين جنود الملائكة وجنود الشياطين قائمة في معركة النفس الانسانية إلى أن تنتهي المملكة الادمية لأحد هما فيستوطن فيها ويطرد الأخرى ويخرجها عن البلدة بحيث لا يكون لها الدخول فيها الا جتيازاً .

واكثر النفوس مما قدفتح مملكتها البدنية وسخرها جنود الشيطان وملوكها ، فامتلاعات بالوسواس الداعية إلى ايشار العاجلة واطراح الآخرة ، وقليل منها قد استولت فيها القوة العاقلة على القوى الشيطانية وسخرها ، فأسلمت وأطاعت كلمة الله وامرها ، واجابت دعوة الحق وانخرطت مع سائر القوى المسلمة المطيعة طاعة رئيسها المطلق ومخدومها بأمر الحق .

والنفس الانسانية لصفائها ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول آثار الملكية والشيطانية لتقلبها في النشئات وتطورها بالأطوار وتلوّتها بالالوان المختلفة كالأناء الزجاجي اللطيف الذي يتلون بلون ما فيه .

كيف ، ولو لم يكن لها من اللطافة وقبول الاثر ما يقبل كل صورة ويتناقض بكل نقش لم تقبل آثار الملكية ، ولم تنتقض فيها صور الحقائق الالهية فهي في اول الفطرة

تصلح للاثار الحقة والباطلة - صلوحاً متساوية - و انما يترجح احد الجانبين على الآخر باتباع الهوى والشهوات ، والاعراض عنها .

فإن اتباع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسليط الشيطان بواسطة اتباع الهوى والشهوات بالاوهام والخيالات الفاسدة الكاذبة ، فصار المملكة اقطاع [اقطار - ن] الشيطان ، وصار القلب عشّه ومسكنته ، والهوى مرتعة ومرعاه لمناسبة ما ينتمي لها .

وان جاحد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ، وقابل بصفوف جنود الملائكة صفوف جنود الشياطين ، فتقابل الصفان ، وتقابل الجندان ، وتدافع الحزبان فدفع كل من حزب الله ما يقابلها من حزب الشيطان ، فبقاء البرهان اليقيني بوجود النشأة الباقيه عارض الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة الداعية الى الشهوات والرکون الى زخارف الدنيا والاخلاص الى ارض البدن والاقتصار على هذه النشأة الزائلة وبقوه الصبر عارض الهوى ، وبقوه الخوف عن سوء العاقبة عارض الامن من مكر الله ، وبقوه الرجاء عارض القنوط من رحمة الله ، وبالعزيمة طرد الكسل .

و هكذا يدفع بكل جند من جنود الرحمن جندأً يقابلها من جنود الشيطان حتى ينفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس للذى يبكيه الصدر ، و اول معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقي بمكة الصدر المعنى الذى هومزدحه القوى المتوجهة اليه ، وهذا هو المسجد الحرام دخوله على القوى المشعرة الطبيعية الدهرية لقو له تعالى : يا أيها الذين آمنوا - خطاباً للقوة الدراكه - انما المشعر كون - من القوى الطبيعية - نجس - لمباشرتها الارجاس البدنية والقاذرات بالاحالة والهضم و النقل من موضع الى موضع - فلا تقربوا المسجد الحرام - وهو معبد (مسجد) القلب المتنور بنور المعرفة والاخلاص - بعد عامهم هذا - اي : عام الفتح وزمانه - وان خفتم - من منها عن الدخول - فيه عيلة من عدم الفعل الغاذية وغيرها - فسوف يغتنيكم الله من فضلاته ان شاء - بان يحصل لكم التقوت بالمعرفة والاستغراق في شهوده بحيث لم يبق لكم

كثير حاجة الى فعل هذه القوى كما يحصل لاهل الله (١) .
 ولقوله تعالى : ما كان للبشر كين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم
 بالكفر - لكونهم جسمانية والتجرد شرط الإيمان والمعرفة - او لشك حبطة أعمالهم
 وفي النار لهم خالدون * انما يعمرون مساجد الله - بالمعرفة والعبودية - من آمن بالله
 واليوم الآخر وأقام الصلوة - اي ذكر الله - وآتى الزكوة -- اي من الاجساد التي في
 تصرفة فلتزكيها بتحليلها بالرياضات والعبادات في سبيل المعرفة - ولم يخش الا الله - لكونه
 عالماً به وانما يخشى الله من عباده العلماء - فعسى او لشك ان يكونوا من المهددين -
 الى طريق الآخرة وعالم القدس - أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام -
 اللتان هما فعلى الغاذية والنامية ، اذ القوى الطائفة بكعبة البيت الحرام في مسجد الصدر
 انما تتقوت من فعل الغاذية وجسمية هذا المسجد انما يتعمّر بفعل النامية كمن آمن
 بالله واليوم الآخر - وهي القوة العقلية - وجاهد في سبيل الله -- بمعارضتها او مصادمتها
 للوادمة ووساوسها الشيطانية -- لا يسخون عند الله و الله لا يهدي القوم الظالمين *
 الذين آمنوا وهاجروا -- من موطن الجسمية الى عالم التجرد والملائكة -
 وواجهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم -- من المواد البدنية والقوى المحمولة لها
 أعظم درجة عند الله و او لشك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمته منه و رضوان
 وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم (٢) .

و كما انه قد يستعين المجاهدون في مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم
 كذلك في مجاهدة النفس يقع نظيره ، كما يدفع الانسان ثورة (سورة) الشهوة
 بالغضب ، فان بالغضب ينكسر الشهوة كما ينهزم الخنزير من التمر ، فالحكيم تارة
 يكسر شره هذا الخنزير بتسلیط الكلب عليه ومرة يدفع ضراوة هذا الكلب بتسلیط الخنزير
 عليه ، ليجعل الكل مقهوراً تحت سياساته ، منخرطاً في سلك عباد الله المسلمين ، ويظهر

(١) الآية من سورة التوبه ٢٨/٩:

(٢) الآية من سورة التوبه ١٧/٩:

العدل في مملكة البدن ويجرى الكل على الصراط المستقيم .
 اذا تتحقق ما ذكرناه فنقول : ان القوة العاقلة - التي هي خليفة الله في مملكة البدن اذا غلبت بجنودها التي هي من حزب الله - كالзнания والتقوى والذكاء والصبر وغيرها - على القوة الوهمية وجنودها وخوادمها التي هي من جنود الشيطان في أول الامر وزمان الجاهلية الاولى وصارت مسلمة بيدها مقهورة تحتها اذا جاء نصر الله والفتح ايها ، ودخلت سائر القوى في دين الله الذي هو طريق معرفة الحق والعمل بمقتضاهما - افواجا . عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبارة عن مشاهدة حقائق هذه الاشياء كما هي ، فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل حصول الكشف والشهود كانت مطيعة لامر الله ، خادمة للقوة العاقلة ، مؤتمرة بأوامرهما ، منتهية بنواهيهما ، منفقة لمادتها البدنية ومحللة لرطوباتها الدماغية الحاملة لها في طريق التفكير في آيات الله وسيط ملكوته والمجاهدة مع كفرة الاوهام الكاذبة الفاسدة . وبعضها كانت عاصية ايها بعد ، متمرة من أوامرهما ونواهيهما .

فكل قوة أسلمت وأطاعت امر الله وأنفقت في طريق المعرفة ما يحملها من المواد الجسمانية ، وواجهت في سبيل الله ، وعارضت مع الكفرة والظلمة والفسقة تقرباً إلى طاعة الحق قبل الولادة المعنوية والولادة الحقيقية فهي أعظم أجرأ وأجل رتبة من سائر القوى وأقربها إلى افق المجردات النورية ، وكل من هذه الجنود والقوى لها استحقاق الحسنى من عند الله والمثبتة اذا أسلمت وصارت مسخرة للقوة العاقلة ، ثابتة في طاعتها لامر الله ومشاعتها ايها في السلوك إليه تعالى واستئثارها بنور المعرفة واحتداها بهداها .

فإن قلت : هذه القوى الجسمانية قائمة بهذه المادة العنصرية ، فهي دائرة هائلة غير باقية بعد خراب البدن ، فأنت تكون لها المشوبة والسعادة ؟

قلت : هذه القوى البدنية دائرة - ادراكية كانت الحواس ، او تحريريكية - كالشهوة والغضب كلها آثار وظلال للقوى والمشاعر التي هي في ذات القوة العاقلة ، فان لها في ذاتها بصرًا وسمعاً وذوقاً وشمّاً ولمساً - من دون الحاجة الى البدن -

وكذا لها في ذاتها محبة وقهرًا وقبضاً وبساطاً ويداً معنوية وجارحة روحانية ، وهذه بمنزلة المعلومات والآثار لتلك ، وكما ان الحواس البدنية كلها ترجع الى حاسة واحدة - هي الحس المشترك - فجميع حواس النفس ترجع الى قوة واحدة - هي قوتها النظرية التي تشاهد بها المعقولات وتتصرف فيها وتحضرها عند العقل بقدرتها التي لها في ذاتها من دون البدن -

ألا ترى ان الانسان التي في حالة النوم - التي هي شبيهة حالة الموت في تعطل الحواس البدنية - يبصر ويسمع ويندوق ويلمس ويتحرك مع أن حواسه الظاهرة وكثيراً من قواها العلمية معطلة عن الادراك والافاعيل ؟
فللنفس الانسانية قوى وخداماً في ذاتها وجند معنوية وآلات روحانية باقية معها في النشأة الاخروية .

وكما ان لها في الدنيا صور وأشكال و هيئات يناسبها فكذلك يحشر يوم القيمة ويظهر بصور وهياطات مناسبة لصفاتها وأعمالها حين يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

قوله عز وجل :

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾

قرء : فيضعفه . وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام ، وبالرفع عطفاً على «يقرض» او على الخبرية ، أي : فهو يضاعفه .
قد شبه تعالى الانفاق في سبيله بالقرض الحسن ، فأطلق هذا اللفظ عليه مجازاً لعلاقة المشابهة من اعطاء شيء وأخذ شيء لغرض الاحسان .
فيضعافه له - أي : يعطيه الله أجره على انفاقه مضاعفاً بأضعاف من رحمته وجوده وله أجر كريم في نفسه وقد ضم اليه الاضعاف .

مُكَاشِفَةٌ

القرص الحسن عند اهل الله والعرفاء أن ينفق الانسان في طريق معرفة الله وسبيل ملكوته والتفكير في آيات جبروته مواده الدماغية وأرواحه النفسانية وقواته الطبيعية التي هي أعز نقود هذه البلدة وأجنبها ، ليعوض عنها ويحصل في قلبه من نفائس الاتمار المعنوية وشرائع نقود المعارف الالهية التي بها يصير الانسان من أكابر الآخرة وأغنيائهم ، فائقاً على الاشباه والاقران ، متخلصاً من سجن الحسورة والحرمان ، وفافة الجهل والنقصان .

فالله تعالى حيث هيّأ أسباب المعرفة والعبادة للناس سيّما ذوي البصائر والاكياس فكانه أراد منهم هذا القرص الحسن ووعد ايام بتضييف أجرهم ، وأخبر أن هذا الاجر كريم في نفسه ، لأن المعارف الربانية جليلة عظيمة ، لأن شرف العلم وكرامته بالنسبة شرف المعلوم وكرامته ، وليس في الوجود ما هو أكرم وأشرف من ذات المعبود وصفاته وأسمائه وأفعاله ، فالسعى في طريقة وصوله والاتفاق في ابتعاد وجهه يكون شريفاً كريماً أيضاً لأن وسيلة الشيء يناسب له .

قوله عزوجل :

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِسْرَكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الظرف متعلق بقوله: وله أجر كريم . او منصوب بتقدير «اذكر» تعظيماً لذلك اليوم . فعلى الاول معناه : يصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم القيمة – وهو يوم يسعى

للمؤمنين نورهم بين أيديهم وبأيمانهم الى الجنة ، فان الطريق الى جنة المقربين انما يكون على الوجه الاول – لأنها عقلية واقعة في سلسلة الاسباب المؤدية الى وجود الانسان يسلكها العالم الرباني مرتقياً اليها بأنوار المعارف العقلية – والى جنة السعداء على الوجه الثاني – لأنها جسمانية واقعة في السلسلة العرضية المعلوّية ، فيتوجه اليها أهل النسك والصلاح وأصحاب اليمين ، منعطفاً اليها بنور العبادة وقوة الاعمال الحسنة ، ولهذا المعنى قيل : اليمين طريق الجنة – .

وقد صرخ بعض أهل الكشف والعرفان بأن البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشأة الدنياوية هو غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام ، لأن تنزلات الوجود ومعارجته دورية ، لكنهما يشتتر كان في كونهما عالماً نورانياً وموطناً ملکوتياً – فالسعداء مطلقاً يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين ، كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم .

وقوله : بشرىكم اليوم – بمنزلة الحال ، أى : يسعى نورهم حين يقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم « بشرىكم اليوم » ، و هذه الملائكة المبشرین بالجنات مختلفة الدرجات في القرب إليه تعالى حسب تفاوت منازل أهل الجنان في التقدیس والخلوص ، مع اتفاقها في حصول الحقائق وصورها الحسان ، فالجمیع – جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم – أى : الخلاص عن كل مرهوب ، والظفر بكل محبوب ، فان كل واحد من أهل الجنان له ما يشهيه ويصل اليه همته الا ان الهمم متفاوتة حسب تفاوت الاحوال .

قال ابن عباس رضي الله عنه : « هذا النور يكون على الصراط ». وقيل : « في عرصة القيمة ». ولا نور هنالك الا نور الایمان والطاعة وكل يعطى نوراً على قدر علمه (عمله) .

مَكَاشِفَةٌ

هذا النور المشار اليه في هذه الآية هو نور المعرفة واليقين ، فان النفس الانسانية من عالم النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم الاجسام الكثيفة صارت ظلمانية محجوبة عن الادراكات ، فإذا ارتضت ذاتها بالرياحضات الدينية و الاعمال الشرعية من الافكار والاذكار والعبادات ، وخرجت من مرتبة القوى الهيولانية الى مرتبة الفعلية حصل لها العقل المستفاد ، وهو نور يُستضىء ويُضيئ في المعاد ، فصار نوراً على نور . وهذا النور العارض انما ينطوي في قلب المؤمن من عالم الملائكة بسبب اكتساب العقليات واليقينيات الصرفة عند تصوره الخير الحقيقي ، او بسبب اكتساب الاعتقادات المحمدودة والظنوں الحسنة عند تصوّره الخير المظنون .
 فالاول نور عقلي يختص بالمقربين يسعى بين أيديهم ويصعد بهم الى جوار الله وجنتات المعارف العقلية التي قيل في وصفها : « مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشرو ».

والنور الآخر نور يختص بغيرهم من السعداء يسعى بأيمانهم ويدهب بهم الى جنات جسمانية منورة غاية ما يتصور فيها لهم وفي حقهم من الصفاء والنورية والضياء . واشراق نور كل أحد بقدر قوة معرفته وایمانه ، ولهذا وقع في الاخبار : ان أنوار الاخيار والابرار مختلفة في الاضائة والآثار .

قال قتادة : « ان المؤمن يُضيئ له نوره كما بين عدن الى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يُضيئ له نوره الا موضع قدميه ».
 وقال عبدالله بن مسعود : « ويؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من نوره مثل الجبل وأدنיהם نوراً نوره على قدر اباهام قدميه فيضيئ مرتة ويطفئ اخرى فإذا أضاء قدمه مشى وإذا طفى قام ».

ولما كانت الحرفة والادراك متلازمين لقوله تعالى : ﴿كُلْ نَفْسٍ مَعْهَا سَأْقِي وَشَهِيدٌ﴾ [٢١/٥٠] فالاول اشارة الى قوة التحرير والثاني اشارة الى قوة الادراك . ثم لكل ادراك حركة تناسبه ، فمرورهم على الصراط على قدر نور ايمانهم ، ومن كان نوره كالشمس كان مروره كطرف العين ، ومن كان نوره دون ذلك كان مروره على قدره ، فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم كالسحب ، ومنهم كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، والذى اعطى نوراً على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يداً ويعلىق اخرى ، ويجر رجلاً ويعلىق اخرى ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، وبهذا يقاس تفارق الناس في المعرف .

ولذلك جاء في الخبر : « انه تعالى يخرج يوم القيمة من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، ونصف مثقال وربع مثقال ، وشعيرة وذرة » (١) . كل ذلك تنبئه على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين وائراته ، وسرعة النقطن والتحدس بحقائقه وأسراره وأن هذه المقاييس من الايمان لا يمنع دخول النار . وقال بعض العلماء في مفهوم هذا الخبر : « ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخر اجهه أولاً ، وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها » .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين﴾ [١٣٩/٣] تفضيل للمؤمن العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامه قلبه عن النفاق .

واما قوله تعالى : ﴿يُرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [١١/٥٨] فأراد هيئتنا « بالذين آمنوا » الذين صدقوا تقليداً من غير علم برهانى او كشفى ، وميزهم عن الذين اوتوا العلم . ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد - وان لم يكن تصديقه على بصيرة وكشف - .

وفسر ابن عباس قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [١١/٥٨]

(١) جاء ما يقرب منه في سنن ابن ماجة : المقدمة (باب في الايمان) ١/٢٣

قال: يرفع العالم فوق المؤمن بسبعين درجة بين كل درجتها مابين السماء والارض .
وقال ﷺ : أكثر أهل الجنة البليه . (١) وعليون لذوى الالباب .
وقال ﷺ : فضل العالم على العابد كفضلى على رجل من أصحابى (٢)
وفى كتاب الكافى عن أبي عبد الله ع قال : قال رسول الله ﷺ فضل
العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر . (٣)
فهذه الشواهد يتضح بها تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم
فى الاشراق والكدوره .

* * *

وملخص القول : ان اكتساب العلوم الحقة و فعل الحسنات فى الدنيا ينتج
تقرر الاخلاق والملكات ورسوخ المعرف واعتقادات ، والمعرفة اذا شئت صارت
مشاهدة عند رفع الحجب بالموت ، فمشاهده كل أحد بقدر معرفته ، وهى المراد
من النور الا ان المعرف اليقينية الدائمة (العقلية) البرهانية (الربانية) تورث المشاهدات
والمحاشرات العقلية فى جنة الكاملين فى العلم ، والمعارف الظنية الخيالية تورث
المشاهدات الجسمانية فى جنة أصحاب اليمين ، والصور المحسان التى فيها انما
هي بمنزلة تمثالات وعلامات لما فى تلك الجنات العلى لأن العالم متطابقة والنشأت
متوافقة مع تفاصيلها فى الشرف والرتبة ، لقوله تعالى : ﴿ ولآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا ﴾ [٢١/١٧] .

(١) الجامع الصغير: ٥٣/١

(٢) فى الترمذى : كتاب العلم ، باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة :

كفضلى على ادناكم - ٥٠/٥

(٣) الكافى : كتاب العلم ، باب ثواب العالم والمتعلم ٣٤/١

قوله عزوجل :

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَفِّقَاتُ لِلَّذِينَ أَمْنُوا أَنْظُرُونَا نَقْتِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوكُمْ وَرَأَءُوكُمْ فَالْمِسْوَانُورًا فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ، بَابٌ بَاطِنَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ۝ ۱۲۳ يَنَادُونَهُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَرَبُّهُمْ وَارْتَبَتُمْ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ ۱۲۴ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَنَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَكُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ ۱۲۵

وقال الزجاج : الغرور كل ماغر من متاع الدنيا .

وقوله : «يقول» بدل من «يوم ترى» يعني : ذلك اليوم يوم يقول أهل النفاق للذين آمنوا ظاهرا وباطنا : «انظروا نستضيئ بنوركم ونبصر الطريق فنخلص من هذه الظلمات» لان المنافقين اذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيماشون في نورهم، فيسرع المؤمنون بقوة ايمانهم فيبتعدون عنهم فالتخلف فيقطع اثر نورهم عنهم .

قيل ارجعوا اورائكم : القائل اما المؤمنون او الملائكة الهادين لهم . ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا هنالك النور حيث اعطيناه ، فمن ثم يقتبس ويحمل ، فيرجعون فلا يجدون نورا لظنهم أنهم أخذوا النور من موضع هناك ، ولا يعلمون أن هذا النور يكتسب في الدنيا بتحصيل سبيه – وهو الايمان . بل هذا النور هو نفس الايمان والمعرفة ليظهر اشرفه عند القيمة . وقولهم : «ارجعوا» توبيخ في صورة الامر لاستحالة هذا الرجوع او التناصح . او أمر بمعنى : تنجوا عنا خائبین . فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور . وهو افناط وتخبيب لهم لأنهم يعلمون أن لأنورورائهم ويحتمل أن يكون للمنافقين مرتبة ضعيفة من النور غير كافية للمشي الى الجنة وهم تدعون الزيادة ، فوقع المنع لهم من المؤمنين ان ليس لكم الا مااكتسبتم من خلفكم – اي الدنيا فارجعوا من هذا الاطلاع على ماورائكم فالتمسوا نورا من عملكم واكتفوا به ضرورة – فيكون امرا تحقيقا .

فضرب بينهم – اي بين الفريقين بسوره وبالباء مزيدة – اي حجاب حائل بين شق الجنة وشق النار . وقيل : هو حاجز بين الجنة والنار . وقيل : هو الاعراف . له باب – اي : لذلك السور باب ، وقيل : اي طريق لأهل الجنة يدخلون إليها . باطن السور او الباب الذي يلي الجنة فيه الرحمة ، وظاهره الذي يظهر لأهل النار . من قبله – اي من عنده ومن جهته العذاب ، وهو الظلمة والنار . ينادونهم – اي : ينادي المنافقون المؤمنين – ألم نكن معكم في الدنيا والمنازل والمساجد نصلّى كما تصلّون ونصوّم كما تصوّمون – بناء على أنهم

وافقوا المؤمنين في الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام وغير ذلك - قالوا بل كنتم معنا في ظواهر الاعمال دون بواطن النيات والمعارف .. ولكنكم فتنتم أنفسكم - أى محنتموها بالتفاق وأهلكتموها . وقيل أتمتم . وتربيتكم - أى : انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ، او بالنبي ﷺ كما قالوا : ﴿تربص به ريب المنون﴾ [٥٢/٣٠] وقيل : دافعتم الاوقات بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص . وقيل : أخرتم التوبة - وارتبتتم - أى : شككتم في حقيقة الاسلام . او في البعث - وغرتكم الامانى - الكاذبة والامال الطويلة - حتى جاء أمر الله - وهو الموت وما بعده . - وغركم بالله الغرور - أى : الشيطان بأن الله لا يعذكم لأنّه غفور كريم ، ولم يفقهوا أن منشأ العذاب خسّة جوهرهم وقبح سريرتهم ، او الاغترار والطمع في الدرجات الأخرى من غير سبق عمل ، كما حكى الله عن بعضهم : ﴿ولَئِنْ رَدَدْتُ إِلَى رَبِّي لَاجْدَنْ خَيْرًا مِّنْهَا مَنْقَلِبًا﴾ [١٨/٣٦] .

فالاليوم لا يؤخذ منكم فدية - أى : ما يفتدى به - ولا من المعنين بالكفر - هى موليككم - أى : هى اولى بكم كما في قول لميد :
فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وأمامها (١)
او : هى ناصركم ، أى : لاناصر لكم سواها . والمراد نفي الناصر على القطع . ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ [١٨/٢٩] ونحو قول العلماء : الحق تعالى موجود لذاته في ذاته . أى : لالغيره ولا بغيره ولا في غيره .

وقيل : تتو لاكم كما توليتكم في الدنيا أعمال أهل النار .

(١) يريد انه اولى موضع ان تكون فيه الحرب ، وقوله : «فغدت» ثم الكلام . كأنه قال : فغدت هذه البقرة . وقطع الكلام ، ثم ابتدأ كأنه قال : تحسب ان كلا الفرجين مولى المخافة . (اللسان - ولی)

مِكَاشِفَةٌ

اعلم ان الدرجات الاخروية ودركاتها يتوزع على الحسنات والسيئات فان مبادى أحوال الآخرة أحوال الدنيا ، لأن الدنيا عبارة عن حالتك قبل الموت والآخرة عبارة عن حالتك بعد الموت وقدومك الى الله ، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك، يسمى الداني منها « دنيا » والمتأخر « آخرة » وهمما من جنس المضاف يعرف مفهوم كل منهما مع الآخر ، والانتقال من الاولى الى الاخرى كالانتقال من المحسوس الى المعلوم ، ولهذا المعنى قيل : « من فقد حسّاً فقد علمًا » .

فالآخرة نشأة علمية وكما أن في هذا اليوم المعلوم غائب ، والمحسوس حاضر ، ففي يوم الآخرة على عكس ذلك ، يتجلّي الغائب ويختفي الظاهر لأنها « يوم تبلی السرائر » ونحن الان نتكلّم في هذه النشأة الدنيا الحسية من النشأة الأخرى العلمية ، ولا يتصور شرح النشأة العلمية لمن هو في عالم المحسوس - من حيث هو في عالم المحسوس -- الا بمثال ، فإن من تفطّن بالعقليات فهو إنما يعقلها من حيث كونه في عالم المعقول ، كما قال الله تعالى : ﴿وَتُلَكَ الْأَمْثَالُ نَصْرَبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُون﴾ [٤٣/٢٩] .

وهذا لأن هذا العالم نوم بالإضافة إلى ذلك العالم كما قال ﷺ : الناس نائم ، فإذا ما توا انتبهوا .

وما سيكون في اليقظة لا يتبين في النوم الا بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير ، وكذا ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الأمثال على طرز ما يثبت في علم التعبير ، فإن التعبير من أوله إلى آخره أمثلة فيعرف فك ممارسة ذلك العلم طريق ضرب الأمثال .

وليس للأنبياء ﷺ أن يتكلموا مع الخلق الا بضرب الأمثال ، لأنهم كلّفوا

أن يكلموا الناس على قدر عقولهم لأنهم في النوم ، والنائم لا يكشف له شيء إلا بمثل ، فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق .
وانما يعني بالمثل أداء المعنى في صورة أن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، وإن نظر إلى صورته وجد كاذباً .

* * *

فإذا تقررت هذه فتفتول : هذه الآية مثال يوضح به سوء عاقبة حال أهل التفاق و وخامة مآل المغرورين من الجهال المتشبهين بأصحاب الكمال ، فإنهم باشتغالهم بظهور الاعمال الحسنة الممدودة عند الجمهور - كمدارس العلوم و فعل الطاعات - ظنّوا أنفسهم علماء أخياراً وهم مع ذلك من الحمقى الأشرار ، وهم عند أنفسهم من المقربين ، وفي نفس الامر من الفجّار المنافقين ، والله يشهد انهم لكاذبون .
وذلك لأنهم لم يرّاقبوا قلوبهم ، ولم يهدّبوا أعمالهم من الأغراض الدنياوية والشهوانية فإذا انكشف الغطاء وارتفع الاشتباه والمغالطة ظهر أن قلوبهم من أنوار المعرفة خلا ، وأيديهم من آثار الهداية صفر وهم في ظلمة الجهل والاغترار مغروقون ، وفي مضائق عالم الجهل محبوسون ، لainكشـف لهم من طريق الحق موضع قدم لفقد نور البصيرة عنهم أصلاً ، ولا في باطنهم قوة السلوك إليه رأساً .

وذلك لعدم قصد منهم وتوجّه لهم شطر الحق حالاً : أما الادراك : فلم يدركوا الاعتقادات موروثة تعصبية متبنّية على أغراض نفسانية ، فرسخت في قلوبهم وصارت مسامير مؤكدة ، لأن طبائعهم كانت أوليّه إليها في مبادي المنشئ أنيسة بها ، وقد أخذوها من معلميهم بحسن الظن في أول التعاليم ، فصارت حجاباً لهم عن ادراك الحقائق الحقة ، فبقاء في ظلمة شديدة لا وحش منها .

وأما العمل فإنه فرع العلم فمتى لم يكن المعبدود في التصور معبوداً حقاً لم يكن العبادة له عبادة للحق ، فلم ينتج ذهاباً إليه وقرباناً منه .

فتفتول قوله سبحانه : انظرونا نقتبس من نوركم - مثال لحال بعض المشبهين بالعلماء من أهل الظاهر حيث انتبه قليلاً في آخر أمره عند خمود حرارة

الشهوات والاغراض الدنياوية وانطفاء أنوار الحواس وفتور القوى على فقدان نور المعرفة وبرد اليقين في قلبه ، ومع ذلك مغرور من جهة أنه يظن انه بأدنى اشتغال الى التعلم وطلب استفاضة أنوار المعارف من حامليها من المعلميين على الحقيقة يصيير ذا علم ومعرفة ونور عقلٍ ، فيتوجه نحو المؤمنين حقيقة والعلماء حقاً فيخاطبهم ويأمرهم بالتوجه اليه والالتفات نحوه قائلاً: انظروا ناقبتي من نوركم – ظناً منه أن ذلك منّة عليهم لانه من جملة المعتبرين عند نفسه وعند بعض الحمقى الجاهلين .

فالعلماء حقاً لحسن ارشادهم وغاية اشفاعهم على أمثاله من الناقصين يهدونهم طريق السلوك إلى الحق ، ويرشدونهم إلى كيفية استفاضة المعارف قائلاً : ان لكل مسئلة من المسائل الالهية والاسرار الناموسية مبادى ومقدمات لا يمكن التفطن إلى تلك المسئلة الا بعد التفطن بها ، سواء كان بحدس وحركة سريعة – كما هو طريقة الانبياء والولياء وذوى الابصار – او بفكر وحركة بطيئة – كما هو طريقة العلماء والظار وآولى الاعتبار – وقبل الخوض في العقليات واستحصالها يجب الاشتغال بعلم اللغة ، والنحو ، والصرف ، وعلم الاخلاق ، وعلم الحلال والحرام ، ومن لم يحصل شيئاً منها على وجهه مع نية صادقة واحلاص في العمل لا يمكنه الدخول في فقه الاسرار وعلم الانوار ، لقوله تعالى: ﴿وَاتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [١٨٩/٢]

فقوله تعالى : قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً – اشارة الى هذا الحال .

ومن هذا القبيل ما حكاه الله سبحانه عن حال الجاهلين المغرورين من أصحاب النار وامتناع استفاضتهم المعارف من المعلميين والرؤساء الذين هم من أصحاب الجنة بقوله سبحانه : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقْنَا اللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ مِنْ مَاءِ الْمَعْلُوفِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْحَيَاةُ الْأَخْرَوِيَّةُ أَوْ شَيْءٌ مِّنْ سَائرِ الْعِلُومِ الْعُقْلِيَّةِ الَّتِي رَزَقَهَا اللَّهُ لِلْعُلَمَاءِ مِنْ يَدِهِ لِكُلِّ الْهَمِ وَحَالَهُمْ ﴾ قالوا ان الله حرّمهم على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فالاليوم ننسיהם كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجدون ﴿ [٥١/٧]

ومثال هذه الحكاية أن رجلاً سيخاً من الجهةـال الذى كان بليداً في أصل الفطرة فاشتغل في أيام عمره بشيء من العلوم التي لا تسمى ولا تغنى ، ثم تصدى للأمور الدنياوية كالقضاء وتأدية الاوقاف وغيرها من الأعمال التي يتقىده المشبهين بأهل العلم في أكثر الأزمان - من غير استيهـال - وهذا الشيخ الجاهل البليد لم يتعلم أيضاً من المقدمات شيئاً يعول عليه في اكتساب العلوم اليقينية ، ولم يمارس المقاصد الالهية أصلاً ، فيقول لعالم رباني ارتاضت نفسه بفنون من العلوم العقلية وغيرها : « أفض على قلبي من دقائق علومك الالهية » . فيقول : « ان الله حرمه على الجاهلين » . معناه : ان الاستعداد لقبوله إنما يكتسب بذلك أصلـي وممارسة طوـيلة ، بعد تعلم ما يتوقف عليه من العلوم الادبية وغيرها مع اخلاصـ في النـيات وتنـزه عن الفحـشـاء والمنـكر والبغـى - من الأـعراض الشـهـوـية والـغـضـبـية والـشـيـطـانـية - . وـاـذا بـطـلـ الاستـعدـادـ وـفـاتـتـ المـنـاسـبـةـ الـاـصـلـيـةـ فـاستـحـالـتـ الـاـسـتـفـاضـةـ وـحرـمتـ كـمـاـ يـسـتـحـيلـ اـفـاضـةـ الـعـلـومـ الـعـقـلـيـةـ عـلـىـ أـجـسـامـ الـبـهـائـمـ وـالـسـبـاعـ التـىـ لـاـشـغـلـ لـهـ سـوـىـ طـاعـةـ الشـهـوـةـ وـالـغـضـبـ التـىـ أـمـرـ بـهـاـ نـفـوسـهــاـ ، لـاـنـ النـاطـقـةـ التـىـ خـدـمـتـ القـوـةـ الشـهـوـيـةـ مـنـزـلـتـهاـ مـنـزـلـةـ أـبـدـانـ الـبـهـائـمـ الـمـطـيعـةـ لـنـفـوسـهـاـ بـلـ أـنـزـلـ مـنـهـاـ رـتـبةـ - كـمـاـ بـيـنـاـهـ فـيـ تـفـسـيرـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ او لـئـكـ كـالـنـعـامـ بـلـ هـمـ أـصـلـ ﴾ [١٧٩/٧] .

* * *

وأـماـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : فـضـرـبـ بـيـنـهـمـ بـسـورـ لـهـ بـابـ - إـلـىـ آـخـرـهـ - فـهـوـ مـثـالـ لـصـورـةـ الشـرـيـعـةـ الـحـقـقـةـ التـىـ ظـاهـرـهـاـ حـصـنـ يـحـرسـ النـاسـ عـنـ الـمـقـاصـدـ وـالـأـعـمـالـ الـقـبـيـحـةـ وـالـعـقـائـدـ الـبـاطـلـةـ وـمـنـ تـطـرـقـ اـغـرـاءـ الـمـضـلـيـنـ وـالـشـيـاطـيـنـ مـنـ أـهـلـ الـبـدـعـ وـالـمـذـاـهـبـ الـجـاهـلـيـةـ . وـبـاطـنـهـاـ أـسـرـارـحـقـةـ وـأـنـوـارـمـحـضـةـ بـهـاـ يـصـلـ الـعـبـدـ إـلـىـ رـحـمـةـ اللـهـ وـرـضـوـانـهـ ، فـالـشـرـيـعـةـ سـوـطـ اللـهـ بـهـاـ يـسـوـقـ عـبـادـهـ إـلـىـ رـضـوـانـهـ ، فـمـنـ نـظـرـ إـلـىـ صـورـةـ السـوـطـ التـىـ لـاجـلـ تـأـديـبـ الـمـسـتـعـدـيـنـ لـمـ يـرـ مـنـهـ إـلـاـ عـذـابـ أـلـيمـ ، وـمـنـ نـظـرـ إـلـىـ الغـرضـ الـمـكـمـونـ فـيـ بـاطـنـهـ يـعـلـمـ إـنـهـ مـحـضـ الشـفـقـةـ .

كـذاـ مـنـ اـغـترـ بـظـواـهـرـ الشـرـيـعـةـ مـنـ غـيرـ تـدـبـرـ فـيـ أـسـرـارـهـاـ وـبـوـاطـنـهـاـ لـمـ يـرـ فـيـهاـ

الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لظلمة الاعباء ، لاسير الفكر الموجب لزيادة النور في قلوب العقلاء ، فيشقى عليه حملها والعمل بها لعدم اطلاعه على المقصود منها .

أو لا ترى الى الصلوة ﴿وانها لكبيرة الا على الخاشعين﴾ [٤٥/٢] فانها قرّة عيونهم كما قال رسول الله ﷺ : «قرّة عيني في الصلوة ». (١)

ظاهرش برتن ائممان بند * باطنش بردل حكيمان بند
وأما قوله تعالى : ﴿ألم نكن معمكم﴾ : حكاية لحال المنافقين المفترّين بأعمالهم التي يوافق أعمال المستبصرين في الصورة ، الا أنها كانت مشحونة بأنواع الأغراض الشيطانية والشرك الخفي ، من طلب الجاه والمنزلة عند الناس ، والتغوى على أهل الله بسبب التقرب إلى الظلمة والأمراء ، وتعجبهم من تخلّفهم عن مراتب الرجال ، وسلو كفهم طريق الضلال مع توافقهم مع هؤلاء في الأفعال والأعمال .
وقوله تعالى : ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ - الى آخر الآية -

كشف فضائحهم وايصال أحوالهم وهتك أستارهم لأن الآخرة يوم الحساب ويوم تبلي السرائر . أى : جعلتم أنفسكم بسبب مباشرة تلك الاعمال ممتحنة بفنون الأغراض الدنيوية والمحن الشديدة حالاً أو مآلًا ، كل ذلك طلباً للجاه الوهمي وتهالكاً على الترأس الخيالي والتيسير في البلاد ، والشهرة عند العباد ، وتربيتهم الفساد والهلاك - ولو ضميراً - لمن خالفكم ولم يصدقكم في آرائكم الباطلة ، ولم يمكنكم في طلب الترفع وان كانوا على الحق وأضمرتم النفاق والفساد لأهل الحكم والمعرفة - وهم المؤمنون حقاً - وشككتم في دينكم منذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلة التي لا يخلص منه الا المخلصون - وهم على خطير عظيم وخوف ووجل شديد - وغير تكم الآمال التي منشأها ظواهر الاعمال ، وغيركم بالله الشيطان - وشركه وحبائله وخدعه وغروره أكثرها يعتري المنتسبين إلى العلوم الدينية من

غير تهذيب الباطن - عصمنا الله واخواننا الصالحين حيث ما كانوا - .

وعلى ما ذكر يكون شديد المناسبة اليه قوله عزوجل :

أَلْمَ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ فَذِيقُونَ ﴿١٩﴾

قرء نافع « وما نزل » خفيفة الزاي . والباقيون بالتشديد . فعلى الاول يكون المرفوع ضميراً عائدأ الى الموصول ، وعلى الثاني هو عائد الى الله ، والعائد الى الموصول ضمير منصوب محنوف من الصلة .

وقرء رويس : « ولا تكونوا » بالتاء على الالتفات . او على النهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب . والباقيون بالياء عطفاً على « تخشع » .
ألم يأن - من « أنى الامر يأنى » : اذا جاء اناه ، أى وقته . و « الخشوع » :
لين القلب والانقياد للحق ومثله « الخضوع » . و « القسوة » : غلظ القلب بالجفا
عن قبول الحق . و « الحق » : مادعا اليه العقل السليم من الامراض النفسانية ، وهو
الذى من عمل به نجا ، ومن عمل بخلافه هلك .

وهذه الاية قيل : انها نزلت في المنافقين بعد الهجرة لسنة . وقيل : انها
نزلت في المؤمنين .

قال ابن مسعود : ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الاية الا أربع سنين ،
 يجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً .

وعن ابن عباس : ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشرة
من نزول القرآن بهذه الاية .

وعن الحسن : أما والله لقد استبطاهم الله وهم يقرؤن من القرآن أقل ممّا تقرؤن ، فانظروا في طول ما قرأتون منه وما ظهر فيكم من الفسق .
وقيل : كانت الصحابة بمكة مجذبين ، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة سنتين ، فتغيروا عمّا كانوا عليه وينبغى للمؤمن أن يزداد يقيناً واحلاصاً في طول صحبة الكتاب .

والمعنى : أما حان للمؤمنين -- أى المنتسبين إلى الإيمان -- أن تخشع قلوبهم وترق لذكر الله -- مما يذكرهم الله وصفاته وأفعاله وكيفية كونه مبدعاً للعباد ومماداً لهم يوم الميعاد ومانزل من الحق من الآيات والنذر القرآنية؟ والمراد من المخشع لها خشية القلوب عند ذكر الله وتقوى إيمانهم عند تلاوة آياته ، كقوله : ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجْلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادُوهُمْ إِيمَانًا﴾ [٢/٨] .
ومن شدّ فالمراد مانزله الله من المعارف الحقة .

ولا يكونوا -- كأهل الكتاب الذين كانوا في العهد الأول فطال عليهم الأمد ، أى : الزمان بينهم وبين نبيّهم ، او الامد للجزاء -- أى : لم يعجلوا بالعقوبة او مجيء القيامة . وقرء : «أمد» أى الوقت الأطول فاغترّوا بذلك ففقت قلوبهم -- أى : غلظت وجافت -- وكثير منهم فاسقون -- خارجون عن دينهم ، متّرون على المعاصي ، معتادون بها ، فكانوا بحيث لا ينفعهم نصح الأنبياء ولا ينفع لهم وعظ الوعظين ، ومن لا ينفعه في الدنيا نصح الناصحين لا ينفعه في الآخرة شفاعة الشافعين ، فلاتكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثيل ما حكم فيهم .

* * *

مِهْكَاشَفَةٌ

ينبغى أن يكون هذا الخطاب متوجها إلى جماعة مخصوصين من أهل الإيمان ومعالم الدين لم يوجد منهم خشوع فحثوا على الرقة كما يدل عليه قوله تعالى : ألم يأن . اى أماحان وقت الخشوع منهم فكيف فعله ؟ ففى الآية تنبيه عظيم واسع يبلغ على قبح سير أولئك المخصوصين وفساد بواتفهم وقسوة قلوبهم ، حيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى التى كانت أغلاط الناس قلياً ، وأسوأهم ضمير أو أظلمهم باطنًا فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا ، وذلك لما نقل ابنسى إسرائيل كان الحق يتحول بينهم ومشتهياتهم ، وإذا سمعوا التورية والإنجيل خشعوا الله ورقت قلوبهم ، فلما طال عليهم الزمان غلب عليهم الجفا والقسوة فاختلقو وأحدثوا ما أحدثوا من التحرير وغيره .

وأكثر من وردت التشديدات العظيمة في حقهم في القرآن والحديث هم العلماء السوء الذين قصدتهم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج الشرع المبين التنعم بالدنيا والتسلل إلى الجاه والمنزلة عند ذريها وبنتها ، فدللت الأخبار والآثار من المصطفين الاخيار وشهدت بصائر أصحاب الاستصرار وأنوار ضمائر أرباب الفكر والمتفكرين في مراتب الصنع والإيجاد الفائضة عن الله القهار على أن أشد الاشار عذاباً في النار هم العلماء السوء الذين ظواهرهم ظواهر الاخيار وبواتفهم بواطن الكفار .

وقال النبي ﷺ : « ان أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه » (١) .

والسر" في ذلك أنهم يريدون أن يتوصّلوا بأشرف الأشياء و هو العلم بالله وأحكامه إلى أحسن الأشياء ، وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر بما فيها والر كون إلى زخارفها و الأخلاق إلى الأرض . و هذه امور و همية باطلة كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا هذِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ لَعْبٌ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٦٤/٢٩] .

وقال : ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخِرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نِبَاتَهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فِتْرَاهُ مَصْفَرًاً ثُمَّ يَكُونُ حَطَامًاً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [٥٧/٢٠] فقد مثل الله تعالى الدنيا وشهواتها في كثير من آيات القرآن بأمور و همية باطلة يغتر بها نفوس الجاهلين والنافقين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٌ بِقِعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [٣٩/٢٤] فويل لمن يدع نفسه من العلماء وهو في الحقيقة من المحمقى الجاهلين المغتربين بل وامع السراب الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا . فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

و مثل الله تعالى في القرآن بلעם بن باعورا - و كان عالماً فاجرًا أخلد إلى الشهوات - بالكلب حيث قال سبع حانه ﴿وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ نَبِأً الَّذِي آتَيْنَاكُمْ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ حتى قال : ﴿فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ﴾ [٧/١٧٦] في الأخلاق إلى الشهوات سواء اوتى الحكمة او لم يوت فهو مصر فيها ، مخلدا إليها .

وقيل : مثل علماء السوء مثل قناة الحش " ظاهرها خضر وباطنها نتن ، ومثل قبور الكفرة والظلمة ظاهرها عامرة وباطنها الملعنة والعذاب .

همچو گور کافران بیرون حلل وز درون قهر خدا عزو جل

و قد قيل : أقل درجات العالم أن يدرك حقاره الدنيا و خستها و كدورتها وزوالها و انصرامها ، و عظم أمر الآخرة و دوائتها و صفاء نعيمها و جلاله ملكها ، و يعلم انهما متضادان ، مهمما صلحت احديهما فسدت الأخرى ، و انهما كالضرر "تين مهمما ارتضيت احديهما أنسخطت الأخرى ، فإن من لم يعلم حقاره الدنيا

و كدورتها و انصرام ما يصفونها بحسب الوهم فهو فاسد العقل ، فكيف يعد من لا عقل له من العلماء ؟ ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة و دوامها فهو كافر مسلوب الإيمان ، فكيف يكون من لا إيمان له من العلماء ؟ ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما مستحيل فهو جاهل بشريعة الأنبياء كلهم - صلوات الله عليهم أجمعين - بل كافر بالقرآن من أوله إلى آخره فكيف يعدمن زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو جاهل أسيء شيطان قد أهلكته شهوته و غلت عليه شقوته ، فكيف يعدمن أحزاب العلماء من هذه درجته في الخسنة ؟

فهذا دليل واضح على أن من آثر الدنيا على الآخرة فهو مغرور وقدر كب فيه جهل الجهال و فتنه الدجال .

و كتب رجل إلى أخيه : « إنك قد أوتيت علمًا لا تطفيه نور علمك بظلمة الذنب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم ». وقال عيسى عليه السلام : « كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ! »

وقال صالح بن كيسان البصري : « أدرك الشيوخ و هم يتغذون بالله من الماجر العالم بالسنة ». وروى عن رسول الله عليه السلام أنه قال : اوحي الله إلى بعض الأنبياء : « قل للذين

يتلقون غير الدين ، ويتعلّمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبسون الناس مشوك الكباش ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصير : ايي يخدعون ، وبى يستهزؤن ، لافتتحن لهم فتنـة تذر الحكيم حيراناً(١) . واليه أشار قوله تعالى : ﴿ يَخْادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا نَفْسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [١٠/٢]

١ - قال العراقي : (ذيل احياء علوم الدين : ٦٢/١) « اخرجه ابن عبد البر باسناد ضعيف ». وجاء ما يقرب من هذا الحديث في الترمذى : ٦٠٤/٤ .

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يُسْتَهْزَءُ بِهِمْ وَيُمْدِهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ او لئن الذين اشتروا الصلاة بالهدى فما ربحت تجارتكم وما كانوا مهتدين ﴿١٦/٢﴾ .
وفي طريق أهل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة في ذم علماء الدنيا المعرضين عن الآخرة .

منها ما رواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي عن سليم بن قيس ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليهما السلام يقول : قال رسول الله عليهما السلام : من هو مان لا يشبعان - طالب دنيا وطالب علم - فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلّها هلك ، الا ان يتوب او يراجع ، ومن اخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجى ، ومن اراد به الدنيا فهي حظه (١) .

وعن أبي عبد الله (ع) : من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب (١) .

وعنه (ع) قال : اذا رأيتم العالم محبًا لدنياه فاتهموه على دينكم ، فان كل محب لشيء يحوط ما احب .

وقال عليهما السلام : اوحى الله الى داود (ع) : لا تجعل بيني وبينك عالما مفتوناً بالدنيا فيصدقك عن طريق محبتى ، فان او لئن قطاع طريق عبادى المربيدين ، ان ادنى ما اصنع بهم ان انزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم (٢) .

وعن أبي جعفر (ع) قال : من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار اذ الرئاسة لا تصلح الا لاهلها (٣)
وعن على بن ابراهيم - رفعه الى أبي عبد الله (ع) قال : طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبهم للجهل والمراء ، وصنف يطلبهم للاستفال والختل ،

(١) الكافي : كتاب العلم ، باب المستأكل بعلمه : ٤٦/١ .

(٢) الكافي : الباب السابق ١/٤٦ وفيه فروق يسيرة .

(٣) الكافي : الباب السابق ، ١/٤٧ .

وصنف يطلبه المفقه والعقل .

فصاحب الجهل والمراء موز ممار متعرّض للحقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم ، قد تسرّب بالخشوع وتخلى من الورع ، فدق الله من هذا خيشه وقطع منه حيز ومه .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع لاغنياء من دونه ، فهو لحلوا لهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذاخبره ، وقطع من آثار العلماء اثره .

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنّك في برونسه وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من أوثق أخوانه ، فشد الله من هذا أر كانه وأعطاه يوم القيمة أمانه (١) .
وعن الحسين الصيقيل ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لا يقبل الله عملا إلا بمعرفة ولا معرفة لا بعمل ، فمن عرف دلته المعرفة على العمل ، ومن لم ي عمل ، فلا معرفة له إلا أن الإيمان بعضه مثل بعض (٢) :

وعن أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي عليه السلام : - إنما قال في كلام له - العلماء رجلان : عالم أخذ بعلمه ، فهذا ناج . وعالم تارك لعلمه ، وهذا هالك . وإن أهل النار يتذلون عن ريح العالم التارك لعلمه ، وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا إلى الله تبارك وتعالى فاستجاب له قبل منه ، فاطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي إلى النار بترك علمه واتباع الهوى وطول الامل . أمّا اتباع الهوى فيقصد عن الحق ، وطول الامل ينسى الآخرة (٣) .

* * *

(١) الكافي : باب النوادر من كتاب العلم ، ٤٩/١ .

(٢) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب من عمل بغیر علم : ٤٦/١ وفيه: بعضه من بعض .

(٣) الكافي : الصفحة السابقة وفيه فرق يسيرة .

فهذه الاخبار تبيّن انَّ العالم الذي هو من أبناء الدنيا أحسنَ حلا و أشدَ عذاباً يوم القيمة من الجاهل ، و ان علماء الآخرة هم الفائزون المقربون ولهم علامات :

منها : مامر ذكرها من اعراضهم عن الدنيا وزخارفها وزهدهم في شهواتها واقبالهم الى الآخرة ، ورغبتهم في درجاتها و معارفها و حقائقها .

ومنها : أن يكون أكثر اهتمامهم بالمعارف الباطنية ، و معرفة عالم الملائكة والروحانيات ، وأسرار المبدع والمعاد ، و معرفة النفس الإنسانية ، و كيفية ارتكانها إلى الكمال ، و خلاصها من النقص ، و طريقها إلى الآخرة ، حتى تصير نفسه عالماً معقولاً موازياً للعالم المحسوس مشاهداً لصورة (كمال) الكل "أخذأ هيئة الوجود من المبدع الأول - إلى الترتيب الصدورى النزولى منه ، و العروجى إليه - و كيفية استكشاف هذه الامور بالمجاهدة و المراقبة و مباشرة العبادات و الاعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصفى الفكر ، و الانقطاع إلى الله عما سواه ، فذلك مفتاح الالهام و منبع الكشف ، فلا يكُون مزاولتهم للعلوم الشرعية الظاهرة أكثر من مواظيبتهم للمعارف الإلهية ، بل مالم يحيطوا بحظ و افر منها لم يشتغلوا باستقصاء مسائل الحلال والحرام الاماهم الواجب العيني بقدر ما لا بد منه - دون الواجب الكفائي الذي يقوم كل أحد فيه مقام الآخر - وذلك لوجوب الاشتغال أولاً بالالهم - والالهم : هو العلم بالله وملكته وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، دون العلم بأوامره ونواهيه .

* * *

كمثال الشیخ الفاضل والفقیہ الكامل زین المجتهدین رحمه الله - ناقلاً في بعض مولفاته عن بعض المحققین - : (١) العلماء ثلاثة :

عالم بالله غير عالم بأمر الله ، فهو عبد استولت المعرفة الإلهية على قلبه

فصار مستغرقاً لمشاهدة نور الجلال و الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا مالا بد منه .

و عالم بأمر الله غير عالم بالله ، و هو الذى يعرف الحلال و المحرام و دقائق الاحكام ، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله .

وعالم بالله وبأمر الله ، فهو جالس على الحد الم المشترك بين عالم المعقولات و عالم المحسوسات ، فهو تارة مع الله بالحب له ، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجع من ربها إلى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه لا يعرف الله ، وإذا خلا بربه ، مشتغلًا بذره و خدمته ، فكأنه لا يعرف الخلق .

فهذا سبيل المرسلين والصديقين ، وهو المراد بقوله ﴿إِنَّمَا سُئِلَ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْحُكْمِ إِنْ هُوَ إِلَّا خَطْلًا﴾ : سائل العلماء ، و خالط الحكماء ، و جالس الكبار .

والمراد بقوله : «سائل العلماء» العلماء بأمر الله غير العالمين بالله فأمر بمسائلتهم عند الحاجة إلى الاستفتاء وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلموه أوامر الله ، فأمر بمخالطةتهم . وأما الكبار فهم العالمون بهما ، فأمر بمحاجستهم ، لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة .

ثم قال : ولكل واحد من الثلاثة ثلات علامات : فللعالم بأمر الله : الذكر باللسان دون القلب ، والخوف من الخلق دون الرب والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحي من الله في السر .

والعالم بالله : ذاكر ، خائف ، مستحي . أما الذكر : فذكر القلب لا اللسان ، والخوف : خوف الرجاء لاخوف المعصية ، و الحياة : حياء ما يخطر على القلب لحياء الظاهر .

و أما العالم بالله وأمره له ستة أشياء : الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة أخرى : كونه جالسًا على الحد المشترك بين عالم الغيب و عالم الشهادة ، و كونه معلمًا للمسلمين ، و كونه بحيث يحتاج الفريقان الأولان إليه وهو مستغن عنهما فمثل العالم بالله و بأمر الله كمثل الشمس لازيد ولا تنقص ، ومثل العالم بالله فقط كمثل

القمر يكمل تارة وينقص أخرى ، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره - انتهى كلامه -

* * *

ومنها : أن لا يكون متسرعاً عما إلى الفتوى مشتاقاً إليه ، بل يكون متوقعاً متحرزاً مأوجد إلى الخلاص سبيلاً ، فإن سئل عمّا يعلمه تحقيقاً بمنص "كتاب أو نص حديث أو اجماع أو مشاهدة باطنية جلية أفتى ، وإن سئل عمّا شرك فيه قال : لا أدري ، وهذا الفظ كأن علماء هذا الزمان حرموا على أنفسهم التلفظ به عند الاستفهام عنهم .

وفي الخبر : إن العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا أدري .

وقيل : «من سكت حيث لا يدرى لله فليس أقل أجراً من نطق» لأن الاعتراف بالنقض أسد على النفس ، فثوابه أزيد وهكذا كانت عادة السابقين ، وكان بعضهم يقول حين سئل عن الفتوى : أتريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم.

قال ابن مسعود : «الذى يفتى الناس لمجنون»

* * *

ومنها أن يكون أكثر بحثه في علم الأعمال عمما يفسدها ويشوش القلب وبهيج الوسواس ويثيب الشرور ، وذلك للتوقى عنه والاحترام من الشر لالمرايا والممارات كما وأن وضع علم المغالطات في المنطق إنما هو لأن يحترز الإنسان عن الغلط ، لأن يقع غيره في الغلط .

وأمسّ علماء الدنيا فأكثر اهتمامهم بتتبع غرائب التفريعات في الأقضية والحكومات والتعب في استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة التي تنقضى الدهور ولا يقع مثلها ، وإن وقع كان لغيرهم لا لهم ، ومع ذلك لا يخلو الأرض عن من يقوم باستنباطه والضعف بتحصيله طليباً للمجاه والشهرة حسبما قدره الله وآودع في غريبة كل أحد ما يناسبه وينتظم به أمور غيره في عالمه - وما أبعد عن السعادة من باع منهم نفسه اللازم بهم غيره النادر إيهاراً لخدمة الخلق وقبولهم على القرب من الله وحضوره عنده وتهالكاً على أن يسميه البطالون فاضلاً عالماً بالدقائق ، وجزاؤه من الله تعالى ما ذكره

بقوله : ﴿ او لئن كثروا لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكللهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ﴾ [٧٧/٣]

* * *

ومن علامات علماء الآخرة وأولياء الله ومجامع نعمتهم انهم منبعون من موت الجهالة متباهين من رقدة الغفلة ، عارفين بحقائق الاشياء مشاهدين حساب يوم الدين ، قوم تستوى عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور وتصارييف الاحوال ، فقد صارت الايام كلها [عندهم] عيداً واحداً ، وجمعة واحدة ، وصارت الاماكن كلها مسجداً واحداً ، والجهات كلها محراباً واحداً - وذلك لخر وجههم بعقولهم الصافية وأذهانهم العالية عن مطمورة عالم الزمان والمكان - وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولّت ذواتهم وجه الله ، فصارت حر كائناتهم كلها عبادة لله وسكناتهم كلها طاعة له ، واستوى عندهم مدح المادحين وذم الذامين ، لا يأخذهم في الله لومة لائم ، قياماً لله بالقسط ، شهداء لله بالحق وهم على صلوائهم دائمون تحققوا بقوله تعالى : ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ [١١٥/٢] ﴿ لكيلأ تأسوا على مفاسدكم ولا تفرحوا بما آتيكم ﴾ [٢٣/٥٧]

وصار دعاؤهم مستجاباً لأنهم لا يستثنون إلا ما يكون ، ولا يكون إلا ما قد كان في سابق العلم ، فقلوبهم في راحة من التعلق بالأسباب ، وأرواحهم فارغة من التكلف بما يعني ، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس ، وأبدانهم في راحة من أنفسهم ، والناس منهم في راحة وأمان ، لا يريدون لأحد سوء ولا يضمرون لأحد شراً - عدوًّا كان أو صديقاً - وذلك لعلمهم بحقيقة الدنيا وخسارة شر كائناً ودثور أهلها ، وارتفاعهم عن الالتفات إلى هذا المنزل الأدنى .

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « والله لدنياكم عندى أهون من عراق خنزير في يد مجدوم » . (١)

وقال ايضاً : « والله مادنياكم هذه الاكعفطة عنز » . (١)

* * *

ان أردت ياحبيبي أن لايشتبه عليك الفرق بين علماء الدنيا المغترّين بلا مع
السراب ~~الذين~~ ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً [١٠٤/١٨] وبين علماء الآخرة الناجين من عذاب يوم الحساب ، الفائزين بشهود رب العالمين ، فتأمل فيما وصفناه ، وتذكر ما ذكرناه من خواص أهل الله لتعرف منه خواص أعدائهم وأخداد خواصهم ، وان شئت زيادة التمييز بين هاتين الطائفتين فتأمل في حكاية وقعت بين رجلين أحدهما من أولياء الله وعباده الصالحين الذين أنجاهم من عذاب جهنم وأعنتههم من أسرها ، وأخلص نفوسهم من عداوة أهلها ، وأراح قلوبهم من آلام المعدبين فيها . والآخر من الهالكين المعدبين فيها بألوان (بأنواع) العذاب ، المحترقة قلوبهم بحرارة عداوة أهلها ، المتألمة نفوسهم بعقوباتها : (٢)

* * *

قال الناجي للهالك : كيف أصبحت يا فلان ؟

قال : أصبحت في نعمة من الله طالباً لزيادة راغباً فيها ، حريصاً على جمعها ، ناصراً لدين الله ، معادياً لاعدائه ، محارباً لهم .

فقال الناجي له : من أعداء الله ؟

قال : كل من خالفني في مذهبى و اعتقادى

قال : ان ظفرت بهم ماذا تفعل ؟

(١) نهج البلاغة : الخطبة الشقشيقية : ولا لقيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز .

(٢) المحاورات الاتي وشطر ممامضي مقتبسة من رسائل اخوان الصفا الرسالة السابعة من النمسانيات والعلقيات : ٣١٢/٣

قال : أدعوهم الى مذهبى ورأى واعتقادى

قال : فان لم يقبلوا منك ؟

قال : افاتلهم وأسفك دمائهم واسبى ذراريهم .

قال : فان لم تقدر عليهم ؟

قال : أدعو عليهم ليل ونهاراً ، وألعنهم فى صلوتى . كل ذلك قرباناً الى

الله تعالى .

قال الناجى : فهل تعلم انك اذا دعوت عليهم ولعنتهم أىصييهم شيء ؟

قال : لأدرى ، ولكن اذا فعلت ماوصفت لك وجدت لقلبي راحة ولنفسى

لذة ، ولغليل صدرى شفاء .

قال له الناجى : أتدرى لم ذلك ؟

قال : لا . ولكن قل أنت

قال : لأنك مريض النفس ، معذب القلب معاقب الروح . لأن اللذة إنما هي الخروج من الالم وليس في هذا الذي ذكرته من أحوالك تصلب في الدين من شيء ، ولا تقوية للشرع المبين ، وإنما هي خدمة لقوتك الغضبية التي تسلطت عليك ، وجعلت قلبك مسخراً ايها في دواعيها ، رهينا لماربها السبعية . وقد استهزأ بك الشيطان حيث غررك بأن هذا ترويج للدين ، وخدمة للشرع المبين وبه تمن على سيد المسلمين - عليه وآله الصلوة والسلام - شبه ماحكم الله سبحانه عن بعض المنافقين بقوله : ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلْ لَا تَمْنَّوا عَلَى إِسْلَامِكُم﴾ [٤٩/١٧] .
واعلم بأنك محبوس في طبقة من طبقات جهنم - وهي : ﴿الحطمة﴾ ناز الله
المودة التي تطلىع على الاوئده [١٠٤/٧] وإنما تشاهد عذابها يوم القيمة عياناً ،
الآن تتقى منها بالفكر الصحيح والعقل السليم ، وتتخلى من نفسك من عذابها وتنجو
بقلبك من عقابها انشاء الله كما وعد بقوله : ﴿ثُمَّ نَجْزِي الَّذِينَ اتَّقُوا - بِمِفَازِهِمْ -
وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْشًا﴾ [١٩/٧٢] .

ثم قال الهالك للناجى : فأخبرنى أنت عن رأيك ومذهبك وحال نفسك .

* * *

واعلم أيّها السالك الى جوار الله ان أمثال هذه المآراء والاعتقادات كثيرة ،
وأكثر هذه الجدليةات مؤلمة لنفس معتقديها ومعدبة لقلوبهم ، وهو جزء لنفسهم
وعقوبة لهم في الدنيا الى وقت معلوم وأجل معدود وفي الآخرة أشد وأدھى ، وهى
اذا اشتدت في الآخرة بحسب الظهور والتحقق صارت نير انات ملتهبة نزاعه للشوی
وحرقات مشتعلة فطّاعه للقلوب كما أشار اليه بقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِّةُ
الْكَبِيرَ﴾ يوم يتذكر الانسان ماسعى * ويزرت الجحيم لمن يرى ﴿٧٩/٣٦﴾
وقوله : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لترون الجحيم * ثم لترونها عين
اليقين ﴿١٠٢/٧﴾ .

واعلم انه لا يصل الانسان الى معرفة الله على الحقيقة الا بعد جوازه على بعض هذه الاراء الفاسدة - اما في أيام صباه او بعد ذلك - ثم ان الله يهدى من يتلقى الشرك به وينجيه منها كما وعد وقال : ﴿ ان منكم لا واردها كان على ربكم حتماً مقتضياً * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً ﴾ [١٩/٧٢]

* * *

قوله عزوجل :

أَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ يُحِيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ أَلَايَتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

قيل : يحييها بالنبات بعد يبسها وجدوبتها ، فكذلك يحيي قلب الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالضلال والكفر . وقيل : هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب ، وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض . وقيل : معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها بالاطاف والتوفيقات .

قد بيّنا لكم الآيات - من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات والدلائل الباهرات - لعلكم تعقلون - فتعلمون بمقتضاها وترجعون الى العبودية التامة .

مُكَاشِفَةٌ

اعلم ان مرجع هذه الاقوال الثلاثة الى شيء واحد في المثال والممثل له جميعاً ، فان الارض مثال للنفس الناطقة الانسانية ، المعبر عنها بالقلب الحقيقي ، لنقلها بالاحوال ، لا الجسم الصنوبرى الموجود في الحمير والبغال ، وموتها مثال لكونها هيولانية ليس فيها شيء من المعارف والعلوم الحقة التي بها يستتم حقيقة الانسان او بتوسطها واعدادها يستعد للحياة العقلية .

والآيات المبيّنة له اشاره الى المقدمات اليقينية التي يتوصل بها في تحصيل الكمال العقلى ، وهو صيرورته عقلاً وعاقلاً بالفعل بتأييد من الحق الاول بواسطه بعض ملائكة العلامة الفعالة للحقائق باذنه تعالى .

وهذه الحياة المقلية هي التي وقعت الاشارة اليها بقوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحيا [١٥٤/٢] ﴾ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتیهم الله من فضله ﴿ [١٦٩/٣] ﴾ وظاهر أن المراد من الحياة التي يكون عند الله هي الحياة المعنوية دون الجسمية (الحسية) .

والمراد من رزق الله أن يكون عنده رزق المعارف والعلوم التي بها يتغذى ويتنفس الأرواح المقدسة ، لا الأغذية الجسمية التي تنموا بها الأجسام المحسوسة ، كما في قوله : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى [١٣١/٢٠] ﴾ .

وان أردت حقيقة المقال في بيان النفس الإنسانية ومراتبها في الاستكمال وبلغوها إلى حد الكمال فعليك بمطالعة ما يبَيِّنَاه في معرفة النفس في كتاب «المبدع والمعاد» فإنهما من الغواصين التي قلما يصل إليها - الا من أيدَهُ الله تعالى بنور الكشف والشهود - ولا يذر كرمن علم النفس في كتب الحكماء الا قدر يسير ومرتبة نازلة منه مناسبة لمباحث الطبيعة وأحوال البدن ، وذلك القدر يسير ايضاً قرْة عين السالكين وقد غفل عنه الجمهور كغفلتهم عن سائر المعارف الضرورية في سلوك سبيل الحق .

وممَا يجب لأقل عالِم على كل عارف (عالِم - ن) أن يعرف من أحوال نفسه التي هي مرقة إلى معرفة الله سبحانه انه اجوه ملكوتى من شأنها أن تعرف ربها ويتقرب إلى الله تعالى ، ويعلم ان من الله مبدأها وإلى الله منهاها اذا سلكت طريق الحق واكتسبت المعارف الحقيقية والعلوم ويعلم انها غير البدن الذي أوّله نطفة مذرة وآخره جيفة قدرة وهو فيما بينها حامل العذرة ، ويعلم ايضاً ان جهلها موتها وهلاكها في الآخرة - كما ذهب إليه كثير من الحكماء والعرفاء - وان حيوتها الاخروية عبارة عن وجود نور مستفاد هو مبدأ للتعقلات ومنشأ لفعل الخيرات ، كما ان حيوتها الدنيوية البدنية عبارة عن كونها منشأ الاحساس والتحريك ، وهو نور يقذف من الحق الاول فيها فينفع منه كما ينفع من نور الشمس وجه الارض ، فأشرقت بها كما اشرقت الارض بنور ربها ، فعند ذلك يظهر بها الحقائق والماهيات التي ليست معقوله بذاتها كما

يظهر بضوء النهار الاجسام الارضية المظلمة الذوات المستنيرة بنور الشمس ، وحينئذ يستعد للاتصال بالملائكة الاعلى وعالم القدس .

ولما كان كل ما يخرج من القوة الى الفعل ، ومن الموت الى الحياة ، ومن الظلمات الى النور يخرج بسبب متوسط بينه وبين الله لكونه تعالى في غاية الوحدة والاشراق والعظمة لا يحتمل شدة نوريته النافذة في العالم ضعفاء البصائر والابصار الا بمتوسط عقلاني وعالم رباني ، ورسول من الحق الى الخلق - كالملائكة للانبياء ، والانبياء للخلق - فيجب أن يخرج هذه القوة الميّتة الهيولانية بشيء يكون كاما بالذات ، فعالاً للمعقولات ، والأنوار العقلية كالشمس الفعالة للأنوار المحسوسة ، وليس فيه شائبة نقص وآفة وقوة الا الامكان الذاتي الذي هو اعتبار مافي الذهن وقد صار مخفياً تحت سطوع النور الاول الحق بحيث يتمتنع ظهوره من كتم الخفاء لتحقق هذا الجوهر العقلي بالوجود الحقاني واتصافه بالوجود الارباطي ولكونه تعالى قهراً للعدم بالوجود والتحصيل ، جباراً لما بالقوة بالفعل والتكميل ، فيما يفيض منه سبحانه على سنة الابداع هي أوائل الموجودات والمهيّمات في ملاحظة جماله وجلاله ، لالتفاتاتهم الى ذواتهم النورية المنورة بنور الاول تعالى فضلا عن غيرهم من عالم الاجسام والظلمات .

فتلك الطبقة العليا من الجو اهر المفارقة أنوار عقلية لا ظلام في عالمها وصباحات ضوائية لاليالي لها ، وإنما توجد من الطبقة التالية العرضية التي هي في صف آخر من صفوف العقول والملائكة القادسة ، وهم الأدنون في أسفل العالم الجسماني ليال عشر من غير التفات منها الى مادونها ، بل عند التفاتهم الى ذواتهم المستنيرة بنور الحق الاول المشاهدة له سبحانه وقعت منها - ظلال الاجسام الكلية ولبسالي الهيولييات العشر - تسع للافلاق وواحدة للعناصر ومايتراكب منها - وكما يفيض مما يلينا منهم والاقرب بالقياس اليها هيولى هذا العالم السفلي ، فكذلك يفيض منه على القوابل والأراضي العقلية والحسية بما فيه من آثار رحمة الله الصور والنقوس والهيئات والنقوش من كمالاتها الثانوية كما في قوله : ﴿فانظر الى آثار رحمة الله﴾

كيف يحيي الارض بعد موتها ﴿٥٠/٣٠﴾ و كذلك تخر جون ﴿١٩/٣٠﴾ .
 فمن هناك يفيض على أرواحنا العلوم الحقة والمعارف اليقينية الحاصلة فيها من ذلك العالم ، اذ من المتحقق أن صور جميع ما وجده الله تعالى حاصلة في عالم الجبروت على وجه مقدس لا يشاهد بهذه العين الدائرة ، فذلك الفياض للعلوم والمعارف ، المكمل للارواح والنفوس وهو المسمى به «روح القدس» وهو المعلم الشديد القوى والمؤيد بالقاء الوحي والالهام للانبياء والولاء الذي كتب في قلوبنا الايمان والمعارف اذا تووجهنا شطر كعبة الحق والجنة العالية ، واذا اعرضنا عنه بالتوجه الى مشاغل الجنة السافلة انمحت تلك النقوش عن النفوس ، كمرآة صقيقة اذا أقبلت الى النير تشعشعـت ، واذا اعرضت عنه تخلـتـ من غير تغيير في النير الاعظم بل في أحوال المرأة .

فاما تحقق هذا المجمل الذي قد فصل في مقامه علم علماً يقينياً : ان الله تعالى يحيي اراضي النفوس القابله والعقول الهيولانية بعد موتها – أي تعلقها بالبدن وغمودها في النشأة الحسية التي هي منبع الجهل والغفلة والموت بتبيين الآيات العقلية وفاضة المعارف اليقينية التي بها يتتوّر نفس الانسان ويحيي بروح المعارف ويخلص من موت المجهالة ، ويستيقظ من نوم الغفلة ، ويتنبه من رقدة الطبيعية ، ويصير معقولاً وعاقلاً بذاته ، فاعلا للصور المعقولة ، واليه أشار بقوله : ﴿لعلكم تقولون﴾ .



قوله عزوجل :

إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (٦٧)

قرء ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد في اللقطين ، والباقيون بتتشديدهما .

فمن خفف كان الكلام عنده بمنزلة قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [٢٧٧/٢] لأن المصدقين - بالتبسيط - مأخذ من « صدق » بمعنى « آمن » ، فهم الذين آمنوا وافقوا - أي : عملوا الصالحة - اما لأن القرض الحسن من جملة الاعمال الصالحة ، لأن معناه أن يتصدق من المال الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على من استحق للصدقة ، او لأن المراد منه مطلق الفعل الحسن والعمل الصالح التي له أجر كريم ، سواء كان بaitاءً أمراً عيناً او غيره ، كما أن التصدق حينئذ يتضمن الصدقة .

ومن شدد كان الوجه عنده أن قوله : اقرضوا الله قرضاً حسناً - اعتراض بين الخبر والخبر عنه ، فهو للصدقة أشد ملازمة منه للتصديق ، ولاحد أن يمنع كونه اعتراضياً أليسته ، لاحتمال أن يكون معطوفاً على معنى الفعل في المصدقين ، لأن اللام فيه بمعنى الذين ، واسم الفاعل بمعنى اصدقوا او صدقوا .

وقراء « يضعف » بالتشديد و« يضاعف » بكسر العين ، أي : يضاعف الله لهم من الجزاء أمثال ما نفقوا في وجوه الخير - لهم أجر كريم - لانه يتربت لذاته على فعل الخير ، وكلما يتربت على فعل الخير يكون أجرأ كريماً ، لأن امور الاخرة تكون شديدة قوية في الالذاذ - ان كانت لذيدة - وفي الايام - ان كانت أليمة - لعدم الغشاوات والموانع عن الادراك هناك ، وكون المدرك قوياً ، والمدرك مكشوفاً وليست اللذة الا ادراك الملائم ، ولا الالم الا ادراك المنافي .

فالمردك للملائيم والمنافي اذا كان في غاية القوة والحمدة فـ{فكشفنا عنك
عطائك بصرك اليوم حديد} [٢٢/٥٠] -- والمدرك منهما اذا كان كنه حقيقة الشيء
ولبه وباطنه وسريرته {يوم تبلى السرائر} [٩/٨٦] والادرك ايضا في غاية التحقيق
واليقين حيث ينتهي الى مشاهدة العين {كلما لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم}*
ثم لترونها عين اليقين * ثم لتشملن يومئذ عن النعيم} [٨/١٠٢] - يكون الانذار
والا يلام في غاية القوة والشدة ، وهذا هو البيان في كون امور الاخرة في باهـا
عظيماً شديداً .

مُكَاشِفَةٌ

النكتة في ان فعل الحسنة يكون أجره مضاعفاً وفعل السيئة يكون أجره مثله
ـ كما في قوله تعالى : {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها} [٦/١٦٠] - وجهان : أحدهما من جهة القابل ، والآخر من جهة الفاعل .
اما الوجه الاول : فهوأن حقيقة النفس الانسانية من عالم الامر وعالم الاخرة
وستنق الروحانيات النورية ، فووقدت في هذا العالم الجسماني الظليمانـى لجنائية
صدرت من أبيه آدم الاول ، وهبطت من الجنة الى الارض غريباً وحيداً أسيراً في
أيدي الظلمات ، ملسوعاً بلسع حـيات الشهوات وموذيات اللذات ، مسحوراً بـسحر
الطبيعة ووساوس الشياطين ، كما في قوله تعالى : {لقد خلقنا الانسان في أحسن
تقويـم *} ثم رددناه أسفل سافلين} [٥/٩٥] .

ثم ان كل عمل وفعل صدر من الانسان في هذا العالم يحصل منه اثر في قلبه
لارتباط شديد بين النفس والبدن ، فيحصل من تكرر الافاعيل في النفس أخلاق
وملكـات هـى مواريث المعاملات ، فـاذا تكررت الافاعيل الحسنة - من الصيام ،
والقيام ، والاطعام ، والصدقات بـحسن النيات وصدق الطويـات - ظهرت من دوام

تكررها هيئات حسنة راسخة في النفس، فيتنور عندها بنور الصفات الملكية ويسهل معها صدور الفضائل والخيرات ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحَسْنَىٰ * فَسَيِّسِرْهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [٧-٥/٩٢] .

وكذلك اذا تكررت الافعال الذميمة والسيئات - من البخل ، والاستكبار ، والكذب ، وغيرها - حصلت من دوام تكررها صفات ذميمة راسخة في النفس ، فت Kendrick عندها بكدورة المعااصي ، فيسهل معها صدور القبائح منها مما لم يكن يصدر قبل ذلك بتلك السهولة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مِنْ بَخْلٍ وَاسْتِغْنَىٰ وَكَذَّابٍ بِالْحَسْنَىٰ فَسَيِّسِرْهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [١٠-٨/٩٢] ولو لم يكن تكرر الافاعيل مورثاً لحصول الملائكة في النفس لم يحصل للانسان الصناعات العلمية والعملية .

ثم لما كانت الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقرّبة لها من عالمها ، مذكرة لها عهدها القديم مع أقاربها والافها . والافعال القبيحة ، مناسبة لعالم الجحيم ، مبعدة لها عن عالمها - والمناسب للشىء يكون أسرع تأثيراً من المخالف الغريب في اخراج ذلك الشىء عملياً يتضمن طبعه .. فالافعال الحسنة والخيرات أقوى تأثيراً في سعادة النفس وكمالها وتذكرها وقربها اليه تعالى من الافعال القبيحة والشروع في شقاوتها ونقاصها ونسيانها وبعدها عنه تعالى .

* * *

واثاريهما ان رحمته تعالى فائقة على غضبه ، سابقة عليه ، كما قال : « سبقت رحمتي غضبي ». (١) حتى أن عين الغضب وماهيته انما وجدت منه تعالى برحمته التي وسعت كل شىء . كيف والوجود الفائض منه على كل شىء هو عين الرحمة عليه ، فوجود الغضب انما هو من رحمة الله على عين الغضب فسبقت نسبة الرحمة اليه تعالى على نسبة الغضب ، وذلك لأن الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب ناشية من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة التامة ، واليه الاشاره في قوله

سبحانه : ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسْنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ [٧٩/٤] اى من سوء استعدادك وان كان الكل من عند الله اذ لا استقلال لغيره في الایجاد . وفي الحديث النبوي ﷺ : ان الخير كلّه بيديك والشر ليس اليك . ومن أمعن النظر في لوازم الغضب - من الامراض والآلام والفقر والجهل والموت وغير ذلك - يجدها كلها اموراً عدمية ، فالرحمة ذاتية للحق ، والغضب عارضة ناشية من أسباب عرضية .

فإذا كان كذلك كان باعث الرحمة أسهل وجوداً وأقلَّ أسباباً وأيسر تحققاً ، اذ يكفيه امكان القبول لها . وباعت الغضب بخلافه ، اذ لا يكفي مجرد امكان المحل ، بل لا يحصل الا من وجود المنافى للرحمة ، المانع ايها ، فقابل الرحمة وداعيها لا يحتاج الى تعمّل كثير ، غير صفاء الذات ، وخلوص الفطرة ، وصفالة وجه القلب عن الكدورات ، بخلاف داعية الغضب ، فانها لوجود المعااصى والقبائح الغريبة من الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها ، ولهذه الدقيقة عبر عن باعث الرحمة « بالكتسب » ، وعن باعث الغضب « بالاكتساب » لما في مفهومه من التعمّل الزائد على مافي الطبع في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَسَبْتُ وَعَلَيْهَا مَا كَتَبْتُ﴾ [٢٨٦/٢] .

* * *

فإن قلت: ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة في التضييف لغيرها من الأعداد؟
قلنا: وجہ ذلک کون انسان معموقاً فی الدنیا عن فعله الخاص به - الذی هو ذکر الله ومعرفة ملائکته ورسله والدار الآخرة - لأنغمار نفسه فی الحسیمات واشتغاله بالجسمانیات، وهذا بخلاف فعل المعااصی والشهوات ، فانها مما يلاطم البدن وقواه، فلا يزاحمنا بل يعين عليها القوى البدنية . ولما كان المبدأ الادراکی للاقایعیل العقلیة والطاعات قوی واحده - هي الناطقة - والمبدأ الادراکی للاقایعیل الحسیة والمعااصی قوی عشرة - أي الحواس الخمس الظاهرة ، والخمس الباطنة - فكل حسنة تصدر عن القوی العاقلة لابد فيها - لكونها على خلاف طبائع القوی - من مجاهدة وقعت من العاقلة مع كل واحدة من تلك العشرة ، وكل مجاهدة لها أجر

واحد ، فكل حسنة تستلزم عشر حسنهات مستدعاة لعشرة أمثال أجر احديها ، واليه الاشارة في قوله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يُغْلِبُوْا مَائِيْنَ وَإِن يَكُنْ مِّنْكُمْ مَائَةً يُغْلِبُوْا أَلْفًا مِنَ الظِّنْ كَفَرُوا﴾ [٦٥/٨] .

قوله عزوجل :

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ
وَأَشْهَدَ اللَّهَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ

الصديق : الكثير الصدق المبالغ فيه . وهو اسم مدح وتعظيم .

قال الزمخشري : «أى : هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء ، وهم الذين سبقو الى التصديق ، واستشهدوا في سبيل الله - لهم أجرهم ونورهم - أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم » .

ثم استشكل بعض المفسرين في هذه الممااثلة بينهم في الاجر والجزاء مع تفاوت قدرهم . فأجاب عنده بعضهم باعطاء الله تعالى أجر المؤمنين مضاعفاً بفضله ورحمته ، حتى يساوى أجرهم مع المضاعفة أجر أولئك .

وفيه نظر بعد ، لأن باب الرحمة والتضييف كما افتتحت لهؤلاء ، افتتحت لأولئك ، لأن الله تعالى واحد لا تغير فيه فیاض على الجميع ، ولو كان المراد أن أجر هؤلاء مع التضييف مثل أجرهم - لامعه - يفوت مدح المؤمنين - والمقام مما يقتضيه - .

والاولى أن يراد من الإيمان بالله والرسول مرتبة كاملة من المعرفة التي لا يتحقق الا في العلماء ، أو يراد منه الإيمان الحقيقي الباطنى الكشفي ، وهو الذي يكون للآولىء والعرفاء خاصة ، فإنهم هم الصديقون والشهداء لغاية تصدقهم الحاصل بالكشف ، وفناهم عن ذاتهم الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقوتها الامارة .

قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صديق شهيد - وقرء هذه الآية .
لهم أجرهم ونورهم : أى لهم ثواب طاعتهم ونور ايمانهم وهو النور الذى
يهتدون به الى طريق الجنة ، وهذا قول عبدالله بن مسعود ورواه البراء بن عازب
عن رسول الله ﷺ .^(١)

وروى العياشى بالاسناد عن منهال بن قصاب ، قال : قلت لابى عبدالله ؓ :
ادع الله أن يرزقنى الشهادة .

فقال ؓ : المؤمن شهيد - وقرء هذه الآية -

وعن حارث بن المغيرة ، قال : كنا عند أبى جعفر ؓ فقال : العارف منكم
هذا الامر ، المنتظر له ، المحتسب فيه الخير كمن جاهدو الله مع قائم آل محمد
بسيفه .

ثم قال بل : والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه .

ثم قال الثالثة : بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ فى فسطاطه وفيكم
آية من كتاب الله - وقرء هذه الآية ثم قال : - صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم^(٢)
وقيل : ان «الشهداء» منفصل عمّا قبله مستأنف ، والمراد بالشهداء : الانبياء
الذين يشهدون لللامم وعليهم - وهو قول ابن عباس ومسروق وقاتل بن حيان ،
واختاره الفراء والزجاج .

وقيل : هم الذين استشهدوا فى سبيل الله - عن مقاتل بن سليمان وابن جرير .

* * *

(١) مجمع البيان : فى تفسير الآية .

(٢) مجمع البيان فى تفسير الآية .

مِحَاشِفَةٌ

اعلم - أيها السالك - ان لفظ « الایمان بالله و الرسول » يطلق بالاشتراك والمجاز العرفي بين مراتب متفاوتة في المعرفة :
احدىها : ماتلقفه العامي تقليداً او تسليناً من غير بصيرة كشفية ولا معرفة كسبية سواء كانت برهانية او جدلية - وهو الایمان باللسان ، وفائده : العصمة لصاحبها في الدنيا عن السيف والسنان .

و ثانيةها : ما يستفاد من صناعة الجدل و طريق المتكلمين ، وفائدها : حراسة العقيدة عن الجاهدين والمفسدين وقطع اطريق الحق للسائلين ، وليس فيه انسراح وافتتاح ، ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة خالداً - ان كان مع شرائطه -
والثالثة: ما يستفاد من البرهان اليقيني - كما في طريقة الحكماء ، وفائدها:
حصول المعرفة الحقيقية للمبدع القيّوم وصفاته وأفعاله .

و الرابعة : ما يستفاد من الرياضيات و المجاهدات و ترك التعلقات والزهد الحقيقى عن الدنيا وطبياتها ، وفائدها : الوصول إلى جانب الحق ومشاهدة صفاته وأسمائه وأفعاله من حيث هي أفعاله .

فالایمان ينقسم إلى قشر ، وقشر القشر ، ولب ، ولب اللب ، كالجوز مثلا
فإن له قشرين ولبيّن :

فالمرتبة الأولى أن يقول : « لا إله إلا الله » وربما كان مع الغفلة او مع الانكار الانكار القلبى كما في المنافقين .

والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ ضميراً ، كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد بوجه له مناسبة إلى ما هو الحقيقة بخلاف الأول فإنه تقليد محض .

والثالثة : أن يشاهد ذلك بالنظر إلى طبيعة العالم وامكانيها وافتقارها إلى

ما يرجح وجودها على عدمها ، ثم بما يلزم الوجوب الذاتي من الرحمة والوجود ، وهداية الحق بارسال الرسل و انزال الكتب ، والجزاء لهم يوم المعاش والثواب للمسنون والعقاب للمسنيء او العفو عنه ، الا ان يكون فيه ما ينافي من الكفر والاصرار والجهل والاستكبار .

الرابعة : أن يشاهد ذلك مشاهدة الموجود الحقيقي وصفاته وآثاره ، ولا يرى للفعال والآثار وجوداً استقلالياً ، فلا ينظر إلى شيء الا يرى الحق فيه مع تفاوت المرئي صفاء وكمامة ، وتفاوت ظهور الحق فيها جلاء وخفاء .

و هذا عبد قد استولت عليه الانوار الاحدية ، و ظهرت له سواطع العظمة الالهية ، فجعله هباءً منثوراً ويندك عنده جبل انتهيه ، فيخر لخروراً ، وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاغيارات ، ويحترق بنوره الحجب والاستار ، فينادي الحق : لمن الملك اليوم ؟ و يجيب بنفسه لنفسه : لله الواحد القهار . و المؤمن بهذه المرتبة يقال له : «الولي» و «الصديق» و «الشهيد»

اما كونه ولينا ، فلانه لا يحب الله أحداً غيره وهو لا يحب غير الله ، أما الاول : فلان غيره لا يعرف الله ، والمحبة تتبع المعرفة بل عينها - لأنها ادرك الملائم من حيث هو ملائم ، والملائم لكل أحد لossilم مذاقه عن الامراض النفسانية ولم يدخل طبعه بالمعاصي الجسمانية ، هو المعبود الحق الذي به وجود كل شيء وكماله - وأما الثاني : فلان غير الله لا وجود له عند الولي ، والمحبة تتبع الوجود للشيء عند المحب .

واما كونه صديقاً : فلكون كمال رتبة الصديق يكون بكمال رتبة المعرفة ، وأكمل مراتب المعرفة هو المشاهدة ، فمن شاهد الوجود الحقيقي ومرتبته في الكمال وشمول الافاضة وعموم الرحمة منه على كل شيء بحيث لا يشارك له - لافي الوجود ولا في الإيجاد - فهو الصديق الأعظم لغيره من لا يعرف الحق وفيضه الابالدليل او التقليد من غير بصيرة وكشف .

واما كونه شهيداً : فلشهادة نفسه في طريق الحق وعدم التفاته إلى هذه الحياة

الدنيا ، اذ الشهادة عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله ، و خرج حب جميع الملاذ والشهوات عن القلب ، لأن من يهجم على صفات القتال فهو يوطن نفسه على الموت حبأله ، و طلباً لرضاه ، وبائعاً دنياه بآخرته ، راضياً بالبيع الذي بايده الله ، اذ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [١١١/٩] و البائع راغب عن المبيع لامحالة ، ومثل هذه الحالة تحصل للقلب في «ضم الاحوال في غير العرفاء» ، ولكن لا يتافق لزهوق الروح فيها ، فالوقوع في صفات القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحال ، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنية والصيت بالشجاعة ، فان من هذا حاله -- وان قتل في المعركة -- فهو ليس بشهيد ، لبعده عن مثل دندا الرتبة ، كما دلت عليه الاخبار .

فقد علم ان رتبة الشهادة انما يحصل لاجل أنهم جردوا أنفسهم عن التعلق بالحياة الجسماني ابتغاوا لوجه الله ونصرة لا ولائياته في نية اظهار شريعته وخرجو عن الدنيا عند تكليف هذه الحالة ، ففازوا بالنعم الابدية .

وأما العرفاء فقد خرجو عن التعلقات بماسوى الله تعالى ، وقصروا النظر على وجه الله ، من غير التفات إلى ذواتهم فضلاً عن غيرها وحصل لهم الموت الارادي عن هذه النشأة الدنياوية ، و هذه الحالة هي حبّر اهم من غير تعمّل و كلفة ، فهم الشهداء بالحقيقة قبل حصول الموت الطبيعي او القتل لهم ، لأنهم قبل انتقامه هذه الحياة الدنيا و انهدام بناء هذه الجنة الطبيعية -- أحياء عند ربهم حياة طيبة عقلية ، يرزقون بالارزاق المعنوية والاغذية العلمية فر حين بما آتىهم الله من فضله فحينئذ يستقيم معنى الآية من غير تمثّل .



قوله عزوجل :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَيْنِنَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ الْجَحِّمِ

الكفر : هو عدم الايمان عمما من شأنه أن يكون مؤمنا ، والايامان – كما اعلمت – هو المعرفة بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فالكفر هو الجهل بهذه المعرف ، سواء كان مع الجحود والاستكبار و تكذيب الرسول وما أتى به ، أملا و الاول يستلزم الخلود في النار قطعا ، والثانى يحتمل النجا و لو بعد المكث طويلا او قصيرا ، ويبدل على خلود الكفار المكذبين في النار التعبير عنهم و الحكم عليهم بأصحاب الجحيم .

مِكَاشَفَةٌ

كمان مجتمع سعادات الانسان ترجع الى تحلية قوته العلمية بالعلوم الحقيقة وحقائق الايمان بالله و اليوم الآخر ، و تخلية قوته العملية من ذمائم الاخلاق و رذائل الملوكات ، كذلك جوامع الشقاوات ترجع الى انتقاد الشفاعة بمناقض المعرف الحقة و اتصافها بمناقض الصفات الذميمة .

وانصار الجهل الراسخ – المعتبر عنه بالكفر – والخلق الكريه – المؤدي الى تكذيب الرسول المؤيد بالمعجزات – موجباً للخلود في النار لأن الجنسية علة للضم ، والمرء يخسر مع محبوبه ، والجحيم انما هي من حقيقة هذه الدار لكن ظهورها في هذه الدنيا بصورة الشهوات و اللذات ، وفي الآخرة بصورة التيران والجحيم والزقوم ، فاذار ساخت محبة الدنيا في النفس ونسخت عن ذكر الله ، صارت في الآخرة محجوبة عن لقاء الله وقاء أوليائه الصالحين ، ويفيت في كرب السعير

و عذاب الجحيم ، لرسوخ محبتها ايها فى هذه النشأة و ارتكان [ارتکاز - ن] تعلقها بها .

وانما لم يتالم النفس بعداب الشهوات ، و لم يتأذ بلسع حيّات ملاذ الدنيا و عقاربها قبل الموت مع كونها متصلة محبيطة بها غير مفارقة عنها - لقوله تعالى : ﴿وَان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] لخدر الطبيعة و سكرها الحاصل بسبب قلة المعرفة ، و كثرة الاشتغال باكتساب أسباب الدنيا و جمع حطامها .

وربما يوجد من الناس من يجد الالم عين الراحة والراحة عين الالم، فيأكل الحميم والزقوم في هذه الميزة الفانية مشتهياً لذيداً عند ادراكه ، ويعوق عن ادراك العقائد الحقة التي هي العسل المصفى ، واللين الذي لم يتغير طعمه، لكونه محجوباً عن ادراك كل من القبيلين بصر رته الظاهرة ، فالشهوات لذيدة حلوة عنده، والوعظة الحسنة والكلمات الحقة كريهة مرة لديه .

وهذا لاجل مرضه الواقع بسوء العادات ، كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين ، و كما يستبشر بعض المرضى الاشياء الحلوة ، و يستحلى الاشياء المرة ، كمن به مرض «بوليموس» حيث يأوف حسه لغلبة الخلط السوداوي ، ويخدر ذاته عن ادراك الطعم على وجهها ، فيجد المرحلوا والحلومرا ، كما قيل شرعاً :

فمن يك ذافم مر مريض يجد مر آبه الماء الزلا

والافقلب السليم والعقل الصحيح لا يلتذ الا بذكر الله و معرفته ولقائه ، لأن ذلك كماله وغذاؤه وقوته ، لا الامور المحسوسة الدنياوية من المال والبنين وغيرهما من الامور التي خلقت لاجل الانتفاع بهافى طلب الآخرة و السلوك الى الله تعالى ، لاللاتذاد و التعشق ، ولما كان الكمال الحقيقي والخير الممحض هو معرفة الحق الاول وملكته التي ستقلب في الآخرة مشاهدة له ، وهو انما يتأتى بالقلب السليم من مرض العادات السيئة من مؤانسة المحسوسات ، قال سبحانه : ﴿يُوْم لainفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم﴾ [٢٦/٨٩]

قوله عزوجل :

أَعْلَمُو أَنِّي أَحْبَبُ الدُّنْيَا لِعَبِّ، وَهُنُو وَرِينَةٌ وَتَفَاخِرُ بِنَكْرٍ وَتَكَافِرُ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَدْوَلَدِ كَمَثِيرٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَبَاتِهِ ثُمَّ يَهْبِطُ
فَتَرَنَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَنَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

زهد الله سبحانه الناس عن الركون الى الحياة الدنيا ورهبهم عن التورط في مشتهياتها بأبلغ وجه و أكدت حيث يبيّن ان محقرات مشتهياتها و مختصرات لذاتها ليست في الواقع و عند اولياء الله الذين نظرهم على حقائق الامور و بواطنها الاموراً و همية باطلة زائلة ، وهي اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتکافر ، لأنها كذلك من باب التجوز والتتشبيه لعلاقة الاشتراك بينهما في عدم البقاء – كما وقع في بعض التفاسير – فان ذلك بحسب النظر الجليل و ادراك اهل الحجاب . ولا انها كذلك بحسب المبالغة والتخيل كما هو عادة الشعراء وأهل القصص – أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين – بل هي بحسب التحقيق ليست بهذه المذكورات وليس أدا جائئه لم يجده شيئاً [٢٤ / ٣٩] و كما ان امور الدنيا ليست الا وهام محضة و خيالات صرفة فامور الآخرة بعكس ذلك ، اذ ليست الاموراً عظيمة ثابتة الهيبة . لأنها بوطن الاشياء وحقائقها التي لا تبيد ولا تنقص .

وقيل : «اللعاب» مارحب في الدنيا ، و«اللهو» ما الهوى عن الآخرة و«الزينة» ما يتزينون بها في الدنيا ويتحلون في أعين أهلها ثم يتلاشى .

و منشأ التفاخر بين الناس هو القوة الغضبية والهيئة السبعة التي لاتزال توجب التفوق على الاقران والترفع على الاشباه ، ومنشأ التكاثر هو القوة الشهوية والصفة البهيمية التي لاتزال تطلب تزايد المشتهيات .

ثـم انه تعالى مثل حال الدنيا وسرعة انقضائها وفنائها مع قلة جدواها بنيات انبته المطر فاستوى واستكمـل وأعـجب الكـفار نـيـاته - دون غيرـهم - لأنـهم هـم المـفترـون بالـامـور الـبـاطـلـة الـواـهـيـة الـبـاطـلـة ، بـسـبـب ما يـخـيل وـيـرـوـق لـهـم مـن ظـواـهـر زـينـتها بما يـنـكـرـون الـآخـرـة و لا يـعـرـفـونـها ، فـهـم بـهـا أـعـلـق ، و هـى لـهـا أـرـوـق وـأـلـمع ، لـاـهـل الله وـالـمـؤـمـنـين حـقـاً .

وليس المراد منه المبالغة في وصف النبات وبيان حسنـه بأنه يـعـجبـ الكـفارـ مع جـحـودـهـم لـعـمـةـ اللهـ فـيـمـارـزـقـهـم -- كـمـاـقـيل -- بل اـعـجـابـ الكـافـرـ بـيـانـ لـلـوـاقـعـ فـيـ الـحـكـاـيـةـ الـتـيـ مـثـلـ بـهـاـ الـحـيـوـةـ الدـنـيـاـ وـيـجـوزـ أـنـ يـكـوـنـ اـشـارـةـ إـلـىـ الـقـصـةـ الـمـذـكـوـرـةـ فـيـ الـقـرـآنـ لـصـاحـبـ الـجـنـةـ وـالـجـنـتـيـنـ .

وـقـيلـ :ـ الـكـفـارـ :ـ الـزـرـاعـ ثـمـ بـعـثـ عـلـيـهـ الـأـفـةـ فـهـاجـ -ـ أـىـ يـيـسـ وـاـصـفـرـ وـصـارـ حـطـاماـ،ـ أـىـ :ـ مـاـيـنـحـطـمـ وـيـنـكـسـرـ بـعـدـ يـيـسـهـ عـقـوبـهـ لـهـمـ عـلـىـ جـحـودـهـمـ وـكـفـارـهـمـ -ـ وـفـىـ الـآخـرـةـ عـذـابـ شـدـيدـ -ـ أـىـ :ـ لـمـنـ رـغـبـ فـيـ الـدـنـيـاـ فـيـشـغـلـهـ عـنـ ذـلـكـ الـآخـرـةـ -ـ وـمـغـفـرـةـ مـنـ اللهـ وـرـضـوـانـ -ـ أـىـ :ـ لـمـنـ تـزـوـدـ مـنـهـاـ لـلـآخـرـةـ .

وـمـاـ الـحـيـوـةـ الدـنـيـاـ -ـ لـمـنـ رـكـنـ إـلـيـهـاـ وـتـطـمـئـنـ بـهـاـ -ـ الـامـتـاعـ الـغـرـورـ -ـ كـلامـ السـرـابـ لـلـظـمـآنـ حـيـثـ يـتـخـيـلـ لـهـ لـغـايـةـ ظـمـائـهـ أـنـ لـهـ حـقـيقـةـ .ـ كـذـلـكـ حـكـمـ الـدـنـيـاـ لـلـنـاقـصـيـنـ وـضـعـفـاءـ الـعـقـلـ يـتـخـيـلـ لـهـمـ مـاـفـيـهـاـ لـذـةـ وـكـمـاـلـاـ فـيـغـتـرـونـ بـهـاـ .

* * *

اعلم (١) ان ما يوجـبـ عـقـوبـةـ أـهـلـ الجـحـيمـ فـيـ الـآخـرـةـ وـتـعـذـيبـهـمـ بـالـعـذـابـ

(١) من هنا الى قول المصنف : «فـانـقـلتـ كـيفـ حـكـمـ اللهـ» صـ ٢٣٩ـ سـ ٥ـ جاءـ فـيـ نـسـخـةـ بـيـنـ قـوـلـهـ «ـبـقـلـبـ سـلـيـمـ»ـ وـ«ـاعـلـمـواـ انـمـاـ الـحـيـوـةـ ..ـ»ـ صـ ٢٣٥ـ

الاليم هو بعينه موجود معهم في الدنيا يعذب باطنهم بنيرانه ، وذلك هو الاعتقادات الفاسدة و الاخلاق الرديئة التي كلها نير انات ملتهبة و حرقات مشتعلة يوذى صاحبها ويوجب العداوة والبغضاء لهم أبناء الدنيا الذين سيصيرون من أصحاب الجحيم ، والخصوصية معهم في مقاصدهم وما بهم الخسيسة الدنياوية ، وهذه الجهات وذمام الملوك كما يوجب التعذب بها الصاحبها في الاولى ، فهي بعينها التي توجب التعذب بها لهم في الاخرى على وجه أشد و أبقى ، لقوله تعالى : ﴿ وَعِذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [١٢٧/٢٠] فان امور البدن وأشغال الدنيا هيئنا ياهي ويفعل الروح عن در كها كما هي ، بخلاف النشأة الثانية ، فان البدن الآخر ولياليه الروح عن ادراك الالام ان كانت شقيقة – كما لا يلهيها عن ادراك اللذات الاخوية ان كانت سعيدة . فأهل النار اذا دخلوها تسلط النار على ظواهرهم وبواطنهم لأن ظواهرهم عين بواطنهم – كما حققناه في بعض كتبنا عند اثباتنا المعاد الجسماني بالاستبصار العقلی ايضاً ، كما هو ثابت عند الجمهور من الملبين والحكماء الاسلاميين بالنص النقلی – وليس لحقيقة العذاب تسلط هيئنا على ظواهر الاشياء ، لكن ظواهرهم مبائنة لبواطنهم – الانحوأ ضعيفاً لم يتبنهو ا عليه لحد الطبيعة وسكر البدن وجهل المادة . فإذا تسلط عذاب النار على ظواهرهم وبواطنهم وأحاط بهم سرادقهم ملوكهم الجزع والاضطراب ، فيكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ، متخصصين متقاولين ، كما انطق به كلام الله في مواضع متعددة مثل قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلْتَ أَمَةً لَعْنَتْ أَخْتَهَا ﴾ [٣٨/٧] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقِّ تَخَاصِّمِ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [٦٤/٣٨] . وكما ان هيأت امراض الجهل وغيره من الصفات اذا كانت راسخة مقرونة مع العناد والاستكبار لا يمكن أن يزول أصلاً ، فكذلك الاشياء المردودون من الكفرا والمتجبرين لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ، فكلما طلبوا أن يخفف عنهم العذاب وأن يقضى عليهم واستغاثوا أن يرجعوا إلى الدنيا فلم يجذبوا إلى طلبائهم ، كما حكى الله تعالى عن اقتراحهم واستغاثتهم بقوله تعالى : ﴿ يَامَالَكَ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رَبَّكَ ﴾ و عن عدم اجابتهم بل منعهم عن السؤال وطردهم عن الاقتراح بمثل قوله

تعالى : ﴿ انکم ما کثون ﴾ [٧٧/٤٣] ﴿ اخسیوا فیها و لانکلمون ﴾ [١٠٨٢٣] فلما یشروا و طعوا انفسهم على العذاب والمکث على ممر السنین والاحقاب ، وتعللوا بالاعذار ، ومالوا الى الاصطبار وقالوا : ﴿ سواء علينا أجزعننا أم صبرنا مالنا من محیص ﴾ [٢١١٤] .

* * *

فإن قلت : كيف حكم الله على الحيوة الدنيا بأنها لھو ولعب - اى باطل موھوم لاحقيقة لها مع أنها ثابتة في الواقع والثابت في الواقع لا يكون باطلاقاً موھوماً؟ قلنا : يمكن الجواب من هذا بحسب جليل النظر انه ليس المراد مما ذكره سبحانه ان الحيوة الدنيا التي هي القوة على الحس والحركة أمر موھوم ، اذ لاشك في أنها أمر ثابت في بعض الاوقات - وإن لم يكن دائمياً - بل الغرض منه ان هذه الحيوة ليست حقيقة يمكن ثبوتها في حق الانسان بما هو انسان - اى ذو جوهر روحاني هو محل معرفة الله - لأن حيوته حيوة علمية نطقية اخر اوية - و الحيوة الحسية الدنياوية هي حيوة تتصرف بها الحيوانات بما هي حيوان - اى ذو جوهر حساس - واذا تصرف بها الانسان في بعض الاوقات فانما يكون بما هو حيوان ، لا بما هو به انسان .

فاصفان الانسان بتلك الحيوة الحسية باعتبار أن له قلباً حقيقياً هو محل معرفة الله أمر وهمي ، اذ لا وجود لها للانسان الامجازاً لعلاقة الارتباط بين حقيقة الانسان - الذي هو روحه المشار اليها بـ « أنا » - والجسد الحيواني الواقع تحت جنس الحيوان عند أخذه لا بشرط شيء اى باعتبار الذي به حيوان - لا بما هو به بنية ومادة - وقد تبيّن الفرق بينهما في علم الميزان .

ويمكن أن يقال بحسب دقيق النظر : ان المراد من الحيوة الدنيا نفس الادراك المحسى للامور الدنياوية - تسمية للشيء باسم ما يبعث عنه ويتم به - فان الحيوة الحيوانية انما يتم بالحس والحركة . وغاية الحركة ايضاً هو الحس في غير الانسان . والاحساس بالشيء لا يتم الا بالتوهم والتخييل ، والموھوم او المتخيل بما هو موھوم او متخيل لا وجود له في الخارج - بل في الذهن - وكل ما لا يوجد له في الخارج

فهؤله ولعب اي باطل .

ولو تقطن متفطن لعلم أن كل من يلتبذ بأمر من الامور الدنياوية او يتآلم به فانما يتلذذ ويتألم بما هو حاضر في ذهنه - مع قطع النظر عن الخارج حتى لو جزم انسان بوجود أمر ملائم له لكنه بذلك الملائم متحققا وان عدم في الواقع . وذلك كمن عشق واحداً واعتقد في غاية الحسن والجمال ، اذ ربما كان التذاذه بوجوده وتشوقة بجماله ثابت مدة مديدة يظن أنه موجود في موضع كذا من داره - وهو قدمات متداول تلك المدة - فعلم ان وجوده الخارجي ليس موضوع هذه المحبوبية لفقدده ، فقس عليه حال جميع المحبوبات والمعاشيق الدنياوية في أنها أوهام محضة لا وجود لها في الخارج ، والحياة الدنيا ليست الا حالتكم قبل الموت بالقياس الى هذه المحسوسات .

ومما ينبغي لك أن تعلم انه ليس حصول التعقلات الكلية ، وادراك المعارف الالهية ، ونبيل الحقائق الكونية على النحو الذي هي عليه للانسان من جملة الحياة الدنيا الحسنية أصلاً ، بل انما هي له لاجل ما به من النشأة الآخر ويتهاو والحياة الادراكية العقلية وقد علم مما ذكرنا هيئنا حكمين : احدهما كون الامور الدنياوية من الذهب والفضة والمخل المسمومة والانعام والحرث في أنفسها وبحسب جواهرها وذواتها اموراً وهمية . وثانيهما : ان وجود هذه الاشياء للانسان وهمي . وكلما حكمين حق وصواب .

اما الثاني : فلما أشرنا اليه من أن وجود الذهب في نفسه ليس ملذاً للانسان بل الاعتقاد بوجوده له مما يلتبذ به .

واما الاول : فلما حققناه في موضعه موافقاً لما عليه المحققون من العلماء فضلاً عن الاولياء والعرفاء من أن المركبات المحسوسة الجزئية لا وجود لها منفرداً عن الحقائق البسيطة المعقولة التي يتقوم بها تلك الجزيئات ، وقد صرحوا بان مناط وجود الجزيئات المادية محسوسيتها ومناط المحسوسة وجود الشيء للجوهر الحاس وقد علمت أن الاحساس لا يتم الا بالتواهم ، اي الوجود للقوة الوهمية التي

هي من جنود الشيطان .

* * *

واعلم ان لذات الحياة الدنيا انما هي لعب ولهو لانها من فعل الشيطان ، والا فليست امور الدنيا بماهى هي - اى بالحقيقة التي بها ثابتة وحق - لذيدة ، لأن لكل شيء حقيقة ، وحقيقة امور الدنيا ، تجدها وزوالها وانصرامها وفائدتها ، لأنها أكون ناقصة واقعة في جهة السلوك الى الله تعالى والارتفاع اليه . والسلوك بما هو سالك ليس له في حدود سلو كه كمال ، فان المركبة هي نفس الخروج من القوة الى الفعل ، فهي مابين صرافة القوة والفاقة ومحض الفعل ، والوجود واللهمة الحقة من توابع الوجود الحق الذي يتوجه اليه الموجودات ، والتوجه الى الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الساترة للحق لاجل الوجود الموهوم ينسب اليها بحسب القوة الوهمية ، فعالم الكون كلها خيال في خيال كهما يقال :

كل مافي الكون وهم او خيال او عكس في المرايا او ظلال فحقيقة العكس او الخيال او الظل اذا اخذ من حيث كونه عكسا او خيالا او ظلا واما اذا اخذ العكس اصلا وخيال عينا والظل شخصا فيكون كل منها باطل ، كما في قول لميد :

ا لا كل شيء مخالف الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل
لان مخالف الحق تعالى معلوم ممكنا ، والمعلوم اذا اخذ منسوبا الى الحق
كان حقا بحقيقة الحق وواجبها بوجوبه ، واما اذا اخذ غير منسوب اليه - بل منفرد اعنـهـ
كان باطل ، فالعالم بما هو عالم وسوى الحق باطل ، لكنه موهوم الوجود ، كما ان
الظل موهوم الوجود ، والوهم من فعل الشيطان ، والواهمة من جنوده ، وكذا كل
متوهם من حيث هو متوهـم - اى مذعن لاحكام الوهم - من جنود الشيطان .
كما ان العقل من جنود الحق ، وكذا كل عاقل - اى مذعن لاحكام العقل -
وقد علمت ان التوارد بينهما في معرفة القلب الانساني قائم كما مر ، والمعقولات
جنة العقل وجنوده ، يلتذ بها ويتبوع فيها حيث يشاء ، كما ان المohoمنات جنة الوهم

وجنوده يستلذ بها وينسرح فيها حيث يشاء .

* * *

قال بعض العلماء : ان ابليس لما تمت حيلته على آدم ، ووصل بالاذية اليه ، ونال بغية وبلغ امنيته ، وسأل ربه الانظار الى يوم يبعثون فاجيب الى يوم الوقت المعلوم ، اتخد لنفسه جنة غرس فيها أشجاراً وأجرى فيها أنهاراً ليشاكل بها الجنة التي أسكنها آدم ، وقاد عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحة لبقاء لها وجعل مسكن أهله وولده وذراته وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمآن ماي حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، وذلك انه من الجن ، وقد قيل : ان للجن التخليل والتتمثل لما لا حقيقة له ، كذلك فعل ابليس وجنوده انما هو تمويه وتزويق ومخاريق لاحقيقة لها ولا حق عندها ليصد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم ، وبذلك وعد ذرية آدم اذ قال : ﴿لَا تَنْهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَلَا تَجْدِدْ﴾ [١٧٥] . أكثرهم شاكرين

والجنة التي غرسها ابليس لذریته ليصدوا بها ذریة آدم عن الجنة التي كان فيها هي الامور الدنيوية والشهوات الدنية الوهمية وفعل الخطايا والمايم ، وارتکاب المحارم ، وحب الفنیة الفانیة ، والخروج عن طاعة الله ومتابعة الذين أخلدوا الى الارض ورغبو في الدنيا وعاجلها ، ودعوا الآخرة وآجلها ، التي هي دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها الله تعالى به ، فالعقل هو الذي وفق للخروج من جنة ابليس فيرجع الى جنة أبيه وذریته الطاهرين ويتخلص من أدناس ذریة ابليس أجمعين وأتباعهم ، وهم المعتكفون على الامور الدنيوية المكبّون على اللذات والشهوات الدنية التي ستنتقلب بعينها في الدار الآخرة الى ألوان العقوبات وأنواع الالام والمحن الشديدة كما أشار سبحانه بقوله في هذه الآية : ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ فهم في العذاب مشتركون وبذلك وعد ربهم اذ قال لابليس : ﴿لَامْلَأُنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٣٨/٨٥]

قوله عزوجل :

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ بَصِيلُ اللهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

الاعداد : التهيئة . اى : وضع الشيء لما يوجد في المستقبل على ما يقتضيه او يناسبه . و « الفضل » و « الافضال » و « التفضيل » واحد وهو : النفع . وهواما المعنى الحدثى المصدرى او الامر الحاصل به ، والثانى هو المراد هيهنا .

ومعنى الآية : انه تعالى بعد ما يبيّن ان الحياة أمر لا حقيقة لها سوى كونها خيالاً موهوماً – بالوجه الذى مر بيانيه – ومشلّها بمثال يتبينه العاقل على دثارها وزوالها ، وأشار الى أن الحياة الآخرة أمر محقق ثابت في نفس الامر ، لكنها اما عذاب شديد ، واما غفران ورضوان ، أحدهما للسعداء والآخر للأشقياء ، ثم كرر الاشارة الى أنها لمن لم يعمل لآخرته هي متاع الغرور ، فرغبة سبحانه في المسابقة الى طلب أحد الامرين الآخر وين – المشار اليهما في الآية السابقة – وهو الذي يتربى على استعمال الحياة الدنيا في طلب التوصل الى لقاء الله واليوم الآخر قائلًا : سابقوا – اى سارعوا مسابقة المتسابقين لاقرائهم ونظرائهم في المضمار واردعوا العوارض القاطعة عن السلوك الى البغيضة بالاعمال الصالحة العلمية والعملية مقبلين الى ما يوجب الفوز بمغفرة من ربكم .

قال الكلبي : الى التوبة . وقيل : الى الصف الاول للصلوة . وقيل : الى النبي . وفي معناه : الى كل هاد ودليل من الاثمة وبعدهم من المشايخ والمعلمين ، والى جنة عرضها كعرض السماء والارض ، اى : سابقوا الى استحقاق ثواب جنة

هذه سعتها وعظمتها . وفي ارتكاب حذف المضاف او مافى حكمه فى الموصعين نظر كشفي لايسع المقام .

قال السدى : كعرض سبع السموات وسبع العرضين .

وفي ذكر العرض دون الطول وجوه :

أحدتها : ان كل ماله امتدادان مختلفان فان عرضه يكون أقل من طوله ، فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد .

وثانيها : ان الطول قد يكون بلا عرض ، بخلاف العكس .

وثالثها : الاشعار بأن طولها لايمكن أن يقاس الى شيء من هذا العالم .

ورابعها : ان المراد منه مطلق البساطة ، كقوله تعالى : **﴿فَنِدُودُ دَعَاءٍ عَرِيضٍ﴾** [٥١/٤١] وقوله ﴿فِي غَزْوَةٍ أَحَدٌ﴾ : «ياعثمان ذهبت عريضاً» .

قال الحسن : ان الله يفني الجنّة ويعيدها على ما وصفه ، فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والارض .

وقال بعضهم : ان الله قال : «عرضها كعرض السماء والارض» والجنة المخلوقة في فوق السماء السابعة فلاتنافي .

وقوله : اعدت للذين آمنوا - اي : ادخلت للمؤمنين بالله ورسله ، وفيه ما لا يخفى من التمحّل ، وذلك - أي الفوز بالغفرة والجنة - من فضل الله - لكونه موجوداً كاملاً تاماً فوق التمام ، فيفضل منه الوجود وكمال الوجود على غيره من يشاء - والله ذو الفضل العظيم - لأن العالم وما فيه من فضل وجوده وفيضه ، فلا استبعاد في أن يجزى الدائم الباقي على العمل القليل الفاني ، ولو اقتصر على قدر ما يستحق بالاعمال كان عدلاً ، لكنه تفضيل بالزيادة . كما انه لو أمسك عن افاضة الوجود على العالم كان تاماً في واجبيته ومملكته وسلطانه ، لكنه تفضيل بوجود العالم نافلة من غير ضرورة زائدة على ذاته ، وداعية مستوية عليه ، وأن أحداً لا ينال خيراً في الدنيا والآخرة إلا بفضل الله ، فإنه لو لم يدعنا إلى الطاعة ، ولم يبيّن لنا الطريق ، ولم يوفقنا

للعمل الصالح لما اهتدينا اليه ، فذلك كله من فضل الله .
 وقال ابو القاسم البلاخي : ان الله سبحانه لو اقتصر لعباده في طاعتهم على مجرد احسانه السابقة اليهم لكان عدلا ، فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا .
 قيل : وفي هذه الاية اعظم رجاء لاهل الایمان ، لانه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين ، ولم يذكر مع الایمان شيئا آخر ، وانت علمت مما سبق ان الایمان بالله والرسول وما جاءه هو به أجل " مراتب الكمالية للانسان ، وبه يستحق للسعادة العظمى ، والغرض من الاعمال الصالحة هو خلاص النفس عن العلائق الدنيوية ، المكدرة لمرآة القلب ، المانعة عن ادراك الحقائق والمعارف الایمانية ، فالعقيدة الحقة الالهية لا يتيسر الا بقطع الاغراض الدنياوية بالاعمال الصالحة المقربة للقدس ، ولا يتيسر الاخلاص في العمل الا بالعقيدة الایمانية ، فالایمان هو المبدء والغاية في كل خير وكمال على وجه لا يدور على نفسه دوراً مستحيلاً، ويحتاج بيانه الى كلام مشبع لainاسب المقام .

مُكَاشِفَةٌ

فی ان الجنة والنار حق

اعلم ان قوله تعالى : ﴿ اعْدَتْ لِلنَّاسِ مَا كَسَبُوا وَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿ اعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ دليلاً واضح على أن الجنة مخلوقة الان ، موجودة للمؤمنين والمتقين ، لأنها نتيجة اعمالهم (وان فيها جزاء لهم ونتائج لاعمالهم - ن) وأفعالهم .
 ومن جملة الآراء السخيفية رأى من زعم ان الجنة والنار لم توجد بعد ، ولا توجدان الا بعد بوار العالم وتهافت السموات الارضين ، واشير الى فساد هذا الرأى في قوله : ﴿ انَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعْدَ اَنْ تَرَوْنَهُ ﴾ [٦/٧٠] وفي قوله ﴿ اولئك

ينادون من مكان بعيد ﴿٤٤/٤١﴾ .

ومن الاراء السخيفة ايضا اعتقاد اكثرا الناس ان أجسام أهل الجنة أجسام لحمية كثيفة ، مر كبة من أخلاق اربعة قابلة للاستحالات معرضة لللاقات . واذا تأمل أحد فيما وصف الله تعالى من صفات أهل الجنة ظهر له فساد هذا الرأى ، وذلك قوله سبحانه : ﴿لَا يمسهم فيها نصب﴾ [٤٨/١٥] و : ﴿لَا يذوقون فيها الموت﴾ [٥٦/٤٣] وانهم ﴿فيها خالدون﴾ [٢٥/٢] و : ﴿لَا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [٦٢/٢] .

ومن علامات حقيقة الاعتقادات أن لا يقع فيها تناقض وتخالف ، وهرج ومرج ، وأكثر آراء المجادلين والمتشبهين بالعلماء - كأكثر الكلاميين - يكون بحيث اذا اعرض صاحبه على عقله أنكره ضميرأ - وان أقر به لسانا - ويتجده مناقضاً لسائر اعتقاداته واصوله ، فيقع عند ذلك في شك وحيرة وسوء ظن بربه ، كما قال الله تعالى : ﴿ذلکم ظنکم الذى ظننتم بربکم أرديکم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [٢٣/٤١] .

* * *

ولابد لكل أحد ان يعلم ان الجنة والمدار الجسمانيتين غير معلومتي الكنه الا للمكاشفين ، الذين اكتحلت عيونهم بنور الله وغلب عليهم ظهور سلطان الاخرة ، فصاروا بحيث يكون أبدانهم في الدنيا ساكنة ، وأرواحهم في الآخرة سائرة ، فهم من اهل الاطلاع على حقائق الامور الاخروية ، ولابد للمحظوظين ومن لم يقف على أسرار ابرهم ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ايماناً بالغيب ان الجنة التي عرضها السموات والارض موجودة في عالم الغيب ، بحيث لا يمكن مشاهدتها بهذه العين ، وليس اجسام الآخرة من هذه الاجسام حتى يقع بينهما تزاحم وتضائق ، بل التزاحم والتضائق من خواص هذه الاجساد التي يشاهد بهذه الحواس الدائرة المستحبيلة ، وتلك الاجساد لاتشاهد الا بالبصرة الباطنية .

ولابد ايضاً أن يعلم كل من آمن باليوم الاخر ان للاعمال والافعال الدنيوية

ـ باعتبار تأثيرها في عادات النفس وملكياتها ـ علاقة طبيعية مع أعيان الأمور الأخرى.

فكما أن الأمر المسمى « بالمعصية » في الدنيا يؤدى لصاحبها في الآخرة إلى الاحتراق بالنار، والتعذيب بالحيم والزقون ، والتصلية للجحيم ، فكذا المسمى « بالطاعة » يظهر في الآخرة بصورة الجنة والرضوان ، والتنعم بالفواكه والحوار والغلمان ، والولدان، وهذه الأفعال المحمودة التي هي الطاعات إنما يراد لأجل اكتساب الأخلاق الحسنة ، وكذا الأفعال المذمومة إنما يتراء لأجل أنها ستنجر إلى الأخلاق السيئة .

فالغرض من الأوامر الشرعية ـ أفعالاً كانت أو تروكاً ـ إنما هو تحسين العادات ، وتقويم الملوك ، وتبديل السيريات منها إلى الحسنات بتوافق من الله وتأييد منه ، كما قال سبحانه في حق المخلصين من عباده : ﴿ اولئك يبدل الله سيرياتهم حسنات ﴾ [٢٥/٧٠].

وكمما أن في الدنيا كل صفة تغلب على باطن الإنسان وتستولي على نفسه بحيث تصير ملحة لها يجب صدور أفعال منه مناسبة لها بسهولة ويصعب عليه صدور أصداؤها غایة الصعوبة ، وربما يصلح ضرب من الأولى حد اللزوم ، وضرب من الثانية حد الامتناع . فهكذا حال الملوك والأخلاق في الآخرة ، إذ كل صفة بقيت في النفس ورسخت فيها وانتقلت معها إلى تلك الدار صارت كأنها لزمنها ولزنت لها الآثار والأفعال الناشئة منها بصورة تناسبها ، وليس الأفعال والآثار الدنيوية في لزومها لمصادرها التي هي الملوك بتلك المثابة ـ إذ الدنيا داراً اكتساب ، وللعلل الاتفاقية فيها تداول وجوان ، وللدوعي والصوارف الخارجية تسلط ودوران ، فالشقي ربما يصير بالأكتساب سعيداً وبالعكس ـ بخلاف الدار الآخرة ـ فإن باب الأكتساب والتحصيل فيها مسدود ، ولكل نفس فيها حد محدود ، كما اشير إليه في قوله تعالى :

﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيراً ﴾ [٦/١٥٨]

ولأن الدنيا دار تعارض الأصداء وتفاسد المتمانعات بخلاف الآخرة ، لكونها دار الجمع والاتفاق من غير تزاحم ولا تضاد ، فالأسباب هناك لا يكون الأعللا ذاتية كالفواطل الحقيقة والغايات الذاتية دون الغرضية ، فكل ما يصلح أثراً لصفة نفسانية لا يختلف

عنه هناك - كما يختلف عنها هيئنا - فلسلطنة هناك للعمل العرضية والاسباب الاتفاقية، بل الملك لله الواحد القهار كما في قوله : ﴿ ولا تقنع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ﴾ [٢٣٣] اي لا تأثير هناك للعمل الاتفاقية ، بل للذاتيه . وكذا في قوله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ [٢٥٥] وقوله : ﴿ فما تقنعهم شفاعة الشافعين ﴾ [٤٨٧] اي العمل الاتفاقية دون المأذونين في الشفاعة كالرسول عليه السلام لاجل حصول الاستعداد والمناسبة الحاصلة من دعوته لامته التي كانت خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

* * *

وهذا القدر من المعرفة اقل ما يكفي المستبصر لان يؤمن بجميع ما وعده الله ورسوله او توعدا عليه بلسان الشرع من الصور الاخروية المترتبة على الاعتقادات والاخلاق المستتبعة للذات والالام ان لم يكن من اهل المكاشفة الباطنية والمشاهدة الاخروية .

واما معرفة التفاصيل في نتيجة كل صفة وعمل وعد فيه او توعد عليه الشرع الانور بحكومة اخروية فيتوقف على كشف تام ومعرفة كاملة واتصال قوى بعالم الغيب ، وتجرد بالغ عن علاقتي هذا العالم ، فكل من له تحدث في العلوم يجب عليه أن يتأمل في الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية ، وكيفية منشأيتها للاثار والافعال الظاهرة منها ، ليجعل ذلك ذريعة لان يفهم كيفية استباق الاخلاق المكتسبة في الدنيا من تكرر الافاعيل للاثار المخصوصة في الآخرة ، تحقيقا لقوله عليه السلام : «الدنيا مزرعة الآخرة» .

فكما ان شدة الغضب والغيظ في رجل غضبان يوجب ثوران دمه ، واحمرار وجهه ، وحرارة جسده ، واحتراق مواده الرطبة - التي أرطب من الحطب اليابس- على ان الغضب صفة نفسانية موجودة في عالم الروح الانساني وملكته ، والحركة والحرارة والاحتراق من صفات الاجسام، وقد صارت هذه الصفة الواحدة النفسانية مصورة بهذه الهيئات والعوارض الجسمانية في هذا العالم ، فلا عجب من

أن يكون رسوخ هذه الصفة المذمومة مما يلزماها في النشأة الآخرة نار جهنم التي تطلع على الأفئدة فيحرق أصحابها .

وكما يعرض أيضا له بسببيها هيئنا أمور مستنكرة وأفعال مستكرهه اذا لم يكن له صارف عقلى - من ضربان العرق واضطراب الاعضاء وبح المنظر ، وربما يؤدي بصاحبها الى الضرب الشديد والقتل لغيره - بل لنفسه - وربما يموت غيظا ، فكذاقياس فيما يعرض هناك على وجه أشد وأبقى .

وبهذه الموازنة بين النشأتين يشعر قوله تعالى : ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لاذ كرون﴾ [٥٦/٦٢] فإذا تأمل احد فى استباع هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الآثار واللازم الذميمة فيسكن له ان يقيس عليها باقى الصفات المؤذيات ، والاعتقادات المهلكتات ، وكيفية انبعاث نتائجها ولو ازمهما منها يوم الآخرة من النيران وغيرها ، كما في قوله تعالى : ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [٦/١٣٩] .

وكذا حال أضدادها من حسنات الأخلاق وحقائق الاعتقادات ، وكيفية استباعها للنتائج والثمرات - من الجنان والرضوان ، والوجه الحسان - فعلى هذا يثبت القول بوجود الجنة والنار بالحقيقة ، ولا يحتاج الى تجوز فى قوله : ﴿اعدت للمتقين﴾ [٣/١٢٣] وقوله : ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٩/٤] .

قوله تعالى :

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ قَبْلِ أَنْ تُبَرَّاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

«المصيبة في الأرض» نحو الجدب ، وقلة النبات ، وآفاق الزروع ونقص الشمار ، وتلف الحيوانات ، وموت الإنسان . «المصيبة في الانفس» نحو الادواء والامراض والاجاع والشكيل بالاولاد والموت وغيرها من الشروروالافات الخارجية

والداخلية ، وربما كان بعض أنواع الوجودات والخيرات لطائفه من الناس - هي
بعينها - مصائب وآفات لجماعة أخرى منهم بالاستجرار .
الا في كتاب - يعني : الا وهو مثبت مذكور في لوح محفوظ من الألواح
العالية المحفوظة عن التحرير والفساد والبطلان .
من قبل أن نبرأها - يعني : المصائب او الأرض او الانفس .
ان ذلك - اي : اثبات ذلك على كثرته وتفصيله هيّن على الله سهل يسير ،
وان كان عسيراً على غيره ،

مُكَاشِفَةٌ

اعلم ان حقائق الاشياء مسطورة اولا في العالم المسمى باللوح المحفوظ ،
بل في قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتبقيته وحراسته ايام عن
الخلل والنقاص والنسيان ، وكما أن المهندس يسطر صورة أبنية الدار في نسخة ،
بل في خياله اولا ، ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة المسطورة او لا
في الخيال - سطرا لا يشاهد بهذه العين - فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة
العالم من اوله الى آخره في العالم الاعلى العقلى ، ثم النفسي ، ثم الخيالي ، ثم
آخر جه على وفق تلك النسخة الى الوجود الحسى المدرك باحدى الحواس .
فعلمته تعالى بالأشياء الكائنة على هذا الترتيب بالوجه العقلى ، بخلاف علمنا
الانفعالى بها ، الذى يحصل منها على عكس هذا الترتيب ، فان العالم الموجود
الذى خرج الى الوجود بصورة يتأدى منه صورة اخرى الى الحواس ، ثم الى الخيال
ثم الى النفس ، ثم الى العقل المنفعل المتتحد بالعقل الفعال . فترتيب الصعود العودى
على عكس ترتيب النزول البدوى ، فالحاصل فى العقل الانساني موافق للعالم ،
الموجود قبله على التعاكس فى اتجاه الحصول .

وتوضيح ذلك : ان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره ، يرى صورة السماء والارض في خياله كأنه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض في أنفسهما كأنه يشاهدها او ينظر إليها ، ثم يتأدي من خياله اثر الى العقل ، فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال ، فالعالَمُ الموجود في ذهن الانسان موافق للموجود في الكون ، وهو مطابق للنسخة الموجودة في اللوح العقلي ، وهو سابق على وجوده في التدرو الصور المثالية ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبع وجوده الخارجي الكوني ، ويتبع وجوده الخارجي وجوده الخيالي ، ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي - أعني وجوده في القوة المعاقة الانسانية المتعددة بالعقل الفعال - وكما أن تلك الصور ومحالها نازلة من الله تعالى في سلسلة البدو فكذلك صاعدة الى الله تعالى في سلسلة العود فالله تعالى منه البدو واليه الرجعى .

ثم لما كانت بعض هذه الموجودات روحانية عقلية ، وبعضها مثالية ، وبعضها حسية ، فكان الموجود الصادر من الحق عقلاً ، ثم نفساً ، ثم حسناً ، فدار على نفسه فصار حسانياً ، ثم نفسانياً ، ثم عقلاً .

* * *

وان اشتهرت زيادة الاطلاع على حكمَة الله تعالى في خلق العالَمِ وعجائب صنعه في الموجودات حيث أبرز مكنونات المكونات بقدرته ورادته أولاً في قضاياه وقدره ، ثم أظهر مستورات الحقائق وخفيات المخلوقات ثانياً بتوسط القلم الاعلى واللوح الاعظم على منصّات الاكون في عالم الزمان والمكان ، فاستمع لشرحه اليسير الذي يتيسر سماعه للمحدث البصير :

فتقول : ان البارى تعالى لم تشرع في الافاضة والجود فأول ما أفاد وجوده هو العالَمُ العقلي المشتمل على صور روحانية هي جواهر مجردة عن الاجسام والمواد ، منزهة عن العوائق الخارجية والفساد ، مدركة لذواتها ولماعداتها بذواتها - على ما يبيّن بالبرهان ، ونص عليه في الحديث والقرآن ، وصرح به

في كتب أهل العرفان - وهي من عالم الامر كما قال : ﴿يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الرُّوحِ قُلْ إِنَّ رَبَّكَ مَوْلَانَا وَرَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٨٥/١٧] .

وروى عن النبي (ص) : «ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي . فهى مكتوب عنده فوق العرش» . (١)
وهذا العالم عالم الملائكة الم وكلين بعالم السموات والارضين على وجه الافاضة والتأثير ، وأعلى منهم الكروبيون ، وهم العاكفون في حظيرة القدس لالتفات لهم الى الاجسام ، بل لالتفات لهم الى غير الله لاستغراقهم بشهود جمال الحضرة الربوية وجلالها ، ولا يستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله جلال الحق عن الالتفات الى غيره .

وقد وقع في الحديث عن رسول الله (ص) : «ان الله أرضًا بيضاءً مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض، ولا يعلمون أن الله خلق آدم وابليس» . (٢)
رواه ابن عباس .

وهذا الصنف من المفارقات التي ليست واقعة في سلسلة علل الاجسام وليس فيها جهة نقص يكون بازائها قصور في معلوماتها القريبة الجسمانية فعبر عن تلك الجهة بعدم علمها بعصيان العصاة لأن علمها فعلية - فتدبر .

* * *

وبالجملة الجميع أنوار محضة عقلية ، الا انها بعضهم المهيّمون - وهم الاعلون - وبعضهم الادنين في الصف الاخير ، وهم أنوار قاهرة فيما تحتها من النفوس والاجرام بتاثير الله تعالى ، وفاهريتها صفة قاهرية الله تعالى وجباريته ،

(١) البخاري كتاب التوحيد ١٦٥ / ٩ (لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي) .

(٢) جاء ما يقرب من هذا الحديث عن ابى عبدالله عٰلِيٌّ راجع بصائر الدرجات : ٣٩٠ .

كما أن نوريتها من سمات وجهه وجماله تعالى ، وبهذه الاعتبار يسمى «الملاكية المقربين» وعالمها عالم القدر ، وعالم الجبروت ، إذ يفيض فيها صور الأشياء وحقائقها بافاضة الحق سبحانه وكذا يفيض عنها صفاتها وكمالاتها التي بها يجبر نقصاناتها ، فعلم أن جميع الحقائق بأعيانها وكمالاتها منتشة فيها ، وبهذه الاعتبار يسمى «عقولاً» .

وذلك الانتقاد هو صورة القضاء الالهي ، فالقضاء عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء في العالم العقلاني على الوجه الكلي ، ومحله عالم الجبروت لتقديسه تعالى عن شوب الكثرة ، وهو المسمى «بام الكتاب» الذي أشار إليه قوله تعالى : **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ وَعِنْهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾** [١٣/٣٩] . وكل ما يفيض علينا من العلوم الحقة موسومة بالعلوم المدنية يفيض عنه كما قال تعالى : **﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلْمَنْ﴾** [٩٦/٤-٣] وتلك الجو اهر خزائن غيبة كمالات : **﴿وَانْ مَنْ شَاءَ الاعْنَدَنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾** [١٥/٢١] .

وكما أن العالم الروحاني بجوهره مجرد محل القضاء ، فالعالم المفساني بجرمه السماوي محل القدر ، إذ الصور العقلية الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء والوحدة لا يتراكي ولا يتمثل لغيرها لشدة نوريتها كمرة مضيئة تردد البصر عن ادراك ما فيها من الصور بشعاعها ، فينتسخ تلك الصور منه في النفس المناطقة الكلية التي هي قلب العالم ، كما ينتسخ بالقلم في اللوح صوراً معلومة مضبوطة منوطه بعلوها وأسبابها على وجه كلي ، كما يظهر في قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية كالصور النوعية - مثلاً - وكثيرات القياس عند الطلب للرأي الجزئي المنبعث عنه العزم على الفعل ، وهو **«اللوح المحفوظ»** ومحل القضاء لأنصباط تلك الصور فيها وانحفاظها عن التغيير والزوال .

ثم ينتقد منه في النقوس الحيوانية الجزئية السماوية ، التي هي قوى نقوسها الماء ، منبعثة منها ، منطبعة في أجرامها نقوشاً جزئية مشخصة بأشكال وهيئات

معينة ، مقارنة لاوقات معينة مقدرة لمقادير واوضاع معينة من لواحق المادة – على ما يظهر في الخارج – كما ينتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية وصغريات القياس مثلًا ، ليحصل بانضمـامها الى تلك الكبريات رأى جزئي ينبع عنـه القصد الجازم الى الفعل المعين ، فيجب عنـه ذلك الفعل بعينه ، وذلك العالم هو « لوح القدر » .

«فالقدر» عبارة عن حصول جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي ، مطابقة لمافي المواد الخارجية ، مستندة إلى أسبابها ، واجبة بها ، لازمة لاوقاتها . وعالمه : « عالم المثال » ، لأنـه خيال العالم وسماء الدنيا التي تسـلـيـها الكائنات أولاً من غـيـبـ الغـيـوبـ، ثم يـظـهـرـ فـيـ عـالـمـ الشـهـادـةـ – كـماـ وـرـدـ فـيـ الـحـدـيـثـ . وتـلـكـ التـفـوسـ منـ قـوـىـ نـفـوـسـ النـاطـقـةـ بـمـثـابـةـ قـوـاـنـاـ الـخـيـالـيـةـ مـنـ نـفـوـسـناـ ، وـكـلـ مـنـهـاـ «كتـابـ مـبـيـنـ»ـ كـمـاـ أـشـيـرـ إـلـيـهـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿وَلـاحـبـةـ فـيـ ظـلـمـاتـ الـأـرـضـ وـلـارـطـبـ وـلـايـبـسـ إـلـاـ فـيـ كـتـابـ مـبـيـنـ﴾ [٥٩/٦] . وـقـوـلـهـ : ﴿مـامـنـ دـابـةـ فـيـ الـأـرـضـ إـلـىـ اللـهـ رـزـقـهـ وـيـعـلـمـ مـسـتـقـرـهـ وـمـسـتـوـدـعـهـ كـلـ فـيـ كـتـابـ مـبـيـنـ﴾ [٦/١١] . وـحـصـولـ تـلـكـ الصـورـ الـمـعـيـنـةـ الـمـقـيـدـةـ بـوقـتـهاـ الـمـعـيـنـ هوـ «قـدـرـ الشـيـءـ»ـ الـمـعـيـنـ الـخـارـجـيـ كـمـاـ قـالـ : ﴿وـمـانـزـلـهـ إـلـاـ بـقـدـرـ مـعـلـومـ﴾ [٢١/١٥]ـ وـمـحـلـ هـذـاـ الـقـدـرـ هوـ الـهـيـوـلـيـ الـأـوـلـىـ ، الـتـىـ هـىـ بـعـيـنـهـاـ «لـوـحـ ذـلـكـ الـقـدـرـ»ـ الـذـىـ مـحـلـهـ الـمـلـكـوتـ الـعـمـالـةـ بـادـنـ اللـهـ ، كـمـاـ أـنـ مـحـلـ الـقـدـرـ وـلـوـحـ الـقـضـاءـ هوـ «الـعـالـمـ الـنـفـسـيـ»ـ وـمـحـلـ الـقـضـاءـ هوـ «عـالـمـ الـجـبـرـوـتـ»ـ .

وهـذـهـ الـتـىـ ذـكـرـنـاـهـاـ جـمـلـةـ يـحـتـاجـ إـلـىـ التـفـصـيلـ وـالتـدـقـيقـ فـيـ غـيـرـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ ، وـقـدـ فـصـلـنـاـهـاـ وـبـسـطـنـاـ الـقـوـلـ فـيـهـاـ وـفـيـ نـظـائـرـهـاـ مـنـ الـمـقـاصـدـ الـرـبـوـبـيـاتـ فـيـ كـتـابـنـاـ الـكـبـيرـ الـمـسـمـىـ بـ«الـإـسـفـارـ الـأـرـبـعـةـ»ـ .

* * *

وـمـنـ عـجـائـبـ صـنـعـ اللـهـ سـبـحـانـهـ أـنـهـ أـبـدـعـ نـظـائـرـ جـمـلـةـ هـذـهـ الـحـقـائقـ الـمـتـعـلـقةـ بـذـاتـهـ الـمـقـدـسـةـ مـنـ الـقـلـمـ ، الـلـوـحـ ، الـقـضـاءـ ، الـقـدـرـ ، وـعـالـمـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ ،

والشهادة والغيب، والدنيا والآخرة. وأودع من كل واحد من تلك المعانى انموذجاً ومثلاً في فطرة الادمی روحه ليصيّر صورة الانسان مثلاً له ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وان لم يكن مثلاً له لتعاليه عن الشبه والمثل .

فكما أن لافعال الانسان عند اراده صدورها منه وبروزها من مكان غيبها إلى مظاهرشهادتها اربعة مراتب : لكونها أولاً في مكمن روحه العقلی الذي هو غيب غيبه في غایة الخفاء كأنها غير مشعور بها، ثم ينزل إلى حيز قلبه الحقيقى ونفسه الناطقة عند استحضارها واظهارها بالبال كليلة ، ثم ينزل إلى مخزن خياله ونفسه الحيوانية مشخصة جزئية ، ثم يتحرك اعضاؤه عند اراده اظهاره فيظهر في الخارج فكذلك الحال فيما يحدث في العالم بعنایة الله تعالى وارادته من الحوادث ، اذ الاول بمثابة القضاء ، ومحله بمثابة القلم ، والثانية بمثابة نقش اللوح المحفوظ ، ومحله اللوح المحفوظ من الفساد لانه جوهر روحاني ناطق لا يفسد بفساد البدن .

والثالثة بمثابة الصورة في السماء الدنيا ونقش لوح القدر على مازراه ، ومحله اللوح المقدروالجسم الصيقل البخاري الدخانى المشابه للسماء وهي دخان ، والرابعة بمثابة الصور المحادثة في المواد العنصرية .

ولاشك أن النزول الاول لا يكون الا بارادة كليلة ، والنزول الثاني بارادة جزئية خفية ينظم الى الارادة الاولى الكلية فيتخصص بها وتصيير جزئية ، فينبعث بحسب ملائمتها ومنافتها رأى جزئى يستلزم اراده جازمة داعية الى اظهاره، فيتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل ، فحركة الاعضاء بمثابة حركة السماء ، وظهور الفعل هو القدر على المذهب الثاني .

وكما أن سلطان الروح الذي هو التعلم والادراك في البدن لا يظهر الا في الدماغ - لمكان الروح الدماغي النفسي - فكذلك سلطان الروح الكلى - الذي هو روح العالم - لا يكون الا في العرش لمكان القوة المحركة المسارية فيه ، فهو من العالم بمنزلة الدماغ من الانسان .

وكما ان مظهر الاول فينا هو «القلب» الذي هو منبع الحياة ، فكذلك مظهره

الاول فيه هو «الملك الرابع» الذى هو فلك الشمس ، ووسط العالم ، ومنبع حياة العالم ، ومنشأ تدبير الكائنات ومنورها بالنور الحسى المظهر لكل شىء من الاجرام ، والمعطى لها حقها من الحياة الحيوانية الحسية ، كما أن البارى تعالى منبع الحياة العقلية للذوات العقلية النورية ، والمنور لذواتها ، والمكمل لها بافاضة العشق والنور والوجود على ذواتها التى أبدعت على كمالها الاتم وعشيقها وتأنلها منذ أول الفطرة ، من الله مبدأها واليه متها .

فالشہس مثال الله الاعظم ، وخليفته فى عالم الاجسام بروحهـا وقوتها الساريتين فى كل جسم من العالم ، وكذلك القلب مثاله وخليفته فى عالم البدن الانسانى بروحه الحيوانى وقوتها الساريتين فى كل عضو من الانسان .

فروح الفلك بمثابة الروح الحيوانى الذى فى القلب ، اذ به يحيى جميع الاعضاء . وهو «البيت المعمور» المشهور فى الشريعة انه فى السماء الرابعة ، المقسم به فى التنزيل حيث قال : ﴿والطور﴾ وكتاب مسطور﴾ فى رق منشور﴾ والبيت المعمور﴾ والسفف المرفوع﴾ والبحر المسجور﴾ [٦/٥٢] ولهذا جعلت مقام عيسى روح الله - على نبیتنا وآله وعليه السلام - و «الكتاب المسطور» هو نقش القضاء الاول الثابت فى الروح الاول العقلى ، و ذلك الروح هو «الرق المنشور» ، «والسفف المرفوع» هو السماء الدنيا المذكورة وقرب بالبيت المعمور لنزول الصورة منها وتفتح الروح منه فيما خلق الحيوان ، و «البحر المسجور» هو بحر الهيولى السياطنة المملوة بالصور ، وهى الهاوية والجحيم عند ظهور القيامة والله أعلم - .

قوله عزوجل :

لِكِيلاتٌ تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوْنَ
عَلَىٰ اتَّسْكُرٍ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝

وقرء أبو عمرو : «بِمَا تَيَكُم» - بالتصر - ويكون الفاعل الضمير الراجع إلى الموصول . والآخرون بالمد ليكون هو الضمير العائد إلى اسم الله ، و«الهاء» ممحونة من الصلة ، تقديره : بما تيكموه .

لما ذكر سبحانه ان جميع ما واجده الله تعالى مثبت في كتاب سابق ، أراد أن يعلل ذلك ويبين حكمته فيه ، فقال : لكيلاتٌ تأسوا ولا تفرحوا . اي : فعلنا ذلك لشلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ، ولا تفرحوا بما أعطاكم الله منها ، والذى يوجب نوى الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كل ما حكم عليه فى القضاء السابق الاذلى ليس الا من مقتضيات ذات الاشياء التي لا يمكن التفصى عنها ، يحصل لها الاطمئنان الكلى والراحة الكلية على أن كل كمال يقتضيه حقيقته وكل رزق صورى او معنوى يطلبه عينه لابد أن يصل اليه .

كما قال ﷺ : «ان روح القدس ينفث في رويعي : ان نفساً لن تموت حتى يستكمل رزقها . ألا فاجملوا في الطلب» . (١)

فيستريح عن تعب الطلب ، وان طلب أجمل ولا يخاف من الفوات ولا ينتظر ، لعلمه بأن الله سبحانه في كل حين يعطيه من خزائنه ما يناسب وقته واستعداده ، فهو واجد دائماً من مقصوده شيئاً فشيئاً ، وما لا يقدر له لا يراه من الغير ، فلا يبقى له حزن

(١) جاء ما يقرب منه في سنن ابن ماجه : كتاب التجارة ، باب الاقتصاد

على فوات شيءٍ وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحة عند نيله .

فإن قلت : بعض الإنسان ربما كان مقتضى ذاته أموراً لا يلائم نفسه كالفقر ، وسوء المزاج ، وقلة الاستعداد – ولا يرى سبباً للملاحم ، اذ مقتضى الذات لا يزول ، فيحصل له غاية الاسماء من هذا الوجه ، ولذلك قيل : « العلم بسر القدر يعطى النقيضين : الراحة الكلية والعذاب الدائم » فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسمي والحزن على فوات الأمور؟

قلنا : ليس المراد نفس الاسمي والفرح الصادرين عن الشخص بحسب الطبع ، بل المراد نفي صدورهما من العاقل على سبيل الاختيار المنبعث عن تصور الفائدة والنفع ، وليس للحزن فائدة فيما ذكر .

ويمكن أن يقال : ان العالم بسر القدر لا يكون شقياً ، والشقي لا يكون عالماً به .

فمن قال : « ان العلم بسر القدر يعطى النقيضين » فلا وجہ له ظاهراً .

واما ما قيل في بيان عدم الاسمي والفرح : ان الإنسان اذا علم أن مافات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك ، واذا علم أن مانا له منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فلا ينبغي أن يفرح لذلك فكلام حسن محمود في الموعظ .

فإن قلت : اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضررة والمنفعة الواثقين للانسان ليس مقدوراً له – اذ لا يملك أحد نفسه عند ورود أحدهما عن أحدهما ، فكيف يلائم ويحسن هذا التعليل؟ والعلة الغائية او الغاية الذاتية للشيء ينبغي أن يكون بينها وبينه علاقة سببية ، او أن يكون الغاية بحيث متربة على الفعل .

قلنا : المراد به نفي الاثر المذهب صاحبه عن الصبر ، المانع له عن التسلیم لامر الله ، والفرح المطغى الملهم عن الشكر ، الموجب للبطرو الاختيال ، فأما الحزن الذي لا يكاد أحد يخلو منه مع الاستسلام لحكم الله والسرور بنعمه الله مع اعطاء حقه – من الشكر – والتقطن لما يلزم منه من الانتقال والثور والعمل بموجبه فلا يأس بهما .

وللاشعار بأن المراد من الفرح المذكور هو الذى يوجب البطر والخيانة عقّبه بقوله : والله لا يحب كل مختال فخور - اي : معجب بما اوتى ، متكبر على الناس بالدنيا ، فان الفرق بين «الخيلا» «والفخر» كالفرق بين «العجب» «والتكبر» في أن أحدهما بحسب نفس الموصوف به ، والآخر له بالقياس إلى غيره دون مقابلة ، لأن النكتة في ذكر شقاوة الموصوف بأحد المتقابلين دون الآخر أن هذا أشقي منه ، ولأن الاتصاف بأحد هذين الوصفين يستلزم الاتصاف بالآخر أذل من يكون له الفرح المطغى عند حظ دنياوي ولا يتضمن فخور يكون جزوعاً غير صبور ، وكلا الأمرين نقص وخصة ، والله لا يحب كل ناقص خسيس .

ففي هذه الآية اشارة إلى أربعة أشياء :

أحدها : حسن الخلق . لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ، ولا يعادى ، ولا يشاح ، لأن جميعها من أسباب سوء الخلق ، وهي من نتائج النقص والخصة .

وثانيها : استحقار الدنيا وأهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن بعدمها ، واليه اشار - عليه وآله السلام - بقوله : «لانيقة الرجل كل الفقه حتى يرى الناس أمثال الاباعر » . (١) يعني لا يحفل بوجودهم ولا يغيره ذلك كما لا يغير بوجود بغيره - وتمام الخبر : « ثم هو يرجع إلى نفسه فيكون أعظم حاقر لها » .

وثالثها : تعظيم الآخرة لما سئل الله فيها من الثواب الدائم الحالص من الشوارب ، لأنه لما يئس من وجdan اللذة والنعيم في الدنيا ، توجه إلى طلبهما في الآخرة ، وأهل الدنيا بعكس ذلك ، لأنهم لما يئسوا من الآخرة ولذاتها ونعيمها انكبوا إلى الدنيا واطمأنوا بها ويسروا من الآخرة «كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

ورابعها : الافتخار بالحق والتشبث به دون أسباب الدنيا ، ويروى ان على ابن الحسين عليه السلام جاء رجل عنده فقال : مال الزهد ؟
 قال : الزهد عشرة أجزاء ، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ، وإن الزهد كله في آية واحدة من كتاب الله ﴿لَكِيلاتٌ أَتُؤْسِوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ﴾ (١)
 وقيل لبزرجمهر : مالك أيها الحكيم لتأسف على مافات ولا تفرح بما هو آت ؟ فقال : لأن الفائت لا ينافي بالعبرة ، والآتي لا يستدام بالجبرة .

مِحَاجَةٌ شَفَّةٌ

قد وضح من هذه الآية ان كل ما وقع أو سيقع في هذا العالم مقدر ببيته وزمانه ، مكتوب بوصفه وخصوصيته في عالم آخر قبل وجوده ، فإن اشتبه عليك الحال في الأفعال المنسوبة إلى الاختيار وتخيل إليك أنها على هذا التقدير يلزم أن يكون بالاضطرار ، فما بالنا نجد الفرق بين المضطروبة والمحترة؟ ولماذا نتصرف فيها بالتذبيح والتغيير ونصرّ فيها بالتقدير والتأخير؟

ثم إذا كان الكل بالقضاء والقدر فلماذا يؤخذ بها ويُعاقب عليها او يوجر ويثاب بقصدها؟ وما الفرق بين سهونا وعمدنا؟ فكيف يتوجه المدح والذم لنا؟ واى فائدة للتکلیف بالطاعات والعبادات ودعوة الانبياء بالآيات والمعجزات؟ واى تأثير للسعى والجهد؟ واى توجيه للوعيد والوعد؟ وما معنى الابتلاء في قوله تعالى : ﴿لَيْلِيْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنْ عَمَلاً﴾ [٢/٦٧] وما البحصى من الآيات الدالة على أن مدار التکلیف هو الاختيار وبناء الامر في الاختبار على الاختيار؟

(١) مجمع البيان : ٢٤١/٩ وجاء الحديث من دون الاشارة الى الآية في

فتتأمل جريان الامر والنهاى فى مجارى القضاء والقدر ، وتفكيرى سلسلة الاسباب والعلل ، وتدبر فى مبانى الامور حق التدبر ومعانى الآيات بقوة التفكير - ان كنت من أهله وخلقت لاجله - عسى الله أن يأتى بالفتح او أمر من عندك ليقضى الله أمرأ كان مفعولا ، وينكشف لك ماينكشف لاهل اليقين والراسخين فى العلم ، وتتخلص عن الشرك المخفى ، فبادر عند التفطن بما يتقطن به العرفاء الكاملون الى الاعذار والتوبة والاستغفار .

* * *

واعلم ان القضاء والقدر انما يوجبان مايوجبان بتوسط أسباب وعلل متربة منتظمة ، بعضها فاعلات مقتضيات كالمبادى العالية من الجوادر العقلية ، وبعضها مدبرات ومعدات كالنقوس السماوية والحر�ات والاضاع الفلكية والسور والواحد والامور الجارية مجرى الاشياء الاتفاقية - التى هي لزومية من وجهه - وغيرها من الادراكات والارادات الانسانية والحرركات والسكنات الحيوانية ، وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية او عارضية ايها تختص بسببيها بحال دون حال وصورة دون صورة - ترتيباً وانتظاماً متقناً معلوماً في القضاء السابق - فاجتمع تلك الامور من الاسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عند وجودها ذلك الامر المدبر والمفضى " المقدر ، وعند تخلف واحد منها او حصول مانع بقى وجوده في حيز الامتناع . ومع قطع النظر عن وجود جميع الاسباب وعدمه بقى في حيز الامكان . فإذا كان من جملة الاسباب - وخصوصاً القريبة منها - وجود هذا الشخص المكلف الانسانى وادراكه وعلمه ورادته وقوله التكليف بتفكيره وتخيله الذين يختار بهما أحد طرفى الفعل والترك كان ذلك الفعل اختيارياً واجباً وقوعه بجميع تلك الامور المسمّاة علة تامة ممكناً بالنسبة الى بعض منها ، فوجوبه لاينافي امكانه ، ومحبوريته لاينافي كونه بالاختيار ، كيف وانه ماوجب الا بعد كونه ممكناً وماجر عليه الا بعد كونه مختاراً .

فهن نظار الى بعض الاسباب قاصراً نظره الى القريبة منها ، ورأها مؤثرة

بالاستقلال قال بالقدر والتفويض - اى بكونها واقعة بقدر تنا الاستقلالية مفوضة علينا . ولهذا قال ﷺ : « القدرة مجوش هذه الامة » (١) لانها ثبتت مبدئين قادرين مستقلين كالمحوس القائلين بيزدان وأهرمن ، وان أحدهما فاعل المخير ، والآخر فاعل الشر بالاستقلال .

ومن نظر الى السبب الاول وكون تلك الاسباب والوسائل مستندة بأسرها على الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات الى الله تعالى استناداً وجباً وترتباً معلوماً على وفق القضاء والقدر ، وقطع النظر عن الاسباب القريبة او نفي التأثير مطلقاً في العلل والمعلولات وأبطل حكمة الله في نظم الاسباب وتقديمها على المسبيبات قال بالجبر وخلق الافعال ، ولم يفرق بين أفعال الاحياء وأفعال الجمادات . وكلاهما أعور دجال لا يبصر ب احدى عينيه . أما القدر في بالعين اليمنى - اى النظر الاقوى - الذي به يدرك الحقائق . وأما الجبر في باليسرى - اى الضعف - الذي به يدرك الظواهر .

واما من نظر حق النظر فأصاب فقلبه ذوعينين ، يبصر الحق باليمني فيضيف الفعال اليه - خيراها بالذات وشرها بالعرض - ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تأثيرهم في الافعال به سبحانه لا بالاستقلال ، وبالاعداد لا بالايجاد ، ويتحقق بمعنى قول الصادق عليه السلام : « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرین » (٢) فيذهب به ، وذلك هو الفضل الكبير .

واما من أضاف الافعال الى الله تعالى بنظر التوحيد واسقاط الاضافات ومحو الاسباب والمسبيبات - لا بمعنى خلق الافعال فيما اولخلق قدرة وارادة جديدين متبائتين

(١) الحديث معروف عن النبي ﷺ وجاء في التوحيد : باب القضاء والقدر ،

٣٨٢ عن الصادق عليه السلام ايضاً .

(٢) التوحيد : باب نفي الجبر والتفويض ٣٦٢ . الكافي : باب الجبر والقدر

لقدرته وارادته عند صدور الفعل عنا ، فهو الذي طوى بساط الكون ، وخلص عن مضيق البوء ، وخرج من البين والابن وفنى في العين ، لكنه بقى في المحو ولم يجيء إلى الصحو ، مازاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وجلاله ، فاضمحلت الكثرة في شهوده واحتتجب التفصيل عن وجوده وذلك هو الفوز العظيم .

فإذا رجع إلى الصحو بعد المحو ، ونظر إلى التفصيل في عين الجمع ، غير محتجب برؤية الحق عن المخلق ، ولا بالخلق عن الحق ولا مشغله بوجوده الصفات عن الذات ، ولا بالذات عن الصفات ، فهو أولى المحق الصديق ، صاحب التمكين والتحقيق ، ينسب الأفعال إلى الله تعالى بالإيجاد ، ولا يسلب عن العباد بالأعداد ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَارْمِيْتُ اذْرَمْتَ وَلَكَنَ اللَّهُ رَمَيْتَ﴾ [١٧/٨] .

﴿ تكميل و توضيح ﴾

فعلم مما ذكر أن الدعوة والتکلیف والارشاد والتهذیب والوعد والترغیب والابعاد والتهذید امور جعلها الله تعالى مهیجات الاشواق ، ودعای الى خیرات وطاعات ، واكتساب فضائل وكمالات ، ومحرضات على أعمال حسنة وعادات محمودة وأخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية نافعة في معاشنا ومعادنا ، يحسن بها حالنا في دنيانا ، ويحصل لنا سعادة عقبانا ، او محذرات عن أضدادها من الشرور والقبائح ، والذنوب والرذائل ، مما يضرنا في العاجل ، ويشقى بنا في الاجل ، لم يحصل لنا شيء من الطرفين الا بتلك الاسباب ونتائجها ، وكانت تلك الوسائل ايضاً مقدرة لنا واجبة باختيارنا كما قال - عليه وآلـه السلام - لمن سأله : هل يعني

الدواء والرقية من قدر الله؟

قال : « الدواء والرقية ايضاً من قدر الله .. » (١)

ولما قال عليه السلام : « جف القلم بما هو كائن » قيل : « ففيما العمل؟ »

(١) الترمذى : كتاب القدر ، الباب ١٢ . ابن ماجة : كتاب الطب ٢/١١٣٧

فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » (١)

ولما سُئل : « أَنْحِنْ فِي أَمْرٍ فَرَغَ مِنْهُ أَوْ أَمْرٍ مُسْتَأْنِفٌ ؟ »

قال : « فِي أَمْرٍ فَرَغَ مِنْهُ ، وَفِي أَمْرٍ مُسْتَأْنِفٍ . » (٢)

ومن هذا علم ان كل ما يصدر عننا من المحرّكات والارادات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا ، واجب صدوره عنا ، مع كونه باختيارنا ، كما قال تعالى :

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّبْر * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [٥٣/٥٤]

وقال : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمْنَا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [١٢/٣٦] فهـى معرفات لسعادتنا وشقاوتنا فى العقبى ، وليسـت بـموجـباتـلـهـماـ،ـ وـكـذـلـكـ ما يـصـلـ إـلـيـنـاـ مـنـ الرـغـائـبـ وـالـمـكـارـهـ ،ـ كـمـاـ قـالـ النـبـيـ ﷺـ :ـ «ـ اـعـلـمـ إـنـ الـأـمـةـ لـوـاجـتـمـعـتـ عـلـىـ أـنـ يـنـفـعـوكـ بـشـىـءـ ،ـ لـمـ يـنـفـعـوكـ إـلـاـ بـشـىـءـ قـدـ كـتـبـ اللـهـ لـكـ ،ـ وـلـوـاجـتـمـعـتـ عـلـىـ أـنـ يـضـرـوكـ بـشـىـءـ ،ـ لـمـ يـضـرـوكـ إـلـاـ بـشـىـءـ قـدـ كـتـبـ اللـهـ عـلـيـكـ ،ـ رـفـعـتـ الـاقـلامـ وـجـفـتـ الصـحـفـ » (٣) .

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام : « اعلموا علماً يقينياً ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته واشتدت طلبه أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم » (٤) - اي اللوح المحفوظ - والشواهد في هذا الباب أكثر من أن تتحصى.

* * *

واما الابتلاء : فهو اظهار ما كتب علينا في القدر وابراز ما اودع فينا وغرز

(١) جاء الحديث بالفاظ مختلفة ، الترمذى : المقدمة ، باب ١٠ : ٣٥ / ١

وراجع المعجم المفهرس ٣٥٠ / ١

(٢) جاء الحديث بالفاظ مختلفة ولكن ما وجدنا قوله عليه السلام «وفي أمر مستأنف»

ragع المعجم المفهرس ١٢٢ / ٥

(٣) ترمذى : كتاب صفة القيامة ، الباب ٥٩ ج ٤ ص ٦٧٦ .

(٤) الكافى : كتاب المعيشة ، باب الاجمال في الطلب ج ٥ ص ٨١

فقوله تعالى: ﴿وَنَبِلُونَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [٣١ / ٤٧] وأمثالها معناه: نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يتربّ عليها الجزاء، وأما قبل ذلك الابتلاء فإنه عليهم مستعدّين للمجاهدة والصبر، صائمين إليها بعد حين.

* * *

فان رجعت وقلت اذا كانت الاسباب والمقدمات -- وبالجملة الفضائل والرذائل ، والطاعات والمعاصي ، والخيرات والشروع - كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا ، معجونة فينا مربوطة باوقاتها ، فما بالنا لانتساوى في الفضيلة

والنفع؟ ولانتعادل في المخارات والشروع؟ ولم لانتشاكل في الطاعات والمعاصي ولانتمائل؟ وكيف نحترز عما يجب الاحتراز عنها فنجومن وبالها وتباعتها؟ وبأى شئ يتفضل السعيد على الشفوي وقد تساوايا فيما قدر لهما؟ وأين عدل الله فيما وقد قال تعالى : ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾ [٥٠/٢٩] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يُظْلَمُونَ﴾ [١٦/١١٨]؟

فنجيك يا أخي الجدل بمثل ماقال الشاعر :

هوّن على بصرى ماشق منظره فانما يقطلات العين أحلام
فاصبر واستمع مايشفيك من غيضك ويكتفيك في ازاله ربيك ، واعلم ان الاعيان
والماهيات متنوعة ، والصفات والاستعدادات متغيرة ، والارواح الانسية بحسب الفطرة
الاولى مختلفة في الصفاء والكدرة ، والضعف والقوة ، مرتبة في درجات القرب والبعد
من الله ، والمواد السفلية بازائتها بحسب الخلقة متباينة في اللطافة والكتافة ، ومزاجاتها
متباينة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي ، فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح
متباونة ، وقد قدر بازاء كل روح مايناسبه من المواد بحسب الفيض القدس ، فحصل
من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والأخلاق والصفات والكمالات
موافق لبعض الاعمال والصناعات دون بعض على ماقدر لها في العناية الاولى والقضاء
السابق كما قال عليه السلام : « الناس معادن كمعدن الذهب والفضة » .^(١)
وتتفاوت العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبائع
والغرائز فيسرع بعضهم بطبيعة الى ماينفر عنه الآخر ، ويستحسن أحدهم بهواه مايستحبه
الثاني ، والعناية الالهية يقتضى نظام الوجود على أحسن مايمكن ويتصور .

على أن الموجودات مظاهر لصفاته العليا ، ومجالى لاسمائه الحسنى ، وهي
متخالفة في المفهوم ، متباينة في المعنى مع أحدية ذاته الحقيقة وبساطة حقيقته المقدسة ،
فككل واحد من الممكنات مبدأه ومعاده إلى اسم من الأسماء الالهية ، محكوم بحكمه ،

ملائم لما يتوجه اليه ، مناسب لما يبتداً منه « وكل ميسر لها خلق له » ، ﴿ سواء علينا أجز عننا أم صبرنا مالنا من محicus ﴾ .

كيف - ولو تساوت الاشياء في الاستعدادات لفات الحسن في قرتيب النظام وارفع الصلاح عن العالم ، ولبقو كلهم في طبقة واحدة ، على حالة واحدة ، في مرتبة واحدة ، ولا يتمشى امورهم ، ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية - مع امكان وجودها - فكان حيناً عليها وجوراً ، لاعدلاً وقسطاً وبقى الاحتياج إليها في العالم مع فقدتها ، فالعدل هو توسيع المواد والاشباح بحسب الصور والارواح ، وتعديل الامزجة بحسب الانواع وتوزيعها على الاصناف والأشخاص ، وتجهيز الافراد من الاجناس إلى مايناسبها من الامور والاشغال .

فمن أساء عمله وأخطأ في اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة طبعه وقصور استعداده ، وكان أهلا للشقاوة في معاده ، ينادي على لسان المالك : مهلا « يداك اوكتاوفوك نفح » (١) ﴿ ولايزلون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملاً جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [١١٩/١١] واختلاف الغرائز والسمائل كاختلاف الاشكال والطبايع .

واما انه كيف السبيل الى الاحتراز عما يجب الاحتراز عنه : فان شريف النفس بحسب الجوهر طيب الاصيل قلماً يهم بشيء خسيس مما ليس في فطرته ولم يقدر له من الفواحش والرذائل لعدم المناسبة ، و اذا هم نادراً لغيبة صفة من صفات نفسه وقواه ، واستيلاء هواه ، وهيجان شهوة او غضب فيه بأمر قبيح ينزل جر بأقل زاجر من عقله وهداته ، وربما يعود قبل صدور الفعل وامضاءه لهم " النفسيان الى

(١) مثل يضرب امن يجني على نفسه الحين . نقل الميداني : « أصله ان رجلاً كان في جزيرة من جزر البحر ، فأراد أن يعبر على زق نفح فيه فلم يحسن احكامه ، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ففرق ، فلما غشى عليه الموت استغاث برجل ، فقال له : « يداك اوكتاوفوك نفح » (مجمع الامثال : ٤١٤/٢) .

عقله ونقواه من غير عزم على الفعل ، كما قال تعالى في يوسف : ﴿ولقد همت به وهم بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [١٢/٢٤] .

وإذا كان دون ذلك في صفاء الفطرة والاستعداد ، فلا ينزع جرباً جر من الشرع والسياسة والناصح والاديب لخسنه نفسه وحيث جوهره ودنائته طبيعة ، وكل يشتق إلى ما يفعله بطبيعة ويحبه ويستحسن ، وإن كان الآخر يعلم أن ضدّه أجود وأحسن ، كمحبة الزنجي ولده مع قبحه ، دون الغلام الترك مع علمه بحسنه .

ولكل من القسمين مرتبة خالصة عن الآخر ، وطبقات متفاوتة متفضلة يكون في كل منها نصيب من الآخر المقابل له ، ويكون النجاة وم مقابلتها بحسب الغلبة لصفات الخير على صفات الشر أو بالعكس .

وبالجملة – فأعظم السعادات مطلقاً لا جود الاستعدادات ، وأكمل الكمالات لشرف الأرواح الذي هو القطب الحقيقة ، والحقيقة المحمدية – وهو القطب المطلق – لا القطب الاضافي بحسب كل وقت وزمان – كسائر الأنبياء سابقاً وسائر الأولياء لاحقاً ، سيّما أولاده المعصومين – سلام الله عليهم أجمعين – كما قال الله تعالى : ﴿تَلَكَ الرَّسُولُ فَضَّلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ – إِلَى قَوْلِهِ – وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ درجات﴾ [٢/٢٥٣] [٣/٣٤] فإله المروبة العظمى في الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد ، المعبر عنها «بأعلى عليين» ، وكلما قصر الاستعداد نقصت السعادة وقصر العرض بينها وبين الشقاوة القصوى المعبر عنها «باسفل سافلين» فلكل صفو كدر ، ولكل صاف عكر ، وتقابل كل نور ظلمة ، وبازاء كل حسن قبح .

والسعادة قسمان : دنيوية وآخرية :

(١) فان لهم المنسوب إلى يوسف الصديق – على تقدير الوقف على «وهم بها» والانفصال عن «لولا أن رأى» – ليس بمعنى العزم – بل بمجرد الميل النفسي لدى من غير طلب واستدعاء – كما فهمه بعض الناقصين وذهبوا إليه لذهو لهم عن مقام الانبياء والصديقين (منه – ره) .

والدنيوية قسمان : بدنية كالصحة والسلامة ووفر القوة والشهامة . وخارجية كترتب أسباب المعاش وحصول ما يحتاج اليه من المال .
والاخروية ايضاً قسمان : علمية كالمعارف والحقائق . وعملية كالطاعات .
والاولى جنة المقربين . والثانية جنة أصحاب اليمين ، وكما ان الحسن والجمال من عوارض القسم الاول من الدنيوية ، فالفضائل والاخلاق الجميلة من عوارض القسم الاول من الاخروية .

ويتعدد أقسام الشقاوة بازائها .

قيل لامير المؤمنين عليه السلام : « صفات العالم » ؟ فوصفه .

فقيل : « صفات الجاهل » ؟ فقال : قد فعلت .

فالسعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيان أزواجاً وأبداً ، مخلدتان دائماً وسرداً . وبحسب الاعمال الحسنة والسيئة ترتب عليهما المكافئات والمجازات وتتقدير بحسبهما المثوابات والعقوبات ، كقوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون [٨٢/٩] ، ولا يكون هذه الشقاوة مخلدة الا ماشاء الله ، وقد يتركب بعضها مع بعض وينفرد ، الا ان أكثر السيئات وأكبرها يتبع الجهل ، وأغلب الحسنات وأعظمها يتبع العلم .

* * *

اللهم اجعلنا من السعداء المقبولين ، ولا تجعلنا من الاشقياء المردودين .
ولقد أشبعنا في الكلام ، ونقلنا شطرأً من كتب الكرام لكثرة تحير الناس في هذا المقام ، وقد بقى بعد خباباً من الخفايا بهايتم المرام ، تركتناهافي سنبله مخافة شنعة اللئام ، الذين أرادوا أن يعرجوا إلى كنه المعارف ، بعلم الكلام ، الموضوع لحراسة عقائد العوام من افساد المجالدين الخصم ، وقطعاع طريق النجاة في الاسلام ، وقد فرقنا كثيراً من المكاشفات المتكررة المتعلقة بهذا المقصد في كتبنا ورسائلنا سيما ما يتعلق بتعديل الجاحدين والكافرين مؤبداً وبقائهم في الجحيم مخلداً .

وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسّر له ، ولا ينفع أكثر منه لمن تعسر عليه ، فليرجع من أراد الوقوف والاطلاع اليه - وبالله العياذ من التقصير ، وبه يتيسر كل عسير .

قوله عزوجل :

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

قرء نافع وابن عامر : « ان الله الغنى » وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك ، والباقيون باثبات « هو » لوجوده في مصاحفهم . والضمير ينبغي أن يكون فصلا ، لامبتدأ ، لأن حذف الفصل أسهل - اذ لا موضع له من الاعراب - بخلاف المبتدأ ، لأنترى انه قد يحذف فلا يدخل بالمعنى . وقرء : « بالبخل » .

وقوله : « الذين » بدل من قوله : « كل مختال فخور » كأنه قال : لا يحب الذين يبخلون . وفيه دلالة على أن ذا الفرح المغطى متكبر بما اotti ، فخور على الناس . وإذا رزق هو وأشباهه مالا وحظاً من الدنيا فلابتها جهم به والتذاذهم منه وعزته لدتهم ، وعظمته في أعينهم - لاجل قصور عقلهم ونقص فطرتهم وخلل جوهرهم - يزرونه عن حقوق الله ويبخلون به ، ولا يكفيهم ذلك حتى يأمروا الناس بالبخل ويحملونهم عليه ، ويرغبونهم بالامساك ويزينونه لهم ، وذلك كله من نتائج فرجهم به وبطرهم عند اصابته ، والفرح بالمحقرات الدنيوية من لوازم قصور الذات وخسارة الجوهر وقلة العقل ، حيث لم يتتبّه بدثارها وفنائها ، ولما كان الابتهاج بمتاع الحياة الدنيا والبخل عن أداء الحقوق الواجبة وغير ذلك من ذمائم الأخلاق ناشية عن التوجه إلى الجنبة المسافلة المستلزم للعارض عن الحق والتولى عن قبول أوامره - كالانفاق - ونواهيه - كالبخل - أشار إلى أنه غنى عن العباد وانفاقهم ، محمود في ذاته ، لا يقدح في كمال ذاته ووجوب وجوده للعارض عن شكره .

مِكَاشِفَةٌ

ان في قوله : « هو الغنى الحميد » من التهديد ما لا يخفى ، للأشعار بأن الامر بالإنفاق لمصلحة يعود إلى المنافق ، فإذا فات عنه ما هو المصلح لذاته ، المذكى له عن ذمائم الأخلاق - كالبخل وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة - كانت عاقبة السوء .

وليس في بخل العبد وامساكه ضرر على الله تعالى ، بل الامر بالإنفاق والتأكيد فيه إنما وقع من الله تعالى لغاية رحمته على عباده ، حيث هداهم طريق التخلص عن عذاب الأخلاق الذميمة في الدنيا والآخرة مع كونه غنياً عن العالمين ، فكيف عن العبد وانفاقه .

وقد بالغ في الحديث على الإنفاق حتى طلب الصدقات عنهم بقوله : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ [٢٤٥/٢] وقال : ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ [٩/١٠٤] . وقد سلك طائفة من المخدولين طريق الإباحة وقالوا : ان الله غنى عن إنفاقنا ، وغنى عن ان يستقرض منا ، فأى معنى لقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ ؟ ولو شاء اطعام المساكين لاطعمهم ، فلا حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم . كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار بقوله : ﴿ واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو شاء الله أطعمه ﴾ [٣٦/٤٧] وقال تعالى اخباراً عنهم : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ﴾ [٦/١٤٨] .

فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم .

فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق ، واذا شاء أصعد بالجهل .

كـآدم راز ظلمت صد مدد شد * زنور ابليس ملعون أبد شد

رب تال القرآن والقرآن يلعنـه . رب رجل فقيه متبعـد يكون فقهـه وتعـبـده سبـباً

لهلاكه ، ورب جاهم مذنب يكون تحسّره وحزنه على قصوره وعصيائه سبباً لنجاته
﴿ يصل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ .

فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين او لاجل الله تحيرت عقولهم
وضلّلت أنفاسهم فقالوا : لاحظ " لنا في المساكين ، ولا حظ لله فيه " ما في أمواالنا
«أنفقنا او أمسكنا » . ولم يعلموا ان المسكين الآخذ لمالك يزيل -- اذ يقتل -- حب
البخل وحب الدنيا من باطنك ، فانه مهلك لك ، فهو كالحجّام يستخرج الدم من
عروقك ليخرج العلة المهدّكة من باطنك .

ولما كانت الصدقات مطهّرة للبواطن ومزكاة لها عن خبائث الصفات ،
وغضّالة لذنبهم -- لأن بالمال يتمكن الانسان من المعاصي -- امتنع رسول الله ﷺ
من أخذها وانتهى عنها ، كما نهى عن كسب الحجّام ، وسمى الصدقات او ساخ
أموال الناس وشرف أهل بيته بالصياغة عنها .

* * *

فهذا هو القول الكلى والسبب العقلى في وجوب الانفاق ، وقد سبق ان الاعمال
مؤثرات في القلب ، والقلب بحسب تأثيرها يستعد اما لقبول الهدایة ونور المعرفة
والإلهام ، واما لقبول الغواية وظلمة الجهل والوسواس ، ولا يبعد ان يكون قوله
تعالى : ﴿ ولا طعام الا من غسلين * لا يأكله الا المخاطئون ﴾ [٣٧/٦٩] اشارة الى
حال عاقبة عمال الزكوة ومتولى الاوقاف الذين يأكلون حقوق المساكين من غير
استيهال ولا ضطرار .

* * *

قوله عزوجل :

لَقَدْ أَرْسَلَنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلَنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلَنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَاسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٥﴾

أقسم سبحانه انه أرسل الرسل المبعوثين منه - وهم الملائكة والأنبياء عليهم التقديس والتسليم - بالحجج والمعجزات الباهرة ، وأنزل معهم الوحي والميزان .
والاول للهداية الى العلوم والتعليمات ، والثاني للارشاد الى الاعمال والمعاملات ،
ولهذا عقبه بقوله : ليقوم الناس بالقسط - اي : في معاملتهم بالعدل .

روى ان جبرئيل عليه نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال : « مرقومك
يزنوا به » . (١)

وعن ابن زيد والجباري ومقاتل بن سليمان معناه : وأنزلنا معهم من السماء
الميزان ذا الكفتين يوزن به - وفيه سر - .

وعن قتادة ومقاتل بن حيان : معناه أنزلنا صفة الميزان ، اي أمرنا الناس
بالعدل ، ك قوله : ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [٤٢/١٧] .

وأنزلنا الحديد -- الذي يتخد منه آلات الحروب للذب عن بيضة الاسلام
وليس أهل الفساد ومنفعة الناس ، اذ ما من منفعة ينتفع بها الناس ديناً ودنياً الا وال الحديد
آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما .

روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : ان الله - عزوجل -- أنزل أربع

(١) الكشاف : في تفسير الآية .

بر كات من السماء الى الارض : أَنْزَلَ الْحَدِيدَ وَالْمَاءَ وَالنَّارَ وَالْمَلْحَ (١) ومعنى الانزال عند أهل المعنى الإنشاء منها ، لأن الحوادث الكونية إنما يخلق من الله بتوسط الأسباب الفاعلة السماوية والمواد القابلة الأرضية ، فمعنى قوله أَنْزَلَنَا الْحَدِيدَ : أَنْشَأْنَاهُ وَأَحْدَثْنَاهُ ، كقوله : ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةً أَزْوَاجٍ﴾ [٦/٣٩] وعلى هذا المعنى أيضاً يحمل أمثل قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا شَاءَ﴾ [٤٨/٢٥] ، فان السموات ليست حياضاً وغدراناً للمياه ولا اصطيلاً للدواب ، والى شبه هذا ذهب مقاتل فقال « معناه : بأمرنا كان الحديد » .

وقال قطرب : معنى «أَنْزَلَنَا» هيئنا « هيأنا » من النزل ، وهو ما يهیئاً للضيف ، اي : أنعمنا بالحديد وهيأنا لكم .

وقيل : « نَزَلَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَعَهُ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ مِنْ حَدِيدٍ : السَّنْدَانُ وَالْكَلْبَتَانُ وَالْمِيقَعَةُ وَالْمَطْرَقَةُ وَالْأَبْرَةُ » .

وروى : وَمَعَهُ الْمَرْ وَالْمَسْحَاهَ (١)

وقوله : لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ - معطوف على قوله : لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقُسْطِ - اي : لِيَعْلَمُوا بِالْعَدْلِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ نَصْرَةُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُلُهُ بِاستِعْمَالِ السَّيْفِ وَالرَّمَاحِ وَسَائِرِ السَّلَاحِ . ويحتمل أن يكون معطوفاً على محفوظ دل عليه ما قبله ، فإنه حال متضمن تعليلاً ، واللام صلة لمحفوظ ، اي : أَنْزَلَهُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ - .

وقوله : بِالْغَيْبِ - حال من المستكين في : « يَنْصُرُهُ » اي : ينصره ورسله غالباً عنهم بمجرد العلم الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسيّة ، كما قال ابن عباس ينصرونه ولا ينصرونه .

ان الله قوى - على اهلاك من أراد اهلاكه - عزيز - منيع لا يفتقر الى نصرة ، وانما كلفهم الجهاد ليتفعوا به في العاجل ، ويستوجبوا الثواب بامتثال الامر به في الاجل ، وليجمعوا بين الرحمة في الدنيا والمغفرة في الآخرة .

(١) الكشاف : في تفسير الآية .

مِكَاشِفَةٌ

هذه الآية كنظائرها مشتملة على اشارات الى فوائد نفيسة من علم المبدع والمعاد ، وتنبيهات على فوائد شريفة من معرفة سلوك طريق الاخرة وأخذ الزاد ينبغي التنبيه عليها :

الاولى : الاشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب ، وبيانه : ان سعادة الانسان منوطه بأمرین : احدهما الاطلاع على الحقائق والمعقولات بالعلوم الكلية . وثانيهما الاتصال بالصفات المحسنات والتزه عن القيود والمضائق السفليات بالآراء العلمية .

وهذه الكلمات مما يخلو الانسان في أول الحدوث لكونه ضعيف الخلقة ، كما أشار اليه بقوله : ﴿خَلَقَ النَّاسَ ضَعِيفًا﴾ [٢٨/٤] بل فائضه عليه من الله تعالى بتوسط الملائكة العلوية ، وليس كل واحد من الناس مما تيسر له التقطن بالكلمات ، والاتصال بعالم العلويات الا من أيد بروح قدسي يتصل بفيض علوى ، ويعلم الاشياء بالهام غيبى ومدد سماوى ، وهذا الانسان هو «النبي» او «الاولى» وما قبله بحسب صفاء باطنه وارتفاع روحه عن الملك الملقم اليه المعرف هو «الوحى» للأنبياء او «الاهم» لل أولياء . وستعلم الفرق بينهما .

فلا بد لهداية الخلق وارشادهم الى طريق النجاة وايصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله يأخذ منه العلوم والكلمات من غير تعليم بشري ، ويوصل اليهم ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ كيف ولو أخذ كل انسان علمه من انسان آخر - من غير أن ينتهي الى الوحي والاهام - لاد ذلك الى غير النهاية ، فلا بد من الانتهاء الى من يأخذ العلوم والكلمات من معدن الالهوت بلا تعلم او تقليد .

ولايتوهمن ان النبي يأخذ العلوم عن الملك الموحى اليه على سبيل التقليد - هيهات - العلم التقليدى ليس علمًا في الحقيقة ، اذ العلم هو اليقين ، وهو لا يحصل الا مع الظفر بالمبادى والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية بالملائكة وأخذها العلوم منهم ، فان الغير المنطبع لولا احتجابه بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واحلاده الى الارض يتصل بالمبادى العالية والملائكة المقربين ، وخصوصاً بما يقربينا ويؤثرفي عالمنا هذا وهو المسمى بـ «روح القدس» المعلم للأنبياء ، و«جبرئيل» على لغة السريانيين ، فإذا اتصلت به تلايات فيها النقوش العلمية والصفات الكمالية التي فيها ، اذلامبائنة بين المجردات الا المادة ، ولامنع ولا تقدير ولا بخل في الاجادة والافاضة ، لأن هذه الاشياء من خواص عالم الاجسام لتضائقها وتمانعها ، فلمدى الارتفاع عن ذلك يطالع المغيبات .

ومن جرّب من نفسه صحة منامات - والنوم انما هو انحصار الروح عن الظاهر في الباطن - لا يستبعد من أن يكون نفس شديدة الارتفاع عن هذا العالم ، قوية الاتصال بالملكون الأعلى يتلقى منه المعرفة الكلية والحقائق العقلية ، كما يتلقى أكثر النفوس في بعض الاحيان من الملكون الأوسط شيئاً من المغيبات الزمانية المادية .

ومنبع المكاشفات العقلية المعنوية عالم العقول والملائكة العقلية ، ومعدن المكاشفات الصورية الحسنية عالم النقوش الفلكية والملائكة العملية .
فالمكاشفة العقلية أحد أجزاء النبوة ، وهو جزء مشترك بين الانبياء والولياء ، وللنبوة جزئان مختصان: أحدهما أن يكون النبي مأموراً من السماء باصلاح النوع والثاني طاعة الهيولى العنصرية له ، بل طاعة هيولى الافلاك بالشق والرم بسيدهم وخاتمهم عليه السلام لظهور المعجزات وخوارق العادات .

* * *

وتحقيق ذلك ان الانسان ملتئم من أجزاء ثلاثة ، من عوالم ثلاثة ، هي مبادى ادراكات ثلاثة : التعقل ، والتخيل والاحساس .

في كل من هذه القوى يتصرف في عالم من العوالم الثلاثة: الدنيا ، والآخرة ، وما هو فوّقهما - اي عالم الوحدة - وقد ثبت ان كل ادراك هو ضرب من الوجود ، فكمال كل واحد من هذه القوى يوجب التصرف في عالم من تلك العوالم ، والنبي هو الانسان الذي يقوى فيه ويكمّل ويُشتد جميع هذه القوى الثلاث ، فالقوّة العاقلة يتصل بالقديسين ويجاور المقربين وينخرط في سلكهم - بل يفوق عليهم عند اتصاله بالحق وفاته عن الخلق واندكاك جبل انتهيه ، كما أخبر عن نفسه بقوله عَنْ رَبِّهِ اللَّهِ: «لِي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبى مرسى» .

وبالقوة المتصورة يشاهد الاشباح المثالية والاشخاص الغيبية ويتلقى الاخبار الجزئية منهم ويطلع بهم على الحوادث الآتية والماضية . وبالقوة المحسّنة - المساواة للقوة المحرّكة - يتسلط على الافراد البشرية ، وينفع عنده المواد ويختضّن له القوى والطبائع الجرمانية تسلط العالى على السافل وخصوص السافل للعالى .

فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشأته الجامحة لجميع العوالم هي التي يكون الانسان بها عمظماً عند الله ، مؤيداً منه بتأييد تام ، والهام غبيّ ، وامداد ملكي ، واعانة فلكية يكون بحسبها قوى "القوى الثلاث كلها ليستحق بها خلافة الله ورئاسة الخلق من قبله .

* * *

فعلم مما ذكرنا ان اصول المعجزات والكرامات هي كمالات ثلاثة تختص بقوى ثلاث :

الخاصية الاولى : كمال القوى العاقلة ، وهي أن يصفو عقل الانسان صفاء يكون شديد الشبه بالملائكة المقربين - المسمّاة عند بعضهم بالعقل الفعالة - ليتصل بهم من غير كثير تفكّر وتعمل ، حتى يفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد أرض نفسه الناطقة أشرقت بنور ربها ، وزيت عقله المنفعل يضيء لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذي ليس هو بخارج عن كمال ذاته وان لم تمسسه

نار التعليم البشري لكن عند تميز ذاته القابلة للمعقول عن ذات المقبول من المعقول
صارت نوراً على نور - يهدى الله لنوره من يشاء .

* * *

الخاصية الثانية : كمال القوة المصورة وهو كونها في الشدة والقوة بحيث
يشاهد في اليقظة عالم الغيب - كما قد يشاهده النائم في نومه - وذلك لأن قوى النفس
وأن كانت متجاذبة متنازعة كلما انجذبت النفس إلى بعضها كالظواهر انقطعت عن
الآخر كالبواطن ، لكن اذا لم تكن ضعيفة منفعلة عن الجوانب بل كانت قوية غير
منفعلة عنها واسعة للجانبين تحفظ الجميع فعنده استعمال الحواس الظاهرة تستعمل
الباطنة ، وتشاهد المغيبات في اليقظة ، فتدرك المعقولات والكليات عن الوسائل
العقلية ، وتشاهد الصور الجميلة والاصوات الحسنة المنظومة على الوجه الجرئي
في مقام هورقليا او في غيرها من العوالم المتوسطة البرزخية الباطنية .

وليعلم ان العالم متطابقة متحاكية ، فكل ما يدرك هذا الانسان من عالم العقل
يقع له حكاية منه في عالم الاشباع الباطنية ، فذات العقل المفيس للمعارف عليه يتسبح
له صورة حسية متكلماً بكلام فضيحة مطابق لتلك المعانى ، مطابقة البدن للروح
واللفظ للمعنى ، فيكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلى هو الملك الذى
يراه النبى والولى ، أما النبى بما هو نبى فعلى طريق الحكاية والصورة ، وأما الولى
والنبى بما هو ولى فعلى طريق التجدد الصرف - وهذا أفضل أجزاء النبوة .
لكن النبى لكمال قوته البدنية والعقلية - جمياً - يدرك الملك الموحى
على الوجهين - بخلاف غيره من الاولى - وكذا الحكم فى المعارف التى تصل
إلى النبى معنى وحكاية والى الولى معنى فقط ، فالشخص الملقب للمعارف على
الوجه المذكور هو الملك الموحى باذن الله ، والكلام النازل منه فى غاية الفصاحة هو
كلام الله والوحى .

فعلم مما ذكر ان للملائكة ذواتاً حقيقة أميرية وذواتاً بحسب القياس البنا
من جهة القوة المصورة التي شأنها حكاية المعقولات - حكاية صحيحة طبيعية ، وكذا

للقرآن حقيقة معقوله لا يطلع عليها أحد إلا من شاء الله تعالى ، وحقيقة بالقياس الى مدار كنا و حواسنا ، كما ان للحق تعالى ذاتاً أحديه لا يكتنها أحد غيره ، و ذاتاً متضمنة بالإضافات والاستواء على العرش .

فلينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهم خلقه ، وفي ا يصل كلامه الى افهم خلقه ، وانظر كيف يجلب لهم اياه في حروف وأصوات - هي صفات البشر - ولو استثار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لماثبت لسماع كلامه عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه و سبحانه نوره ، ولو لا أن ثبت الله موسى - على نبينا وعليه السلام - لما أطاق سماع كلامه ، كمال يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكاً .

وقد عبر بعض العارفين عن هذا وقال: ان كل حرف من كلام الله في اللوح أعظم من جبل قاف ، وان الملائكة لواجتمع على الحرف الواحد أن نقلوه لما أطاقوه حتى يأنى اسرافيل - وهو ملك اللوح - فيرفعه فينقذه باذن الله لا يقوه وطاقةه ، ولكن الله طوقة ذلك واستعمله به .

فقوله: «كل حرف من كلام الله أعظم من كذا . . .» المراد منه ان كل معنى من المعانى العقلية بحيث لا يمكن حمله بقوة جسمانية - لما ثبت من أن المعنى العقلى لا يحمله المحل الجسمانى - والملائكة الذين لا يطيقون حمل المعانى العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون ، فحق أن المعانى القرآنية مالم تنزل بكسوة التعينات الجزئية والاصوات واللفاظ لا يحمله الطيائع الجسمانية والمدارك الخيالية الانطباعية والمراد باسراويل اما الملك العقلانى المفيض لفلك الشمس التي هي بمنزلة قلب العالم - كمامر - او الملك النفسي المدبر لها . وظاهر أن العقول المجردة لا يحمل المعنى الكلية الا بافاضة الله تعالى عليها .

* * *

الخاصية الثالثة : قوة في النفس الإنساني من جهة جزئها العملي وقوتها التحريريكية ليؤثر في هيولى العالم بازالة صورة ونزعها عن المواد ، وبإيجادها

وكسوتها ايها ، فيؤثر فى استحالة الهواء الى الغيم ، وحدوث الامطار ، وحصول الطوفانات ، واستهلاك امة فجرت وعقت عن أمرربها ورسله ، واستشفاء المرضى ، واستسقاء العطشى ، وخضوع الحيوانات .

وهذا ايضا غير مستحبيل لما قد علمت ان الاجسام مطيبة للمجردات ، بل هي ظلال لها وعکوس منها ، فكلما ازدادت النفس تجرداً وتشبهها بالمبادئ الفصوى ازدادت قوة وتأثيراً في مادونها ، واذا صادقت أن مجرد التصور والتواهم يحدث هذه التغيرات والانفعالات في هيولى البدن وليس ذلك لكون النفس ملاصقة بالبدن منطبعه فيه ، بل لتعلق قهري وارتباط على (عقلى) وعلاقة شوقيه لها به ، فلا تتعجب من نفس شريفة قوية تؤثر في بدن الغير وفي هيولى العالم مثل هذا التأثير ، لا جل مزيد قوة شوقيه ، واهتزاز علوى ، ومحبة الهيئة لها وشفقة لها على خلق الله شفقة الوالد لولده والام لولدها ، فيؤثر نفسه في اصلاحها واهلاك ما يضرها والمجاهدة مع ما يفسدها .

وكمما ان الخاصية الثانية توجد بوجه غير مرضي ولا محمود في نفوس الاشرار ، فكذا هذه الخاصية يوجد شيء منها في بعض النفوس القوية من غير تأله ولا معرفة ، بل لشدة قوته التأثيرية قد يتعدى تأثيرها في بدن آخر حتى يفسد الروح بالتواهم ، ويعبر عن هذا باصابة العين .

كما روى عنه عليه السلام انه قال : «العين يدخل الرجل القبر ، والجمل القدر»

وقال عليه السلام ايضا : «العين حق» (١)
فإذا كان هذا النحو من التأثير - اي بدون آلة جسمانية - ممكناً في حق الاشرار ، فما ظنك بنفوس عظيمة شديدة القوة شديدة البرائة عن المواد ، كيف لا يتعدى تأثيرها عن بدنها وعالمها الصغير الى غيره فيؤثر في هيولى العالم تأثيرها في بدنها ، ومثل هذا يعبر بالكرامة والمعجزة عند الناس .

والخاصة الاولى أفضل أجزاء النبوة عند الخواص، ولهذا كان أعظم معجزات نبينا ﷺ القرآن، و هو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية . وحقائق المبدء والمعاد ، وسلوك الطريق الى الله تعالى ، وبيان أحوال الواصلين اليه تعالى على وجه عجز عن دركه الا الأقلون من الراسخين من امته . وفيه الاخبار عن المغيبات والأفعال الخارقة للعادات ، مع أن نفسه ايضا من المعجزات العقلية التي كلّت أذهان العقلاة عن دركها ، وخرست ألسن الفصحاء عن وصفها .
فهذا ما اوردناه من معنى ارسال الرسال وكيفية ازوال الكتب .

الفائدة الثانية

الاشارة الى تكميل القوة النظرية وتعديل القوة العملية المستفادين من لفظ الكتاب والميزان والقرآن بينهما في الانزال ،
و التعليل لهما بقيام الناس بالقسط

و بيان ذلك ان للانسان هوية مجردة عن الاحياز والامكنته ، و هي لطيفة ملکوتية ، و كلمة روحانية مضافة الى الحق ، فائضة بأمره من غير وساطة المواد واستعدادها الابالعرض - كما حققناه في موضعه - وهي المشار اليه بقولنا : «أنا» و هي الجوهر الباقي منا الى يوم الحشر والحساب مع اضمحلال اجزاء البدنية ، وهي المحشور الى ربها عند القيامة بالبدن الاخرى المماثل لهذا البدن، بل عينه ، لأن هوية البدن و تشخيصه انما هي بالنفس في مدة بقاء الكون و ان تبدل الاعضاء بالاستحالات الحاصلة من الحرارات الغريزية الطبيعية، والغريبة الداخلة ، والمطيفة بالبدن الخارجة .

وبالجملة حقيقة الانسان ليست الا ذاته المجردة، وكل ذات انما يكون هلاكها في نقصها وضعفها و آفتها و مجاورة ضدها وبقاءها في كمالها و قوتها و صحتها ومجاورة أشباهها، ولكل شيء كمال خاص، فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات

واللذائذ الحسية، وكمال القوة الغضبية الظفر بالانتقام، وكمال القوة الحسية ادرالك المحسوسات، وكمال القوه المتخيلا تصوير المتمثلات ، وكمال الواهمةالظنون والرجاء .

و للنفس الانسانية فى ذاتها كمال يخصها ، و لها قوتان : أحديهما عاقلة نظرية متوجهة الى الحق، والاخرى عاملة محركة للبدن متوجهة اليه، فكمال النفس بحسب قوتها النظرية بمعرفة حقائق الاشياء و كلياتها و المبادى القصوى فى الوجود وبالجملة معرفة الحق الاول بما له من صفات جماله، ونوعوت جلاله، وكيفية صدور افعاله عنه ورجوعها اليه ، ومعرفة كونه غاية الاشياء الذى يتوجه اليه الموجودات فى بقائها، كما يبتدى منه فى حدوثها، الى غيرذلك من المعارف الحقة التى كانت مستعدة لها او لا عند كونها هيولانية الذات، ثم يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدائم اليقينى، ثم سيصير مشاهدة ايها فائضة من الحق الاول، ثم يصير متصلة بها، منخرطة فى سلوكها، مستغرقة فى شهوه مبدئها و معادها ، بحيث لا يلتفت الى ذاتها العارفة به تعالى ، فضلا عن غيرها ، بل الاضمحلال فى المعروف يذهلها عن كل شيء حتى عن ذاتها وعن عرفانها لمبدئها.

فاليدين الاول هو العلم ، والثانى هو العين ، والثالث هو الحق فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ، ولاشبها فى انه لا يحصل هذا الكمال الا بسبق معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات ، ولاشبها فى ان كتاب الله مشتمل على جلها بل كلها ، و لا شك فى ان حصول المعرف و العلوم متوقف على وساطة الرسول ، ووساطته انما تحصل بانزال القرآن ، فقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ اشارة الى ما يستكمل به القوة النظرية .

وأما كمال النفس بحسب القوة العملية الذى يكون الميزان اشاره اليه فيبيانه : أن النفس لما كانت فى اول نشأتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها ، فيحتاج فى استكمالها بالكمال الذى قد سبق ذكره الى مادة بدنية تفيض و تستفيد بواسطه آلاته الجسمانية و مشاعره الادراكية مبادى ادراكتها التصورية والتصديقية من

الأوليات الحاصلة من المشاركات والمبادرات بين ما يقع الاحساس به من المحسوسات الجسمانية ، فت تكون النفس في اول الاستكمال محتاجة الى البدن وقواه على الوجه المذكور ، ولذا قيل : « من فقد حسنا فقد علما » .

ثم ان البدن جسم مركب من عناصر متضادة فله بحسب كل منها ضد اديجب الاحتراز عنها في مدة بقاءها ، وهو في اول التكون قليل المقدار صغير الجسم لكون كل بدن حاصلا من مثله في النوع بفضلة تحصل منه ، وفضلة الشيء لا يمكن أن يساويه ، فلهذا الوجه ولو جوه اخر مذكورة في مقامه لابد أن يكون في اول الحداثة قليل المقدار غير تام الخلقة ، ويكون تمامه بورود الجسم الشبيه به -- قليلا قليلا -- في مدة حياته وهو الغذاء وطلبه ائما يكون بالشهوة ، و الشهوة لا بد لها من ادراك سابق لأن كل جسم لا يصلح للتغذى ، اذربما يكون سما قاتلا او مضرأ ، فيحتاج الانسان الى قوة ما يدرك المصلح عن المفسد في الاجسام الغذائية ، ولا بد أن يكون مدركاً بادراك جزئي من الحواس الظاهرة -- لاجل التميز -- والباطنة -- لاجل الحفظ والذكر -- اذربما لا يكون في كل جسم ما يشهد كونه ملائماً او منافياً في كل وقت . فثبتت ان استكمال النفس متوقف على بقاء البدن مدة ، وبقاء البدن متوقف على قوى ثلات لامور ثلاثة : قوة العلم للتميز بين المصلح والمفسد ، وقوة الغضب لدفع المفسدة ، وقوة الشهوة لجلب المنفعة .

و مباشرة النفس لهذه القوى الثلاث من باب الضرورة كما علمت ، والا فكمالها في التجدد عنها ، ومن ابتلى بصحبة الاخسياء من الاضداد فما دام اشتغاله بها و عدم الخلاص عنها فالتوسط بين الاضداد بمنزلة الخلوق عنها ، فان الماء الفاتر بمنزلة الخالي عن الحرارة والبرودة . فكمال النفس -- عند استقلالها بالقوى الثلاث واستعمالها ايها -- توسيطها بين الافراط والتفريط فيها لأن لا ينفع عندها ولا يطاوعها في مأربها ، بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لا الانقهار عنها ، وهي ائما تحصل بالتوسط فيها .

اما قوة العلم -- اي استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في امور الدنيا --

فتوصطها و اعتدالها يسمى «بالحكمة» وهي معناها غير العلم العقلى بحقائق الاشياء بالقوة النظرية، فانها كلما كان اوفر كان افضل ﴿ و من يؤت الحكم فقد اوتى خيراً كثيراً﴾ [٢٦٩/٢] و افراط هذه القوة يسمى «بالجربزة» وهي المكر والخدعه ، وتغريبتها هي «البلاهة» و«السفاهة» وكلا الطرفين مذمومان .

واما قوة الغضب: فتوسطها و اعتدالها «الشجاعة» - و هي فضيلة كالجود - وكلا جانبيها - وهم «التهور» و «الجهن» - رذيلتان، كما ان طرفى الجود - كالبخل والاسراف - مذمومان لقوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [٢٩/١٧] و قوله : ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفو ولم يقتروا و كان بين ذلك واما﴾ [٦٧/٢٥] .

واما قوة الشهوة فتوسطها و اعتدالها هو «الاعفة»، وطرفها - وهم «الشهوة» و«الخمود». رذيلتان .

و من تركيب هذه القوى الثلاثة و امتزاج اوساطها الثلاثة تحصل قوة اخرى لها توسط - هي الفضيلة - المعبر عنها «بالعدالة».

ولها طرفان مذمومان : فافراطها «الظلم» وتغريبتها «الانتظام» .

* * *

فهذه الصفات الاربع اصول الفضائل العلمية، وأطرافها الشمانية هي الرذائل ومجملها حسن الخلق اذا صارت ملكة ينوط بها خلاص الانسان من ذمائم الاخلاق الموجب لسخط الباري و غضب الخلاق ، والتعذيب بالاحتراق بالجحيم لاجل الانحراف عن العدالة - المعبر عنها بالصراط المستقيم ، فخير الامور في هذا العالم او سلطها، فكم ان نفس الطريق المستقيم ليست مقصوداً، بل جوازها يؤدى الى المقصود فكذلك حسن الخلق ليس كمالاً ، بل الاتصال به يورث الخلاص من الجحيم ، وانما الكمال الحقيقي والمقصود الاصلي هو معرفة الحق الاول وما يليه من الصفات الجمالية والافعال الالهية التي تكمل بها النفس ، و تقر بمشاهدتها العين السليمة من الامراض الباطنية، فالميزان الذي تقوم فيه الناس بالقسط و يعتدل به نقوتهم

ويحسن خلقهم هو اشارة الى مجتمع الاخلاق الحسنة .

وقد روى عن النبي ﷺ انه قال : أثقل ما يوزن في الميزان خلق حسن (١)

وقال ﷺ: «بعثت لاتتم مكارم الاخلاق» (٢).

وقيل : «مال الدين؟» فقال ﷺ: «الخلق الحسن» .

وقال ﷺ: «حسن الخلق خلق الله» (٣).

وقال ﷺ ايضاً: «أفضل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً» (٤).

واليه الاشارة في قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فِجُورَهَا

وتقواها * قد أفلح من زَكَيَّهَا * وقد خاب من دَسَّيَّهَا﴾ [١٠-٧٩١]

وكما ان للحسن الظاهر اركاناً - كالعيون ، والانف ، والفم ، والخد -

ولايوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها ، فكذلك للنفس التي هي باطن الانسان

وجه الى الخلق ، ووجه الى الحق ، ووجهها التي يلي الحق هو جهة وحدتها

وبساطتها ، ووجهها التي يلي الخلق جهة تركيبيها من الاخلاق ، وللأخلاق اركان

وأصول ، فلا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق ، ولهذا كان في الادعية النبوية

«اللهم حسن خلقى» (٥) لحسن الوجه العملى التدبرى ، و: «اللهم أرنى الاشياء

كما هي » لحسن الوجه العلمى الشهودى .

والعدالة عبارة عن هيئة تحصل به حسن وجه النفس ، وهي فضيلة متضمنة

(١) المسند: ٦ / ٤٤٢ .

(٢) جاء الحديث بالفاظ مختلفة راجع المسند ٣٨١٢ والموطأ: باب ماجاء

في حسن الخلق ٩٧٣ . ومجمع الزوائد ١٥٩

(٣) الجامع الصغير : ١٤٨١

(٤) الجامع الصغير : ١٥١، وفي المسند ٦ / ٩٩ : أكمل المؤمنين ..

وجاء مثله في الكافي : ٩٩ / ٢ عن أبي جعفر ع

(٥) المسند: ٦ / ١٥٥-٦٨: (اللهم أحسنت خلقى فاحسن خلقى) .

لجميع الفضائل الخلقية، كما ان الحسن الظاهري فضيلة جسمانية متضمنة لكمال سائر الفضائل الخلقية ، و تناسب جميع الهيئات البدنية ، والتخلط والتشكيلات الجسمانية، ويعبر عنها بالميزان لاشتراكها معه فيما يعرف به مقدار الشيء، اذيعبر (يعرف - ن) بها فقد الاخلاق - التي بها زينة جوهر الذات الانسية عن زيفها واستقامة الاعمال عن ميلها وحيفها، وخلاصتها عن غشتها .

والموازين لا يجب أن يتساوى الجميع في الذات والماهية، بل في كونها ميزاناً، وأنهما يعرف بحال الشيء كمية أو كيفية، فان الاسطرلاب ميزان والمسطرة ميزان، والعرض ميزان، والنحو ميزان، والمنطق ميزان، لاشتراك جميعها فيما به يسمى الميزان ميزاناً، وان اختلفت في الماهية، لكن هذا الميزان الذي كلامنا فيه هو بعينه ما سيعود يوم القيمة بصورة المناسبة للنشأة الاخرة ، فيعرف به كل واحد من الناس مقدار عمله بمعايير صادق ، ثم يحاسبون على أقوالهم وافعالهم وضمائرهم ونيّاتهم مما أبدوه أو أخفوه، ثم يساقون إلى الصراط . وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء أحد من السيف وأدق من الشعر، يخف عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي هو صورة العدالة ومثاله في الآخرة .

وقد أشرنا الى أن فضيلة العدالة ليست فضيلة حقيقة للإنسان وخيراً حقيقة بل هي طريق مستقيم يؤدى الى الكمال والخير الحقيقيين، فلابد من جوازها حتى تصل النفس الى كعبـة المقصود، ويتنعم بالنعم ومجاورة المعبود .
فهذا ما أردنا من بيان معنى الميزان الذي يقوم به الناس بالقسط.

الفائدة الثالثة

الإشارة الى ترتيب سلسلة الموجودات وتقدم بعضها على بعض
وتأخر بعضها عن بعض بحسب الشرف والكمال وال الحاجة
والافتقار في النزول منه والصعود اليه :

وبيان ذلك بأن أوائل الموجودات الصادرة عنه تعالى التي صدرت بمحض

الجود والخير من غير استعداد وتركيب - وهى التى تسمى «بعالم الامر» لوجودها عنده تعالى بمجرد أمره ، من غير توسط وجود قابل ، واستدعاء افتقار ثابت وتصرع بليسان استعداد لوجودها ، و صدورها عنده تعالى على هذا الوجه ، وهى عقول مفارقة هى **«الملائكة المقربون»** و عالمها **«عالم القضاء»**.

ثم نفوس مجردة هى **«الملائكة المقربون»** و عالمها **«عالم التقدير والتدير»** ثم أجرام سماوية و عالمها **«عالم الاعمال والحركات»** التي تنشأ منها العناصر الاربعة بتوسط هيلوها المشتركة ، وهى نهاية تدبير الامر المشار اليه فى قوله تعالى **﴿يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ﴾** .

و أما الموجودات الفائضة عنه بتوسط المواد والقوابيل والاستعداد فهى المركبات على هذا الوجه: المعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ثم أول درجة الانسان و هو الذى فى أوائل العقول ، ثم مرتبة اهل الایمان ثم مرتبة العلماء ثم الاولىء والأنبياء .

وعند الوصول الى رتبة الاولىء والأنبياء وقع الوصول الى الحق ، فرجع سلسلة الموجودات فى الصعود الى الحق ثانية عند ارتفاعها عن درجة النقصان والخسنة الى حيث نزلت منه تعالى أولا ، فهو تعالى مبدع الاشياء وغایتها ، وهو الاول والآخر .

* * *

واذا تمهد هذا : فقوله : **لقد أرسلنا** - اشاره الى عالم الملوك المتوسطة بينه وبين الخلق ، و هو مشتمل على الملائكة والأنبياء ، ولا يتم النبوة الا بالملك النفسي الذي يخبر بالحوادث الآتية والماضية ، ولا ينصلح اخباره للرسول البعد استعلامه من الملك العقلاني المتوسط بينه وبين الله ، الذي يستفاد منه حقائق الاعتقادات الكلية ، فكما أن الانبياء يصلحون اعتقادات الخلاق ، فكذلك الملائكة يصلحون بعضهم بعضاً الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل قوام ، ومطلع كل حسن و نظام .

وقوله : أَنْزَلْنَا مِنْهُمُ الْكِتَابَ - اشارة الى الملك النازل على قلوب الانبياء بالوحى ، وحكم الانبياء عند اتصالهم بعالم الغيب و مشاهدتهم الملائكة هو بعينه حكم الملائكة في منزلتهم و مرتبتهم في الوجود ، وان صدق عليهم حين نزولهم من عالم تقدسهم الى درجة أفهم الخلق قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْبَشْرُ مِنْكُمْ ﴾ [٤١] .

ثم ان الارسال والانزال أمران نسيبيان يدلان على المنزل والمهبط بالالتزام ، ومهبط نزول الرسل (الوحى -ن) والملائكة عالم الاجسام ، والهبوط لا بد فيه من المرور على المراتب المتوسطة بين عالم القدس و عالم الجرم الارضى الذي هو أسفل السافلين ، فقد وقعت الاشارة الى المراتب الكلية لسلسلة النزول .

واما الاشارة الى سلسلة الصعود : فلفظ الميزان مما يحتمل أن يكون اشارة الى التعادل في العناصر الذي يقال له المزاج ، المشار اليه بقوله : ﴿ وَالسَّمَاءُ رُفِعَتْ هُوَ وَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [٥٥ / ٧] وهو الذي به يتهيأ الموارد العنصرية لأن تحصل منه المواليد الثلاثة ، فان المانع عن قبول الحياة والشرف من الله تعالى في الاجسام السفلية هي التضاد ، والا فالجود مبذول و الرحمة واسعة ، أو لا ترى أن الاجرام العلوية لخلوها عن التضاد في الكيفيات حبّة مطيبة لله تعالى في أوامره و نواهيه ، لا كارهة كالارضيات كما وقعت الاشارة في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [٤١ / ١١] وقوله : ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [٤١] .

فكليما اوغلت العناصر عند الامتزاج في الاعتدال والتوسط بين أطراف الاضداد الذي هو بمنزلة الخلو عنها يستعد لافاضة كمال اشرف و حمزة ارفع .

فاول ما يحصل لها من التوسط والاعتدال هو ما يحصل منه المعادن على مراتبه ثم النبات كذلك ، ثم الحيوان على أنواعه ، ثم الانسان على طبقاته في الشرف والبرائة من الاضداد ، وقد تقرر في العلوم الالهية : ان الطبيعة مالم تستوف النوع الاحسن لم تتح الخط الى النوع الاشرف ، فقوله : ﴿ يَقُولُ النَّاسُ بِالْقَسْطِ ﴾ اشارة

إلى وجود صورة الإنسان بحسب القسط والعدل في كييفيات عناصره وكمياتها وهو المزاج المعتمد الانساني الذي هو أشرف الامزجة المعبّر عنه بالتسوية في قوله : ﴿فَإِذَا سُوِّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [٢٩/١٥] .

وكون الميزان اشارة الى الاعتدال في الكييفيات والصفات الجسمانية لجزاء البدن لا ينافي كونه اشارة الى العدالة في الاخلاق النفسانية ، أما علمت ان وجوه فهم القرآن لا ينحصر في واحد ، فان القرآن ظهر أوبطناً وحداً ومطلعاً – كما ورد في الحديث (١) عنه عليه السلام – بل ذلك الوجه يلائم هذا الوجه ويتطابقه تطابق الظاهر للباطن ، اذا العالم متطابقة ، والنشئات متحاذية ، فالاعتدال في المزاج يستدعي أن تكون الصورة الانسانية الفائضة عليه عدلاً في الصفات المعنوية واصول الاخلاق النفسانية ، التي هي بمنزلة صور الكييفيات الجسمانية .

وقوله : وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ – اشارة الى درجة المعادن ، وهي الدرجة النازلة من المواليد ، كما أن الدرجة الانسانية من الحيوان – المشار إليها بقوله : ليقوم الناس بالقسط – هي الدرجة العالية منها .

وقوله : وَمِنْافِعُ الْمَنَاسِ – يومى الى درجة النباتات لأن الحديد آلة الحرب والغرس . على أن من الاشارات الى الجمامد والى نوع من الحيوان وهو الطرفان النازل والعالي من المركبات – لزمت الاشارات الى النبات بالالتزام على ما مر من توقف النوع الاشرف على النوع الاحسن في سلوك الطبيعة درجات الصعود الى الحق ، كما يتوقف الاحسن على الاشرف في النزول عنه ، والى الحيوان بالتضمين ، لأن الحيوان بما هو حيوان جزء من الانسان ، ودلالة الشيء على جزئه بالتضمين .

واما قوله : وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ – اشارة الى درجة أهل الایمان والمعرفة ، لأنهم ينصرون دين الله بالمجاهدة مع الكفار ، وهم متفاوتون في الفضيلة ، وأفضلهم

(١) قال العراقي (ذيل احياء علوم الدين : ١/٩٩) : أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود . ورواه العياشي (١/١١) بلفظ آخر فراجع .

العلماء الذين ينثرون دينه تعالى بالاجتهاد والاستنباط بالفکر الصحيح .
 و قوله : ورسلمه - اشارة الى درجة الانبياء والولیاء الذين بهم ينتهي ارتقاء المكونات في توجهم شطر كعبة الحق وتلقاء مدينة الخير الحقيقي الذي لا يشوبه شوب قصور وزوال ، وهو الله العزيز المتعال ، القوى الشديد في الاثار والافعال ، ولذلك وقع الانتهاء باسم ذاته تعالى صريحاً مع ذكر صفة كمالية اضافية ، واخرى جلالية سلبية ، كما وقع الابتداء بهضمناً وكذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة ، لأن السلسلة الاولى شعورية ، والاخرى اشعارية فابتداة الاولى بما يناسبها من الشعور دون الاشعار ، وانتهت الثانية ايضاً بما يناسبها من الاشعار ، ولا ان أهل السلسلة الاولى أصحاب الجبر والاستغراق في الشهود والفناء والهيمان ، فلا التفات لهم الى ذواتهم ولا ارادتهم سوى ارادة الله وأهل السلسلة الثانية أصحاب اختيار والارادة المنفصلة عن ارادة الله ، وذلك لوجود الوهم والخيال فيهم و هو مناط التكليف لزعمهم أن لهم وجوداً مستقلاً بالذات ، فالاضمار والتكلم يناسب الاولى ، والابراز والغيبة يناسب الثانية .

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

الإشارة الى علمه بالجزئيات الزمانية على الوجه الجزئي
 وهو الذى حارت فيه أفهم الحكماء والفضلاء حيث ذكروا أن العلم بالشيء على سبيل التجدد والتعاقب يوجب التجسم والتغير في ذات العالم ، مع أن القرآن مشحون بذلك ما يدل على تجدد اختبار وابتلاء ، واستیناف نحو من أنحاء العلم ، كقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾ و قوله : ﴿ لَيَلْبِلُوكُمْ أَيْسَكُمْ أَخْسَنُ عَمَلًا﴾ [١١/٧] .

ومن هذا القبيل كل آية وقعت فيها نسبة الابتلاء اليه تعالى ، وهذا أمر لا يعرفه النظار بقوة البحث والنظر الامن أيدده الله بتوفيق خاص به يصل به الى ادراك

الحق بأقدام العبودية و الاخلاص فى العلم والعمل ، وقد أؤمننا اليه والى كشفه فى موضع متفرق من الاسفار .

الفائدة الخامسة

الاشارة الى الفرق بين معانى الغاية التى قد يقع بازائها
حرف « اللام »

فإن الغاية قد يراد بها « السبب الغائي » وهو ما به يكون الفاعل فاعلاً تاماً ، وقد يراد بها « ما يؤدى اليه الفعل » من غير أن يكون مقصوداً للفاعل في فعله ويقال له « الضروري » ، وقد يراد بها « ما ينتهي اليه الفعل » بحسب الذات والقصد جمياً . و الغاية بالمعنى الأول في أفعاله تعالى لا تكون الا ذاته ، لانه تمام الفاعلية والإيجاد ، وبالمعنى الثالث لواريد به آخر ما ينتهي اليه الفعل فهو ايضا ذاته ، وقد يكون غيره كما في الحديث القدسى عنـه تعالى : « لولاك لما خلقت الأفلاك ». وأما المعنى الثاني فهو لا يكون إلا غير ذاته .

ومثال المعنى الأول : تصور السكنى في بناء البيت للبناني ، بل تصور الراحة التي يتصورها عند السكنى ، ومثال المعنى الثاني : المنفعة المحصلة للأجير في بنائه ومثال الثالث : وجود السكنى او الراحة الذي ينتهي اليه الحركات البناءية . فقوله : أرسلنا رسالنا - و ما عطف عليه - اشارة الى الصلة الغائية بالمعنى الأول ، لأن الارسال والانزال فعلان اختياريان لابد فيهما من علة غائية ، و قوله : ليقوم الناس اشاره الى الغاية بمعنى الضروري ، و قوله : وليرعلم الله من ينصره - اشارة الى الغاية الذاتية التي ينتهي اليها الفعل بالذات .

الفائدة السادسة

الاشارة الى عنایته وحكمته في خلق الحديد وعجائبه وفوائده ، وكيفية حدوثه من الادخنة والابخرة المحتبسة في الجبال والمعادن مدة مد IDEA يا ذن الله تعالى

بتتوسط الكبريت والنفط والقير وغيرها مما يتوسط في القوام بين رقة الأدخنة ولطافتها وغلظ الحديد وكثافته، واطاعته للإنسان في قبول الذوبان والذين بالحرارة النارية ، وقبول الاستطرار تحت المطارق وبقاء لينه عند الطرق حتى يتخذ منه الآلات الصناعية على أي وجه اريد ، ثم رجوعه إلى جموده الأصلي عند التبريد لتبقى التشكيلات المقصودة منه في كل صنعة .

فانظر إلى رحمة الله كيف هدى الناس إلى تحصيله من الجبال، ثم إلى كيفية تلبيسه بالنار، واتخاذ آلات الصنائع منها لجلب المنفعة ودفع المضرة الحاصلة ان عند استعمالها بداعية العمال الشهوية والغضبية، المنبعثتين عند استعمال النفس المدببة إليها باشارة العقل المكمل الهادى إليها بالهام الحق له، وهو تعالى الاول في البداية، والآخر في النهاية ، ومنه الافاضة والجود في المبدع والغاية .

قوله عزوجل :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مُهَدِّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَسِقُونَ

اعطف سبحانه على ما تقدم من ذكر المرسلين مجملًا بذلك نوح وإبراهيم - على نبينا وعليه السلام - مفصلًا وإنما خصّهما بالذكر وذكر قصتهما لفضلهما وكونهما أبوي الأنبياء ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فان الأنبياء كاهم من نسلهما وذريتهما - عن ابن عباس - . الكتاب : الخط بالقلم . يقال : كتب كتاباً وكتابة .

ثم أخبر تعالى عن حال الذرية بحسب الشأة الآخرية ، فقال : فمنهم - اي فمن الذرية ، او من المرسل إليهم - لدلالة ذكر الرسال عليه - مهتد - الى طريق الحق - ومنهم فاسق - عن أمرربه والغلبة للفساق .

مُكَاشِفَةٌ

اعلم ان لوجود كل من الصنفين مصلحة وخيراً يخصه ويليق به اثلايلزم
أن يكون الخير قليلاً والشر كثيراً في أشرف أنواع الكائنات .

فليس لاحد أن يقول أكثر أفراد الانسان يغلب عليهم الشر على مادلت عليه
الآية ، ولان مناط تحصيل السعادة والشقاوة للنفس الادمية انما هو استعمال قواها
الثلاثة : - الادراكية ، والشهوية ، والغضبية - اذ هي مبادى الافاعيل والانفعالات ،
ومن تكرر الافاعيل والانفعالات تحصل أخلاق وملكات هي المنتجة للسعادة أو
الشقاوة في العاجل والاجل ، والغالب على أكثر الناس على مانراه هي أضداد
الاخلاق الحسنة -- من الجهل ، وغيبة الشهوة ، واستيلاء حب الدنيا ، وميل الرؤاسة ،
والبخل ، والحسد ، والكبر ، والريا ، وأشباهها . وما يترب عليها وينبعث عنها من
الفسوق والمعاصي ، فيلزم كونهم من الاشرار المردودين عن رحمة الله ، على أن
رحمته وسعت كل شيء ، فما معنى كونه تعالى محض الرحمة التي لا جهة شريطة
فيها ؟ وما معنى قول الربانيين من الحكماء : « ان الخير هرثي والشر همضى » ؟
لانا نقول : لا بد أن يعلم أن الخلق الذي لازجا معه في الآخرة هي صفة
واحدة للنفس من حيث جزئها العلمي ، وهى ضرب من الجهل وهو ما يكون
موكبا مع الاعتقاد الراسخ المضاد للحق ، وأما من حيث جزئها العملى
فليس كل رديلة توجب الحرمان عن الغفران ، بل الرذائل التي رانت على
القلوب وصيّرتها فاسدة الجوهر ، كجرائم المرأة التي أحاطت بها النداوة ظاهراً
وباطناً وغاصت فيها وأفسدتها سطحاً وعمقاً ، وكون أكثر الناس فساقاً ذاتاً صفات
ذميمة لا يستلزم كونهم مطرودين من رحمة ربهم ، بل كما أن الجهل المركب الراسخ
المضاد للبيتين الذى يوجب الشقاوة الابدية نادر كوجود اليقين الذى يوجب خيراً

كثيراً وقسطاً وافراً من السعادة ، والجهل البسيط الذي لا يضر في المعاد عام فاش في هذا النوع فكذلك حال القوتين الآخرين .
فالبالغ في فضيلة العقل والخلق - وإن كان نادراً - كالشديد النزول فيهما لكن المتوسطين على مراتبهم أغلب وأوفر ، وإذا ضم إليهم الطرف الأعلى كانت لأهل النجاة غلبة عظيمة .

ومما شبه حال الأرواح في انقسامها إلى هذه الأقسام بحسب السعادة والشقاوة الآخر ويتين بحال الأبدان في انقسامها بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين إلى البالغ في الجمال والصحة والمتوسط فيهما - وهو الأكثر - والقبيح السقيم - وهو أقل من عدد المتوسط فضلاً عن مجموع القسمين - .

فاذن قد ثبت أن السعيد أكثر من الشقي ، فالحكم بأن رحمة الله تعالى لاتزال الأقليلاً من عباده غير صحيح ، وقد قال تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقوون﴾ [١٥٦/٧] .

وأما خلود أهل الكفر في النار ففيه سر لا ينكشف لأحد إلا من يشاء من خلقه عباده وهو العليم الحكيم .



قوله عزو جل :

ثُمَّ قَفِينَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مُرْسِلٍ وَّأَتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا هَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَارَعُوهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا فَعَاهَدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرُهُمْ فَلَيَقُولُونَ ⑯

قرء المحسن «الإنجيل» -- بفتح الهمزة - والامر فيه هيئ لان الكلمة أعيجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب، بخلاف أمر «البر طيل» «والسكين» فيمن روواها بالفتح وقرء «رأفة» على وزن فعالة .

و«التقفيه» جعل شيء اثرشى على نهج الاستمرار ، ولهذا قيل لقواطع الشعر «قوافي» اذا كانت تتبع البيت على اثر بيت مستمداً في غيره على منهاجه .
و«الرهبانية» أصلها من الرهبة والخوف ، يوصف بها النصارى لترهيبهم بعد موت عيسى عليه السلام فراراً من الفتنة في الدين لظهور المجابرة على مؤمني ذلك الزمان ، واحلاضاً لأنفسهم في عبادة الرب عند التفرد عن الخلق ، فهي «الفعلة» المنسوبة إلى الرهبان بالفتح ، وهو الخائف «فعلان» من «رعب» كخشيان من خشي وقرء «ورهبانية» بالضم منسوبة إلى «الرهبان» وهو جمع «راهب» كربان جمع راكب ، وهي عبادة مخصوصة بالنصارى لقول النبي (١) عليه السلام : «لارهبانية في

(١) في البحار: كتاب الأيمان والكافر باب النهي عن الرهبانية : ١١٥٧٠
ان الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، انما رهبانية امتى الجهاد في سبيل الله) . راجع ايضاً ٢٧٧١٤ والمسند : عرق ٢٢٦ و ٨٢٣ .

الاسلام» وقوله ﷺ : « رهبانية امتى الحج ووالجهاد ». وانتسابها بفعل مضمون يفسرها الظاهر ، اي : وابتدعوا رهبانية ابتدعواها ، ويجوز أن يكون معطوفة على ما قبلها ، والجملة بعدها صفة لها في محل النصب ، والمعنى : ثم اتبعنا بالارسال على آثار المذكورين كنوح وابراهيم ومن أرسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل برسل آخرين ، اي : اتبعنـا رسولا بعد رسول وقفـينا سابقا بلاحق انتهى الامر الى عيسى بن مريم بعدهم ، فارسلناه رسولا وأعطيـنا الانجيل وجعلـنا في قلوب الذين اتبـعواه من الحواريين وأتبـاعـهم للترـاحـمـ والتـعاـاطـفـ بينـهـمـ رأـفـةـ وـرـحـمـةـ ، بـأنـ أـمـرـهـمـ اللهـ بـهـمـ وـرـغـبـهـمـ فـيـهـمـ ، اوـ خـلـقـ فـيـ قـلـوـبـهـمـ الرـأـفـةـ وـالـرـحـمـةـ وـانـمـاـدـحـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ وـانـ كـانـ مـنـ فـعـلـهـ لـاـنـهـمـ تـعـرـضـواـ لـهـمـ وـابـتـدـعـواـ رـهـبـانـيـةـ لـمـ يـكـنـبـهـاـ عـلـيـهـمـ ، وـهـىـ خـصـلـةـ مـنـ الـعـبـادـةـ يـظـهـرـفـيـهـاـ مـعـنـىـ الرـهـبـةـ ، اـمـاـ فـيـ كـنـيـسـةـ (ـشـعـشـعـةـ -ـ نـ) ، اوـ توـحـشـ عـنـ الـخـلـقـ ، اوـ تـفـرـدـعـ مـعـ جـمـاعـةـ ، اوـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـامـوـرـ الـتـىـ تـعـلـقـ بـنـسـكـ صـاحـبـهـ .

وقيل : انـ التـىـ اـبـتـدـعـهـاـ مـنـ رـفـضـ النـسـاءـ وـاتـخـاذـ الصـوـامـعـ -ـ عنـ قـتـادـةـ وـعلـىـ تـقـدـيرـ عـطـفـهـاـ عـلـىـ ماـقـبـلـهـاـ يـكـونـ المـعـنـىـ : وـجـعـلـنـاـ فـيـ قـلـوـبـهـمـ رـأـفـةـ وـرـحـمـةـ وـرـهـبـانـيـةـ مـبـيـدـعـةـ مـنـ عـنـهـمـ .ـ بـمـعـنـىـ : وـفـقـنـاـهـمـ لـلـتـرـاحـمـ بـيـنـهـمـ ، اوـ لـاـبـتـدـاعـ الرـهـبـانـيـةـ الـمـبـيـدـعـةـ الـغـيـرـ الـمـكـتـوـبـةـ عـلـيـهـمـ مـنــاـ -ـ الاـ اـبـتـغـاءـ رـضـوـانـ اللـهـ -ـ اـىـ لـيـتـغـوـلـ بـهـاـ رـضـوـانـ اللـهـ وـيـسـتـحـقـوـلـ بـهـاـ الثـوابـ ، وـالـسـتـشـنـاءـ مـنـقـطـعـ ، اـىـ مـافـرـضـنـاـهـ عـلـيـهـمـ وـلـكـنـهـمـ اـبـتـدـعـهـاـ طـلـبـاـ لـمـرـضـاتـ اللـهـ ، وـيـحـتـمـلـ الـاتـصـالـ بـتـضـمـنـ :ـ «ـ مـاـتـعـبـدـنـاـهـ بـهـاـ»ـ حـتـىـ يـكـونـ مـشـتـمـلاـ عـلـىـ نـفـىـ الـايـجـابـ وـالـنـدـبـ الـمـسـتـلـزـمـينـ لـمـطـلـقـ الـراـجـحـةـ وـالـتـقـرـبـ ، وـهـذـاـ وـانـ كـانـ مـخـالـفاـ لـقـولـهـ :ـ «ـ اـبـتـدـعـهـاـ»ـ لـكـنـ يـوـجـهـ بـأـنـ يـقـالـ :ـ مـعـنـاهـ وـلـكـنـهـمـ اـبـتـدـعـهـاـ ثـمـ نـذـبـواـ يـهـاـ .

وابـتـدـعـهـاـ :ـ بـمـعـنـىـ :ـ اـسـتـحـدـثـهـاـ مـنـ قـبـلـ اـنـفـسـهـمـ وـوـافـوـبـهـاـ ،ـ فـمـارـعـوـهـاـ حـقـ رـعـاـيـتـهـاـ ،ـ اـىـ :ـ الـذـيـنـ بـعـدـهـمـ مـارـعـوـاـ جـمـيعـاـ لـلـرـهـبـانـيـةـ ،ـ اوـ لـمـذـكـورـاتـ مـنـ الرـأـفـةـ ،ـ وـالـرـحـمـةـ ،ـ وـالـرـهـبـانـيـةـ -ـ حـقـ رـعـاـيـتـهـاـ ،ـ وـلـكـنـ بـعـضـهـمـ رـعـاـهـاـ ،ـ وـبـعـضـهـمـ ضـمـ اليـهـاـ

التثليث ، والقول بالالحاد ، وقصد السمعة والرياء والكفر بمحمد ﷺ ، ونحو هذه الاشياء ، كما ان المنسوبين الى التصوف في هذه الازمنة والمدورة الاسلامية بعضهم ممارعوا حقه - من تصفية الباطن ، والتزهد في الدنيا ، والانقطاع عن أهلها وذويها طلباً لمرضات الله - وأكثرهم لم يراعوا حقه ، بل ضمموا اليه السمعة والرياء ، والتغنى والسماع ، والاشغال بالملاهي وصحبة الاباطيل ، والمعطلين عن الفكر والسير في الملوكوت وعن ذكر الله الا بمجرد اللسان عند مجمع الخلاائق . فآتينا المؤمنين المراعين منهم لها أجرهم وكثير منهم فاسقون - وهم الذين لم يراعوها ولم يوفوا بها .

قال الزجاج : ان تقدير « ما كتبناها عليهم » : ما كتبنا الا ابتغاء رضوان الله وهو اتباع ما أمر به - فهذا وجه - .

قال : وفيها وجه آخر في التفسير وهو انهم كانوا يرون من ملوكيتهم ما لا يصبرون عليه ، فاتخذوا أسراباً وصوماع وابتدعوا ذلك ، فلما ألمزوا أنفسهم بذلك النطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه ، كما ان الانسان اذا جعل على نفسه صوماماً لم يفرض عليه لزمه أن يتم .

قال : و قوله : « فمارعواها حق رعايتها » على ضربين : أحدهما أن يكونوا قد قصرروا فيما ألمزوا أنفسهم ، والآخر - وهو الأجود - أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به ، وكانوا تاركين لطاعة الله ، فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ، ودليل ذلك قوله : **﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾** يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ و كثير منهم فاسقون **﴿إِنَّ كَافَرُوا﴾** اي كافرون - انتهى كلام الزجاج - .

ويؤيد هذه حاروى عن ابن مسعود قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : يابن مسعود - اختلف من كان قبلكم عن اثنين وسبعين فرقة ، نجا منها اثنان وهلك سایر هنّ ، فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى **﴿إِنَّلِلَّهَ فَقْتَلَوْهُمْ﴾** ، وفرقه لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهاريهما يدعونهم الى دين الله تعالى ودين عيسى **﴿إِنَّلِلَّهَ فَسَاحَوْا فِي الْبَلَادِ وَتَرَهَبُوا وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ﴾** : « ورهبانية ابتدعواها

ما كتبناها عليهم » .

ثم قال ﷺ : من آمن بي وصدقى واتبعنى فقد راعا حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهاكون . (١)

مِكَاشِفَةٌ

في هذه الآية حجة على عدم خلو الزمان عمن يقوم به حجة الله على خلقه ، اذ علم انه بهذا جرت سنة الله من لدن آدم ونوح وآل ابراهيم الى وقت نبيتنا - صلوات الله عليهم أجمعين - ولن تجد لسنة الله تبديلا ، لكن النبوة قد ختمت برسولنا ﷺ والولاية التي هي باطن النبوة باقية الى يوم القيمة ، فلا بد في كل زمان - بعد زمان الرسالة - من وجود ولی يعبد الله على الشهود الكشفي من غير تعلم ، ويكون عنده مأخذ علوم العلماء والمجتهدين ، وله الرئاسة العامة في أمر الدين والدنيا ، وهو الداعي للخلق بحسب الفطرة من قبل الله ، سواء أطاعتني الرعية أولا ، والناس أجابوه او أنكروه ، وسواء كان ظاهراً مشهوراً ، او مستتراً مغموراً - كما في الآية الطاهرتين سلام الله عليهم أجمعين - .

وكما ان النبوة والشريعة قد ختمت برسولنا ﷺ فالولاية التي هي باطنها تختتم بآخر أولاده المعصومين ، وهو الذي يواطى اسمه اسم رسول الله ﷺ ، ومعناه معناه ، وبوجوده أقيمت البلاد ، ورزقت العباد ، وبظهوره يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

* * *

(١) الظاهر ان المصنف نقل الحديث والكلام المنقول قبله عن الزجاج عن مجمع البيان (ج ٩ ص ٢٤٣) وجاء هذا الحديث مسنداً مع فروق في المستدرك للحاكم (ج ٢ ص ٤٨٠) والدر المنشور (ج ٦ ص ١٧٧) .

وفي حديث كميل بن زياد النخعى عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على هذا المطلب ، وهو قوله - بعد كلام سابق - :

« يا كميل مات خزان الاموال والعلماء باقون مابقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، آه آه ان هيئنا - وأشار بيده الشريفة الى صدره المقدس - لعلماً جمّاً لو أصبحت له حملة ، بل اصيّب له لقناً غير مأمون ، يستعمل آلة الدين في الدنيا ، ويستظهر بحجج الله على خلقه ، وبنعمه على عباده ، او منقاداً للحق لا بصيرة له في أحنتاه ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض شبهة . ألا - لذا ولا ذاك ، او منهوماً باللذات سلس القيادة للشهوات ، او مغرى بالجمع والادخار ليسا من دعوة الدين في شيء ، أقرب شبيهاً بهما الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بممات حامليه . »

اللهم بلى ، لاتخلو الارض من قائم لله بحججه ، ظاهراً مشهوراً ، او مستتراً مغموراً لثلا تبطل حجج الله وبستاناته وأين اوئلثك ؟ اوئلثك والله الاقلون عدداً ، الاعظمون خطاً ، بهم يحفظ الله حجته وبستاناته حتى يدعوها نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقائق الامور ، وبashروا روح اليقين ، واستلأنوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بال محل الاعلى ، اوئلثك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه ، آه آه شوقاً الى رؤيتهم . - انتهى الحديث -(١)

* * *

وفي اشعار بامور :

الاول : ان العالم الحقيقي له الولاية على الدين والرئاسة فيه .

والثاني : ان سلسلة العرفان بالله والولاية المطلقة لاتنقطع أبداً .

(١) كمال الدين : باب ما أخبر به على عليه السلام من وقوع الغيبة ص ٢٩٠ . نهج البلاغة : باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم : ١٤٧ .

والثالث : ان عمارة العالم الارضى ووجود افراد الانسان وسائر الحيوانات وغيرها من الكائنات انما يكون بوجود العالم الربانى ، وقد يقام عليه البرهان فى الحكمة المتعالية ، فيلزم منه الاعتراف بوجود امام حافظ للدين فى كل زمان.

الرابع : ان هذا القائم بحججه الله لا يجب أن يكون ظاهراً مشهوراً كمولاانا أمير المؤمنين عليه السلام في أيام تمكنه من المخلافة الظاهرة ، بل ربما يكون خاملاً مستوراً - كهؤ عليه السلام قبل ذلك الوقت ، وكأولاده الاحدى عشر بعده ، سبعمائة القائم المنتظر : امامنا الهاشمي - سلام الله عليه وآله وآبائه الطاهرين - المشار إليهم في قوله تعالى :

﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [٣٤/٣].

وفيما روى عن النبي عليه السلام لا يزال امتى بخير ما ولّيهم اثنا عشر خليفة كلهم

من قريش . (١)

الخامس : ان من خواص اولياء الله وحججه أن يكون علومهم ومعارفهم حاصلة بحدس تام والهام من الله من غير تعمّل وتكلّم ، كما دل عليه قوله عليه السلام : « هجم بهم العلم على حقائق الامور ، وبashروا روح اليقين » اي اطلعهم الله على حقائق الموجودات ، وقذف في قلوبهم نوراً من لدنـه ، يريـهم الاشيـاء كـما هـي ، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من اوتـها فقد اوتـى خـيراً كـثيراً .

السادس : انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة حاملتها ، حيث اشتاقت نفسه الشريفة عليهـا الى لقائـهم مع كونـه قدوة الربـانيـن ومقدـم السـائـرـين الى الله بـقوـةـ الحـكـمةـ وـالـعـرـفـانـ ، وبـهـ يـنـتـهـىـ سـلـسـلـةـ السـالـكـيـنـ وأـصـحـابـ الطـرـيقـةـ وـالـصـوـفـيـيـنـ وـمـنـ يـحـدـوـ حـذـوـهـمـ فـىـ التـأـلـهـ وـالـعـرـفـةـ - لـافـيـ مـجـرـدـ الرـيـاضـةـ الـبـدـنـيـةـ وـجـلـوسـ الصـوـامـعـ وـلـبسـ الـخـرـقةـ ، اـذـ لـاـ كـمـالـ فـيـ يـعـتـدـ بـهـ .

وذلك لأن الجنسية علة الضم ، والجنس يحن إلى جنسه ، ولأن فنون التقرب إلى الله تعالى متعددة ، وأذواق الكاملين مختلفة ، مع اشتراكهم في غلبة جانب

التوحيد والعلم والفناء والبقاء ، فلا يبعد أن يكون الاشتراك في جهة الكمال المطلق ومظاهرية الذات الاحادية يوجب أصل المحبة ، والاختلاف في ظهور بعض المظاهر الاسمية والصفاتية وخفاء بعضها يوجب التشوق بجهة خفاء اسم او صفة الى جهة ظهور اسم او صفة ، فان تجلّيات الحق بحسب الاسماء والصفات غير متناهية عدداً، فكذلك يختلف المظاهر والمجالى اختلافاً غير متناه شخصياً .

ومما يدل على وجود الامام المطاع في الاحكام في جميع الازمنة ما اتفقت روايته بين الخاص والعام في قوله عليه السلام : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .
 * * *

وقد اتفقت الامامية على أن الامام في زماننا هذا هو المهدى عليه السلام الموعود ظهره في آخر الزمان ، واستبعاد أهل السنة في وجوده وبقائه إلى الان في غاية السقوط ، اذ الا أدلة الطبيّة والنجوميّة على امتناع بقاء الإنسان بعد المأة والعشرين غير تامة ، ومع ذلك منقوص بوجود الاعمار الطويلة للسابقين كما هو المشهور من آدم ونوح عليهم السلام وغيرهما وبقاء دجال اللعين من اللاحقين مدة طويلة هي من زمن الرسول - عليه وآله السلام - إلى وقت خروج المهدى عليه السلام .

وأسقط من ذلك تشنيعهم على الفرق الامامية بأن أي ثمرة في وجود امام لا يمكن التوصل إليه وأخذ المسائل الدينية منه؟ فان مجرد المعرفة بامامته ورئاسته، والتصديق بوجوده وأنه خليفة الله في أرضه ثمرة ينتفع بها، وليس الفائدة منحصرة في مشاهدته ، أولًا ترى ان من كان في عهد النبي عليه السلام وصدق بوجوده وبرسالته كان مؤمناً حقاً وإن لم يره مشاهدة كاويس القرني - رضى الله عنه - فكذا هيئنا .

وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري : « ان النبي عليه السلام ذكر المهدى فقال : ذلك الذي يفتح الله على يده مشارق الارض ومغاربها ، يغيب عن اولياته غيبة

لایثبٰت فیها الا من امتحن الله قلبه للايمان .

قال جابر : فقلت : يارسول الله -- هل لشيئته انتفاع به في غيبته .
فقال عليه السلام : اى والذى بعثنى بالحق ، انهم يستضيئون بنوره ، وينتفعون بولايته

في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان علاها السحاب » (١) .
والعجب أنهم حملوا الامام في قوله عليه السلام على أهل الشوكة الظاهرة من
ملوك الدنيا - كائناً من كان ، عالماً او جاهلاً ، عادلاً او فاسقاً - فتشنيعهم على الامامية
مقلوب عليهم بأشد وجه بأن يقال : أى ثمرة يترب على معرفة الجاهل الفاسق ليكون
من مات ولم يعرف مات ميتة جاهلية ؟

وأما رجوعهم عن هذا الحمل لغاية سخافته إلى أن المراد بالأمام في ذلك
الحديث هو « الكتاب » فدفعته الامامية بما نقله بعض الاعلام منهم بقوله : ان اضافته
إلى زمان ذلك الشخص يشعر بتبدل الأئمة في الأزمنة ، والقرآن لا تبدل له - بحمد الله -
على مر الأزمان ، ولأن المراد بمعرفة الكتاب ان اريد بها معرفة ألفاظه او الاطلاع
على معانيه أشكل الامر على كثير من الناس ، حيث يكون موتهم ميتة جاهلية ،
وان اريد مجرد التصديق بوجوده فلا وجده للتشنيع علينا اذا قلنا بمثله .

* * *

اعلم انه ذكر الشيخ محيي الدين الاعرابي في الباب الثلاثمائة والست
والستين من كتاب الفتوحات المكية كلاماً بهذه العبارة يدل على انه كان معتقداً
لوجود المهدى عليه السلام ، وقد نقل بعض الاعلام من الكرام تمام هذا الكلام في كتاب
الاربعين (٢) من أراد الاطلاع عليه فلينظر فيه ونبذ منه هذا :
« وان لله خليفة يخرج من عترة رسول الله عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام يواطى
اسمها اسم رسول الله عليه السلام ، جده الحسين بن علي عليه السلام ، يبايع بين الركن والمقام »

-
- (١) كفاية الاثر للمخراز : باب ماجاء عن جابر في النص ... : ٥٤
(٢) الأربعين للشيخ بهاء الدين العاملي (ره) : الحديث السادس والثلاثون .

- وعد بعض نعمته واصفه الشريفة الى أن قال : - « يباعه العارفون من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهى ، له رجال الهيون يقيمون دعوه وينصرونه ، لو لا أن السيف بيده لاقتى الفقهاء بقتله ، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيخافون ويقبلون حكمه من غير ايمان ، ويضمرون خلافه ، ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب أنتمهم انه على ضلال في ذلك . » - انتهى - .

* * *

واعلم ان كل عالم رباني ذو مكاشفة تامة يعرف طريق التبتل الى الله تعالى وكيفية التخلص عن ورطة التعلق بالمهلكات الدنياوية والمؤذيات النفسانية ، فان اتباعه وتعلم السلوك منه واجب عقلا ، كما ان اتباع الرسول والائمة عليهم السلام واجب عقلا وسمعا فكما ان المريض ومن به داء مهلك عند التساهل عنه اذا وجد طبيبا حاذقاً يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه وقبول ما أمر به بحسب ماجبل عليه من التحفظ على الحياة البدنية ، فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردى النفسيانى الذى به يفوت الحياة السرمدية يجب عليه بالضرورة ان يتبع العارف الواقع بكيفية ازالة الجهل وسائر الاخلاق الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتأسى به ويسلك بسلو كه ويقبل منه النصائح فى كيفية التقرب الى المبدء الفعال .

واما ان من تيسر له خدمة عالم متأله ، ثم تساهل في ملازمته وتحمّل المعارف منه - خوفاً من سقوط منزلته عند الناس وتحفظاً على جاهه الحقير لدى العوام الناقصين - فيوشك أنه اذا خرج الامام المهدى عليه السلام الذي وجبت اطاعته عقلا تم رد عن حكمه وتحاشى عن اطاعته اذا انحطت عند ذلك مرتبته عند الناس وسقط به جاهه الخسيس ، اللهم الا خوفاً او طمعاً ، لاتقربا الى الله تعالى ، والا لاطاع كل من له قدم راسخ في العلم بالله وملكته ، وذلك لمرض نفسه ، وخيث جوهره ، وقصور ذاته بحسب نفس الامر ، وسقوط منزلته عند الله حيث يصده المنزلة عند

الخلق عن تحصيل المنزلة عنده ، ويرجح عنده رضاء المخلق على رضاء الخالق ، وقد قال سبحانه : ﴿ ورضا من الله أكبر ﴾ [٧٢/٩] .

قوله عزوجل :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُ كُفَّارِيْنَ مِنْ رِحْمَتِهِ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا مَّشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

الكفل : النصب .

يأيها الذين آمنوا - اى: اعتقدوا توحيده وعلمه وقدرته وصدقوا بآياته فِي السَّمَاوَاتِ
- انقوا الله - فیمانها کم عنه من قبائح الافعال ورذائل الصفات - وآمنوا بر سول له -

• ﷺ مَحْمَدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

او يأهله الكتاب الذين آمنوا بموسي وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ .

وعن ابن عباس : يا أيها الذين آمنوا ظاهراً ، آمنوا باطناً يعطكم نصيبين
من رحمته ، نصيبياً لايمانكم بمحمد ﷺ ، ونصيبياً لايمانكم من قبله من الانبياء عليهما السلام ،
ان كان خطاباً لمؤمني أهل الكتاب ، ولا يبعد أن يثابوا بما عملوا في دينهم السابق
وان كان منسوحاً .

هكذا قيل ، وفيه تفصيل : فانهم ان لم يكونوا معاندين ، بل كانوا منقادين
للحق اذا ظهر عليهم ، فكل ماعملوا سابقاً طليباً لمرضات الله كانوا مثاباً به الى أن
وصل اليهم صيت الاسلام ، فادا اجتهدوا في تحقيق الامر حتى ظهر لهم فلاشبها في
أن لهم كفلين من رحمة الله ، وان لم يكونوا كذلك بل كانوا متعصبين لدينهـم
متخاصمين عن استئماع الحق فلا اعتداد بالاعمال التي فعلها الانسان تعصباً وتجاهلا من
غير طلب المصيرـة .

وقيل : الخطاب للنصارى ، الذين كانوا في عهده عَنْ أَنْسٍ .

وَإِنْ كَانَ خَطَابًا لِغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَالْمَعْنَى : اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا عَلَى إِيمَانِكُمْ
بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُم مَا وَعَدَ اللَّهُ مَوْلَانَا مُحَمَّدًا مَصَّادِقَةً لِأَنَّكُمْ أَهْلُكُمْ
أَجْرَهُمْ مَرْتَبَتِنَ [٢٨/٥٤] وَلَا نَنْفَضُكُمْ مِمَّا مِثْلُكُمْ لَأَنَّكُمْ مِثْلُهُمْ فِي أَنْ لَا تَفْرَقُونَ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ .

وَيَجْعَلُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ - أَى : هَدِيَّا يَهْتَدُونَ بِهِ .

وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ : «النُّورُ» : الْقُرْآنُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَدْلَةِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى كُلِّ حَقٍّ
وَالْهُدَى إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَبِهِ الْإِسْتِحْفَاقُ لِحَصْوَلِ الْمُضِيَّا فِي الْقَلْبِ الَّذِي يَمْشِي بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَيَغْفِرُ لَكُمْ - أَى : يَسْتَرُ عَلَيْكُمْ ذَنْبَكُمُ الَّتِي أَسْلَفْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُعَاصِيِّ .
رَوَى سَعِيدُ بْنُ جَبِيرٍ (١) : بَعْثَ رَسُولَ اللَّهِ مَصَّادِقَةً لِجَعْفَرَ أَفْيَ سَبْعِينَ رَاكِبًا
إِلَى النَّجَاشِيِّ يَدْعُوهُ ، فَقَدِمُ عَلَيْهِ وَدْعَاهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ وَآمَنَ بِهِ ، فَقَسَالَ أَنَّاسٌ مِنْ
آمَنَ بِهِ مِنْ أَهْلِ مَلْكَتِهِ وَهُمْ أَرْبَاعُونَ رَجُلًا : «إِذْنُ لَنَا فَنَأْتَى هَذَا النَّبِيُّ فَنَسِلْمٌ» (٢).
فَأَذْنَلَهُمْ . فَقَدَمُوا مَعَ جَعْفَرٍ ، وَقَدْ تَهْبَأُوا لِوَقْعَةِ أَحَدٍ ، فَلِمَارُوا مَا بِالْمُسْلِمِينَ
مِنْ خَصَاصَةِ اسْتَأْذِنَوْا رَسُولَ اللَّهِ مَصَّادِقَةً فَرَجَعُوا وَقَدَمُوا لَهُمْ بِأَمْوَالٍ لَهُمْ ، فَوَاسَوْا
بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ إِلَى
قَوْلِهِ : «وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَعُونَ» [٢٨/٥٤] .

فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ قَوْلَهُ «أَوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبَتِنَ
بِمَا صَبَرُوا» فَخَرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : «أَمَا مَنْ آمَنَ بِكِتَابِكُمْ وَكِتَابِنَا فَلَهُ أَجْرُهُ
مَرْتَبَتِنَ ، وَأَمَا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابِكُمْ فَلَهُ أَجْرُ كَاجْرِكُمْ ، فَمَا فَضْلُكُمْ عَلَيْنَا» ؟
فَنَزَّلَتِ الْآيَةُ فَجَعَلَ لَهُمْ أَجْرَيْنِ وَزَادَهُمُ النُّورُ وَالْمَغْفِرَةَ .

وَرَوَى أَنَّ مُؤْمِنَى أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَخَرُوا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ

(١) الدَّرُ المُنْتَهُ : فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ١٧٨/٦

(٢) فَنَلَّمْ بِهِ - (نَسْخَة)

أُجْرُهُمْ مَرْتَينَ وَادْعُوا الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ ، فَنَزَّلَتْ (١) .

مِكَاشِفَةٌ

ياآيها المعدودون من أهل الإيمان اتقوا الله بتکثير الحسنات وتنقص السيئات، وآمنوا برسوله اي: حصلوا لانفسكم ملکة المعرفة بالله ، وكيفية ارسال الرسول، وانزال الكتب عليه ، وافاضة الحقائق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى اليه باذن الله والتصديق برسالته واطلاعه على المغيبات وحقیته في كل ما أتى به .

والاول رعاية للجزء العملى من النفس الانسانية ومحافظة على حصول ثمرته التي هي تصفية وجود (وجه) النفس بتفصوى الله والزهد الحقيقي عن كدورات الشهوات الدنياوية من المعاصى والقبائح .

والثانى رعاية للجزء النظري منها وايصاله بكماله الذى هو المقصود من وجود الانسان وهو اكتساب المعارف الحقة الباقية معه أبداً مخلداً .

وحيث كان كمال الانسان ومنزلته عند الله وحصوله المنشوبة الاخروية له متوطاً بشمرة استكمال كل من هاتين القوتين ، فلا بد لكل من آمن بالله واليوم الآخر أن لا يتوانى عن اكتساب الاحوال والاعمال ، واقتضاء العلوم والملكات المؤدية الى هاتين الشرتين .

اما ثمرة الاعمال الصالحة فالخلص من ذمائم الاخلاق وردائة الاوصاف وال العلاقات الدنياوية المانعة عن قبول الرحمة والهدایة ، والا فالجود مبذول والرحمة واسعة عند عدم المانع ، واما ثمرة العقائد الحقة فمشاهدة الاعيان الشريفة

النورية ومنادمة الملائكة القدسية وأهل الصفوّة وعباد الله المقربين وقبول التجليات الالهية .

أما صاحب رتبة العمل دون العلم فهمته متوجّهة نحو لذات الجنان ، والمشتّهيات من الحور والعلماء وكل ما تشتّهيه الانفس وتلذ العيون بقدرة التخيّل وتصل همتها اليه -- وان كان نازلا عما يهمته ويقصده المقربون من العرفاء كالسدر المخصوص والطاح المنضود ، وأما صاحب المعرفة فهمته متوجّهة نحو عالم المقدس والوحدة ، ومشاهدة الجمال والجلال ، فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى ، والمشرب الكافوري -- وما هو دون ذلك ان أراد كالبشر الزنجيلي -- . فلما أمر سبحانه أهل الإيمان بالتقوى والمعرفة وكل منهما يتّبع ثمرة خاصة ونصيبياً مخصوصاً من فيضه ورحمته وقعت الاشارة الى حصول النصيبيين لهم من الرحمة ، نصيبياً لاجل العلم ، ونصيبياً لاجل العمل .

ولما كانت ثمرة العلم أجل رتبة وأفضل قدرأ من ثمرة العمل - فضيلة الادراك على الحركة ، وشرافة العين على القدم - أشار أولا الى ذكر ثمرة العلم وتعيين ماهيتها بقوله : ﴿ و يجعل لكم نوراً تمثرون به ﴾ فان هذا النور بعينه هو النور المذكور في قوله : ﴿ نورهم يسعى ﴾ [٨/٦٦] .

ثم أشار الى ثمرة العمل بقوله : ﴿ ويغفر لكم ﴾ ثم أشار الى كون ذاته تعالى منشأ جميع الخيرات ومبادر فنون المبررات بقوله : ﴿ والله غفور ﴾ نظراً الى امداد لطفه في اجتناب الانسان عن الرذائل وقبول توبته -- رحيم -- نظراً الى افاضة جوده في تلبّس الانسان للفضائل .

قوله عزوجل :

**لَئِلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابَ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)**

« لا » في « لئلا يعلم » زائدة . و « أن » في « أن لا يقدرون » مخففة من الثقلة ، واسمها محفوظ وهو الشأن ، اوضمير راجع الى أهل الكتاب اي : لأن يعلم أهل الكتاب أنه لا يقدرون على شيء مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة ، ولا يتمكنون من نيل شيء منه ، لأن جميعه مشروط بالاعتقاد الصحيح في حق الله ورسوله وهم لم يؤمنوا برسول الله ، فلا ينفعهم ايمانهم بغيره من الانبياء بعد ما فرقوا بين رسول الله ، ولعلهموا ان الفضل بيد الله وقدرته ، يؤتنيه من يشاء بمشيته السابقة وارادته الازلية المنبعثة عن علمه باختلاف القوابل وتفنن الماهيات -- والله ذو الفضل العظيم -- بافاضة نور الوجود على هيكل الممكناط .

وقيل : ان المراد بفضل الله هيئنا النبوة ، اي : لا يقدرون على نبوة الانبياء ، ولا على صرفها عنمن يشاء الله أن يخصه بها ، فيصرفوها عن محمد ﷺ الى من يحبونه ، بل النبوة كسائر الفضائل الموهبية بيد الله لامدخل لتعتمل الناس في استجلابها يعطيها من يشاء من هو أهلها ومستحقها .

وقيل : « لا » هيئنا في حكم الثبات ، والمعنى : لأن لا يعتقد أهل الكتاب ان النبي والمؤمنين به لا يقدرون على شيء من فضل الله ولا ينالونه ، فعلى هذا يكون الضمير في « يقدرون » للنبي والمؤمنين ، ويكون « أن الفضل » عطفاً على « أن لا يعلم » . او لأن لا يعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون أن يؤمنوا ، ويكون المراد : لكي يعلموا انهم يقدرون على الايمان وطلب الفضل والثواب .

وقراءة الحسن : « ليلاً يعلم » - بفتح اللام وسكون الياء - وروى بكسر اللام

أيضاً -- وتوجيهه على ما قبل بأن حذفت الهمزة من « لان » لشقلها حتى صار « لن » ثم ادغمت « النون » في « اللام » للمجازة بينهما ، فصار « لـلا » -- بالكسر -- ثم ابدلت اللام الثانية المدغمة في الثالثة « ياء » كابدالهم الواو المدغمة وغير المدغمة ياء في « ديوان » و « قيراط » فان الانتقال من المضاعف الى المعنى متعارف عند أهل اللسان .

وأما الفتح - كما في قرائة المحسن : فعلى أن أصل لام الجر هو الفتح ، وقرء « لکی یعلم » و « لکیلا یعلم » و « یعلم » و « لان یتّعلم » - بادغام النون في الياء ، و « لین یتّعلم » بقلب الهمزة ياء و ادغام النون في الياء كما ذكر في الكشاف .

مُكَاشِفَةٌ

انما يستشعر من الاية الكريمة ان لاهل الایمان اقتداراً على استجلاب فضل الله وتمكناً من استدرار رحمته ، ومفهوم الخلاف وان لم يكن معتبراً عند الاكثر ، سيما في مثل هذا المقام حيث عقب بقوله : ﴿أَنَّ الْفَضْلَ يَبْدُوا إِذَا يُؤْتَى هُنَّ أَنَّهُمْ مَا يَمْكُنُ تَصْحِيحُهُ هُبْهُنَا بِوْجَهٍ عَقْلِيٍّ ، فَإِنَّ الْفَضْلَ وَإِنْ كَانَ كَلْهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِحَسْبِ مَشِيقَتِهِ بِلَا تَأْثِيرٍ لِغَيْرِهِ فِي الْإِجَارَةِ ، وَتَوْسِيتُهُ لِمَا سُوَاهُ فِي الْأَفَاضَةِ ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ تَعْلُقِ الْمَشِيقَةِ بِوَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ مِنْ مَخْصُوصٍ لِامْتِنَاعِ التَّرْجِيحِ مِنْ غَيْرِ مَرْجِعٍ - كَمَا هُوَ الْمَذَهَبُ الْمَنْصُورُ - -

فلم遽 اخيار فى اكتساب المرجح بتحصيل المعرف اليمانية والعقائد
الحقة -- أولاً - ثم العمل بمقتضاها - ثانياً - ثم الانتظار لهبوب رحمة الله وفضله
- ثالثاً -

فان من حصل بالمعرفة بالله ورسوله واليوم الآخر والاعتقاد والثواب للمحسن،
والعقاب للمسيء - وان كان على وجه التقليد والظن - حصل لنفسه تشوق الى تكميل

جوهره بتحصيل اليقين والوصول الى ثواب الله والتقرب اليه ، فيبعثه ذلك على قمع الشهوات الظاهرة عن النفس - أولا - ثم على قلع الصفات الذميمة الباطنة عن القلب - ثانياً - ثم يختار العزلة والخلوة عمّا يشوش ذكره ويوسوس طبعه فيجلس للمراقبة والذكر والتفكير ، ثم يؤدي به ذلك الى أن يجعل همومه ومقاصده وأغراضه واحداً -- هو التشوق الى طلب الحق - .

وإذا غلب ذلك على قلبه فهو بعد ناقص محروم مالم يكن من المتفكرين وأهل العلم ، فإن كان له مجال في التفكير وحركة معنوية في الباطن شغله ذلك عند التجدد عن محاربة الشيطان ووسواس الوهم بابداء الشبهات والشكوك في قلبه حتى يصله ذلك عن الطريق ، وإن لم يكن له سير في الباطن وحركة معنوية في الملوك فلا ينجيه الأوراد المتواصلة والصلوات المتعاقبة ، بل يحتاج معها إلى تكليف الحضور لقلبه بالافكار المعنوية ، فإن التفكير في الباطن هو الذي يستغرق القلب ويُسخر النفس دون الأوراد الظاهرة .

وربما لم يسلم مع ذلك من الآفات الشاغلة له في بعض الاوقات من الفكر والذكر ضرورية كانت أو غير ضرورية ، كمرض وخوف ، او ايذاء من مخاصم ، او طغيان من مخالط لضرورة المعيشة او اشتغال بمطعم او ملبس مما يحوجه إلى شغل تواه بنفسه ، فإن تيسر له قطع هذه العلاقة ليسلم له أكثر الاوقات ، فيصفو قلبه ، وينشر فكره في عالم الملوك ، وينكشف له من أسرار الله ما لا يقدر على شيء قليل منه جملة الأذكياء المشتغلين بقلوبهم بالدنيا وعلائقها .

* * *

وهذا أقصى المقامات التي لا اختيار العبد مدخلية في أن تناهها بالأكتساب والجهد ، فأما مقدرات ما ينكشف له من فضل الله ، ومبانع ما يرد عليه من رحمته فهو خارج عن اختياره واقتداره فإنه يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق والطالع السمائي ، الذي طالع طالعه السمائي ، فقد يقل الجهد ويحل الصيد ، وقد يطول الجهد ويقصر المحظ ، فالمعنى بعد ذلك على جذبة من جذبات الحق التي يوازي

عمل النقلين ، وليس ذلك باختيار العبد ، وان كان له اختيار في أن يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب من الرياضيات الفكرية والعملية (العلمية) .

واليه الاشارة بقوله : ان لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتغتصبوا عنها .^(١) وذلك بأن يقطع عن قلبه جواز الدين فان المجنوب الى أسفل السافلين كيف ينجذب الى أعلى علبيين ، وذلك لأن تلك النفحات والجذبات أرزاق معنوية بمنزلة الرزق الصورى ، فلها أسباب سماوية رحمانية ، كما أن للرزق الصورى أسباب سماوية جسمانية ، اذ قال ، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [٢١/٥١] فان هذه السماء الجسمانية مثال وظل لمبدأ رحمانية تعالى المنبع عنها الارزاق الصورية والمعنوية كلها ، ولهذا وقعت الاشارة بقوله . ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ . وهذا الذى كلامنا فيه من أجل مراد الرزق المعنوى ، فهو ايضا من أسباب سماوية قدسية ، والامور السماوية غائبة عنا فلا يدرك متى يسر الله أسباب الرزق ، فما علينا الا تفريغ محل القلب والانتظار لنزول الرحمة وبلغ الكتاب أجله - كالذى يصلح أرض الزراعة وينقيها من المحشيش ويبيث فيها البذر - بأن يصفى المريد القلب عن ذمائم الصفات ، ويبيث فيه بذر المعارف الالهية - وكل ذلك لا ينفعه الا بنزول المطر ولا يدرك متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله وسننه في أن لا يخلى الارض سنة عن مطر ، فكذلك قل ما يخلو قلب المريد الصافى في شهر او يوم عن جذبة من جذبات الحق .

* * *

وبالجملة - فقد علم أن تطهير القلب عن حشيش الشهوات ، والتبدير فيه بذر الإيمان بالله ورسله وملكته ، وجعله عرضة لمهاب فضل الله مما لا اختيار العبد مدخل فيه ، الا أن يكون في غاية الجمود والقساوة لسبق الكفر المتمادى او الفسوق المتراكمة كالجاحدين من أهل الكتاب .

(١) الجامع الصغير ، باب الالف بعده النون : ٩٦/١

وأما نزول أمطار الفضل ، وهبوب رياح الرحمة ، فلا اختيار للعبد فيه ، بل كله بيد الله يؤتى به من يشاء .

فقوله : ليعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله نعى عليهم وابعاد وويل لهم ، حيث لا يمكنهم تطهير الباطن وتصفية عن الرذائل لاستدرار رحمة الله وفضله ، وذلك لجمود قرائحهم الجاسية وفساد قلوبهم القاسية .
كما قال : **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [٢٢/٣٩] .



خاتمة

هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون آية ، وقيل: ثمان وعشرون والاختلاف في قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَاب﴾ [١٣] و﴿آتَيْنَاهُ الْأَنْجِيل﴾ [٢٧] .
وعدد كلماتها خمسة وأربعين .
وحروفها ألفان وأربعمائة وتسعون .
وانتظام ختم الواقعه بافتتاحها أنهمما في التسبيح .
وانتظام السورتين أن تلك السورة في ذكر السابقين وأصحاب اليمين والمكذبين الصالحين، وهذه السورة في كيفية الارتفاع إلى درجة السابقين وأصحاب اليمين بالمعارف الحقة والأعمال الصالحة ، وفي حث الفائزين بالوصول إلى درجة المقربين والسعادة بسبب الإيمان على تقويته وتوسيع دائرته وتکثير فوائده ودفع المطفيين لأنواره والجاحدين لآثاره من الكفرة الفجرة وترغيب المؤمنين في مجاهدة الكافرين والإنفاق على المجاهدين .

* * *

(١) * فافتتحت السورة بتقدیس الله عن النقائص وصفات الممکنات وسمات الحادثات ، بلسان كل من في سموات عالم الملکوت ، وما في أرض عالم الملك ، وبذكر أن جميع ما وقع عليه اسم الوجود ملکه وتحت تسخیره ، جار عليه سلطانه ،

*) الأرقام التي وضعناها في الخاتمة تشير الى رقم الآيات .

نافذ فيه حكمه ، سار فيه أمره يصر فيه كيف يشاء بالاحياء والاماته .
 (٢) ثم ذكر أن منشى مملكة السموات والارض وبنائها مع تمادي أزمنة بقائهما
 واتساع أمكنة أرضها وسمائتها — مما لا يغيب عنده زمان ولا يفوت لديه
 مكان عن مكان ، بل جميع الازمنة والزمانيات لاحاطته القيومية في حكم آن واحد
 في الحضور لديه ، وكافة الامكنة والكائنات بتمامية الالهية في حكم نقطة واحدة
 في المثول بين يديه ، من غير تطرق تجدد وتغيير في ذاته او احتمال تجز وتكسر
 (تجسر وتكسر — ن) في صفاته ، وذلك لأنه هو الاول في عين آخريته ، وهو
 الظاهر في عين باطننته ، ولما كان هذا مستلزمًا لشمول علمه بجميع الموجودات
 واحاطة شهوده بجملة الكائنات ذكر عقيبه : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ .

(٤) ثم اشير الى أن علمه بكل شيء بنحو العلم بأسباب ذلك الشيء وعلمه
 — الذي هو أجل مراتب العلم وآوثقها وأتقنها — ليعلم أن عالميته بالأشياء بأى نحو
 من ضروب العالمية ، وليعلم انه ليس باحساس ولا بانفعال ، والا يلزم استكمال
 الكامل بالناقص ، وانفعال العالى عن السافل ، فذكر انه مبدع الاشياء ، وخلق
 الأرض والسماء في أقل من عدد كامل — هو السبعة — أعني الستة .

ثم لاماً كان أسباب وجود الكائنات وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق
 والآجال ينزل من عنده بواسطة السموات وقوتها المحركة لها شوقاً إلى طاعة بارئها
 فسون الحركات وصنوف اختلاف الاوضاع والنسب التي تنشأ منها الكائنات ،
 وينبعث منها الحيوان والنبات على ما جرت عليه سنة الله التي لا تبدل لها ، وجملة
 المتحركات السماوية والاكثر الكوكبية في فلك واحد عظيم مشتمل على الجميع
 اشتتمال الشخص الانسانى على أعضائه وجوارحه وأركانه ، هو المحدد بجسميته
 للجهات والابعاد ، وبمقدار حركته اللازمة والحركات ، فهو بنفسه وعقله يدبر
 الكل ويتوسّس الجميع باذن مبدعه ومحركه ومدوره وموجدها ومحركها ، تحريراً
 شوقياً بالحركات النفسانية ، والأوراد والأذكار القدسية ، والانتقالات العلمية ،
 والطاعات الملكية ، كل ذلك تشوقاً إلى جذابه ، ونقرباً إلى طاعته ، وامثالاً لامرها ،

وتصرعأً وابتهالا نحوه وتشفعأً لديه لأنجاح مقاصد الملهوفين ، واستغاثة عنده لاغاثة المحتاجين ، واصلاح أحوال الهابطين الى معدن الظلمات ، واعلاء مرتبة النازلين في مهوى عالم الجهالات من أهل الاستعداد ، واصعادهم عن رتبة السافلين الى اوج العلويين بالهامهم معرفة المبدء والمعداد ، وتوسطاً لمجرر كسير وخلاص أسيير ، فاريد التنبيه على أن هذه الوسائل مما لامدخلية لها في الإيجاد والاعطاء ، بل هي مظهر الرحمة ومستوى الرحمن ، وهو الذي استوى على العرش لانتظام ما في الكون ، وتسبيب الأسباب ، وتهييج الأسواق ، وإنشاء الدواعي ، وتوسيط القوى الفعالة ، ووضع القوابل المنفعلة ، كل ذلك على سبيل العناية بالسافلات ، وترشيح الخير الدائم على المنفلات الكائنات بوساطة عالم الحركات العاليات ، الصادرات بأمره تعالى عن الملائكة المدبرات ، وعباده المساجدات الراكعات ، كما أشير اليهم بقوله تعالى : ﴿غَلَظَ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ [٦٤/٦] . ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة استيضاح على هذا الوجه المذكور من سبيل اخرى فأشار الى أن من هو شأنه هكذا لابد وأن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولافي السماء ، بل يعلم الواقع في الارض من أسباب قابلية الوجود للكائنات - كالبذور والنطف وغيرها من المقادير والكيفيات الاستعدادية - والخارج منها - كاجساد المواليد الثلاثة وأبدانها من الجماد والنبات والحيوان - والنازل من السماء - كقوها وصورها ونقوسها وما يحصل ويتحقق به أعضائها وأحجامها كالامطار والثلوج وغيرها - والخارج فيها من العقول الصافية الإنسانية التي صارت طيوراً سماوية طائرة اليها من أفواص الابدان بجناحي العلم والعمل ، بخلاف النقوس المتعلقة المقيدة بشهوات هذه العالم التي يكون أبدانهم بالقياس الى نقوسهم البهيمة اسطبل الدواب لأفواص الطيور ، فليس لهم قوة الارتفاع الى ملوك السماء ، ولا لهم سبيل الى عالم التقديس وعالم المعنى .

ثم لما تقدم انه سبحانه مما لا يتجدد عليه شيء بالغيبة والحضور ، والوجود والدثور ، ولا يفوته شيء من الاشياء ، بل الماضي والمستقبل بالنسبة اليه كالتالي في

الحضور لديه ، ومع ذلك هو القائم على كل نفس بما كسبت بيديه لاستوائه برحمانيته على عرش وجود الحوادث والكائنات ، واستقلاله بالأفاضة والإيجاد على الموجودات من غير تأثير لغيره إلا في الاعداد . فظهر أن لا واسطة بينه وبين كل موجود ، ولا تفاوت فيها عنده ، ولا تتعاقب لوجود على وجود لديه ، بل هو بوحدته مقوم ذات الجميع ، وبفرانسيته مقرر ماهية الكل ، أثبتت معيته لنا أينما كنا ومتى كنا ، عالين أو سافلين ، سابقين أو لاحقين ، فإذا كان كذلك كان علمه حضوريًا شهودياً، اشراقياً نورياً ، فعبر عن ذلك بأنه ~~هي~~ بما تعلمون بصير ~~هي~~ .

(٥) ولما علم مما ذكر سابقًا كونه مبدعًا فاعليًا للجميع أراد التنبيه على أنه المبدع الغائي أيضًا للكل ، وحيث كان الأول كاشفًا عن الثاني مستلزمًا له ، ذكر رجوع الأمور إليه بعدم أعداد ذكر نسبة ملك السموات والارض اليه ، ليعلم انه الغائية القصوى للكل كما انه المبدع الأعلى للجميع بتوسط (بت وسيط - ن) المنافع والغايات الجزئية وتسبب (تسبب - ن) الاسباب المتوسطة لوجود الاشياء على الوجه الذي أراد وشاء .

(٦) ثم لما مرت الاشارة إلى الاسباب القابليّة الارضية والفاعلية السماوية لخلق المركبات العنصرية أراد أن يشير إلى أن تأثير الاسباب العالية في القوابل السافلة متوقف على الحركة المتتجدة ليقرب المعلول إلى علته - فان الامور مرهونة باوقاتها الحاصلة من حركات أسبابها وتغييراتها ، فاختلاف الحركات والآوقات سبب لاختلاف الحوادث والكائنات ، كما يشاهد تبدل الفصول الموجب لتناقض الليل والليلي والايام ، المستلزم لاختلاف أحوال الخلائق والانام - عبر عن تفاوت الليل والنهار على الوجه المشاهد المستلزم لاعتلال الكائنات بولوج كل منها في صاحبه ، وممياً إلى المنافع والغايات المترتبة على تفاوتهما في المقدار واحتلافيهما في الآثار ، وبين أن الجاعل لهما على هذا الوجه المقرر ، والمولج لكل منها في الآخر : هو سبحانه - لتدبير الكائنات ومصلحة الموجودات . فإنه سبحانه لو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة، وأخرى بطيئة مختصة ، ولم يجعل دوائر الحركات

البطيئة مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحي شمالاً وجنوباً فلم تنتشر منافعها على بقاع الارض .

ولولا ان حركة الشمس - خصوصاً - على هذا المنوال من تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم بها الكون والفساد ، وينصلح بها امزجة البقاء والبلاد ، ولما كان القمر نائباً للشمس خليفة لها في النضج والتحليل ، والاصلاح والتعديل ، واذا كان قوى النور جعل مجراه يخالف مجراه ، فالشمس يكون في الشتاء جنوبية والقمر شماليّة لثلا ينعقد السببان ، وفي الصيف يعكس ذلك لثلا يجتمع المسخنان ، ولما كانت الشمس في أيام الصيف الطوال شماليّة الحركة وفي أيام الشتاء القصار جنوبية لها او ج وحضيض متقابلان بينهما نصف دور جعل الله تعالى بحكمتها البالغة اوجهها في الشمال وحضيضها في الجنوب لينجبر قرب الميل عن سمت الرأس بعد المسافة لثلا يستند التسخين بالتنوير ، وينكسر بعده بقربها لثلا يضعف القوة الممسخنة عن التأثير ، كل ذلك لحكمة العليم القدير المحاصلة من تخالف الليل والنهار وتفاوتها في المقدار .

ولما كان بيده وجود الاسباب المؤدية الى خلقة الانسان بدناناً ونفساً ، صورة ومعنى كان عالماً بصفاته الظاهرة المادية وملائكته الباطنة النفسانية ، فذكر انه عليم بذات الصدور ليعلم انه ناقد بصير لا يخفى عليه قليل ولا كثير ، فيجازى على كل عمل قلبي كما يجازى على كل حركة بدنية .

(٧) ولما بيّن انه سبحانه متصف بغاية العظمة والجلال ، منعوت بكونه مبدئاً أعلى وغاية قصوى للكل يستوضح لذوى البصيرة ان الكل يحتاجون اليه في الوجود ، وخصوصاً المعلول الذى تضاعف فيه وجوه الحاجة ، وكثرت عنده جهات الامكانيات الذاتية والاستعدادية ، ولا شبهة في أن من هو موصوف بغاية الفقر والفاقة من شأنه التشكيت بمن هو منعوت بالكرم والافضال ، ومن دأبه التضرع والابتهاج وطلب التخلص عن القصور والوبال من هو على غاية التمام والكمال ، واستدعاء الاستمداد والاستكمال من هو في نهاية العظمة والجلال ، متبرئاً الذات

عن النقص والعدم والزوال كائناً بذاته الفردانية الاحادية منبع كل صورة وكمال ، ومنشأ كل خير وجمال .

ثم لا يخفى ان كل ناقص يسوغ له الانتقال من حدود النقص الى ذروة الكمال ، فله طريق خاص ومنهج معين في الترقى الى اوج الترفع والاقبال ، فلا جسام - بما هي أجسام - الحصول في مطلق الحيز والفضاء وللعناصر في الحركة نحو المكان الاسفل والاعلى ، وللنبات في الاغذاء والنمو ، وللعجم من الحيوان في حيوته الدنياوية بانفاسه وحر كته بارادته واحساسه ، وما من دابة فما دونها الا ومن شأنه البلوغ الى أقصى مالها في ذاتها مالم تعقها عائق ، ولنوع الانسان كمال يخصه وهو الایمان بالله وأفعاله القريبة بحسب جزئه العلمي ، والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية بحسب جزئه العملي ، ولهذا وقع له الامر بالإيمان بالله ورسوله والاتفاق مما زاد على ضرورات بقائه الكوني .

ثم بيّن سبحانه عظم أجر الانسان الذي سلك مسلك المعرفة والتجرد بقوله : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ لانه بهذين الامرين يقرب من الملوك ويتخلّص عن الناسوت .

(٨) ثم أظهر سبحانه الاستنكار والتعجب ممن لم يتغطى بالمعرفة بالله عند تحقق الرسول - المعلم للبشر الداعي طريق الحق - مع قابلية الذوات و المناسبتها لمعرفة الحق بحسب الفطرة الاصلية المعبر عنها « بأخذ الميثاق » .

(٩) ثم بيّن عظم رتبة هذا المعلم البشري وكيفية ارتقائه الى مرتبة الرسالة ودرجة التبليغ ، وهو انما يكون بتنزيل الله سبحانه على عبده المستجمع للفضائل والملكات البشرية الایات البيينة والمعارف الحقة ليتنور ذاته بالانوار القيومية ، ويستشرق عقله المنفعل بالاوضواء الاحادية ، و تسترضي نفسه التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار بالاشراقات الصمدية ، ويصير عند مامنته نار الانوار والشعارات الجبروتية نوراً على نور ليتنور بنور ذاته المستضيطة بأنوار الله المتذكرين في دياجير الجهل والظلمات ، الهاطيين الى مهوى الغفلة والشهوات ، المترحدين

لضعف الاحداق عن عالم الاشراق ، ويخرجهم من ظلمات الاجسام الى نور عالم الارواح ومرجع نفوس السعداء والكرام .

ولما كان ارسال الرسول وانزال الوحي وتنزيل الآيات الى قلبه منه تعالى على وجه لطيف حيث صار موجباً لنظم امور الدنيا وتعيش الانسان على أبلغ نظام مع تحصيل الاهبة في سفر الاخرة له وأخذه الزاد وربح التجارة في المعاد والفوز بأرفع مقام ومراد – فقد كان فيه نفع العاجل مشفوعاً بسعادة الآجل – وأشار الى هذا التلطف في الهدایة والتکمیل والاخبار عن تعلق صفتی الرأفة والرحمة بالعبد لترتهم في الوجود والبقاء من جهتی المعاش والمعاد .

(١٠) ولما أمر أولاً بالإيمان والانفاق الذين هما خلاصنا الكمال العلمي والعملی . ثم أخذ يسئل شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للإيمان في تركهم اياه مع دعوة الرسول ﷺ وأخذ الميثاق – أى وجود المعلم وقابلية المتعلم – وتأييده سبحانه هذا المعلم بصنوف أسباب الهدایة والتعليم، فعاد ثانياً شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للانفاق في تركهم اياه محتاجاً عليهم في استقباح هذا البخل والامساك منهم بأن مافي تركهم ليس باقياً لهم ، بل في معرض الزوال هو عنهم وهم عنه ، وأن الجميع بالحقيقة ملكه يعود اليه ، وله ميراث كل شيء سواء المال وذى المال .

ثم ذكر تفاضل المتفقين والممجاهدين قبل الفتح وبعده وتفاوتهم في درجة الجزاء والثواب ، فان أفضل الاعمال أحمزها ، مع أنه وعد الجميع بالحسنى لاشتراكتهم في أصل الفعل الحسن وذكر أنه خبير بمراتب الاخلاص في العمل وحسن النيات ، كما انه خبير بظواهر الاعمال وبواعث الافعال .

(١١) ثم وعد الاجو الكبير مع المضاعفة في مقدار الثواب لمن يقرض الله قرضاً حسناً .

(١٢) ثم بيّن الموضع الذي يتحقق فيه المجازاة على الاعمال ويتبيّن فيه الدرجات والاحوال و يتميّز فيه السعداء عن الاشقياء، فذكر شيئاً من أحوال المؤمنين ،

وشيئاً من أحوال المنافقين في ذلك اليوم ، وذكر تخلّف المنافقين عن المؤمنين في سلو كهم طريق النجاة بنور المعرفة والسداد ، وتمنّيهم الاقتباس من نور معرفة المؤمنين مع استحالة ذلك ببطلان استعدادهم الفطري وزوال قابليةِتهم الجبلي . وذكر رد المؤمنين ملتمسهم ومفترحهم بالتنبيه على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاشعار بما يوجب له الخذلان واليأس .

(١٣) ثم ذكر انه وقع عند ذلك حاجز ذو باب باطنه يلى عالم القدس والرحمة والنعمة ، وظاهره يلى عالم الظلمة والغضب والنفة .

(١٤) ثم أشار الى نداء أهل الجحيم لاهل النعيم وسؤالهم اياهם بسبب علو مرتبهم وانحطاط مرتبة هذه مع الاتفاق بينهم في ظواهر الاعمال البدنية والتساوي في مزاولة العلوم الدينية وبطلان ترجيح أحد المتساوين على الآخر لامرجح ، فحكي الجواب لهذه الشبهة الواهية التي هي اوهن من بيت العنكبوت من قبل البارعين في العلم من أفضال المؤمنين : ان ملاك التقرب الى الله تعالى والصعود الى معراج القدس انما هو بالاخلاص في النيات ، والسير المعنوی في الملوك ، والتفكير في بدائع الفطرة مع صدق الطويات ، وأنتم سلکتم مسالك الامانى والشهوات ، والاغترار بالدنيا والللذات بسلط الغار المغوى عليكم ، واراثة الشيطان لكم الباطل في صورة الحق ، حتى ترسخت فيكم ذمائم الصفات ، وتراكمت في قلوبكم ريون المعاصي والشهوات .

(١٥) فلن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ، ولا يسمع منكم معدرة ، ولا يؤخذ منكم فدية ولا من الكفار ، النار مأويكم ، والجحيم مولاكم ، اذ كل شيء يصير الى أصله ، وكل مريض يداوى بعقاقير بلده ، ومؤويكم بئس المأوى (وموليككم بئس المولى -ن-) ، ومصيركم بئس المصير .

(١٦) ثم لما ذكر حسن أحوال المخلصين ووحشامة عاقبة المنافقين لاجل اغترارهم بالدنيا عاتب المؤمنين المشتغلين باكتساب الدنيا وقلة التشوّق الى دار الآخرة حيث تطرق فيهم قساوة القلوب لتطاول الامد كما في بنى اسرائيل ، ونهائهم

عن ممائلة أهل الكتاب في قسوة القلب .

(١٧) ثم تدار كهم باللطف بعد هذا التوبيخ ، بأن قلوبكم وان قست وقطرت عمّا كان في سابق الاسلام ، وماتت بنسیان المعرفة وقلة تلاوة الآيات والذكر الحكيم ، لكن الله يحييها بنور المعرفة والتلاوة والذكر لبقاء قابليتها بثبوت أصل اليمان فيها ، كما يحيي الأرض بعد يبسها لبقاء جوهرها وان عدمت عنها الطراوة التي هي بمنزلة تذكرة الآيات في الإنسان .

والقلوب التي لم يبق فيها أصل الاعتقاد بمنزلة الأرض التي فسدت ذاتها وأرضيّتها وانقلب سبخة او رماداً او ملحًا ، لا يمكن احياؤها بأنوار المعارف الحقة ، ومياه الاعمال الصالحة ، كما لا ينصلح المملحة للعشب بأضواء الشمس ومياه المطر .

(١٨) ثم رجع إلى الترغيب والتحث للإنسان عن اكتساب العلم والعمل بحكاية حال العاملين والعالمين بذكر الوعد للذين تصدقوا واقرضوا الله قرضاً حسناً - بتضييف جزائهم وكرامة أجراهم - وبذكر الفضيلة للمؤمنين بالله ورسله إيماناً حقيقياً . بأنهم هم الصديقون والشهداء عند ربهم ، والوعدهم بأجر ونور مخصوصين بهم لمزيد شرفهم ومنزلتهم عند الله لمكان المعرفة اليقينية والعمل المنبعث عن محض المعرفة والأخلاق الذي لا يوجد مثله في غيرهم ، أما الأجر ففي مقابلة أعمالهم الخالصة ، وأما النور فمن لوازم معرفتهم الممحضة بلاشب غرض ورياء في الأول ، ولا تطرق شبهة وريب في الثانية .

(١٩) ثم ذكر لتوضيح هذه المنزلة في الاعتقاد والعمل وشرافته بذكر ضدتها فيهما ، وهو الكفر الذي هو أفسد مراتب الجهل - بازاء فضيلة المعرفة بالله - والتذكير بآيات الله الذي هو أقبح القبائح العملية - بازاء فضيلة العمل الصالح - وذلك لأن الأشياء تعرف بأضدادها .

وأخبر بأنهم أصحاب الجحيم بحسب غريزتهم الأصلية ، كما أنهم من أهل هذه الدنيا بحسب طبيعتهم الفطرية ، اذ الجحيم من سُنْخ هذه الدار الفانية الهاكلة

الباطلة ، ولهذا وقع الاشتراك بينهما في الخصائص والاحوال .

أما ترى أن شأن كل منهما الاحالة والتحليل ، ودأبهما الاماتة والتبدل ، أشخاصهما أبداً في الذوبان والانتقال ، وأجسامهما دائمًا في الحركة والارتحال ، حال الساكنين في الدنيا نظير ماحكى الله عن حال سكان الجحيم بقوله : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جَلُودُهُمْ بِدْلَنَاهُمْ جَلُودًا غَيْرُهَا لَيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [٥٦/٤] فاشتركتوا في الاستحلالة والذوبان وكذا حال أهل الدنيا في تضاد عناصرهم في الكيفيات المحسوسة وتباغض نفوسهم في الأعراض المخسيسة النفسانية والدواعي القبيحة الدنيوية ، وتخالف مذاهبيهم الناشئة عن المخاصة والعناد ، والمناقشة في الحسد واللذاد كحال أصحاب الجحيم فيما ذكره سبحانه بقوله : ﴿كُلَّمَا دَخَلْتَ أَمَةً لَعْنَتْ أَخْتَهَا﴾ [٣٨/٧] وبقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِحَقِّ تَخَاصُّ أَهْلِ النَّارِ﴾ [٣٨/٦٤] إلى غير ذلك من الخصائص الجامدة للدنيا والجحيم والصفات المشتركة بينهما التي تدل على أن الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة الدنيا .

وعلى هذا الرأي شواهد عقلية ، ومؤيدات نقلية ، واسارات قرآنية ، ورموزات نبوية ، ونصوص الهمامية ، وبراهين حدسية ، يستعرفها من يعرفها ويستذكرها من ينكرها .

(٢٠) واذ قد ثبت جهة الاتحاد بين الجحيم والدنيا وان أصحاب الجحيم هم بأعيانهم من أصحاب الدنيا وأشار سبحانه إلى بيان ماهية الدنيا ليعلم كيفية استتباعها للنار ، واستلزم التلذذ بشهواتها للتتعذب بعقوبات الجحيم ، فأمر بمعرفة ماهيتها وخصائصها وحقيقة زهراتها ولذاتها بكونها لعب ولهو ، وما ينبعث منها كالتفاحر في الامور الخسيسة والتکاثر فيها ، وهى امور باطلة وهمية لا حقيقة لها ، كما لا حقيقة للنار الا كونها قطاعنة نزاعية مفرقة للاتصال ، معدمة للكون والحياة ، وجميع ما ذكرناه امور عدمية لاحقيقة لها .

وهذه الاشراف والنورية والتلذذ التي يتراءى من هذه النار الدنياوية ليست داخلة في حقيقة ناريتها لأنها ليست ناراً صرفة بل نار مخلوطة بنور ولها مرتبة في

الكون والتحصّل ، وأما النار الصرفة الآخرية فهي ليست الا اهلاً وابلاماً ، ولذلك قيل : « هذه النار الدنيا غسلت بسبعين ماء عند مراتب تنزلها الى هذا الدنيا » (١) ليمكن الانتفاع بها رحمة من الله تعالى ، والنار الآخرية مخلوقة من عين غضبه تعالى على من يستحقه .

ثم ذكر مثلاً مناسباً لدثورها وزوالها ، ثم أشار الى أن المتوغلين فيها ، المطمئنين اليها مآلهم الى الجحيم ، حيث عقب ذكر التمثيل في فنائهما وفسادها واعجاب الكفار بزینتها بقوله : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ولما كان من عادة القرآن أن لا يتجرد ذكر الغضب والعقاب عن ذكر الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله : ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ ﴾ .

ثم رجع الى تأكيد ذم الحياة الدنيا بأنها متعة الغرور .

(٢١) ثم أكد في بيان الاجتناب عن الدنيا بأن أمر في المسارعة في التباعد عنها للوصول إلى المغفرة والجنة ، كمسارعة السابقين في المضمار ، وذكر تشويقاً للعبد في هذه المسارعة بوصف عظمة الجنة وسعة ملكها بما يتصور من البساطة والمسعة ، وأنها معدة للعارفين بالله ورسله ، وأنها من مراتب فضل الله ودرجات تجلّيه على الأفعال والآثار وتطوره بالأطوار ، وذكر أنه ذو الفضل العظيم ، فان جميع العوالم والنشأت من فضائل ذاته المتعالية عن الشبه والنظير ، ومن رشحات فيضه المتعالي عن القصور والتقتير ، وهذه الفضائل الافعالية زائدة على شؤونات ذاته وتجلّيات وجهه في غير غيبه التي لا يحيط بها العد والاحصاء ، ولا يمكن لها النعت والثناء .

ولهذا ذكر عقيبه بأن كل ما يوجد في هذا العالم سواء كانت اموراً خارجية او ذهنية آفائية او انفسيّة ، فهي مما كانت قبل خلقها في كتاب من علمه تعالى الذي هو من مراتب شؤونه الصفاتية تفصيلاً ، او الذاتية اجمالاً .

(٢٣) وذكر ان من نتائج هذه المعرفة عدم الاساء على الفائد ونفي الفرح
عن الاتى .

ومن نتائج الجهل بها الخيال والفخر المبغوضان له تعالى المنهيان بنهيه .
(٢٤) وينبعث عنهم ما كثير من الصفات الذميمة والاخلاق الرديئة كالبخل وحمل
الناس عليه ، وجميع ذلك مما يورث بعد عن الحق والتولى عنه الى الامور
الباطلة ، ويضر في معاد الشخص من غير نقصان في سلطانه تعالى وملكه ولذلك
عقب ذلك بقوله : ومن يتول ^فان الله غنى - في ذاته - حميد - في صفاته .

(٢٥) وحيث يمكن أن يختل في أحد في قلبه أن صفة الغنا المطلق ينافي
طلب الصدقات والطاعات وسائر حقوق الله عن العباد بألسنة الرسل والكتب أشار
إلى دفع هذا التوهם بأن الغاية في ارسال الرسل بالمعجزات وانزال الكتب وقانون
العدالة في الأفعال والصفات ليس الاستقامة الناس واصلاح نفوسهم بملكة العدالة ،
وتحصيل المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من غير تعد وجور وتفریط ونقص ليدوم
معيشتهم الدنيوية مؤدياً إلى سعادتهم الأخروية .

وكما أن في خلق أسباب الهدایة من الرسل والكتب والقوانين ليس المقصود
الكافئنة إلا تبقية الناس بحسب الدارين ، لامتنعة تعود إلى ذاته تعالى عن ذلك علوًّا
كبيرًا ، كذلك في خلق الأسباب الجسمانية من أدوات الحروب وغيرها ليس
المقصود إلا منفعة العباد لغيرها ، ولذلك عقب ذكر المقصود من الأولى بذكر
المقصود من انزال ما هو من قبيل الثانية ، وذكر أن في انزال الحديد وخلق آلات
الحروب وآلات الصنائع فيه ليس الداعي إلا ما يرجع إلى الخلاق ، اذ الفائدة
فيه بأس شديد ومنافع للناس ولأن في استعمال الأسلحة المتخذة منه تبيّن رتبة حال
المجاهدين في سبيل الله ، والناصرين له ولرسله حين الغيبة عنهم ، لا الحاجته تعالى
عن ذلك إلى الناصر له في اهلاك أعدائه ، لأن الله ان أراد اهلاكم قوى على ذلك
عزيز لانقص في قدرته ولا قصور في عزته .

وللاشعار بأن المقصود من ايجاد الممكنات وهدايتهم طريق الحق بارسال

الرسل ونصب الادلة والایات ليس غرضاً يعود الى ذاته ، بل انما هو مجرد عنایة بالقياس اليهم وفيض رحمة عليهم على سبيل الرشح ، ونظم للامور وترقیب للاسباب مؤدات الى المسببات ، مترتبة عليها الغایات الجزئية ، ومصالح للعباد ، من غير التفات من جنابه العالى الى السافل ، أخبر سبحانه انه قد خلق الانبياء وأرسلهم وذریتهم الى الخلق ، مع تأییده ایاهم بجنود لم تروها من الملائكة ، وتنویره قلوبهم بالوحى والكتاب ، والحال انهم مع ذلك لم يقع الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض ، وكثير منهم فاسقون .

ولو كان له تعالى ارادة جزافية ، وأغراض جزئية ، ومقاصد سفلية – كما يتصوره العامة – لم يتصور ذلك ، ولما كانت أولياء الله وأحباؤه ممتدة بيد الاعدادي مقهورة بقهر الكفارة الفجرة ، ممنوعة عن ارشاد المخلوق معوقة عن هدايتهم مدة مديدة بسبب كيد المنافقين وافساد الظلمة .

(٢٧) ثم أكد هذا المعنى بالأخبار عن اتصال سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ما هو مقتضى حكمـة البالغة ، من عدم تخليـة العالم عنـه يوحـده ، ويـمجـده ويعظـمه ، ويـعرـفـه ، ويـصفـه بـصفـاتـ العـظـمةـ وـالـجـمـالـ ، ويـشـيـهـ بـنـعـوتـ الـكـبـرـيـاءـ وـالـجـلـالـ منـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـلـيـاءـ وـالـعـرـفـاءـ ، ثـمـ الـأـمـثـلـ فـالـأـمـثـلـ إـلـىـ أـنـ بـلـغـتـ نـوـبـةـ الـإـجـادـةـ وـالـأـفـضـالـ إـلـىـ الـإـدـانـيـ وـالـأـرـذـالـ ، مـنـ غـيرـ تـعـلـقـ قـصـدـ بـوـجـودـ هـذـاـ القـسـمـ إـلـىـ سـبـيلـ الـإـسـتـجـارـ إـلـىـ الـإـسـتـبـاعـ كـمـاـ انـ الصـانـعـ الـحـاذـقـ وـالـنـجـارـ الـمـحـدـقـ إـذـ تـمـ صـنـعـتـهـ عـنـ مـوـضـعـ مـعـيـنـ لـهـاـ كـالـخـشـبـ مـثـلـ لـلـسـرـيرـ اوـ الـبـابـ ، وـبـقـىـ مـنـ الـمـوـضـوـعـ شـيـءـ ، لـاـ يـضـيـعـ حقـ قـابـلـيـةـ هـذـهـ الـفـضـالـةـ ، بـلـ يـصـنـعـ مـنـ مـاـهـوـ أـدـوـنـ مـنـ زـلـةـ مـنـ الـأـوـلـ وـهـكـذـاـ كـالـوـتـدـ وـالـخـلـالـ إـلـىـ أـنـ لـاـ يـقـيـ شـيـءـ مـنـ الـمـوـضـوـعـ الـجـسـمـانـيـ ، فـهـكـذـاـ الـبـارـىـ تـعـالـىـ – وـهـوـ أـشـرـفـ الـصـانـعـينـ – يـقـعـ مـنـ صـبـعـةـ وـجـودـ الـأـشـرـفـ فـالـأـشـرـفـ إـلـىـ الـأـخـسـ فـالـأـخـسـ ، حـتـىـ يـنـتـهـىـ إـلـىـ وـجـودـ الـأـشـرـارـ وـالـفـسـقـةـ وـالـكـفـرـةـ ، فـكـانـ الـغـرـضـ الـمـقـدـمـ فـيـ اـيـجادـ الـمـكـونـاتـ (ـ الـمـمـكـنـاتـ – نـ) خـلقـهـ أـشـرـافـ نوعـ الـأـنـسـانـ ، فـخـلقـ مـنـ فـضـالـتـهـ سـائـرـ الـأـكـوـانـ لـيـلـاـ يـفـوتـ كـلـ ذـيـ حـقـ حـقـهـ ، وـلـاـ يـضـيـعـ عـنـ الـقـابـلـ مـسـتـحـقـهـ ، كـلـ ذـلـكـ

على سبيل الحكم والعنابة الخالستان عن النقص والشين .

وذكر انه عقب الرسل بالرسل وفقي بعضهم على اثر بعض مؤيداً بالإيات من لدن نوح وابراهيم الى عيسى بن مرريم عليهما السلام ، وكان في كل امة الغلبة للفساق والنجاة للمهتدين - وهم الاقلون عدداً من المتوسطين والهالكين - وكذا في امة عيسى عليهما السلام كان بعضهم ممن آمنوا به واتبعوه وكان في قلوبهم رأفة ورحمة فاوتي أجرهم ، وكثير منهم فاسقون .

(٢٨) ولما أخبر تعالى عن ارسال الانبياء متصلين الى عيسى وذكر حال قومهم الغابرين وقومه الغابر شرع في ذكر نبينا عليهما السلام وحال قوله تعالى الطاهر الحاضر، مخاطباً ايامهم ، آمراً لهم بالتفوي والایمان ، واعداً لهم كفلين من رحمته ونصيبين من فضله وجوده لشرافتهم وفضيلتهم على سائر الامم ، لقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ ﴾ [١١٠/٣] - جاعلاً لهم نوراً يمشون به يوم القيمة - وهو نور المعرفة - جزء ايمانهم بالرسول ، وجزء تقويمهم المغفرة لذنبיהם السابقة ، لأن العلم شرف وتحلية ، والعمل نجاة وتخلية .

(٢٩) وهذه المراتب السنوية لهم فوق سائر الامم لاجل استحقاقهم الذاتي وصفاء قرائحهم الفطرية ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، بعضهم أصفي وبعضهم أكدر ، ولهذا أشار سبحانه تنبئه على تفاوت طبقات الخلق في الكمال بحسب الجوهر والاستعدادات بقوله : ﴿ ثُلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ﴾ لخسته جوهرهم ونقصان قابليتهم ، والفاعل الفياض وان كان متشابهاً في فرضه وجوده ، كما وأشار بقوله : ﴿ وَانَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ لكن يختلف آثاره باختلاف القابليات ﴿ يُضْلَلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ . أما ترى أن الماء حقيقة واحدة فعله من جانبه متشابهة لكن يختلف آثاره حسب اختلاف الاراضي كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تَسِيمُونَ * يَنْبَتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالْزَيْتُونُ وَالنَّخْلُ وَالْعَنَابِرُ وَمِنْ كُلِّ الشُّمَراتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١٤/١٠-١١] .

والشمس ذات واحدة و فعلها المخاص بها الاضياء والاشراق ومع ذلك يكون لفعله الوحداني اثر ان متضاد ان كتبه يضيئ ثوب القصار وتسوّد وجهه .

* * *

فهذا ما خطط بى الى المنكسر وحضر فى ذهنى الفاتر والفاصر من النكبات المتعلقة بهذه الكريمة مع تضيق المجال وتعسر الحال وفسود الجهل والوبال فى الاطراف والاكتاف وترفع حال الجهلة والارذال وتصدرهم على الاخيار والاشراف وخلو البقاع والبلاد عنمن يعرف قدر المعرف واسرار ، الفائضة على قلوب العباد من خبايا علوم المبدع والمعاد ، والى الله المستعانى من زمان شاع فيه الجهل والعناد (والفساد) وكثير فيه الحسد واللداد وانسد طريق المعرفة والسداد واستكبار الناس عن تعلم الحق بحسب ما حصلوا به بالوسواس ، وسمّوه علم المذهب لتوصلهم به الى مراجعة الخلاائق اليهم والاستيناس .

وله الشكر فيما اخر جنا الله به عن مضائق ظلمات الابحاث الجدلية والكلامية الى افضية الانوار الالهية القرآنية ولرسوله الهادى الى طريق التوحيد بأسوار كلماته ورموز آياته - محمد وآلـه - الصلوة والدعـاء كفى ارشادهم للخلق وافضـا لهم وجـاء هـدايـتهم للناس وـاكمـالـهم أولاً وـآخرـاً .

* * *

تم تفسير سورة الحديد والحمد لله أولاً وآخرـاً .

تعليقات

الحكيم الالهی المولی علی النوری (قده)

علـی

تفسير سورة الحـدیـد

بسمه تعالى وله الحمد

لدى اختتام طبع هذا الجزء أتحفني مشكوراً السيد الكريم والعالم الجليل الدكتور السيد أحمد التويسر كاني - أدام الله توفيقاته - صورة فتوغرافية من مخطوطه هذا الجزء وهى فى ضمن مجموعة ثمينة محفوظة لديه - محسوبة بحوالى الحكيم الالهى المولى على النورى - قدس سره - بخطه الشريف . فرأيت من اللازم اضافة هذه الحواشى فى نهاية الكتاب اتماماً للنفع وأداء لشكر مامن "الله على" من ايصال هذه النعمة .

وهنا نلفت نظر القراء الكرام الى ما يلى :

- ١ - جميع الحواشى كانت مختومة بكلمة « نورى » - اسم المحسى - الا نادراً ولتمييز القسم الاخير وضفت فى آخرها علامه كهذه (*) .
- ٢ - وضع نقط مكان كلمة او كلمتين تشير الى عدم تمكنى من قرائتها صحيحة .
- ٣ - جاء معدود من الحواشى مختومة بكلمة « منه » وقد مضى بعضها فى ذيل الصفحات وذكرت هنا ما باقى منها مرمزة بكلمة (منه - ره) .
- ٤ - كانت الحواشى مكتوبة بحروف صغيرة ومهملة غير منقوطة على أن الموجود عندي صورة فتوغرافية فرغم مابذلت جهدى فى قرائتها واستنساخها يمكن أن يكون فيه بعض الاخطاء فليغذرني القراء الكرام - اذ الانسان محل السهو والنسيان ، والعصمة لاهلها .

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ١٤١ س ١٣ قوله : عن الرزق المنشور - والطور : عرش العلم ، اي القرآن المجيد . وكتاب مسطور : اللوح المحفوظ المسمى بالكرسي وهو العرش العظيم . في رق منشور : لوح الهندسة القدريّة وهو خيال الكل المسمى بعرش الرحمن .
 ص ١٤٢ س ١٤ قوله : والاخر هو معرفة المعاد - هذا منه بناء على اعتبار كون دار الآخرة منحصرة في أهل السعادة ، اذ الآخرة - بكسر الخاء - ان هي الا الغاية من ايجاد الاشياء ، ودار النار والهلاك والبوار لا يصلح لذلك ، كما لا يخفى سره على اهل البصائر ، فهى خلقة طفيليّة كخلقة القاذورات المدفوعة ، كيف لا وهي حقيقة الدنيا ودار الطبيعة الظلاماء - فافهم ولا تكن من الغافلين .

ص ١٤٢ س ١٨ قوله قرب الفرائض ان في قرب الفرائض الظاهر هو الحق الساتر للخلق ، والمستور هو المخلق ، كما قال تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦/٤٠] والامر في قرب النوافل على عكس ذلك - فاعتبروا يا ولی الابصار .
 ص ١٤٢ س ١٩ قوله : تعريف السالكين - ان هؤلاء السالكين لهم مصدوقه كريمة « ويحبونه » في قوله تعالى : ﴿يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤/٥]

ص ١٤٣ س ١ قوله : كيفية حلول غضب الله عليهم - ولقد أشرنا قبيل هذا ان مآل حال اهل النار - مع كونه(١) مآلهم ومعادهم - لا بعد من دار الآخرة

(١) كذا .

ولا يجعل ولا يحسب منها لكون فطرتها الهلاك والبوار وان دار الآخرة - بكسر الماء - لهى دار البقاء والثبات والقرار، وهذا الضرب من الاعتبار انما يجرى على مجرى رعاية الحكمة البالغة الكاملة الناعنة للحكيم العليم الغنى الججاد المطلق عممت رحمته وسبقت رحمته غضبه - فافهم واستقم .

ص ١٤٣ س ٥ قوله : ثانية لهاى بيان كيفية حال مآل الكفرة من الفراعنة وتبعتهم الذين لحقتهم واتبعتهم .

ص ١٤٣ س ٧ قوله : والمقصود منه - قد يعبر عنه بضرب من السياسة المدنية والمنزلية النازلة على السائل الالهى وهى غير السياسات الحكمية التى تستنبطها العقول البشرية فى تنظيم نظام المعيشة الخلقية ، سواء كانت لها مدخل فى اصلاح المعاد ، أم لا . اذ ربما يكون السائل بهذه السياسة البشرية غير قادر بدار المعاد وهم جمهور المتكلمسة والدهريين القائلة بما فات .

ص ١٤٦ س ١٩ قوله : سبحان ما سبحت له - فلفظة « ما » فى هذا القول من العرب المعرب بمعنى « من » الذى هو الذات الاقدى الذى كان يمن علينا وعلى سائر الاشياء بمنه الذى هو وجهه المشرق على الكل فى الكل المحيط بنا وبسائر الاعيان ، وهو النور المحمدى الكاشف عن حضرة الذات جل وعلا وعن وحدانيته الكبرى وهو عرش الذات وعرش هوية الذات الذى يرجع الى تقدس كنه الذات ، وكل تسبيح من تسبيحات سائر الاشياء انما هو تنزيه ذلك الوجه المحمدى ، كما قال تعالى : ﴿وَانْ مِنْ شَيْءٍ لَا يُسَبِّحُ بِهِمْ وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾ [٤٤/١٧] . والحاصل : انا نسبح الوجه . والوجه يقدس حضرة الذات ، بل هو نفسه تقدسه تعالى الذى به يقدس سبحانه نفسه - تثبتت فيه .

ص ١٤٧ س ٥ قوله : تسبيح فطري - كيف لا وقد قال تعالى : ﴿اَنَا عَرَضْنَا الامانة عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْيَنَ أَنَّ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا﴾ [٣٣/٧٢] كما يشير اليه بضرب من الاشارة لاهدتها قوله تعالى : ﴿لَوْأَنَزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مَتَصْدِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [٥٩/٢١] .

وأما الوهم الانساني الجهلاني فحملها حمل سراب - فافهم .

ص ١٤٧ س ١١ قوله : ولنا ايمان - هذا الایمان أعم من الایمان التقليدي العامي المعروف بعقد القلب من دون يقين وایقان ومن الایمان البرهانى الايقانى . وقد يقال للتقليدي « الایمان » وللبرهانى « العلم » وللكشفى العيانى « الاحسان » ولا يعم الایمان كل ذلك كما يظهر للماهر فى الفن - تفطن .

ص ١٤٩ س ١٥ قوله : من حيث هو بدن - اي من الحيوانية المذكورة فلا ينافي مasicعيجى من كون هياكل الحيوانات فى التسبيح (منه - ره) .

ص ١٤٩ س ١٨ قوله : لامن حيث جسميتها وماديتها - سر ذلك هو كون الجسمية المادية كياني الكون ، والكونية الكيانية - كما تقرر بالبرهان الباهر فى مقامه - ان هي الا التفرق والتتشتت والتكون فى عين التصرم ، والتتجدد فى عين التقضى ، كما هو سجية الفطرة الزمانية والزمانيات الجسمية المكانية ومصادرها الاتصالية لامعية فيها ... ولا جمعية وكل جزء منها خلو عن وجود سائر الاجرام بل الكل عن كل جزء من اجزاءه بل وعن نفسه ، اذليس نفسه الا عين هذه الاجزاء المتفرقة من خلو الشيء من عين نفسها اذ نفسها ليست الا متشتتة فى عين نفسها .

ص ١٥ س ٧ قوله : فباء ابليس - ان ابليس مشتق من « اي ليس » بالاشتقاق الكبير ، و« ليس » جلالى ، كما ان « ليس » جمالى وكل حاصل فى عين الآخر - فليتدبر ..

ص ١٥ س ١٠ « أبلس من رحمة الله » اي : يئس . ومنه « ابليس » وكان اسمه « عازيل » - (منه ره) .

ص ١٥ س ١٤ قوله : موافقة علمه - سر ذلك هو كونه سبحانه شيئاً بخلاف الاشياء .

ص ١٥ س ١٤ قوله : علمه الذى هو عين ارادته - فماتشاوون الأن يشاء الله فالكل جار والامر سار على ارادته جل شأنه وعظم وقهر سلطانه .

ص ١٥ س ٢٢ قوله ويعلم ان انكارهم عين الاقرار - سر ذلك كله هو

التعليقات

كون منزلة الاعيان الثابتة التي هي حقائق الاشياء من صفات الله العلياء وأسمائه الحسني منزلة الصور والامثلة والاذلة من الحقائق وننزلة الفروع والوجوه من اصولها، واذا كان الامر بهذه المنزلة فمن أين وأنى يتصور للاعيان التخلف عن اجابة دعوة الاسماء التي هي حقائقها واصولها، فهى بذواتها وصفاتها وأفعالها تابعة لحقائق الاسماء وأظلالها ، وظل الشيء ان هو الا مجرد حكايتها ومحوضة تبعيته واجابتة في الحكاية والتبغية ، وليس التباغية الظلية مثل تباغية شيء لشيء ، بل المراد هو كون الفطرة الظلية فطرة التباغية . فاعيان الاعيان بحقائقها وطبيعتها راجعة الى اصولها التي هي الاسماء الحسني وليست لها ذوات انفصالية لها احكام بحيال أنفسها ، بل ان هي الاصور الحاكمة عنها المرجوعة اليها -- ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَصِيرُ الْأَمْرَ﴾ ﴿وَإِنَّهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ لكن درك كيفية هذا الرجوع ونيل حق حقيقته أمر صعب لا يحتمله الا ملك مقرب ، او نبى مرسل ، او مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان .

ص ١٥٠ س ٢١ قوله : في مرتبة الجمع - قد يعبر عن هذه المرتبة بشهود تعانق الاطراف بوجود كل من المتقابلين في عين الآخر .

ص ١٥٢ س ٢ دون ما تصدر عنها - كالمكتبة من الكاتب والبناء من البنا والهيئة الصورية العروشية من النجار ، فان شيئاً من تلك الامور لا يتعلق بمصادرها المذكورة المعروفة تعلقاً واماً وافتقاراً ذاتياً يوجب كونهم افاقرة الذوات الى تلك المصادر المعروفة بمصادريتها عند الجمهور وتتعلق الهويات بها . كيف لا - وبقاء كل منها عند نفسه كاف في نفي كون تلك المصادر علا فاعالية لها مذوتها الذواتها ، مقومة لهوياتها - فلا تغفل (*).

ص ١٥٢ س ١٢ قوله : فان حيوة العلم - الى قوله : - في الدنيا - لعل فيه نشر مرتب للف الذي في قول ابن عباس .

ص ١٥٢ س ١٥ قوله : ان نوع الاحياء مختلف - قال تعالى : ﴿مَا ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [٦٧/٣] وقال : ﴿وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلْمَحَ بِالْبَصَرِ﴾ [٥٤/٥٠] فالتفاوت بين الدنيا والآخرة ناش من ناحيتهم ولما كان المادة الدنيوية

تدریجی القبول للوجود الفائض عن حضرة قدرة الحق - كما تقرر في محله - من كون الفطرة الدنياوية فطرة زمانية آبية عن الجمعية والاجتماع زمانا - بل ومكانا - صارت أسبابها تدريجية .

وبعكس ذلك الفطرة الاخروية لكونها فطرة أمرية جمعية، اذ الواقع الدهري هو وعاء الطي - اي طي طومار الزمان والمكان - كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ نُطْوِي السَّمَاوَاتِ كَطْرِيَ السَّجْلِ﴾ [٢١/١٠٤] ﴿وَالْأَرْضَ جَمِيعاً قَبْسَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [٣٩/٦٧] .

ص ١٥٣ س ٩ قوله سبحانه : هو الاول والآخر والظاهر والباطن - قلت في خلاصة ترجمته ومحصل افادته :

الله أحد و لا هو الا هو * دردار وجود نیست جز حضرت او
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

مثلك ولا مثال لله بگـ و * مثلك مثلش که مثال اوست لامثل له
﴿وَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ * لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾

وله في ترجمة هذه الكريمة :

جز ذات خدا اول و آخر نبود * جز ذات خدا باطن و ظاهر نبود
در غیب و شهود نیست جز حضرت او

جز حضرت او غایب و حاضر نبود (*)

ص ١٥٣ س ٣ قوله : موت البدن من ضروريات -- تعلق الروح بالبدن تعلقا افتقاريا وان كان علة معدة لاستكماله مثل تعلق الراكب بمركبته المدى به يسير ويسافر حتى يصل الى المقصد الذي كان الوصول اليه مطلبه ، لكنه مادام كونه متعلقا بالبدن مثله - من وجهه - مثل المريض المبتلى بمادة الافلنج المزمنة التي تجعله عاجزا عن الحركة الاختيارية التي لا بد له منها في انتظام معيشته ، فالاستكمالات العملية كالمعالجات الطبية يثبت له أجنحة يطير بها الى سماوات كمالاته - فافهم .

ص ١٥٣ س ١٣ قوله : معجمة (١) اي لادلة ولا نطق لها - فافهم .

(١) كان المتن في نسخنا : «مجمحة» كما هو في مجمع البيان .

ص ١٥٤ س ١ قوله : عن الصحاك - محصل قول الصحاك اي : باوليته تعالى
صارت الاوائل اوائل ، وهكذا الثلاثة الباقية .

وسر ذلك هو كما ان كل موجود موجود و قائم به ، هو الله المحيط في
الوجود واوصاف الوجود وأحواله بما هو وجود كالاولية والاخريسة والظاهرية
والباطنية . . . هذا المحصل هو كون وجوده سبحانه أصل الوجودات ، ففي كل
مرتبة ومقام هو الموجود بالاصالة أولا وبالذات وسائر الاشياء يكون موجودا ثانياً
وبالعرض - فاليه يرجع الامر كله .

ص ١٥٤ س ٨ قوله : قيل ان الاول والآخر - قول هذا القائل دقيق عميق
في التعمق والتدارك حقيقة .

وقوله : «والحق وسع المكان ظاهراً وباطناً .. آه» يعني : ان الحق قهّار
قهر الاشياء كلها وأنحاط بها احاطة تستهلك بها المحاطات في المحيط وتضمحل
بها المقهورات في قهره البسيط .

ومحصله هو مفاد قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَصِيرُ الْأَمْرَ﴾ و﴿إِلَيْهِ يَرْجَعُ
الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ «غير تش غير درجهان نگذاشت» ويرجع محصله الى التوحيد الوجودي (*)
ص ١٥٤ س ١٥ قوله : علمه بالمصلحة وكونه تماماً .. آه .. . بظاهره
كانه يشير الى مشربين ، مشرب كدر مشهورى عامى ، ومشرب صاف خاصى غير
مشروب بشائبة أصلًا .

ص ١٥٥ س ١٨ قوله : ان الموجودات العالية - آه - ذلك كما اشير اليه
نوع اشارة لainالها الا أهل الاشارة في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ طَوْبٌ وَحَسْنٌ مَآبٌ﴾
-- وهو الملهم للصواب --

ص ١٥٥ س ٢٢ قوله : في شفاق - آه - اي : وقعوا بدر كهم الوهمى الراوى
في شق العدم والظلمة الذى هو نقيض حضرة الوجود ، ضد حضرة النور ، وشق
العدم الذى هو ملاك تكون جهنم تكون طريقهم وطريقتهم فى السلوك المعرض
عن شرق شمس الحقيقة المتوجه الى مغرب هاوية الظلمة .

وقد قال شاعر اخوان الصفا :

ترسم نرسى به كعبه اي اعرابى
اين ره كه تو ميروى بتر كستانست
و الهاوية التي هي الدركة السفلی المعتبر عنها بما تحت الثرى هي قاعدة
مخروط النقيصة الامکانية والظلمة الهيولانية ، النقيضة المقابلة لقاعدة مخروط نور
الوجود والوجوب التي هي جنة المأوى التي اليها تأوى طيور الارواح القدسية التي
هي اولاد الادمية الاولى وأقارب المحمدية البيضاء والعلوية العلياء التي منزلتها من
المحمدية البيضاء منزلة حواء من آدم نبياً .

كما قال ﷺ : « يا على ، أنا وأنت أبو بهذه الأمة » فشقاق العدم و الظلمة
لحضرة الوجود والنور هو شقاق أهل النفاق لمحمد وعلى و آلهما - ؓ - في
المآب والمآل - فاعتبروا يا أولى الالباب -

ص ١٥٥ ص ٢٠ قوله : هيئنا غایات وهمية - اه - ذلك كما يشير اليه قوله
عزم من قائل : ﴿الذين كفروا اعملهم كسراب بقيعة يحسبه الضيمآن ماء حتى اذا جائه
لم يجده شيئا وجد الله عنده فوفيه حسابه * او كظلمات فى بحر لجي يغشيه موج ﴾
[الاية [٤٠ / ٢٤]

والوهم هيئنا هو العقل الجزئي المضاف الى النشأة الحسنية الديناوية
الظلمانية والمتصل بها المسخر للنفس الامارة بالسوء والفحشاء .

و اصل سنسخ الفطرة العقلية وان كان من سنسخ فطرة أبيها المقدس المسمى
بروح القدس الاعلى وبالحمدية البيضاء ، ولكنها لما تولدت من امها الامارة
بالسوء ونشأت في دار الغربة وتقلدت بقلادة قرابة قبيلة امها الامارة ابتليت بليلية
الاحتياج عن شهود موطن أبيها المقدس الذي هو واد القدس الباقي بالبقاء
الحقاني على خلاف هذه النشأة الديناوية المفظورة على الفناء والدثار والتصرم
والنقضي المحادة بالمضمار والشرور وما شمت شامة فطرتها هارائحة الحبور والسرور
ان هي الا دار الاغترار والغرور .

ص ١٥٧ س ١ قوله : اذا معنى له بذاته - اي : لامعنى له بذاته مع قطع

النظر عن كل ما هو خارج عن حقيقة ذاته الاصرف صريح ذاته ، والقواعد البرهانية قائمة على كونه سبحانه متجلياً بذاته ومتعرفًا بذاته لكل شيءٍ من الأشياء ، وكل شيءٍ في عين شهود ذاته وفى عين ظهور ذاته وحضورها له محتاجٌ عنه ، وهو تعالى حاضر له بحضور غير محدود ، وكل شيءٍ ما أدرك ولا يدرك الامحدود . والحد هيئنا انما هو نقصانه الذاتي وقصوره الفطري الذي هو حجابه عن شهود المحيط في الظهور والحضور .

ص ١٥٨ س ١٥ قوله : ان ايجاد الحوادث على انشاء - اى الامر الدفعي الواقع يحتمل ان يكون امراً اتفاقياً - بل و غير مشعوريه واقعاً بطور البخت والاتفاق - واما اذا حصل شيئاً فشيئاً واوْجَد وانشأ تدريجاً شيئاً بعد شيءٍ كل مرتبة من وقوعه تلزم ما يناسبها وتنفك عمما ينافقها كما قال فَتَكَبَّرُوا مشيراً الى هذه الدقيقة اللطيفة : « الامر مر هو نة باوقاتها » فهو مما يكشف عن كون صانعه عليماً حكيمًا مدبراً موجداً محصلًا كل شيءٍ في وقت يناسبه و يقتضيه لاعلى وجه الجزار و الانفاق - هذا -

ولكنه نكتة عامة غير خاصة ، وللحاصة أسرار في المقام سنشير الى بعضها - والعلم عند الله .

ص ١٥٩ س ٩ قوله : فأبدع الأفلاك ثم زينتها بالكواكب مع نقوسها المجردة المحركة - اه - لقد أشار بهذا المنساق من البيان حيث اقحم لفظة ثم و عطف بحرف « ثم » جملة : « وزينتها بالكواكب » - اه - على جملة « فأبدع الأفلاك » - الى سر كون خلقة السموات السبع متحققاً في يومين ، وهما يوم يتعلق اعتباره بخلقة الكواكب والنقوس العلوية من الناطقة القدسية القضائية والحساسة القدريّة ، بكل من القسمين يتعلق خلقه بيوم مع كون خلقة السماويات ابداعية ، فإن نفس الزمان بل نفس الحركة التي هي ملاك الزمان خلقتهم ابداعي .

ص ١٥٦ س ١٣ قوله : وعمد - الى قوله : - ثم قسمها - اه - هذا السياق ايضاً منه للإشارة الى وجه كون خلقة الأرض بالمعنى الذي فسره بقوله : « اى ما

فى جهة السفل » وهو غير المواليد متعلقة بيومين . وكذلك قوله : ثم انشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً و تصويرها ثانياً » فيه اشارة الى لسم كون حلقة انواع المواليد متعلقة بيومين . ولذا قال : « بتر كيب موادها أولاً و تصويرها ثانياً » فيكون تركيب المواد فى يوم و تصويرها بالصور النوعية المواليدية فى يوم . ص ١٦٠ س ٣ قوله : التهيئة و الاعداد – فأين وأنى مبدء الاعداد و منشأ الاستعداد من مبدء . . . و الايجاب والايجاد وقد تقررت فى مقره ان منزلة الامكان من الوجوب منزلة النقص من التمام والكمال وهو سبحانه انه تمام التمامات و كمال الكمالات فهو حقيقة الحقائق ببساطته – اذ بسيط الحقيقة كل الاشياء بوجه اشرف واعلى والطف واقوى وتمام الشيء هو اولى به من نفسه ، اذا لشيء بتمامه هو هو وبنفسه ليس شيء اصلاً له ولا غيره .

تلطف فيه فان فيه قرة عين التوحيد الوجودى الذى هو الكبريت الاحمر .
ص ١٦٠ س ٨ قوله : و احتجابها بالاسماء – اه – و رفع احتجاب الذات
يتحقق بتمامها عند نفخة الصعق التى لا يقى معها شئ من مظاهر الاسماء .
ص ١٦٠ س ٨ قوله : و ظهور الاسماء فى مظاهر الاشياء – اشارة الى كون
الاسماء ايضاً مختلفة مستورة بمظاهرها ، اذا المظهر من حيث هو مظهر ساتر للظاهر
فيه ، لأن الظاهر انما يظهر به وبحسبه .
تفطن – فالخلق حجاب للحق ذاتاً وصفة واسماً .

ص ١٦٠ س ١٢ قوله : وهو يوم الجمعة - لعله أراد من يوم الجمعة هيئها يوم القيمة الوسطى كما هو مقتضى مشربه ، اذا الاسابيع سبعة والجمع ايضًا سبع وجمعة الاسبوع الآخر هي يوم القيمة الكبرى .

ص ١٦٠ س ١٤ قوله : هذه الدنيا سبعة آلاف سنة – وفي الخبر من طريق أصحابنا ما ماحصله ان عمر الدنيا مائة ألف سنة ، والعشرون منها لسائر الناس والباقي مدة دولة آل محمد عليهم السلام .

و ظاهر الاخبار مختلف والمشهور من الاثار كما ذكر . وقد تقرر في محله

التعليقات

من العلوم الحقيقة انه كما نزل ونطق به محكم القرآن والقرآن الحكيم: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً﴾ فاصبر صبرا جميلا﴿ [٧٠ / ٤] وهو سبعة أسابيع ، وختامة تلك الاسابيع السابعة هي قيام الساعة الواسعة الكبيرة . وعصرنا هذا حسبما رأيت في بعض الاخبار كما نقل، في

التعليقات

من العلوم الحقيقة انه كما نزل ونطق به محكم القرآن والقرآن الحكيم: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً﴾ فاصبر صبرا جميلا﴿ [٧٠ / ٤] وهو سبعة أسابيع ، وختامة تلك الاسابيع السابعة هي قيام الساعة الواسعة الكبيرة . وعصرنا هذا حسبما رأيت في بعض الاخبار كما نقل، في من شيء لا يسبح بحمده ولكن لا تفهون تسبيحهم﴾ [٤٤/١٧]

وسر عدم تفهه المخلق ذلك التسبيح هو كون ذلك التسبيح بلغة ألسنة الورثة الختمية المحمدية ، وتلك اللغة وضعها طبيعى لا يطلع عليه الأهل التأله الذين هم أهل طرح الكونين وخلع النعلين خاصة ، وهم يتلمذون من السولى المطلق الحق الحقيقى تعالى ، بلا توسط ملك فضلا عن توسط معلم بشوى -فافهم- ص ١٦٠ س ١٩ قوله : وزمان الاستواء على العرش - ان الحقيقة المحمدية

لهى عرش الالهية الذى هو مظاهر المظاهر الجامع لجوامع مظاهر الاسماء الالهية ، بل وهى امام ائمة الاسماء كلها ، كما قال تعالى : ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [٣١/٢] وتعلم الاسماء هو النحقق بحقائقها ، ومن هنالك صارت حقيقة حقائق الاشياء ، اذ منزلة حقائق الاشياء من حقائق الاسماء الحسنى منزلة الامثلة والصور من الحقائق واللباب .

ص ١٦٠ س ١٩ قوله : وهذا الظهور يبتدى - اه - اذ البعثة المحمدية الختامية لهى البعثة الجامعة لجموع البعثة ، و شريعتها هى الجامعة لجموع الشرائع ، و طريقتها هى الجامعة لجموع الطرائق ، و حقيقتها هى الجامعة لجموع الحقائق . اذ الحقيقة المحمدية لهى حقيقة الحقائق كلها هى مبدئها ومعادها ومعاد الاشياء كلها حقائقها ورقائقها ، اصولها وفروعها ، فاليوم الجامع لجموع الايام الالهية لهو الجمعة - الجامعة المحمدية .

ص ١٦٠ س ٢١ قوله : وجمع بين السبابية والوسطى - لعل السبابية كنایة عن القيامة الكبرى ، والوسطى عن الوسطى .

ص ١٦١ س ١٣ قوله : يوم خلق آدم اى الحقيقى - ان آدم الحقيقى لهو آدم المحمدى ، و سرتسمية يوم المحمدى بالساعة لسعته واحتاطه وبيوم المزيد لازدياد الظهور وانتقاد الخفاء فيه تدريجا الى أن يتم الظهور ، ومن هيئنا كثرت الخواص في الدورة الختامية من الوراثة المحمدية ، ويزداد تلك الكثرة الاختصاصية شيئاً فشيئاً الى يوم خروج قائم الال ^{عليها} بأمر ذلك الاظهار و ظهور دولته الباهرة الفزرة في الظهور والاظهار ، الى أن تنتهي الامر في الظهور والاظهار وكشف البوابات والاسرار الى أن يعم جملة الخلائق من الخواص والعوام من السعداء والاشقياء كائنان من كان فهو يوم تبلى السرائر وتتكشف أسرار الضمائر بأربابها التي هي أسماء الله تعالى المحتجبة عن الابصار والبصراء في يومنا هذا احتجاب الظواهر بمظاهرها ، اذ المظاهر حجاب للظاهريه - فليتأمل فيه - .

ص ١٦٢ س ٤ قوله : دهر طويل - يعني منه الدهر الذي هو طى طومار الزمان والمكان المتقدم عليهمما وجوداً .

ص ١٦٢ س ٤ قوله : الى أن تلخص (١) و تميز - الى قوله : - في مدة من العمر - حاصله : ان السموات والارض بما فيها كانتا في ذلك الدهر الطويل

(١) المطبوع في المتن : تمحيض .

رتقا و جماعاً طيباً مطويَا ثم فتقنا - كما نزل في صريح التنزيل -. و «الفتق» هو وجودهما الزمانى والمكانى فى العالم资料ي الهيولانى. فالعالم المترتبة النازلة من عند الله الاول منها هو عالم العقل الكلى - وهو «عقل الكل المحمدى» - ثم نفس الكل المسمى بـ «العلوية العليا» ، ثم هيولى الفلك المسمى بـ «الهباء» ، ثم جسم الكل الاجمالى المسمى بـ «عرش الرحمن» وهو مثال الكل ، ثم الكرسى التفصيلي ، ثم فلك الروح المعروف بـ «الفلك الاطلس» الذى لا يرى فيه أصلاً ، ثم فلك الثواب المعروف بـ «الفلك الثامن» عند الجمهور وهو الرابع من الانفلاك الاربعة المذكورة ، ثم خلقت الارض و السموات السبع ثم المواليد الى أن انتهى الامر الى باب الابواب الى الله «الانسان» - فافهم ان كنت من أهل الاشارة واحفظه .

ص ١٦٢ س ٦ قوله : و تحيط بعضها ببعض - كأنه منصب محل على
الحالية .

ص ١٦٢ س ٦ قوله : كأنها شخص واحد - اه - هذا هو توحيد العالم الكلى والنظام الجമلى المسمى بـ «العالم الاكبر» و «الانسان الكبير» فقد تستدل بوحدانيته على وحدانية الحق كما هو الموروث المعروف من أرسطاطاليس ، وقد يعكس الامر فتثبت اولاً وحدانيته تعالى و تفرع عليه وحدانية العالم كما هو طريقة الالهين المعروفيين بالصدقين - لكل وجهة هو مولى لها - .

ص ١٦٤ س ١٣ قوله : فمكث ذلك الابن زماناً طويلاً - لعل رمز قوله «زماناً طويلاً» يعني منه الدهر مطلقاً ، او الدهر اليمن او الاسفل عن اليمن واما مرموز قوله : «وقد نصف يوم» فيحتمل ان يكون نصف يوم هيئنا كنایة عن الدهر اليسر الذي يعبر عنه بـ «الملکوت الصوري المثالى» المسمى . بجنۃ الدنيا كما ورد في الاخبار . والمراد من اليوم هم همینا هو اليوم الربوبی الذي وعاته وعالمه دون مرتبة اليوم الالهي المسمى في وجه بـ «الدهر اليمن الاعلى» وهو عالم عقل الكل ، كما ان اليمن الاسفل عالم نفس الكلى التي هي أبوهؤلاء الاولاد من آدم

ابي البشر الى الخاتم المحمدى عليه السلام الظاهر بالصورة البشرية فى عالم الزمان
الطبيعي .

ص ١٦٤ س ١٣ قوله : قدر نصف يوم - لعله عطف تفسير لقوله : « زمانا طويلا »
ويراد من نصف يوم هيئنا « الدهر الايسر » الذى يعبر عنه بد « الملکوت الصورى
المفارقى » وعالمه عالم خيال الكل وعالم القدر يراد منه فى المقام الذى فيه يساق
الكلام من قصة آدم أبى البشر وقصة جنة التى اغتر فيها بوسوسة الشيطان فاخراج
منها واهبط الى أرضنا هذه ، وكان فى الارض البيضاء معنى وروحاً وفى الارض
الخضراء صورة وجسداً ، وهى جنة الدنيا - اى الجنة النزولية .

ص ١٦٥ س ١٠ قوله : هيكلأ - يعني الكعبة .

ص ١٦٥ س ٢١ قوله : بأخيه الاول - ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب .

ص ١٦٦ س ٢ قوله : فاستفز (١) عليهم بجنوده - اى استولى عليهم ،
وأصل الاستفزار : الاستخفاف « بمعنى : سبك گردانیدن هر کسی را ورمانیدن »
واستعماله بـ « على » بتضمين معنى الاستعلاء .

وقوله : وأيدهم بجنوده - لعله يراد من الضمير المنصوب المؤمنون منهم
المحواريين وأتباعهم ، فيسرى فى نفوسهم سراية الروح فى البدن .

وقوله : وتحکّم فى لاهوتهم - « حکم رانی کرد در مملکت روحانی ایشان »
قصاصا لما تحکّموا فى ملکه وشهادته (*).

ص ١٦٦ س ٥ قوله : للمنجمين - انهم لهم الارواح الكلية الالهية عالمهم عالم
الربوبية وهم أرباب أنواع الكواكب ولا سيما أرباب أنواع السبعة السيارات فانهم بتفاوت
درجاتهم فى القرب من الملك يتولون باذن مولاهם وسيدهم ومالك رقابهم أمر العالم
الكلى معنى وصورة ويقومون بتدبير الامور وتنظيمها حسبما الهموا من عندملك الملوك

-جل شأنه - وشرح مقاماتهم في التدبرات والتصيرفات طوبل لامجال لتبیانه .
ص ١٦٦ س ٦ قوله : فينبئه اخوه النیام - اه - لعل هذا التنبيه والايقاظ
عند نفخة الفزع في القيمة الوسطى بانقلاب عالم الصور المفارقى الملوك العلوى
إلى عالم المعانى الروحانى انقلاب نشأة الخيال والمثال إلى عالم العقلانى النفسيانى
عالم ضرب من الربوبية والتدبیر الكلى والتربية الروبانية كمما قال تعالى: ﴿يَدْبُرُ الْأَمْرَ
مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [٥/٣٢] .

ص ١٦٧ س ١٢ قوله : في الرحم - يشبه أن يراد من الرحم المدارات الأربع
من الجمادى والنباتى والحيوانى والحيوانى البشرى فى كل عشرة أيام ، وان مراده من
«عشرين يوماً في الرضاع» كنایة عن أيام الزهد في الدنيا ، وعن أيام الورع المتعلق
بترك النعيم الحيواني الانساني في الآخرة الجسمانية وفي كل منها عشرة أيام
- اي عشرة درجات - بضرب قوى الشهوة والغضب في الخمس من المحاسة الظاهرة
والباطنية كما ورد في الكافي باسناده عنهم ﴿كَلِيلٌ كَلِيلٌ﴾ .

وأما المحكومة في المملكة نحو ثلاثة أيام يوماً - فكانها كنایة عن تعمير النبات
الثلاث - عالم الملك والشهادة الكلى ، وعالم الملوك الصورى المثالى الكلى ،
وعالم الملوك الجبروتى الروحانى المعنوى الكلى المحيط بالكل كما يشير إليه
قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابِ قَوْسِينَ﴾ [٩/٥٣] .

وأما قوله: يوم من أيام القمر - يشبه أن يراد منه مدة عمرد في عالم الشهادة
ونشأة الدنيا العنصرية وابتلاءه بأنواع البلايا والمصائب والامتحانات الالهية كما
يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَانْذِكُمُ الْاوَارِدُهَا﴾ [١٩/٧١] يعني نار الطبيعة «اذ الدنيا
سجين المؤمن وجنة الكافر» اي سجن العقل وجنته ، وجنة المجهل الذي هو الوهم
السرابي وجنته - هذا هو ما حضر وخطر والعلم عند أهله - .

ص ١٦٧ س ٤ قوله : ثلاثة وأربعة وخمسين من أيام الشمس بحسب
القمر - ان هذه المدة كانها عبر عنها المسان القرآن حيث قال سبحانه : ﴿وَ
لَبِثُوا فِي كَهْفٍ ثَلَاثَةٌ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [١٨/٢٥] .

فِي الصَّافِيِّ وَالْمُجْمِعِ رَوَى أَنَّ يَهُودِيًّا سَأَلَ عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْ مَدَةِ لِبَشِّهِمْ ، فَأَخْبَرَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ . فَقَالَ : « إِنَّا نَجَدُ فِي كِتَابِنَا ثَلَاثَةً » . فَقَالَ عَلَيْهِ : « ذَلِكَ بِسَنَى الشَّمْسِ ، وَهَذَا بِسَنَى الْقَمَرِ » .

أَقْوَلُ : يَعْنِي عَلَيْهِ أَنَّ مَا فِي كِتَابِكُمْ بِسَنَى الشَّمْسِ ، وَمَا فِي الْقُرْآنِ بِسَنَى الْقَمَرِ . فَأَرْبَعَةُ وَخَمْسِينَ بَرْدَ عَشْرَاتِهَا — وَهِيَ خَمْسُونَ — إِلَى الْأَحَادِ وَهِيَ عَقْدُ الْخَمْسَةِ وَعُدُّهَا تَصْبِيرُ جَمْعِ الْعَدَدَيْنِ — الْأَرْبَعَةُ وَالْخَمْسَةُ — تَسْعًا .

فَقُولُ الْحَكَمَاءِ : « مِنْ أَيَّامِ الشَّمْسِ بِحِسَابِ » يَجْبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى مَأْوَلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ .

فِي الصَّافِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ - فِي ذِيلِ نَقْلِ قَصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ - : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَهَائِمِ الْإِثْلَاثَةِ : حَمَارٌ بَلْعَمٌ بْنُ بَاعُورَا ، وَذَئْبٌ يُوسُفٌ عَلَيْهِ (كَرْگَيْ دَهْنَ آلَوَدَهْ يُوسُفَ نَدْرِيدَهْ) وَكَلْبٌ أَصْحَابُ الْكَهْفِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ - إِلَى آخرِ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْقَمَقَامِ فَتَعْلِيلٌ عَجِيبٌ لِوَبْلَغِ فَهُمْ أَحَدُهُمْ إِلَى حَقِّ مَغْزَاهُ فَهُوَ الْأَوْحَدِيُّ الْفَرِيدُ فِي الدَّهْرِ - كَيْفَ لَا - وَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلِكٌ مُقْرَبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْأَيْمَانِ .

ص ١٦٨ س ٣ قَوْلُهُ : قِيلَ أَنَّهُمْ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ - يَعْنِي آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَحَضْرَةُ مُحَمَّدٍ وَآلُ الْأَشْرَافِ الَّذِينَ هُمُ الْأَوْصِيَاءُ وَأَوْلَيَاءُ الْعِلْمِ وَعَرْشُ الْوَلَايَةِ ، وَيَوْمُهُمْ هُوَ يَوْمُ السَّابِعِ مِنَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ ، وَإِمَّا الثَّامِنُ الَّذِي هُوَ كَلْبُهُمْ هُوَ الْمَالِكُ خَازِنُ جَهَنَّمَ الْكَبِيرِيَّ مَظَاهِرُهُ قَهْرٌ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ .

ص ١٦٨ س ٤ قَوْلُهُ : يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الشَّمْسِ - يَشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مَدَةً تُربِيَةً رُوحَ الْقَدْسِ الْأَعْلَى الْمُسْمَى بِعَقْلِ الْكُلِّ آدَمُ الْأَوَّلِ، الْحَقُّ الْحَقِيقِيُّ - الَّذِي هُوَ الْأَبُ� الْحَقِيقِيُّ لَادِمُ الْبَشَرِيِّ وَذَرِيَّتِهِ وَبَنِيهِ .

وأما أيام الرضاع - فهو كناية عن مدة تربية نفس الكل التي هي حوا الأولى ،
كما أشار اليه ما بقوله ﷺ : «ياعلى أنا وانت أبواهذه الامة» - فتبنيه .
ص ١٦٨ س ٤ قوله : من أيام الشمس - ان هذه الشمس لها الوجود الثاني
لعقل الكل ، كما أن هذا القمر هو الوجود الثاني في وجه من نفس الكل .
ص ١٦٨ س ٥ قوله : فلاتمار - اه - اى لاتجادل أهل الكتاب الاجدالاظهارا
غير متعمق فيه وهوأن . . . فى أمر الفتية - وهم أصحاب الكهف - بماأوحى اليك ...
اليك - فنفطن .

ص ١٦٨ س ١٣ قوله : فهكذا يجري حكم النفوس الكلية - ان تلك النفوس
الكلية لها النوس الابائية العلوية المدبرات المربيات للنفوس المجزئية الممحشورة
في القيامة الوسطى ، وهي أنفس الكواكب السبعة السيارة في وجه حيث تبعث
الآرواح بأجسادها بالنفخة الفزعية . وفي وجه آخر هو أنفس الانبياء وأرواحهم التي
اليها اياب امهمهم . ورجوع الانفس الجزئية التي هي دعوتهم المنقسمة الى امة
الاجابة وامة عدم الاجابة من المنكريين المستكبرين .

ص ١٦٨ س ١٤ قوله : وملائكة الله العمالة - هؤلاء الملائكة من النفوس
المنطبعة الجزئية التي هي جنود النفوس الكلية .

ص ١٦٨ س ١٤ قوله : في كل سبعة أيام - ان هذا القضاء وجريان حكم
النفوس الكلية في النفوس الجزئية له في القيامة الوسطى التي هي يوم الرجعة
والكرة لتكرر هذه السبعة التي هي أسبوع واحد من الاسابيع السبعة ، ويوم الكرة
هو يوم دوله آل محمد ﷺ الذي قلنا به ولم يقل به مخالفونا - فلا تغفل - .

ص ١٦٨ س ١٨ قوله : سبعة آلاف سنة - ان هذه السبعة لها سبعة من الاسابيع
السبعة التي هي مقدار خمسين ألف سنة ، الذي هو يوم القيمة الكبرى ، وكل
سبعين من ذلك اليوم الجامع للجوامع الاسبوعية هو يوم القيمة الوسطى ويوم الحشر
والنشر الذي فيه اقامة أمر الحساب والكتاب واقامة الموازين القسط وسائر المواقف

الحضرية .

وهذه القيامة الوسطى تقوم بنفخة الفزع كما أن القيامة الكبرى تقوم بنفخة الصعق التي بها يتحقق فناء الكل والفناء الكلى ومحو الجل والقل ، كما قال تعالى : ﴿لَمَنْ أَنْجَاهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [١٦/٤٠] ثم بالنفخة الثانية يتحقق بعث الكل - بعث الجل والقل - بالتجلى الاعظم - كما تقررت محمله .

ص ١٧٠ س ١٦ قوله : او ما ينزل من سماء الروح الكلى - قد يسمى هذا الطور من النزول في قلوب الانبياء التي هي كتب الله وصحفه النازل من عنده المكتوبة بيده تعالى وبقلمه الاعلى بـ «التدوين التشريعى» وتسمى صحيفة القلب النبوى بـ «الكتاب التدوينى» كما قد يسمى القسم الاول بـ «التشريع التكوىنى» والكتاب الذى هو لوح مادة العالم الكلى والعالم الاكبر بـ «الكتاب التكوىنى» . والحضرة الختامية المحمدية مبعوثة بالكتابين ، ومن هيهنا يسمى العالم الاكبر بالانسان المحمدى ﷺ كما قال ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» يعني بين الروح والجسد .

ص ١٧١ س ٣ قوله : بظوره فى مظاهرها - واليه ينظر قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ
مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةُ الْأَهْوَارِ بَعْدَهُمْ وَلَا خَمْسَةُ الْأَهْوَارِ سَهْمٌ﴾ - الآية - [٧/٥٨] فالرابع
فى باب الثلاثة ، او السادس فى باب الخمسة مثاله وآيته كون الشاخص رابعا فى
المرايا الثالث وسادسا فى المرايا الخامس ، فليس بداخل فيهما مثل دخول شيء
فى شيء ، ولا خارجا عنها مثل خروج شيء عن شيء فهو معها معية الظاهر ، بظورها
التي هي أمثلتها وصورها وجوهها وحكاياتها . وبون ما بين التمثيل بظور الشاخص
المحسوس لنا فى مراياه الخارجه البائنة عنه وعن صورته بينونة العزلة وبين
الممثل له تعالى بالنسبة الى مظاهره التي هي أنفس كافة صفاته العليا وصور أسمائها
الحسنى وأمثلتها - تقطن تقطن نور ، لا توهم ظلمة وزور .

ص ١٧١ س ٥ قوله : فى الالواح - اى الالواح الكونية وملوكوت الالواح

بجسميه من الاعلى والاسفل من عالم الدهر - اى أيمنه وأيسره - كل بجسميه كما تقرر في محله - فتذكرا - .

ص ١٧١ س ٨ قوله : ليس كمعية جسم لجسم - اه - اذ هذه المعية انما هي معية شيء لشيء ، والشيشان متبائنان بينما نة العزلة التي تستلزم كون كل منهم موجوداً مقيداً ناقصاً . . . في الوجود وكمالات الوجود .

ص ١٧١ س ٨ قوله : او جسم لعرض ان حل العقدة لا يتيسر الا للأوحدى الذي في الدهر ، وحاصل الحل انها ليس كمعية شيء لشيء مترافقين في حقيقة الشيشة وكانت الشيشة التي مشتركة بينهما كشيشة الجسمية بين الجسمين وقس علىها سائر الصور - فتدبر وتلطف في النظر - .

ص ١٧١ س ١٤ قوله : و انما يعرف الراسخون في العلم - يعني المعية القيومية التي محصلها رجوع الكل من الجل والقل اليه تعالى ، كما قال تعالى : ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تُصِيرُ الْأُمُور﴾ [٥٣/٤٢] واليه يرجع الامر والخلق كله وقال سبحانه : ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَحِيط﴾ [٥٤/٤١]

كفتكم بكلام وصلت خواهم رسيدروزى كفتكم كه نيك بنگر شايد رسیده باشى ص ١٧١ س ١٥ قوله : مثلوا لهم مثال المرأة - القول الحق ان في تلك المعية القيومية المروزة الراجعة الى الوحدة الممحضة ، قال تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية [٧/٥٨] وان كان في هذه الكريمة ضرب من الاشعار بشوب من التفرقة ولكنها هي التفرقة في عين الجمع والجمع الحق الحقيقي انما هو الجمع في عين التفرقة ومن هنا لك قالوا بالوحدة في عين الكثرة - فاعتبر يا صاحب البصيرة وطالب الحقيقة - و الحقيقة محو الموهوم وصحو المعلوم ، والمعلوم المشهود ان هو الا هو ، ياهو يامن لا هو الا هو .

ص ١٧٢ س ١٥ قوله : وليس فوقه - و ليس فوقه شيء حتى يصير سبحانه باطننا غير ظاهر - وليس دونه شيء حتى يصير - جل شأنه - ظاهراً غير باطن ، هذا

بناء على أن يراد من الفوقيّة الظُّهُرُ والعلن ، ومن الدُّونيَّة التُّحْتُ والسرّ والحاصل ظاهر لا يكاد يبيّن و باطن لا يكاد يخفى ، ويحتمل أن يراد من كلّ منها عكس ما احتملنا وحملنا ، فإذا عكس الامر صار حاصل المعنى : ليس ظاهراً يقابل الباطن ، ولا باطناً يقابل الظاهر ، اذ كمال كلّ من الظهور والبطون إنما هو في مقابلة ، فهو الظاهري في عين بطونه ، والباطن في عين ظهوره ، لأن في محيط المحيطات يجب أن تتعانق الأطراف - تفهم تفهم نور .

ص ١٧٢ س ١٨ قوله : وكذا حديث قرب النوافل - فانه يكشف عن كون حضرة نور الانوار المحيط الفهار نور بصر العبد - فضلا عن نور بصيرته ومكفارها في السمع وسائر الحواس بل وسائر القوى وجوارح الاعضاء كلها ، بل الامر في نفس الآلات لا اختصاص له بالعارف السالك اليه تعالى و المساعي المتقرب منه سبحانه بقرب النوافل .

وأما سر "التخصيص بقرب النوافل هو كون السلوك اليه تعالى باقامة نوافل السير والسلوك - بمزيد اقامة فرائضهما - هو رفع غشاوة الوهم عن عين البصيرة بصيرورة بصر البصيرة حديداً يرى الاشياء وخصائصها كما هي ، ولكن في جانب قرب الفرائض والتقارب بها هو رفع الوهم الحاجب عن شهود الحق جلت جلاله .

ص ١٧٣ س ٦ قوله : كما نقل عن المحققين - مثل قول بعضهم «أنا الحق» او «سبحانى ما أعظم شانى» او «تدرع باللاهوت ناسوتى» و أمثال ذلك ، و نقل عن بايزيد البسطامي انه قال : «اللهى ان قلت يوماً : سبحانى ما أعظم شانى . فأنا اليوم كافر مجوسى أقطع زناري و أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عَزَّلَهُ ». .

ص ١٧٣ س ٧ قوله : ما قالوا - مفعول قوله «نقل» معناً ، و نائب فاعله لفظاً وأما ما قالوا فهو مثل قولهم «سبحانى ما أعظم شانى» الناشى من عدم الثبات ، الناشى من شدة سكرهم ، الناشى من الاحتجاج بالحق عن الخلق التي هي مظاهر صفاته العليا ومجالى أسمائه الحسنى ، وذلك الاحتجاج ناش من فقدان مقام الجموع

بوجдан مقام الفرق المقابل للجمع بين المحقين الناشئ من كون العارف السالك الجامع
الحافظ للطرفين وحكمهما إذا العينين - فافهم .

ص ١٧٣ س ٧ قوله : الا أن قالوا - استثناء من قوله : و قلت انه فيه -
فلا تغلق .

ص ١٧٤ س ١٢ قوله : كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق - أقول : الآن
كما كان ، الا ان غشاوة الوهم تمنع عن شهود الجمع في عين الفرق و تحجب
شهود ملك الحق في عين تملك المخلق ولو لاحتاجاب العقل بمغلوطة الوهم الكذوب
ل الحكم العقل الصريح بكون تمليل التشريع من حضرة الحق لخلقها نازلا منزلا
الاستخلاف منه سبحانه وجعله عباده خلفاء له تعالى في التصرفات الملكية - فسبحان
الذى بيده ملکوت كل شيء و اليه ترجعون - فاحفظ بهذا بعد التثبت فيه
بتلطّف سرّك .

ص ١٧٥ س ١١ قوله : الغاية في الشهود - و يعكس ذلك كان حكم
الفاعل المستكمل بفعله فانه الفاعل علما فهو الغاية وجودا ، واما الفاعل التام في
الفاعلية و فوق التمام في الشدة - اي غير متناه في شدة الوجود - فهو الفاعل الفيّاض
التام و فوق التمام في باب الوجود و كمالات الوجود ، وهو الغاية القصوى لفعله
الذى هو ايجاد اعيان الاشياء في باب المعرفة والشهود كما قال : «كنت كنز امخفيأ
فاحببتك أن اعرف فخليت الخلق لكى اعرف» .

ص ١٧٥ س ٢٢ قوله : لافي الذات ولا في الاعتبار - اه - خلاصة ما يتفرع
عن دليله هذا هو كونه سبحانه فاعلا فياضا وعلمة غائية وجودا وعلما الذي هو عين
وجوده ووجوده الذي هو الوجود الحق الحقيقى الغنى المطلق القيوم الواجبى
عين حقيقة ذاته جل شأنه ، وكونه سبحانه غاية معرفة كما مرّ قبيل هذا ، فمن
هيئنا قال وليه سيد الاولىء على المرتضى عليه السلام : «معرفتي بالنورانية معرفة الله ، و
معرفة الله معرفتي بالنورانية » .

فمعرفة الله التي هي الغاية القصوى في الاجداد هو معرفة نبيه و وليه طلاقه

بالنورانية بالفطرة الادمية الاولى قال : « كنتنبياً وآدم بين الماء والطين » و هي خليفة الله في المعرفة ، كما أنها خليفة الله مطلقاً ، و المعرفة معرفة المعبود – تفهم نور لا تفهم ظلمة وزور .

ص ١٧٩ س ٤ قوله : و الانفاق عن الزهد – فالاولى أن يعم الانفاق هيئتنا حينئذ حتى يشمل انفاق النفس بطرح الكونين وخلع النعلين – نعل الدنيا و نعل الآخرة – وقد عبر في طائفة من الاخبار عن طرح الكون الدنياوي بالزهد ، وعن طرح الكون الاخروي و النعيم الجسماني من الآخرة بالورع حسبما وردت هذه الاخبار بأسناد الكافي فيه ، والتعميم بهذا الوجه يعتبر في تحصيل العلوم الحقيقة مطلقاً – فافهم .

ص ١٧٩ س ١٨ قوله : حاصله – معنى ماحصلّ – قدس الله روحه المقدس – صار قوله سبحانه « بربكم » بظاهر ترجمته المحصلة نازلاً منزلة قوله (ره) « بقاطع الحجج والبيانات » .

وسر استقامة ذلك هو كون العلة الفياضة علة فياضة في الوجودين ، الوجود العيني والوجود العلمي ، وقد برهن في محله على كون كل برهان بامر يفيد اليقين وهو الحد الوسط في البرهان واسطة في الوجود العلمي علة في الوجود مطلقاً ، والعلة بهذا الوجه الموجد بالبراهين الباهرة ان هى الا رب الارباب وهو ربنا الاعلى – جل وعلا – كيف لا وبنوره أشرقت ارض ظلمات الاعيان المظلمة بالذات كمقال : تعالى : ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [٦٩/٣٩] فاستنارة ارض القلوب التي هى أشرف بقاع ارض الامكان بنور ربها الاعلى أحق بالتحقيق واولى – فافهم .

ص ١٨٠ س ١٢ قوله : دون من هو قرب مربوب مثلكم – يعني من الالهة التي هي الطواغيت المخدولة المطرودة التي هي أدون منزلة منكم فطرة ، وأرذل مرتبة وأذل سجية كما ينادي بذلك اسم ابليس الابالسة بحسب روح معناه وسر غزاه لانه مشتق من « ابى ليس » و « ابى الليسيه » بالاشتقاق الكبير الموروث من اولياء العلم والمعرفة .

وأما آدم المضاد فطرته لفطرة الابليسية فهى بتلك الصابطة الموروثة كما تقرر فى محله فيستخرج منه ملاحظة بعض مراتب بطونه «أبو الائىس» والابليسية ، كيف لا وهو المظهر الجمالى الوجودى والفطرة الابليسية هى المجلالة المجالية العدمية كما لا يخفى سرّ ما أظهرنا على اولى البصائر والابصار فاعتبروا يا اولى العبرة والاعتبار . ص ١٨٢ قوله : بطلان قول المجبرة – اذ المجبرة لا يقولون بالتعليل الغائى فى افعاله تعالى لتوهمهم العجز لمن تعلل فعله ، ومن هيئنا قالوا بالارادة الجزافية ، ويلزم عليهم نفى العلية والمعلولة رأساً، اذ الترجيح من دون مرجع يرجح الى «الترجح من غير مرجع ورجحان» وهو باطل بالضرورة والاتفاق . ص ١٨٢ س ٢١ قوله : فالنقطه آل فرعون – فالنقااطهم هذا لزمه أن يكون الملقط بالنقااط عدواً وحزناً لهم ، ومعلوم بالضرورة ان كونه عدواً ليس بداعى لهم على الالتفات .

ص ١٨٧ س ١٥ قوله : مكاشفة . يشبهه أن يكون بناء هذه المكاشفة على بيان التفاوت والتفرقة بين « السالك المجنوب » و«المجنوب السالك» وبين ان اختيار السلوك الى الله تعالى قبل الانجذاب ومكاشفة الحقائق أصعب بمراتب من اختيار السلوك اليه تعالى بعد الجذب وكشف الحقائق ، فالاصعب يجب ان يكون اجره أتم وأجمل وأجمع وأشمل من الاخف الاسهل ، كيف لا وقد قال ﷺ : «أحسن الاعمال أحمزها» والتفاوت بينهما كالتفاوت بين الموت بالاختيار والموت بالاضطرار اذ حالة الجذب ضرب من الموت تفطن (١) .

ص ١٩٢ س ٢١ قوله : قلت - حاصل الجواب بقوله : « قلت » ان هذه الدائرات باقيات بوجه أعلى ، دائرات بوجه أحسن ، اذ لها بحسب اصول فطرتها نوع رجوع الى معادنها الثابتة وان كانت بحسب تعلقها الكونية فانية غير باقية ، كما

١ - هذا مع كون كل من المجددين موتاً اختيارياً و لكن كان كل واحد منهم بالقياس الى الآخر اضطرارياً (منه ره).

قالوا ان الحواس الظاهرة بحسب ذاتها وأنفسها خارجة عن عالم محمد الجهات وبحسب تعلقاتها بهذه الموارد الكتابية دائرة زائلة داخلة تحت المحمد ، معدودة فيما يحيط به المحمد للجهات .

ص ١٩٣ س ١٥ قوله : فيضاً عفه – وقد أشير الى ذلك في المنشوى المعنوى :

اقرضوا الله قرض ده زين بر گئن * تا برويد در عوض در جان چمن

ص ١٩٤ س ١٩ قوله : على الاول يعني «بين أيديهم» ، واما الوجه الثاني فهو «بامانهم» فهم انما نزل منزلة المعنى والصورة ، والحقيقة والوجه ، واللب والقشر ، والاصل والفرع – الى غير ذلك مما يناسب المقام . والحاصل ان منزلة جنة المقربين من جنة أصحاب اليمين منزلة اللب من قشره ومنزلة الحقيقة من ظله .

ص ١٩٥ س ٢ قوله : سلسلة الاسباب المؤدية – ان سلسلة الاسباب العدل الايجادية المترتبة طولاً المتنزلة الى وجود الانسان البشري يسلكها السالك الى الله صعوداً ورجوعاً الى ما نزل منه الذي هو تمامه وموطنه ومقامه وعند وصوله الى مقامه وموطنه الذي نزل منه في البداية صار متصلة بأصله ، فانياً فيه ، باقياً بعين بقائه سرداً .

ص ١٩٥ س ١٥ قوله : مع اتفاقها في اصول الحقائق – الاتفاق في اصول الحقائق وصور الحسان هو اتفاق أهل الجنان في اصول الایمان .

ص ١٩٦ س ٥ قوله : وخرجت من مرتبة القوة الهيولانية – يعني هيئنا من القوة الهيولانية «العقل الهيولياني» الذي هو هيولي عالم الحقائق والمعارف الالهية ، والخروج من تلك القوة الهيولانية التي هي هيولي عالم المعانى وطراف عالم الصور المسمى بعالم الخيال والمثال والبرزخ بين العالمين انما هو بكساب العلم بحقائق الاشياء وسعى العمل الذين قال تعالى مشيراً اليه : ﴿إِلَيْهِ يُصْدَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُهُ﴾ [١٠/٣٥] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الدِّينِ آمِنُوا﴾ – الآية – [٢/٢٥٧] .

ص ١٩٦ س ٧ قوله : نوراً على نور – اي النور المستفاد يكون على نور

الفطرة التي هي من عالم النور ، مثالهما النور الشمس الوارد على النور الجبلي البصري والزائد عليه ، فباجماع النورين يتحقق الابصار – فافهم فهم نور .

ص ١٩٦ س ٩ قوله : او بسبب كسب الاعتقادات المحمودة – اه – فيكون على هذا التعليم المستفاد بالترديد المذكور مراده من العقل المستفاد أعم من أن يكون عقلاً مستفاداً علمياً يقينياً ، او عقلاً مستفاداً عملياً ظنياً .

والاول حاصل السير والسلوك الى الله تعالى بالعلم والعمل معًا عالمه عالم السابقين المقربين ، بتفاوت مقاماتهم حسب تفاوت استعداداتهم . والثاني حاصل سير العباد وسلوك الزهاد الذين هم أهل التقليد من غير بصيرة في اصول الدين ، التي يطرح في حق صاحبها – الذي هو طالب الحقيقة – عالم الكونين ويصل الى نور اليقين بريئاً من الشين والميم في اختلاف صاحب التقليد ، فهو من أصحاب اليمين .

ص ١٩٨ س ١٤ قوله : والصور الحسان – فيه قيل – والله در قائله – :

آن خيالاتي كه دام او لیاست * عکس‌مه رویان بستان خداست

ص ٢٠٠ س ٩ قوله : لظفهم – اه – اي لتوهمهم ان المؤمنين اخذوا نورهم من موضع خلف المنافقين ، وموضع خلف المنافقين – الذين أحاطت بهم ظلمة نفاقهم وكفر سريرتهم من جميع جوانبهم وجهاتهم كما قال تعالى : ﴿وَان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] – لا يصلح لأن يكون موضع تجلی نور الرحمة والمغفرة – كيف لا – والمنافق من جميع جوانبه وقع موقع قاعدة مخروط الظلمة المقابلة لقاعدة مخروط النور ، والقاعدتان كل في غاية البعد والتبعاد من الأخرى – فافهم – .

ص ٢٠٢ س ٨ قوله : والمحسوس حاضر – ان الانتقال من المحسوس الى المعلوم – اي من الصورة الى معناها ومن الظاهر الذي هو عنوان الباطن الى باطنها ، ومن الوجه الى الحقيقة ، ومن المجلة الى ما يتجلى فيها . اذ منزلة الدنيا من الآخرة

منزلة ظل الشيء من الشيء - وظل الشيء ان هو الا آيته ووجهه ومثاله وصورته وحكايتها التي يحكى عنه .

ص ٢٠٢ س ١٧ قوله : الا بمثال - سر ذلك ما أشرت اليه من كون عالم المحسوس مثال عالم المعقول لضرورة مطابقة الصورة لمعناها ، والتطابق بين العوالم المترتبة طولا ضروري - كما تقرر في محله .

ص ٢٠٣ س ٣ قوله : اداء المعنى في صورة -- لأنّي صورة كانت وكيف اتفقت ، بل صورة بينها وبين أصل معناها نوع طباق ومتّابقة ولو بوسائل وروابط مترتبة ترتباً يؤدى الى الممائلة - بل الى الوحدة مع وجود البنونة الحكمية والصفية التي هي أتم أنحاء البنونة - تأمل فيه ، فانه حرى بالتأمل .

ص ٢٠٣ س ٤ قوله : وجد كاذبا - لمكان البنونة الحكمية التي هي أتم أنحاء البنونة ، والمتبادران في الحكم والصفة يتحددان حقيقة وروحًا ويتغيران حكماً ووصفاً ، وفيه يتعانق المتقابلان ويتحدد الضدان ، ودرك هذه الاشارات صعب المنال ولابناله الا الاوحدى الفريد .

ص ٢٠١ س ١٢ قوله : من مسيرة الى آخرته - يعني أن سيره الوجودي الفطري المفظور عليه الى الغاية التي مجبول على طلبها من حيث لا يشعر ، لا الفطرة الدنياوية - أيّة فطرة كانت علوية او سفلية ، معدنية كانت او نباتية غير حيوانية ، او حيوانية حيوانية ، او حيوانية آدمية مفظورة على طلب الغايات والسير الى النهايات .

ومن هيئنا قال عليه السلام : « الدنيا بلغة الى الآخرة » ولا مفر و... لشيء من الامور المذكورة عن السير والسلوك الى الغاية ...

واما اقباله الى الدنيا فبقوته الوهمية التي شأنها ادراك الامور على خلاف ماهي عليه ، فهى بحسب ادراكاتها السرابية التي تدرك ادراكا غير مطابق للواقع ، مثل تخيله للسراب شرابة ، وتوهمه الخضاب شبابا ، فيقبل على طلب الدنيا في عين الاعراض عنها ، ويجهّد في تحصيلها في عين الادبار عنها .

فكل مسافر من الدنيا الى الآخرة طبعاً ومقيم فيها وهماً .

ص ٢١٣ س ١٣ قوله : بعضه مثل بعض - «من بعض - ظاهراً» - بمعنى ان العمل يتحصل من العلم ، والعلم من العمل - وعلى نسخة المتن يعني : ان العمل يكون مثال العلم وظلله الذي يحكى عنه وعن وجوده ، فمن لاعمل له لاعلم له ، فان العمل علامة العلم وأثره وخبره - فافهم ولاتغفل .

ص ٢١٥ س ٥ قوله : جالس على الحد المشترك - الحد المشترك هو الجمع بين الحق والخلق ، بأن ينظر الى الوحدة في عين نظره الى الكثرة ، وينظر في الكثرة في عين نظره الى الوحدة ، والشهود بهذا الوجه الجامع لا يتيسر الا بنور الله الجامع بين الاطراف المتقابلة ، كما انه سبحانه عال في دنوه ، دان في علوه ، ظاهر في عين بطونه ، باطن في عين ظهره .

ص ٢١٥ س ١٨ قوله : خوف الرجاء - حاصل خوف الرجاء ان العبد لما نظر الى خساسته ودنائته وحقارته والى جلاله ربها وكبريائه ورفعة شأنه خاف من رجائه ويتصغر من طمعه ، اذ المناسبة شرط في ارتباط الطرفين ، واذا نظر الى سعة رحمته ودنوه في عين علوه وخفضه في عين رفعته رجي وطماع .
فخوف الرجاء كأنه مسيوقي بالحياة ، المسبوق بشهود سماتي المجلال وكشف اطوار العظمة وآثار الكبرباء .

ص ٢١٥ س ١٨ قوله : لاخوف المعصية - في الادعية المأثورة : «الهـى كـيف أدعوك وأـنا أـنا وـكيف أـقطع رـجائـي مـنـكـ وـأـنـتـ أـنـتـ» فالخوف من الراجـى خـوفـ منـ آنـيـتـهـ الـراـجـيـةـ بـرـؤـيـةـ نـفـسـهـ حـيـنـ رـجائـهـ «وـجـودـكـ ذـنـبـ لـايـقـاسـ بـهـ ذـنـبـ» فـمـعـ ذـلـكـ الذـنـبـ العـظـيمـ الذـيـ لـاذـنـبـ أـعـظـمـ مـنـهـ فـكـيـفـ يـتـمـكـنـ مـنـ آنـ لـايـخـافـ اـذـالـخـوـفـ شـدـةـ وـضـعـفـاـ يـتـبـعـ الذـنـبـ ، فالذـنـبـ الشـدـيدـ الذـيـ لـاذـنـبـ أـعـظـمـ مـنـهـ يـلـزـمـهـ وـيـتـبـعـهـ الخـوـفـ الشـدـيدـ الذـيـ لـأشـدـ وـلـأـعـظـمـ مـنـهـ ، وـمـلـاـكـ كلـ الذـنـوبـ هـوـذـنـبـ رـؤـيـةـ النـفـسـ ، وـتـدـارـكـ ذـلـكـ الذـنـبـ انـماـ هوـ اـسـقـاطـ الـاضـافـاتـ «كـهـ التـوـحـيدـ اـسـقـاطـ الـاضـافـاتـ» فـالـاضـافـاتـ مـلـاـكـ الشـرـكـ ، وـالـشـرـكـ هـوـ أـكـبـرـ الـكـبـائـرـ الذـيـ غـفـرـانـهـ هـوـ اـسـقـاطـ الـاضـافـاتـ رـأـساـ وـطـرـاـ .

· فافهم واستقم ·

ص ٢١٧ س ٨ قوله : والجهات كلها محراً واحداً - فأينما تو لَّوا فثم وجه الله
فيه قلت نظماً :

تنها نه همین سر الله است على * درملک وجود پادشاه است علی(*)
در پادشهی قبله عالم همه اوست * چون وجه خداست قبله کاهست علی
ص ٢١٨ س ٧ قوله : وعباده الصالحين - ان او لئک الصالحين مقامهم مقام صلح
الكل لا حقوقهم حق العبودية التي هي جوهرة كنهاها الربوبية ، واقتضاء تملك الجوهرة
ان هي الا تبعية كنهاها وحكایة حقيقتها ، فان منزلتها من حقيقتها منزلة ظل الشيء
من الشيء ، فليس لها اقتضاء في نفسها - اذ لانفس لها بحسب نفسها - ومن هنا
فسرت العبودية الحقة بلازماها الذي هو كونها راضية بكل ما يفعله المولى ومسلمة
لمولتها في كل ما قضى وقدر ، فان فطرتها فطرة مسلمة نفسها التي هي أمانة مولاها
إلى مولا[ها] [فبقيت بلانفس ، يعني بقاء مولاها لا بقائه - وهكذا .

ص ٢٢٢ س ٢٣ قوله : كما أشرقت الأرض بنور ربها - يعني أرض القلب
المعنوی القدسی . (*)

ص ٢٢٣ س ١١ قوله : بالوجوب الارتباطي - مراده من الوجود الارتباطي الاضافة
الاشراقية التي هي التجلي الذاتي الازلي واشراق شمس الحقيقة ، ويسمى بـ «الحق
الاضافي » .

ص ٢٢٣ س ١٦ قوله : وصباحات - والفجر ولیال عشر ، اي العقل الكل
والعقلون التي هي أرباب الانواع من التسع العلوية والواحد السفلي .
والشفع - اي نفس الكل وجسم الكل .

والوتر - هو الروح الاعظم الذي هو روح القدس الاعلى ، روح الحقيقة ...
الختيمية المحمدية البيضاء ، وهي « المصباح » كما ان نفس الكل هي « الزجاجة »
وجسم الفلك هو « المشكوة » .
واما الفجر - فهو حجة العصر صاحب الزمان عليه السلام .

وليلٌ عشرة - الآئمة العشرة من الحسن المجتبى الى الحسن العسكري عليه السلام
لوجودهم في دولة الخلفاء والفراعنة ، كمعاوية وما بعده - لع .

اما الشفيع فله وجوه : القلم ، واللوح ، آدم وحواء ، العلوية العلياء والفاتحة
الزهراء عليها السلام - اي نفس الكل وجسم الكل - أحدهما الزجاجة والآخر المشكوة .
حم : محمد عليه السلام والكتاب المبين : على عليها السلام . انا أنزلناه في ليلة مباركة هي
فاطمة عليها السلام - اي الليلة المباركة هي فاطمة - يفرق فيها كل أمر حكيم : سائر
الآئمة عليهم السلام - تفطن سر الامر وطباقه .

ص ٢٢٣ س ١٧ قوله : لالىالي لها - اي لا ابدان ولا جسام لها تتصرفوا فيها
تصرّف تدبير ، كالعقل النفسيانة الفعالة المدبرة وهي الطبقة التالية للأوائل
المهيّمات في ...

ص ٢٢٣ س ١٧ قوله : الطبقة التالية - تلك الطبقة التالية للأوائل هي المسمّاة
بالمثل الافلاطونية وبأرباب الانواع النورية المجروتية . *

ص ٢٢٣ س ١٨ قوله : في أسفل العالم الجسماني - متعلق به « يوجد » و
« ليالٌ عشر » مرفوع بالفاعلية ليوجد . *

ص ٢٢٣ س ٢٢ قوله : بما فيه - اي في العقل العاشر كدبانو عالم السفل ، وآثار
الرحمة التي فيه هي وجوهه التي كل منها عين ثابتة ومامحة امكانية كلها موجودة فيه
بوجودها الجماعي بضرب أعلى من الوجود التفصيلي - فافهم .

ص ٢٢٤ س ٢ قوله : فمن هناك - اي من نفس الكل المسمّاة بالعلوية العلياء ،
وهي اللوح المحفوظ والكتاب المبين وامير المؤمنين عليها السلام ولكن باعتبار اشتعمالها
على الصور العقلية ، كل صورة منها تكون عقلا من العقول التالية التي هي ليالٌ عشر
في وجه من الاعتبار ، والا صارت عددها بعدد أنواع العلويات والسفليات -
فاحسن التأمل .

ص ٢٢٦ س ٢١ قوله : صدق الطويّات - ان الطويّات لهي النّيّات المنطقية
فيها تفاصيل الاقوال والاعمال انطواء الكثرة في الوحدة بوجه آخر واقوى ، ولما

كانت النية حالة وصفة روحانية دهرية ، وتفاصيل الأفعال ومتفرقات الأعمال جسمانية زمانية – والدهر طى الزمان والزمانيات – فصارت كلمة « الطويّات » بياناً لشرح حال النبات .

ص ٢٢٧ س ٨ قوله : فسنيسره للعسرى – فان قلت : كما قلت تكون في كلنا الصورتين عند الرسوخ صدور كل من الخيرات والشرور سهلة يسرى ، فما وجه قوله تعالى في جانب الشرور « للعسرى » مع قوله : « فسنيسره » ؟
قلت : لعل السر هو ملاحظة حال العاقبة والمال في دار الآخرة ، والوجه الآخر هو ما يتضمن بيانه – قدس الله مرقده – من كونها غير مجازة لعالم الناطقة القدسية .

ص ٢٢٧ س ١٠ قوله : مناسبة لعالم القدس – فذلك تكون منزلة هذه الافعال والأعمال من حقائق عالم القدس ولطائف (١) منزلة الهيئات والمثل والأضلال والأشباح من الأرواح ، بل بمنزلة أظللة الأضللة وأمثلة الأمثال ، فان في اصول الحقائق وجوداً وجهات تتجلى تلك الحقائق بصورة ملكوتية ، تننزل وتمثل تلك الصور الملكوتية في عالم الاسفل – الذي هو عالم البدن العنصري – بهذه الهيئات والوضاع الناموسية النازلة من عالم العند بواسطه مترتبة طولية ، بأن تنزل من الدهر اليمين الاعلى إلى الدهر اليمين الاسفل ، ومنه إلى الإيسرا الاعلى ، ومنه إلى الإيسرا الاسفل ، فتنتهي إلى عالم بدننا العنصري وتصير محسوسة بالحسن الظاهري .

ثم ترجع وتؤثر في القلب البشري – الذي حقيقة باطن شخصنا المحاضر عند حواسنا الظاهرةية – أثراً ما ، فبتكرر العمل يتقوى الاثر ويشتد بحيث يصير ملكرة راسخة جوهرية – بعد ما كان حالاً غير راسخة عرضية – ويصير – ملكاً قريناً للعبد الصالح محشوراً معه في الدنيا والآخرة ، كما قال عليه السلام : « إنما هي أعمالكم ترد عليكم » اي يرجع منكم اليكم .

وقد تقرر في محله مطابقاً لما أخبر ﷺ أن كل قول و فعل و عمل من الإنسان
انسان ، ويشهد له كشف أهل الكشوف فليتأمل فيه .

ص ٢٢٧ س ١٠ قوله : والنفس - اي عالم الناطقة القدسية ، لكون تلك
الافعال نازلة من افق عالم القدس . كيف ولو لم يكن طلوعها نزوا لا من ذلك الافق
الاعلى لما راجع اليها صعوداً ، كما يشير اليه قوله تعالى : ﴿وَإِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمَنُ
الْطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠/٣٥] بأن يرجع العمل الى النفس ، وترجع
النفس بها الى عالمها الاصلى الابائى ، بخلع نعلى الكونيين وطيّهما -- الذى هو
الدخول في الواد المقدس - نفطّن .

ص ٢٢٨ س ٤ والجهل والموت - ولقد تقرر في محله ان الجهل مجعل
بعين جعل العقل - ولكن ثانياً وبالعرض - كما ان الماهية -- وهى ملاك الجهل
والظلمة - مجعله بعين جعل الوجود ولكن ثانياً وبالعرض ، والوجود هو ملاك
العلم والنور ، والوجود مجعل بالاصالة ، وهو الوجه الذى به يلى الشيء ربه ،
والماهيته هي الوجه الذى به يلى الشيء نفسه ، ووجه الرب هو الغالب ووجه
نفس الشيء هو المغلوب ، وانعكاس الاثر فى أكثر الصور مستند الى الوهم الغالب
حكمه على العقل فى الاغلب الاكثر وان كان الامر فى نفس الامر على عكس ذلك
كما قال : «سبقت رحمتى غضبى» .

وبالنظر الى غلبة حكم الوهم -- غالباً -- قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ
كُسْرَابٌ بِقِيمَةِ الصُّمَانِ مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ [٣٩/٢٤] - الآية .

ص ٢٣٠ س ١٢ قوله : في فساططه - الفسطاط : الخيمة العظيمة وعن الليف وهو
ضرب من الابنية، وعن الازهرى: كل مدينة فساطط، وفي الصحاح: بيت من شعر. (منه ره).
ص ٢٣١ س ١٠ قوله : ما يستفاد من البرهان اليقينى - ان البرهان اليقينى
لهو الدليل الذى لا يتطرق اليه شك وشبهة بوجه أصلاً وهو البرهان الذى يفيد نور
اليقين ، وهو قليل الوجود جداً لقلة وجود صاحبه ، والأفالبرهان المفيد لنور اليقين
كثير جداً - بل لا يكاد يحصى - ولكن ذويه قليلون ، وهم الذين وصلوا الى مرتبة

العلم اليقين الذى قال سبحانه : ﴿كَلَا لَوْ تَعْمَلُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ جَحَّمَ ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [٨-٥ / ١٠٢] اي : عند مفارقة النفس عن البدن المدنىوى وانسلاخها عن جلباب القالب العنصري .

ص ٢٣١ س ٢٠ قوله : بوجه له مناسبة الى ما هو الحقيقة - يعني مثل مناسبة الصورة والحكاية لمعناها ، والمثل والظل والخيال لمغزياتها ، فان الاشباح أظللة وأمثلة وصور للارواح التى هي اصولها وحقائقها والاشباح عالمها عالم المثال البرزخى - اي الملوكوت الصورى المفارقى - والارواح عالمها عالم الجبروت والملوكوت الروحانى العقلانى .

ص ٢٣٢ س ١٣ قوله : لا يحب الله أحداً غيره -- فان قلت : فما شأنه سبحانه حينئذ مع سائر الاولياء غير ذلك الولى الذى وصل واتصل بهذه المرتبة ، وكل ولى " بما هو ولى " له هذه المنزلة كما قال تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤ / ٥] فلاتختص مرتبة الولاية بوحد شخصى منهم بخصوصه دون غيره ؟
قلت : اعلم -- ياصاحب البصيرة النافذة -- انه يمكن أن تنحل عقدة اشكالك وسؤالك بما قبل :

حال كُـرـكـان وـسـگـان اـزـهـمـ جـداـسـت * متـحـدـ جـانـهـاـيـ شـيرـانـ خـداـسـت
وانـقاـوـتـواـفـى درـجـاتـ الـوـلـاـيـةـ بـالـشـدـةـ وـالـضـعـفـ كماـ أـشـارـاـلـيـهـ بـقـوـلـهـ قدـسـ اللهـ
روحـهـ : « معـ تـفاـوتـ المـرـائـىـ - الخـ » - فـاعـتـبـرـ وـاسـتـبـصـرـ .

ص ٢٣٣ س ٥ قوله : والبائع راغب عن المبيع - أقول : بل يسلم المبيع الى المشترى وتبقى الانفس والاموال التى هي قوى النفس وصفاته النفسانية التى بها تحجب النفس عن شهود ربها ، فتفنى وتبقى ببقاء ربها الاعلى .

ص ٢٣٣ س ١٠ قوله : فقد علم ان رتبة الشهداء - اه - يعني من الشهداء هيهنا الشهداء المعروفين فى عرف الجمehور ، ولكن قد يكون منهم من هو قبلة العرفة ووليهم الذى يكون اولى بهم من أنفسهم وهو لسيد الشهداء روحى له الفداء فانه عليه السلام لهو سيد السادة ، وقبلة الشهادة معنى وصورة - تفطن .

التعليقات

ص ٢٣٥ س ٧ قوله : يجد الالم عين الراحة - وهم جمهور العلماء المتسقين بالورم ، والمتوهمين للسراب ماء زمزم ، وللخضاب شباباً ... عن كدورة الهرم ، فانهم لهم المعرضون عن آيات ربهم - التي هي الحقائق الكشفية واللطائف العرفانية ، وأسرار الحقانية والعلوم الربانية - خذلهم الله تعالى فانهم لهم المخربون لعمارة الدين ، الضالون المضلّون لعامة المسلمين .

ص ٢٣٧ س ١٠ قوله : مع جحودهم لنعمة الله - ان كون الامور الدنياوية نعمة ، انما هو من جهة كونها بلغة الى الاخرة ووسيلة لعمارتها ، فالكافر المنكر للآخرة لا يتصور في حقه أن تكون هي بلغة ووسيلة الى عماراتها ، بل يكون كفره وانكاره بلغة ووسيلة في حقه الى خراب عمارة عاقبة أمره وآخرة شأنه ، فالدنيا نعمة مخلوقة في نفسها ، لكونها فطرة مقطورة على امداد المواد لعمارة الآخرة كما تكون في حق أهل الآخرة - وهم أهل الله ومن تابعهم .
والمراد من المواد هيئتنا هي أراضي الانفس البشرية التي هي العقول الهيولانية علمًا وحالا وعملًا .

ص ٢٣٩ س ١٧ قوله : لا بما هو به بنية ومادة - فانه بهذا الاعتبار ليس بحيوان ولا بحى الا بالعرض كما تقرر في مقر ٥ .

ص ٢٣٩ س ١٨ قوله : في علم الميزان - فاطلاق الحيوان الحساس على الانسان بماهو انسان يكون من باب اسم الملك على الملك والملك المتصرف فيه .
ص ٢٣٩ س ٢٢ قوله : والاحساس بالشيء لا يتم - اه - هذا انما يتم ويتجه بتعظيم معنى التوهم والتخييل ، حتى يشمل الحكم كل الحيوانات ، لمكان بعض الحيوانات الذي لاحظ له من الحسن الباطني ، فالمعنى العام هو التصور الاحساسي سواء كان بالحسن الظاهر او الباطن ، اذ كل منهما منزلته منزلة التوهم في عدم وجوده الخارجي وفقدانه - فتفهـم ولا تغفل -- .

ص ٢٣٩ س ٢٣ قوله : لا وجود له في الخارج - فان قلت : يلزم على ما حفقت من وجه كون الحيوانة موهومة كون الحيوانة الاخوية العقلانية ايضا كذلك

اذ التعقلات والتصورات والادراكات العقلانية في حق الانسان البشري كلها موجودات ذهنية غير خارجية ، وال الموجودات الذهنية كلها موجودات ظليلة ضعيفة الوجود غير مترب عليها الاثر ، فما الفرق حينئذ بين هاتين القبيلتين ؟

قلنا : فاسمع لما يتنى عليك ويلقى اليك نازلا منزلا عن رب العالمين ،
واعلم ان بين الطائفتين بون بعيد كالبلون بين السماء والارض - اذ الادراكات
العقلانية والتعقلات الانسانية ان هى الامثل وامثلة الحقائق الربوبية ، وصور الاسماء
الحسنى الالهية والربانية . وأظللة الحقائق الربوبية وأمثلتها وصورها العقلانية الفائضة
عنها على قلوب الحكماء والعلماء البشرية عند رسوخها تكون باقية ببقاء مباديها التى
هي أرباب أنواع أصنام هذا العالم - مادامت الحياة الدنياوية ، وعند كشف الغطاء
ورفع هذه الغشاوة ترجع تلك الصور الظليلة والحكايات العقلانية التى هي فروع
تلك الحقائق والاصول الى اصولها وتلتحق بها بضرب من الانحاء وتبقى ببقائتها
الذى هو بقاء الاسماء الحسنى أبد الاباد .

و تلك الصور والتعقلات - المحاكية عن حقائق تملك الانوار الربوبية الواقعة
في صنع من الاسماء الالهية - هي التي وردت في وصف كمالها ونزلت في نعت
جمالها وشرح جلالها : « مالاعين رأت ولااذن سمعت ». .

واما الصور الحسية لـما كانت مأخذها ومبادئها - التي هي الموجودات
الديناوية الدائرة الزائلة - راجعة الى حقيقتها وحقائقها التي هي الاعدام والنقصانات
والفقدانات عند فناء الدنيا فكذلك شأن تلك الصور محصلها يرجع الى دار البوار
والهلاك والحرمان - فافهم (*)

ص ٢٤٠ س ٢١ قوله : بأن مناط وجود الجزيئات المحسوسة - اه - (١) يعني ان وجود المحسوسات في أنفسها ليس وجوداً على وجه الحقيقة ، بل ان هي الا

١- قد حررت هذه الحاشية قبل ان الاحظ مايعد قوله : بأن مناط وجود

الجزئيات - الى آخر الكلام . (المحشى)

أظللة الحقائق النورية العقلية وآثارها وشئونها وأمثلة تلك الأرباب الجبروتية ، وأخذ كون هذه الوجودات الجزئية واعتبار كون هذه الموجودات المادية الحسية وجودات وموجودات في حيال ذواتها على وجه الحقيقة ان هو الحكم الوهم الكاذب والخيال الوهمي العاطل الباطل . فأخذ هذه الموجودات واعتبارها ذاتاً حقيقية واموراً موجودة في مرتبة نفسها على وجه الحقيقة انما هو أمر وهمي لا يطابق الواقع ، ويرتفع هذا الحكم الوهمي عند كشف الغطاء لكل أحد كما يكشف الان لاهل الكشف وهم اخوان الصفا – فافهم (*)

ص ٢٤١ س ٣ قوله : الدنيا بما هي هي – فال الموجودات المادية الدنياوية بما هي دنياوية مرجعها الى العدم الذي هو فقدان الكمال ونقصان الجمال والفقد حجاب بلا ارتياح (*)

ص ٢٤١ س ١١ قوله : كل ما في الكون وهم – كل ما في الكون وهم وخيال من جهة الادراك الذي هو ملاك الالتزام بما فيه عكوس في المرايا وفي المجالى الاحساسية وظلال من الصور البرزخية المشالية التي منزلتها من الامور الكونية منزلة الحقائق من الظلّة ، والظل بما هو ظل شيء وليس بشيء فهو بين الايسية والليسية ، فيليس بصرف ايس ، ولا بصرف ليس – كما هو حكم الامر الوهمي الخيالي – فهو خيال في خيال – هذا .

ولكون الكون خيالاً في وجهه لطيف شريف غير ماشير اليه ، اذ الامور الكيانية والصور الهيولانية من جهة كونها أظللة وخيالات بالنسبة الى اصولها – وحقائقها التي هي الصور البرزخية الملوكية المفارقة – المسمى عالمها بـ « عالم خيال الكل » وبـ « الخيال الكل » مستهلكة فيه مثل استهلاك البدن في النفس فيقال : ان البدن في النفس ، وان قيل في عرف العامي : ان النفس في البدن – ولكل وجهة – فكون كل ما في الكون خيالاً في خيال – اي خيالات جزئية كائنة تدريجاً على نعت التجدد والاتصال الغير القار مستهلك في الخيال الكل ، وهو خيال الكل ، وراجعة اليه رجوع الدنيا الى الاخرة ويوم تبدل الارض غير الارض – فافهم فهم نور واستقم

كما امرت .

ص ٢٤١ س ١٣ قوله : العكس - لم يكن في نسخة اخذت من الاصل والظاهر انه ترك (*) .

ص ٢٤١ س ١٨ قوله : وسوى الحق باطل - فيه تنبئه على سر التوحيد ، ألا الى الله تصير الامور - فاستبصر .

ص ٢٤٢ س ٢ قوله : بعض العلماء - يعني الغزالى (*)

ص ٢٤٢ س ٤ قوله : غرس فيها أشجاراً - ان مادة غرس الجنة الشيطانية واصولها هي بسائق الحروف الظلمانية التي بوضعها الطبيعي وضعت على عكس الحروف النورانية ، وكل من الطائفتين تكون ثمانية وعشرين حرفاً ، كل حرف من النورانية يماني - وهو الوجه الذي به يلى لوح قلب الانسان ويواجه ربه - وكل حرف من الظلمانية شمالي - وهو الوجه الذي به يلى نفسه التي هي شيطانية .

فبالغرس اليماني النوراني تنبت شجرة السدرة بفروعها و لواحقها - من الاغصان والافنان والاوراق - فتشمر أثمارها ، وبالغرس الشمالي تنبت شجرة الزقوم بفروعها ولواحقها كذلك .

وقس عليهما هذه الكتابة في ذلك اللوح الذي له وجهان وصفحتان ، صفحة يمنى وصفحة يسرى ، فاليمني تكتب فيها كلمات الله العليا ، وفي اليسرى الكلمات السفلية (*) .

ص ٢٤٤ س ٢ قوله : نظر كشفي - اي بحث واعتراض حسبما اقتضاه الكشف اذ الكشف يقتضي أن تكون رحمة منه تعالى رحمة امتنانية ، وهذا لا يناسب ارتکاب حذف المضاف المشعر بخلاف ذلك ، كارتکاب حذف استحقاق ثواب جنة وسعتها - فافهم .

ص ٢٤٤ س ٢ قوله : نظر كشفي - لعله ناظر الى قوله تعالى : ﴿ وَآخْرِي دعوينهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [١٠/١٠] حاصله ان الرحمة كلها امتنانية ،

اذ الاستحقاقية منها ايضا راجعة الى اصلها الذى هو الامتنانية ، ومن هذا قالوا :
 «اليه يرجع عوّاقب الحمد والثناء» وفيه قيل :

چون باتوام از توجان دهم آدمرا * و زنور تو روشنی دهم عالم را
 چون بیتو شوم قوت آنم نبود * کز سینه بکام دل بر آرم دم را
 - فافهم واستقم كما امرت .

قوله : خارجة - اه (١) - يعني انه اذا خلّة في حجب السموات والارض لكن لا يدخل شيئاً في شيء ، يعني خارجة عنها لا يخرج شيئاً عن شيء ، اذ منزلة الجنة الصورية الملوكية المعروفة بين العامة بالجنة الجسمانية من هذه السموات والارضين الطبيعية والدنياوية منزلة الجسمية الحقيقة من الجسمية الظلية ، فليس بداخل فيها ولا بخارج عنها كما هو منزلة الحقيقة من مثالها وظلها ، فالجنة التي قال سبحانه : **﴿عرضها كعرض السماء والارض﴾** وسعت السموات والارض كما وسع الكرسي وأحاط بهما ولا يؤدّي حفظهما كما لا يؤدّي حفظ الشاخص والشخص لظله ، اذ منزلة الحقيقة من صورتها الحاكمة عنها - كحكاية الظل لشاحصه و شخصه - منزلة العلة القيمية الفياضة لمعلماتها القائم بها ، قيام صدور ، لاقيام عروض وحلول - فافهم .
 ص ٢٤٤ س قوله : وفي ذكر العرض - والحق هو ان رفع هذا الاشكال بأن يقال : ان تلك الجنة الموصوفة بتلك السعة خارجة عن صدق هذه السموات والارض ، ولها صدق ملوكى وهو ملوكوت السموات ، والملوكوت محاط بهذه الاجسام والاجرام - علوية وسفلى - وهذه الاحاطة ليست كاحاطة جسم بجسم ، بل كاحاطة الروح بالجسم ، وذلك مع كون تلك الجنة جسمانية وصورية مثالية قام عليه البرهان الباهر ، اذ منزلة ملوكوت كل شيء من ملكه منزلة الروح من البدن كما برهن عليه في الفن الذي هو محل تحقيق هذه المسئلة العميقه وموضع حل هذه العقدة التي لا يمكن أن تنحل الا بيد القرم في الدهر .

ص ٢٤٤ س ١٣ قوله : عرضها كعرض السماء والارض - وفي بعض النسخ العتيقة وجد هكذا : وقال بعضهم ان الله قال عرضها كعرض السماء والارض ، والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تناهى . اعدت للذين آمنوا - اي: ادخلت الى قوله من التمحل .

أقول : فعلى هذه النسخة تكون استقامة الكلام في المقام أظهر وسياق البيان في الذب عن المقام أتم وألصق باصابة الحق وباحراق الحق - فليتأمل فيه .

* * *

مراد أهل العلم من كون الجنة فوق السماء السابعة الفوقيه المعنوية ، وهي فوقية الملوك على الملك والشهادة، لأن منزلة الملوك من الملك منزلة الحقيقة من ظلها وصورتها الحاكية عنها .

ص ٢٤٤ س ١١ قوله : قال الحسن - تقرير ما قال الحسن على وجه يصير حسنا مستحسناً - فاعلم تنقلب قيمة الصغرى إلى الوسطى ، والوسطى إلى الكبرى ، حيث حكم أن الجنة الصغرى التي هي جنة القبر الكائنة بالموت - اي الموت المعروف بين العامة - تنقلب إلى الجنة الوسطى ، و الوسطى تنقلب إلى الكبرى التي هي جنة الخلد التي لا انتقال ولا ظعن منها ، وكذلك دار النار ، نار صغرى ، ونار وسطى ، ونار كبرى - هي نار الخلد - يخلد أهلها وفيها ولا مخلص عنها ، هذا ما قامت عليه البرهان .

لكن الحسن ليس باهل هذا المعنى الذي قررنا - فلا تغفل .

ص ٢٤٤ س ١٣ قوله : والجنة المخلوقة في السماء السابعة - يعني مثل كون الملوك في الملك والشهادة ، وبعبارة اخرى: مثل كون النفس في البدن والروح في الجسد . فيصح حكم العكس ايضا اي : كون البدن في النفس .

وسراً ذلك ستير جداً ، عسير نيلا . ولكن كون كل في آخر بمعنى آخر لا بمعنى واحد . فتفطئ ان كنت من أهل التفطين ، اي من أهل الاشارة ، ومما أشرنا يتمكن الناطق من التفطين بسر عدم التناهى - فافهم .

ص ٢٤٥ س ١٦ قوله : موجودة للمؤمنين - يعني : انهم عند كونهم في الدنيا كائنوں في الجنة ، كما ورد في أحاديث أصحابنا : « ان ارواح المؤمنين منذ خلقت الجنة كانت فيها » وكذا حكم أهل النار - سر ذلك هو كون الجنة والنار غير خارجة عن أحسن اهلهما - فافهم .

ص ٢٤٦ س ١٦ أبداً لهم في الدنيا ساكنة - ان كون الابدان ساكنة في الدنيا والارواح سائرة في الجنة غير مختص بالمكاشفين ، بل كما اعترف - قدس سره - قبيل هذا حيث قال : « دليل واضح - الى قوله : - موجودة للمؤمنين » يعم كل مؤمن - مكاشفاً كان او غيره .

نعم - ان كشف ذلك وانكشافه وشهوده مختصة بهم ، وبون بين أصل الكون في الجنة في حال حياة الدنيا وبين شهود ذلك الكون ، ففي قوله هذامسامحة ما ، والمقصود هو ما أظهرنا كما قال صريحاً في صدر هذا الكلام ، والتزاماً فيما قال قبيل هذا - هذا .

ص ٢٤٦ س ٢٢ قوله : ولا بد ايضاً أن يعلم - اه - فمن هيئنا قال أهل الحق بكون الحسن والقبح في الاعمال ذاتيين وعقليين ، بمعنى ان بين شجرة العمل وثمرتها اتصالاً عقلياً وملازمة عقلية ، وايضاً من هنا قال عليه عليه الله : « انما هي اعمالكم ترد عليكم - او اليكم - » .

ومما يشير الى ما يترب على ذلك ويتفرع عنه من غرائب الاسرار وسرائرها كون كل قول من الانسان وكل فعل وعمل صدر عنه - بما هو انسان - انساناً ، وأما ما صدر عنه لا بما هو انسان - بل بما هو كلب او خنزير او غير ذلك من طبائع الانواع المخبيئة للدنيا - فهي راجعة الى اصولها التي هي مباديهما من الملكلات الرذيلة ، كل بما يجده ويشاكله ، كما قال عزَّ من قائل : ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَكْلِه﴾ [١٧/٨٤] تفطن .

ص ٢٥١ س ١٦ قوله : حيث أبرز مكونات المكونات - اه - يعني ان مضمرات الكائنات الحادثات بعد أن لم تكون التي هي صور علمية لها - اى للحوادث الكائنة

بعدان لم تكن ابرزت - اي تلك المضمورات الصورية العلمية أولاً في القضاء بوجه الاحتفاظ وفي القدر بوجه المحو والاثبات تقدمة العلم بها على وجودها وایجادها في العين .

وقوله : ثم اظهر مستورات الحقائق وخفيات المخلوقات - التي هي العقول وما معها ، كما ان مكونات المكونات من الجسمانيات وما معها - اي : ثم اظهر تلك المستورات والخفيات التي هي من الروحانيات الجبروتية والحقائق واللطائف الملكوتية العاليات التي ما ببرحت ولا تبرح أبداً من وطنها على منصات المحسوسات الزمانية المكانية ، على عين المعاملة مع الجسمانيات الكائنة . اي : انزل تلك الحقائق واللطائف الجبروتية الى ان اظهرها وأبرزها بصورة أصنافها وأمثلتها الحسنية . فان هذه الحسييات المجزئية المحسوسة ان هي الا نزولات تلك الحقائق الالهية ، كما ان تلك الحقائق الحقيقة انما هي هذه المحسوسات الخلقية ، وظاهر ان ثبت الجسمانيات بأسبابها في الموضعين العاليين مقدمة على نزول الحقائق وثبيتها في لوح المادة الهيولانية ، تقدم القضاء والقدر على المقصى والمقدر .

هذا هو محصل معنى كلامه هيئنا ، ولكن في طور بيانه نوع تعقيد صعب حله وهو - قدس سره - متعمد فيه لكن الى ما أشرنا اليه من الرموز والكتنوز المكتنزة فيه فافهم ان كنت من أهل اشاراتهم المرمززة بها ... قل من يهتمد اليها ، فلو لم يقدر طور البيان لم تتمكن ولا يمكن أحد من ذلك التقطن - تقطن يا قرة عيني المفترض .

ص ٢٥١ س ١٨ قوله : فاستمع لشرحه - حاصل محصل هذا الاستماع هو فحوى قوله سبحانه : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [٥٤/٥] .

که هر جاهست حسن اینش تقاضاست نخست این جنبش از حسن ازل خواست فلما آن الحق آن بیری عینه او اعیان صفاته العلياء وأسمائه الحسنی من حيث أسمائه تعالى التي لا يبلغها الاحصاء في كون جامع ينحصر (يحصر) الا في وجوده وعند وجوده ويظهر سره تعالى اليه جل وعلا ويؤدي أمانته اليه ، فاقتضى

الامر جلاء بذات العالم بایجاد آدم الذى خلقه على صورته ، وكان منزلة آدم من العالم منزلة انسان العين من العين ، وفي وجه آخر كان منزلة آدم من حضرة الحق منزلة انسان العين من العين الذى به يكون النظر الابصاري والبصر.

فيه - اي بآدم الذى منزلته منه تعالى منزلة انسان العين فى باب النظر و البصر - نظر الحق الى الخلق فرحمهم ، لانه الغاية التى لا جلها خلق الحق خلق (١) العالم ، و خلق العالم لاجل آدم ، و خلق آدم لاجل نفسه لكي يرى عينه بأعيان الصفات العليا والاسماء الحسنى بعينه التى هى آدم الحق الحقيقى ، خليفة الله فى كلية العالم و العالم الكلى ، كما فى القدسى : « كنت كنتاً مخفياً فاحببت أن اعرف » اي أن أرى بعينى عينى وأعيان صفاتى و كمالاتى - كمالات جمالى و جلالى - فخلقت المخلق المتأدى و جودهم الى خلقة عينى التي بها أرى عينى وأعيان كمالاتى ، فهذا هو نوع اشارة خفية لطيفة الى محصل فحوى قوله تعالى :

﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وهم خمسة واربعون كما ان آدم كذلك .

هذا هو خلاصة ما أفادت أساطير العلم فى مثل مقامنا هذا .

ص ٢٥٢ س ٤ قوله : ان رحمتى سبقت غضبى - يعني ان نشأة رحمة الله التي هي الرحمة الخالصة الغير المشوبة بشوائب من الغضب هي نشأة العقول القدسية والرواح المقدسة الكلية الالهية، التي هي خزانة رحمة الامتناهية، وهي بعينها مفاتها خزانة ، فهي السابقة على سائر النشأت الخلقية ولا سيما على النشأت الهيولانية السفلية التي هي الدركات السفلية ببرازخها التي هي جهنم الاشقياء و ملك الشرو ملائكة ، ومدار السخط والغضب انما هو هاوية الهيولى كما تقررت في محله .

ص ٢٥٢ س ١٤ قوله : القرية الجسمانية - يعني ان النقص والقصور في الوجود - حسب ما تقررت في محله - خاصة النشأة الهيولانية التي موجوداتها علوية كانت او سفلية - ناقصة غير تامة في باب الوجود و أحواله ، و النشأة - الهيولانية

- مادامت هيولانية - منفعة غير فاعلة ولا فعالة أبداً ، والفعل الإيجادي والافاضة الكائنة مختص بالعالم التام فوق التمام الذي هو الاتمام .

ص ٢٥٣ س ٨ قوله : وهو المسمى بـ « ام الكتاب » - يعني من ام الكتاب اللوح الاعظم المسمى بـ « - اللوح المحفوظ » والقلم الذي امر بـ ان يكتب فيه كل ما كان وما يكون الى يوم القيمة هو « القلم الاعلى » وأما العقول اللوحية فهي الاقلام الفيضاة الواسطة بين القلم الاعلى وبين سائر الالواح الكليات التي هي دون اللوح الاعظم و بعده ، ومنزلة اللوح الاعظم من سائر الالواح التي دونه رتبة منزلة العلوية العلياء بعد المحمدية البيضاء من سائر الانبياء الاولى الاوصياء من الامم السالفة ، ومنزلة الفرقان المحمدى من سائر الكتب السماوية المنزلاة على سائر الانبياء .

ومن هيئنا قال تعالى حكاية عن عيسى بن مریم ﷺ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسيك ﷺ [١١٦/٥] اي ما في العلوية العليا التي قال فيها ﷺ وانه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم ﷺ [٤٣/٤٣] ومن هنا سميت العلوية العليا التي هي نفس الكل بذات الله العليا ، كما سميت بسدرة المنتهى وشجرة طوبى وجنة المأوى .

ص ٢٥٣ س ١٨ قوله : بالقلم على اللوح - يعني القلم الاعلى واللوح الاعظم المسمى بـ « ام الكتاب » ،

ص ٢٥٣ س ١٧ قوله : في النفس الناطقة - اه - اي النفس الناطقة التي هي نفس فلك الشمس ، فاللوح الاعظم ، المسمى « بـ ام الكتاب » هي نفس فلك الكرسى المقدم في الوجود على السموات السبع والارضين السبع وكل من اللوحين لوح محفوظ .

ويحتمل غير بعيد عقلاً أن يرافق قلب العالم نفس الحجة في كل زمان ولكن حمل الكلام هيئنا عليه بعيد - هذا .

ولما كان أمر فلكي العرش والكرسى بنفسهما منفرزتين مفروزن عن السموات

والارضين السبع ، والمراد من العالم هي هنا العالم الطبيعي الكلى المحتوى على السمومات السبع و الارضين السبع - و اما فلك العرش المعروف بالفلك الاطلس و بفلك الافلاك وكذلك فلك الثواب المعروف بالكرسى فشرح حالهما خارج عن السمومات و الارضين لكونهما في وجه من الاعتبار خارجين عن العالم الطبيعي داخلين في البرزخ المثالى - أفرزهما فى البحث وأشار اليهما بالاشارة الى أصليهما الذين هما مثلاً لهما ، وهما المشار اليهما هي هنا بالقلم واللوح - اي عقل الكل ونفس الكل - هما المحمدية البيضاء والعلوية العلياء ، وفي المقام بعد مسائل و معارف لا يسع المجال لبيانها .

و هذا الذى علقنا هي هنا انما يتوجه ويستقيم على تقدير كون أصل النسخة كذلك واحتمال السهو والتصحيف وغير ذلك قائم ، ولكن ظاهر مساق الكلام هو الاستقامة وصحة هذه النسخة - فافهم .

ص ٢٥٥ س ١٨ قوله : فحركة الاعضاء - لقائل أن يقول : ان حركة الاعضاء ان هي الانفس أفعال نفس الانسان التي تظهر في مادة الاعضاء فتكون منزلة هذه الحركات و الأفعال منزلة ظهور أفعاله تعالى في لوح الهيولى الخارجية ، فمن أين وأنني يتصور أن تكون منزلة هذه الحركات منزلة الحركات السماوية ؟
 فنقول : ان هذا السؤال بظاهر الامر . . . حل عقده ، لكن لنا أن نقول في حله : ان حركة الاعضاء البشرية المركبة من المادة العنصرية المقسورة ومن الطبيعة القاسرة لها الصارفة ايها عن الانحلال تتوزع إلى حركة نفس الطبيعة المتصرفه في المادة العضوية العنصرية ، وإلى حركة نفس المادة العنصرية ، فالحركة الطبيعية المتصرفه السابقة على الحرقة العضوية - بماهى حرقة مادة انفعالية -- هي بمنزلة الحرقة السماوية التي هي تحريك بالنسبة إلى المادة العنصرية ، والحرقة العنصرية بماهى محرك للمادة العنصرية العضوية تتفرع عن تلك الحرقة الطبيعية التي هي بعث و تحريك بالنسبة إلى المواد العضوية .

فهيئنا عند التحقيق والتدقيق حر كتان : احديهما ذاتية للطبيعة التي هي جند النفس البشرية ، والآخرى تتفرع عن تلك الذاتية النازلة من عند النفس باعثة لانفعالات المواد العنصرية المقصورة و بحر كات الاعضاء بماهى عنصرية . هكذا ينبغي أن تتحل عقدة هذا المقام - والسلام .

ص ٢٥٦ س ١٢ قوله : و الطور - يعني ان الطور هو عقل الكل والقلم الاعلى و كتاب مسطور هو ما كتب في اللوح الاعظم - في رق منشور هو نفس اللوح الاعظم المسمى باسم الكتاب ، و مراده من سماء الدنيا ينبغي أن يكون السموات السبع بجملتها ولم تأبى عنه بعض فقرات عبارته هيئنا .

ص ٢٥٧ س ١٥ قوله : فاجملوا في الطلب - لعل الامر بالاجمال في الطلب هو الامر بتحصيل ملكة «الحكمة» التي هي من رؤساء الملكات الكريمة والاخلاق الحميدة المأمورة بها ، التي تقابلها «الجربزة» المذمومة و«البلادة» المذمومة اللتين هما طرفا الافراط والتغريب بالنسبة الى الحكمة التي الملة الوسطى من صفات النفس الانسانية من جهة قوتها العملية ، فللطلب حد وسط ممدوح وافراط وتغريب مذموم ، وهذا الطلب هو الطلب العملى الذى افراطه مضر مانع عن السلوك الى الله وكذلك تغريبه .

ص ٢٥٧ س ١٥ قوله : فاجملوا في الطلب - ان لاجمال الطلب لوجها آخر أبين مما ذكرنا في الحاشية وهو أن يركب الطلب بمجرد الامتثال لامر الله تعالى ، فقد يلتفت الى طلبه قصدأً أولاً وبالذات ولا يتتكل على عمل نفسه ، وان كانت تمامها أعمالاً صالحة ولا يرى مساعي نفسه في الوصول الى الغايات والسعادات ، بل وجب أن يتتكل في باب الدنيا والآخرة على فضل الله تعالى وكرمه لاعلى عمل نفسه چشم بر اجر عمل از کوری است * طاعت از بهر جزا مزدوری است - فافهم .

ص ٢٦٠ س ٤ قوله : أدنى درجة الرضى - يعني الرضى من العبد لكل ما قضى وقدره المولى ، فالفائت والاتى كل منهما اذا كان بقضائه وقدره تعالى ، وكل ما كان بقضائه وقدره سبحانه اذا كان مرضياً عند العبد ، فمن أين [و] أنى يرد

عليه الحزن على مآفاته او الفرح بما اوتى ؟ اذ الكل عنده بمنزلة واحدة .
ص ٢٦١ س ١٩ قوله : اختياريما واجبا - اي : واجبا بالاختيار . ومن هيهنا
قال المحقق الطوسي القدوسي - أعلى الله مقامه - « الوجوب بالاختيار لainافى
الاختيار بل يؤكده ويقرره » .

ص ٢٦١ س ٢١ قوله : وما جبر البعد الاختيار - كما أشرنا اليه بقولنا :
« الوجوب بالاختيار » .

حاصله : ان اضطراره مستند الى اختياره . وأصل السر في كل ذلك هو
كون العبد الانساني مضططر في اختياره ، بمعنى أنه لا يمكن من أن يصدر أفعاله
وأعماله لبارادته واختياره ولا يمكن من أن يريد ويختار من دون فكره واعتباره ،
 فهو مضططر في اختياره ، وفي اختياره مضططر الى علمه واعتباره ، ومن هيهنا قال عز
من قائل : ﴿لا كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [٢٥٦/٢] في اعتباره
وبحسب استبصره .

ومع ذلك كله « ما تشاوون الا ان يشاء الله » كما لا يجودون الا أن يوجد الله
-- فافهم فهم نور لا وهم وزور .

ص ٢٦٢ س ١١ قوله : قال بالقدر والتقويض - يجب أن يعلم أن لقب القدري
في عرف الاخبار وأهل العلم يطلق بمعنىين : أحدهما القدري التقويضي الشبيه
بالمجوس الثنوى - وهو القول بكون العبد في أفعاله الاختيارية مستقلاً وقدراً
بالقدرة الانفرادية البائنة عن قدرة الباري تعالى بينما نون العزلة ، التي تلزمها كون
العبد بقدرته التي خلقها فيه الباري تعالى شريكاً وشبيهاً له تعالى في صفة القدرة ،
غير راجعة قدرته إلى قدرته تعالى ، وهكذا في الوجود وكمالات الوجود بما موجود كلها .
من العلم ، والارادة ، والاختيار ، والسمع ، والبصر وغير ذلك من أحوال الوجود
بما هو وجود -- وهذا هو الشرك الجلى المنافي للتوحيد الحق عند أهل التوحيد
الحق الذي يكشف عنه قوله تعالى ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ [٤٢/٥٣] ونظائره
من الآيات المحكمات .

وثنائيها : هو القدرى بمعنى كون أفعال العباد مثل سائر المخلوقات واقعة بقدرتة تعالى وبقضاءه وقدره ، وكل قدرة وارادة و اختيار غير قدرته و اختياره تعالى - وان كانت وقعت فى البين ورابطة بين الفعل وأصل مصدره الذى هو منتهى سلسلة الحاجات وهو قدرته سبحانه ، لكنها كلها غير مؤثرة الا بقدرتة متفرعة عنها لأثر لها بحسب أنفسها ، بل بقدرتة جل وعلا ، فهو المؤثر حقيقة وبالذات . فالقدرى بهذا المعنى يضاد القدرى بالمعنى الاول ويقابله تقابل التوحيد للشرك وفيه . . . فلاتغفل .

ص ٢٦٢ س ١٠ أما القدرى - اعلم أن فى المقام مذاهب و مشارب أربعة :
أولا : الافراط فى التشبيه ، وهو القدرى التفويضي والمجوسى الشنوى .
ثم الافراط فى التنزيه الراجح من حيث لا يشعر قائله الى الافراط فى التشبيه وهو المجرى الاشعري الغير الشاعر بفساد أمره - وهم أأشنع المذاهب الباطلة وأكدر المشارب الكدرة المنكرة .

ثم مشرب القدرى الناظر الى القدرة القديمة والقاطع نظره عن الوسائل والاسباب القريبة ، وان كان قابلا بسببيتها وواسطتها عند عرضها عليه ولكن غير ملتفت اليها بل يقصر نظره الى العلة الاصلية القديمة ، وهو ذو العين اليمنى وعمى عينه اليسرى كأنه لا يرى بها أصلا .

ثم الناظر الى الاصل القديم فى مقام التوحيد باسقاط الاضافات ومحوالاته والتعيينات التى هي انحاء تجليات الذات القديمة وشئونه الذاتية التى يبديها ، وليس بشئون يبديها وهو التنزيه الذى طوى فيه بساط التشبيه طرأ ، فصاحب هذا المقام من التوحيد الحق هو المستغرق فى شهود الجلال لم يتم تحقق بعد له مرتبة الجمع بين المحو الجالى والمصحو الجمالى حتى يرى التنزيه فى عين التشبيه وبالعكس ، ويرى التوحيد فى عين التكثير ، والتکثير فى عين التوحيد .

وهذا . . . الذى ينظر اليه . قوله تعالى : ﴿أَلم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك - السورة ﴿١/٩٤﴾ .﴾

ص ٢٦٢ س ١٦ قوله : به سبحانه لا بالاستقلال - فيه سر الحقيقة وروح الصدق الكاشف عن تحقق منزلة بين المزتين اوسع مما بين الارض والسماء - فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كما في :

چون باتوام از تو جان دهم آدم را * وزنور تو روشنی دهم عالم را
 چون بی تو شوم قدرت آنم نبود * کز سینه بکام دل برآرم دم را
 فافهم فانه غامض جداً ، كيف لا وفيه سر التوحيد الحق وقد قالوا عَلَيْهِ السَّلَامُ التوحيد
 الحق هو الله ، والقائم به رسول الله ، والحافظ له نحن ، والتابع فيه شيعتنا -
 لفظ بهم .

ص ٢٦٣ س ٢ عن مضيق البون - فالنظر الجامع بين الحقيقين هو القول بالامر بين الامرين بلا مبين وشين أصلاً .

ص ٢٦٣ س ٤ قوله : فاصبحت الكثرة -- ان سر السرفى كل ذلك هو كون الزمان والزمانيات - التي لا بداية لها ولا نهاية -- فى طومار الزمان الغير المتناهى من جانب الازال ومن جانب الاباد بالنسبة الى العالم الحقانى من المبادى العالية مطوية نازلة منزلة الان البسيط الغير المتتجزى أصلاً ، وكذلك أمر المكان والمكانيات بتشتتها وتكتثرها وتفرقها الى غير النهاية بالقياس الى ذلك العالم السبحانى كالنقطة .

ص ٢٦٣ س ٤ قوله : فإذا رجع الى الصحو -- فبهذا الرجوع يتم تتحقق بحقيقة معنى قول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لاجير ولا تفويض ، بل أمر بين الامرين ، ومنزلة بين المزتين » كما حققناه قبيل هذا - قل هذه سببى أدعوا الى الله أنا ومن اتبعنى ولكن حق نيله صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب ، اونبى مرسل ، او مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، وهو المؤمن حقاً .

ص ٢٦٣ س ٧ قوله : فهو الولي المحق - فاوئتك الاولى الكاملون الواصلون هم القائمون بمقامه تعالى فى قرب النوافل ، وهو سبحانه القائم بمقامهم فى قرب

الفرائض، الذي يقضى ان [يكون] العبد مختفياً وباطناً غير ظاهر والحق ظاهرأَغْيَر مختف وفى قرب [النواول] يكون الامر منعكساً .

ص ٢٦٤ س ١ قوله ﴿اعملوا كـل مـيسـر لـما خـلقـ لهـ سـرـ الـامـر بـالـعـمل مـعـ تـحـقـقـ «جـفـ القـلـمـ بـمـا هـوـ كـائـنـ» هـوـ اـنـهـ لـمـا خـلـقـ سـبـحـانـهـ القـلـمـ - اـىـ القـلـمـ الـاعـلـىـ -- قالـ لهـ : «اـكـتـبـ» يـعـنـىـ فـىـ الـلـوـحـ الـاعـظـمـ الـذـىـ هـوـ اـمـ الـكـتـابـ المـسـمـاـ بـ«نـفـسـ الـكـلـ» وهـىـ «حـوـاـ الـاـولـىـ» اـمـ الـخـلـاقـ كـلـهاـ مـنـ الـعـلـوـيـاتـ وـالـسـفـلـيـاتـ جـلـّـهـاـ وـقـلـّـهـاـ .

فـكـتـبـ القـلـمـ الـاعـلـىـ الـمـسـمـىـ بـ«عـقـلـ الـكـلـ» وـ«الـمـحـمـدـيـةـ الـبـيـضـاءـ» كـلـ ماـ كـانـ وـمـاـ يـكـونـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ الـكـبـرـىـ فـىـ الـلـوـحـ الـاعـظـمـ الـمـسـمـىـ بـ«الـعـلـوـيـةـ الـعـلـيـاءـ» فـكـلـ ماـ يـتـجـدـدـ وـيـتـكـوـنـ وـيـقـضـىـ وـيـتـصـرـمـ عـلـىـ نـعـتـ الـاسـتـمـرـارـ التـجـدـدـىـ فـىـ عـالـمـ الـقـدـرـ الـعـلـمـىـ وـالـقـدـرـ الـخـارـجـىـ فـهـوـ مـبـثـتـ فـىـ الـلـوـحـ الـمـحـفـوظـ الـمـسـمـىـ بـ«الـلـوـحـ الـاعـظـمـ» عـلـىـ وـجـهـ الـثـبـاتـ وـالـتـقـرـرـ السـرـمـدـىـ ، وـالـبـقـاءـ الـغـيـرـ الـمـتـغـيـرـ الـمـحـفـوظـ عـنـ التـغـيـرـاتـ كـلـهاـ وـعـنـ التـقـضـيـاتـ وـالـتـصـرـفـاتـ جـلـّـهـاـ وـقـلـّـهـاـ .

وـعـالـمـ الـقـضـاءـ الـمـكـتـوبـ بـالـقـلـمـ الـاعـلـىـ عـلـىـ الـلـوـحـ الـاعـظـمـ هـوـ عـالـمـ الـحـقـ الـبـاقـىـ بـيـقـائـهـ وـيـسمـىـ بـ«الـحـقـ الـاضـافـىـ» التـابـعـ فـىـ الـبـقـاءـ وـالـثـبـاتـ لـلـحـقـ الـحـقـيـقـىـ وـالـعـلـمـيـةـ الـاـزـلـىـ الـكـمـالـىـ الـذـاتـىـ - تـبـصـرـ بـالـتـدـبـرـ فـيـهـ فـانـهـ لـطـيفـ جـداـ ، غـامـضـ عـمـيقـ حـتـماـ . ص ٢٦٤ س ٣ قوله : فـىـ اـمـرـ مـسـتـأـنـفـ - هـذـاـ هـوـ الـجـمـعـ بـيـنـ الـحـقـيـقـيـنـ كـمـاـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ قـبـيلـ هـذـاـ .

ص ٢٦٤ س ٨ قوله : فـهـىـ مـعـرـفـاتـ - ظـاهـرـهـ الـمـتـبـادرـ أـنـ الـحـرـكـاتـ وـالـاـرـادـاتـ الـحـسـنـاتـ وـالـسـيـشـاتـ الصـادـرـةـ عـنـاـ مـعـرـفـاتـ لـاـمـوـجـبـاتـ ، فـانـ الـمـوـجـبـاتـ لـهـىـ الـاـمـرـ المـزـبـورـةـ فـىـ الـزـبـرـ الـتـىـ هـذـهـ الـحـرـكـاتـ مـنـاـ كـاـشـفـاتـهـاـ .

وـأـمـاـ اـرـجـاعـ الـضـمـيرـ إـلـىـ الـمـكـتـوبـاتـ الـمـحـفـوظـةـ لـعـلـ لـهـ وـجـهـاـ غـيرـ مـوـجـهـ عـنـدـ التـحـقـيقـ وـتـحـدـيقـ النـظـرـ وـتـحـدـيدـ الـبـصـرـ ، وـانـ كـانـ مـوـجـهـاـ فـىـ بـادـىـ النـظـرـ - فـتـدـبـرـ فـانـ فـيـهـ سـرـ الـقـدـرـ .

ص ٢٦٥ س ٣ قوله : مـبـادـيـهـاـ - اـىـ الـمـبـادـىـ الـاـعـدـادـيـةـ الـتـىـ هـىـ اـفـعـالـنـاـ وـأـعـمـالـنـاـ

باختياراتنا واراداتنا، وهى علل وأسباب اعدادية تعد وتهىء أنفسنا لاستحقاق نزول الآثار من المبادئ الفعالة فى ألواح أنفسنا حسبما تهيأت أنفسنا بأعمالنا - تفهم . ص ٢٦٥ س ٤ قوله : فى العقبي - ان نشأة عقبانا هى بعينها نشأة ألواح أنفسنا وأرواحنا التى أراضى زرعنا .

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر

کای نور چشم من بجز از کشته ندروی

ص ٢٦٥ س ١٣ قوله : فكيف يحصل الاسباب - يعني من الاسباب: الاسباب القريبة ، ومن المسببات المسببات الدانية ، بينهما علاقة اتصالية . . . ومن هيئنا يتتحقق القول بكون الحسن والقبح عقليين ذاتيين في الاوامر والنواهى الشرعية . ص ٢٦٥ س ١٤ قوله : والجميع معلومة له تعالى - دليل آخر .

وأما قوله : قبل وجودها ومعها وبعدها - اي قبلية ومعية وبعدية مجتمعة اجتماعية في وجه من الاعتبار لا يعرفه الا الراسخون في العلم . وأما قبلية والمعية والبعدية الغير الاجتماعية فهي اوصاف يتصف بها علوم او لياته تعالى القائمين بمقامه - كما مرّ منا .

ص ٢٦٥ س ١٥ قوله : ومعه - ان كون علمه تعالى بالحوادث المتغيرة مع وجوداتها الحادثة الكائنة بعد أن لم يكن حكمه حكم كون ذاته تعالى معنا أينما كان كما قال عز من قائل : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ مع كوننا موجودات كائنة بعد ان لم نكن ، فكل ما يقال هنالك يقال هيئنا .

وتلك المعية هي المعية القيسومية فكذلك هنا ، ولب لباب معناها هو رجوعها إلى الوحدة الممحضة كما تقرر في محل تحقيق المعية القيسومية ، وسر ذلك كون علمه تعالى في كل مقام عين ذاته لمكان احاطته تعالى - ألا انه بكل شيء محظوظ .

ص ٢٦٥ س ١٥ قوله : بل باعتبار تجدد الاشياء - اه - هذا من الغواضض الالهية التي حلّ عدتها صعب مستصعب لا يحتمل الا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان - والضابطة فيه هو كون هذه الصفات المتغيرة والتغيرات الخلقية من صفات

أوليائے تعالیٰ الذين تخلّسوا بأخلاقه سبحانه و تحققوا بصفاته العليا في مقام الخلافة عنه ، وكما ان اولئك الاولياء الذين فروا عن أنفسهم قائمون بمقامه تعالى فكذلك هو سبحانه كان قائماً بمقامهم عند أسماء أمواههم وأنفسهم ، فهم نعم الانفس فذ كروه تعالى مثلاً به عنده له سبحانه - تلطّف فيه حتى تبصّر وتتفهّم .

ص س قرله : موصوفين بهذه الصفة - اى موصوفين حين كونهم موصوفين بهذه الصفة ، ولايلزم من كون وجودات المعلومات مؤقتة حينية كون علمه تعالى بها وبوجوداتها وأحوالها المؤقتة مقيداً بوقت وجود المعلوم ، فالعلوم بما هو موقت زمانى معلوم له تعالى ، ولكن علمه تعالى بوجوده الموقت وأحواله المؤقتة مع كونه عين وجوده الموقت والاحوال المؤقتة ليس بمؤقت ولا مقيد بوقت الوجود وأحواله .

فقوله : وأما ما قبل ذلك الابتلاء فإنه علمهم مستعدين للمجاهدة – إلى قوله –
بعد حين – فكذلك ليس المراد علمه تعالى بكونهم مستعدين موقتاً ومقيداً بقبل
ذلك ، بل القبليّة قيد وتقيد وقت وتوقيت للمعلوم الذي هو متعلق علمه تعالى ،
فالعلم الازلي القيومي المحيط المنزه عن ثبوته التقابل – وإن كان عين وجود
المعلوم وعين حضوره لدى العالم المحيط – لو فرض كونه موجباً ومقيداً بزمان
القبل أو المع أو بعد للزم نقض الاحتاطة النافية المسالحة القائلة لاصول شجرة
الثنوية التقابلية – فافهم فهم نور .

* * *

والحاصل ان العلم الاحاطى كالوجود الاحاطى لايمكن أن يكون ويوجد له ثان ، حتى يتقييد بوقت دون وقت ، ويوقت بحين غير حين ، فلايمكّن سلطانه وقهر مانه الذى هو بعينه قهر مان الوجود الاحاطى علمأ آخر ثانياً (بائناً) له أن يظهر فى عرضة ظهوره وان يحضر فى عرصة حضوره ، فان كل ذلك تنافى سلطانه وقهر مانه ، فلومكّن سلطان النور المحسنى الشمسي ، القاهر للكل ، الباهر فى الجل والقل فى عرصة انارتة القاهرة نورا آخر من أن تدور وتتير قهراً من العرصة الشمسية - والشمس

هذه - وهى المثل الاعلى فى عالمنا الحسى هذا لنور الانوار المعنوية ، وشمس الشموس الحقة الحقيقة - لامكن أن يمكّن شمس الحقيقة - جلت عظمتها - شمساً اخرى ، او قمراً آخر او أكبر او أصغر فى عرصه الانارة ان تنور او تنير ، فإذا لم يمكن هذا لما أمكن ذلك بالنظر الاولى - فاحفظ بهذا لکى (١) فى كل ما هو مبتغاك .

ص ٢٦٩ س ١٣ قوله : ولا تكون هذه الشقاوة - يعني العملية منها ، لقوله بانقطاع العذاب بمعنى الالم والتألم شخصاً ، وان كان سرمدياً نوعاً ، كما تقرفي محله من مشرب القائلين بذلك الانقطاع الشخصى ، وأما الشقاوة الجهلية التى هي حقيقة الشقاوة فهى عندهم سرمدية شخصاً ونوعاً - هكذا قالوا .

ص ٢٧٣ س ١٢ قوله : فيه سر : كأنه اشاره الى كون القوة العملية والعقل العملى من النفس اللايمية ذات كفتين : كفة اليمنى فيها العمل الصالح ، وكفة الميسرى فيها العمل الطالح ، فيؤمر بالموازنة حين يظهر الغلبة لاحديها فيحكم على حسبها ، او لم يظهر فينساق فتحكم الحسية ، وبالجملة فلامضائقه للعقل الواقع عن أسرار الشريعة الحقة من أن يجوز بمثل ذلك المعنى بهذه الصورة المناسبة له ، المماثلة والمجانسة له في رفع أصل المعنى ، كما قال عليه السلام : « الناس نیام » وقال : « كلّ الناس على قدر عقولهم » .

فلهذا السر المستور عن أعين الناس اضطرّ واالرسـل والـاوـصـيـاء إـلـى التـمـثـيل والتـصـوـيـر لـحقـائـقـ الـمعـانـيـ فـىـ مقـامـ الـبـيـانـ بـالـمـثـلـ وـالـصـورـ الـتـىـ تـنـاسـبـهاـ وـتـجـانـسـهاـ ليتسهـلـ الـأـمـرـ فـىـ بـابـ الرـسـالـةـ وـالـتـبـلـيـغـ .

ص ٢٧٦ س ٢ قوله : اذ اليقين - لعمر الهى ان عالم اليقين هو عين الواقع ونفس الامر الذى يسمى بالحق الاضافى ، المسمى بعامل الامر (*)
ص ٢٧٦ س ٢٠ قوله : بالشق والرم - اما «الشق» فشكق القمر المعروف ،

واما «الرم» فهو كأنه يراد منه معنى الرميم - يعني الاندراس والاضمحلال - .
 ص ٢٧٧ س ٢ قوله : اى عالم الوحدة - كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا
 وَاحِدَة﴾ [٥٠/٥٤] والتعدد والتکثر فى تلك العالم الحق الاضافي ليس بذاتى له
 بل عرضى بعرض بما يتعلق الامر بها ، فالحقيقة واحدة بالذات يتکثر ويتعدد بتکثر
 المتعلقات وتعددها (*) .

ص ٢٧٧ س ١٠ قوله : وبالقوة الحساسة - اما القوة الحساسة النبوية فلكون
 منزتها من سائر الحواس التي لسائر الناس منزلة الروح من الجسد ، كما في الخبر
 عن أحد من الصادقين ﷺ في قصة طويلة ما محصله : «ان لنا مع كل حس حساً»
 وكذلك كون منزلة قوته المحركة من سائر المحركات الجسمانية ، ويعبر عن تلك
 المعية بالمعية القيومية ، وقد يختلف الاوقات حسب اختلاف الاحوال في مادة
 شخص واحد من الانبياء في باب تلك الاحاطة الوجودية والمعية القيومية وجوداً
 وعدماً ، وجداً وفقداناً ، والى هذا المقام العالى من المعية كانه يشير قوله تعالى :
 ﴿النَّبِيُّ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِم﴾ [٦/٣٣] فهم ﷺ رحمة على المؤمنين
 أشداء على الكفار - فاعتبروا يا اولى الابصار .

ص ٢٧٧ س ١١ قوله: تسلط العالى على السافل - ان سر تسلط العالى على
 السافل انما هو كون وجود العالى وجوداً احاطياً ، فلو لم يكن له ضرب من تلك
 الاحاطة الوجودية لما مكنته السافل من التصرف فيه ، ومن هنا قيل :
 فيض روح القدس ارباز مدد فرمайд * ديكَرَانْ هُمْ [بكشنده] آنچه مسيحها می کرد
 وظاهر ان منزلة روح القدس من مواد الاموات او الجمامات مثل منزلة
 الروح من الاجساد .

ص ٢٧٨ س ١٠ قوله : هورقلينا - منزلة هورقلينا من المثال الطبيعي منزلة
 الصور المبصرة بالذات المفارقة عن المواد الطبيعية من الصور والاشكال . . .
 المادية ، فان مرتبة هورقلينا في التجدد والانسلاخ عن جلباب المادة من العوالم

التعليقات

المتوسطة منزلة نشأة الباصرة منها في الحواس الظاهرة من نشأة القوة الخيالية منها، فإن الباصرة خارجة عن محدد الجهات ذاتاً وداخلة فيه تعلقاً ببعض العين الذي هو قطعة من البدن العنصري .

ص ٢٧٨ س ١٢ قوله : اي يتجلى على الحس الباطنى للنبي المسمى بالخيال فتنزل وتمثل لخياله بصورة شخصية ملکية حاملة لصورة كلامية يشاهدها الحس الباطنى ويستمعها بسمعه الباطنى فى حال اليقظة، وكذلك فى مشاهدة شخص الملك الحامل للوحى بصره بعينه الباطنية الخيالية .

ص ٢٧٨ س ١٤ قوله : واللفظ لمعنى - اي بحسب الدلالات الطبيعية لا بحسب الاوضاع الجعلية الغير الطبيعية العامة، ومن ثمة قيل : « ان الاسماء تنزل من السماء» وهذا هو منزلة الاوليات اذ منزلة الحروف والكلمات المنزلة من السمات الروحانية الى ارض الحواس -- كتابية كانت او كلامية - من الحقائق والمعانى الالهية منزلة المثل والصور والامثلة والاظلة من اعيان اصولها وحقائقها ، والتطابق بينهما ضروري جوهري ذاتى ، حيث كانت منزلة كل حقيقة من صورتها ومثالها منزلة الحد التام، وبالعكس تكون منزلتها من حقيقتها منزلة الحد الناقص، وكذلك حكم كل علة فياضة مع معلومها ، و من هيئتنا يكون علمه تعالى بذاته بعينه عين علمه تعالى بالأشياء على وجه آكد و أقوى و أعلى من علمها بانفسها في مرتبة نفسها .

ان سر "السر" في ذلك السر المكتوم هو كون بسيط الحقيقة كل الاشياء بوجه أعلى ، ليس بشيء منها - ماللتراب ورب الارباب - فهم كن والله أعلم بالصواب.

ص ٢٧٨ س ١٦ قوله : التجرد الصرف - ان التجرد الصرف له التجرد العقلاني الذي هو الانسلاخ عن جلب الصوره مطلقاً صورة ملکية شهادتية ، او صورة بروزخية مثالية المسماة بالصورة الملكوتية ، وعالم التجرد الكلى والانسلاخ العقلى عالمه عالم حقانى رباني ، علم النبي والولى بما في ذلك العالم علم لدنى ،

والعالم به عالم رباني ورب انساني اذا غلب حكم الربانية على الانسانية الخلقية ،
ويقال له عند الغلبة : انه حق اضافي . وهو الحق المنزه والخلق المشبه -- فافهم .

ص ٢٧٩ س ٣ قوله : على العرش - حتى عرش المحس الذى هو الوجود
الجمعى الخلقى الجسمانى ، وذلك للزوم التطابق بين العالم المترتبة نزولاً ورجوعاً
على التعاكس بينهما ، اذ النزولى من الاشرف فالاشرف ، والصعودى بعكس ذلك
فالصف النعال من الوجود مطابق ذروة الذرى التى هي الذات الواحدية ومن هيئها
قال : ﴿هو الاول والآخر والظاهر والباطن﴾ [٣/٥٧] وتقديم المذكرى للظاهر
اشارة الى ما أشرنا اليه من كون الرجوعى على عكس النزولى ، فسالاته تتضمن
الإشارة الى القوسين ، تشير الى النزولى منهمما قوله : ﴿هو الاول والآخر﴾ والى
الصعودى قوله : ﴿والظاهر والباطن﴾ هذا فى وجه من الاعتبار ولعل فيه اعتبار
آخر ، فتقدير .

ص ٢٩٠ س ٧ قوله : لأن السلسلة الأولى شعورية -- يعني ان الشعور خاصة المتكلم وحده (١) والاشعار خاصة المتكلم مع الغير والسلسلة الأولى لما وقعت طولا والترتيب الطولى . . . الى الوحدة ناسبت الاضمamar الذى هو محو التعيينات، والتتكلم الذى هو طى المترافقات وجمع المتشتتات .

وأما السلسلة الثانية لما وقعت عرضا ، والتعاقب العرضي ملاك توهם التعدد والكثرة ناسبت الاظهار والغيبة ، فمن هنا قال تعالى في الاشارة الى سلسلة العائدات : ﴿ولقد أرسلنا رسالنا﴾ - اه .. بصورة الاظهار والتتكلم ، وقال تعالى في الاشارة الى سلسلة العائدات : ﴿وليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب ان الله قوى عزيز﴾ بصورة الاظهار والغيبة .

والسلسلة البائدة طولية أمرية والامر صفة الامر وفعله الذى هو كلامه ،

١- قولنا : «خاصة المتكلم وحده وخاصة المتكلم مع الغير» فيه نوع ابهام

لارخفي

التعليقات

والصفات الفعلية التي له تعالى و كلماته التي هي بعينها صفاته الفعلية و ان كانت مرتبتها دون مرتبة حضرة الذات لكنها ليست بزائدة على ذاته مبائته لها، اذ صفاته تعالى - كمالية حقيقة كانت او فعلية غير كمالية اضافية - كلها عين ذاته تعالى ، وان كانت عينية صفاته الاضافية ظل عينية صفاته الكمالية .

وهذا على خلاف شأن السلسلة العائدة فانها عرضية خلقية ، والخلق سوى الحق في وجه - كما جاء في الخبر عن المخبر الصادق عليه : « ان الله لا يوصف بخلقه » - والامر كما بينا صفة الحق عز وعلا ، وبينهما بون كالبون بين الارض والسماء ومع ذلك كله نقول بقوله -- عز من قائل-- : ﴿أَلَا لِلَّهِ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾ [٥٤/٧] .
ويقوله : ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تُصْبَرُ الْأُمُورُ﴾ [٥٣/٤٢] .
«غير تش غير در جهان نگذاشت» .

كما قال أمير المؤمنين ، امام الموحدين ، قطب الاولياء العارفين عليه : « داصل في الاشياء لا يدخلون شيئاً في شيء ، خارج عن الاشياء لا يخرجون شيئاً عن شيء » وغير ذلك من كلماتهم فالكلمة الدالة على التوحيد الوجودي والحاصل : لكل وجهة هو مولىها - فافهم - .

ص ٢٩١ س ١ قوله : وقد اؤمننا اليه والى كشفه - محصلة هو أن التجدد والتغيير انما هو للمعلوم بما هو معلوم ، لا لعلمه تعالى بالمعلومات الجزئية الجسمانية الدائرة المتتجددة الحادثة المتغيرة ، وعلمه بهذه الحوادث الجزئية - بما هو عالم - . منزه عن التجدد والتغيير ، وفيه سر ستير صعب مستصعب كشفه ، وهو بعينه سر قوله عز من قائل : ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾ [٢٩/٥٥] ولقد قلنا في الكشف عنه : « اي : شأن يديه ، لاشأن يتعديه » وملائكة حل هذه العقدة العويصة في المقامين هو التفرقة بين الابداء والابتداء - فلا تغفل .

* * *

المتجدددة المتغيرة ، ومقام تجدد شؤونه المتعاقبة – هو أن يقال : إن لكل شيء من الأشياء – جزئية متتجددة كانت الأشياء او كلية ثابتة غير متتجددة، مادية كانت او مفارقة – وجهين : وجه به يلى ربه ، ووجه به يلى نفسه .

فبالوجه الذى به يلى ربه باق بعین بقاء ربه ثابت غير دائم ولا زائل ، حاضر عنده . وبالوجه الذى به يلى نفسه اذا كان جزئياً متتجددأ ، دائماً زائلاً ، كان متتجددأ حادثاً غير باق ولا ثابت .

والوجه الذى به يبقى ببقائه تعالى هو ما به يكون تجوهر ذاته وتذوّت جوهره وتهوى هو يتّه التي بها هو هو .

وأما ما يتتجدد منه ويتغير ويُدثر ويفنى ان هو الا اضافات وتعليقات تعتريه بحسب نشأته المتغيرة غير معتبرة فيه تجوهره وتفوّمه ، اذ مرجعها الى التّعينات العدمية والتعلقات العرضية الغير الجوهرية الدائرة الزائلة التي مرجعها العدم والفقدان ، ومعادها الى النقص والتّقصان ، وهي ليست الاعلائق الوجودات المادية ولو احق النشأة الدنياوية الظلمانية الفانية ، ودار الدنيا – بماهى دار الدنيا مبدئها من العدم ومعادها الى العدم والفناء كما برهن في محله ، ولقد برهن على كون المادة ولو احقها غير مقومة ولا معتبرة في قوام شيئاً الاشياء وتجوهرها ، بل شيئاً الاشياء وتجوهرها انما هو بصورتها التي هي مبدئ فصلها وملأ تحصلها وتعيينها ، والصورة باقية ببقاء مبدئها الذي نزلت من عنده ورجعت اليه .

نعم العلة المادية تكون علة في حدوث الاشياء وتتجدداتها وتتجدد أحوالها ولادخل لها وللواحقها في بقاء الاشياء وتجوهرها كما حقق في مقامه – فلا تعفل .

واذا علمت هذا ووقفت بشأن المادة ولو احقها فانتبه من نوم الغفلة واحكم بكون الماديات – الجزئيات الدائرة المادية – أموراً عدمية ، والاعدام – بماهى اعدام – ليست بأشياء حتى يلزم من دثارها وزوالها تغير في علمه تعالى ، فهى مادامت مخلوطة بالاشياء ومخالطة بها معلومة بالعرض ، كما أنها في باب الوجود والموجودية موجود بالعرض ، فعلمته تعالى بالاشياء – بماهى اشياء – ثابت دائماً

بدوام السرمدي ، ولا تجدد ولا تغير فيه أصلا .

هذا - وبعد في زوايا خفايا لا يسع المجال بيانها فأحسن التدبر .
وأما قوله: وهو الذي حارت فيه أفهم الحكماء - اه قلنا: قاعدة كلية واردة من أئمتنا عليه السلام وهي أن كل ما يسند إليه تعالى في كتابه من الأمور الحادثة والمتغيرات الدائرة - علمية كانت أو غير علمية - إن هي إلا صفات أولياء الله تعالى الذين هم خلفائهم في الأرض والسماء ، والخلافة الحقة التي لهم عنه تعالى هي مصحح ذلك الاسناد، لمكان تخلقهم بأخلاقه عز وعلا، واندكاك انيساتهم من جهة ذواتهم وأفعالهم وصفاتهم في ذاته تعالى وصفاته وأفعاله يصحح اسناد شؤونه تعالى وأطواره وأفعاله اليهم (ع) ، ويعبر عن ذلك الاندكاك بـ «المحو» المصحح لذلك الاسناد ، ثم رجوعهم بالحق إلىخلق الذي يعبر عنه في وجه بـ «الصحيح بعد المحو» هو ملائكة صحة اسناد صفاتهم وشأنهم وأطوارهم وأفعالهم إلى الحق على ضرب من الحقيقة ليست فيه شائبة تجويف توسيع - كما يقومه الجمهور الغافلون المجبوبون عن مشاهدة نور الولاية المطلقة الذي هو نور الله الساري في السموات والارض وبه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض .

فاولئك الأولياء والخلفاء بالولاية والخلافة الحقة المطلقة هم بخلافة الله تعالى على وجه الحقيقة يتصرفون باختيارهم الذي هو عين اختياره تعالى وارادتهم التي هي من مرتب ارادته عز وعلا في الاشياء من السموات العلي والأرضين السفلي - تصرف الولي المطلق ، الذي هو الحق الحقيقي ، والقيوم الواجبى المتعالى عن الشبه والشريك علوًّا كبيراً .

والتصرف على هذا الوجه هو بعينه تصرفه تعالى ، والتدبر على هذا النحو هو بعينه تدبره عز وعلا .

ومن هنا ايضاً تنحل عقدة «الباء» التي عجزت عن حلها فحول أعاظم الحكماء وعقلائهم أفالهم الفضلاء وحرفو الكلم عن مواضعها ، وأولوا البا إلى مجازات جمهورية ، وتعسفات عاطلة ، ولم يقدروا على حلّه كما هو حقه من دون

ارتکاب توسع وتجوز . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . فاعتبروا يا اولى الابصار .

ص ٣٠٠ س ١٥ أعلم أيها الطالب في دين الله تعالى انه اذا كمل وتم واحتتم هذا السير والسلوك الاعظم الجامع لجموع السير والسلوك اليه تعالى من تلك الذرة السيارة اليوم حل الاجل الكلى ، وانصرم عمر العالم ومدة النظام الجميلي الذي هو نظام العالم الاكبر ، وقامت القيامة الكبرى ، وانهدمت بنيان عالم الدنيا دفعة ، فمادامت الافلاك دائرة ، والارضون معمورة سائرة ، ما كمل ولا تم ذلك السير والسلوك الاعظم، الذي به قوام بقاء الدنيا وما فيها، فمن هنا – كما قال اساطين الحكمة، معادن العصمة والمعرفة والكشف والشهود – بلزوم وجود الحجة (ع) في الارض مادامت الارض والسماء ، ومن هيئنا بطلت مذاهب مخالفينا من اهل السنة واليهود والنصارى وغيرهم من خالقنا ، وظهرت بطلان مذاهبها كما لا يخفى .

ص ٣٠١ س ١٦ قوله : فان مجرد المعرفة بامامته – اه – لنا مزيد كلام في المقام ، وهو ان الغاية بالذات والعلة الغائية الحقيقة الباعثة للحق الحقيقى والقيّوم الواجبى على ايجاد الولى القائم بأمره تعالى الذى قال ﴿فَلَمَّا فَتَّلَهُ فِي حَقِّهِ﴾ : « والذى بعثنى بالحق انهم يستضيفون بنوره وينتفعون بولايته انتفاع الناس بالشمس وان علاها السحاب » ان هى الا استكمالاته واستتماماته بالمجاهدة الكبرى المطوية فيها جوامع المجاهدات ومجامع الطاعات والعبادات بضرب اشرف وبوجه أعلى ، وهو الذى به وبمجاهداته وطاعاته وعباداته المحبوبة على جوامع الاستكمالات ومجامع الاستتمامات يعبد الله تعالى في أرضه وسمائه بالعبادة الجامعة لجموع العبادات ، ويعرف الله سبحانه بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله حق المعرفة المقصودة من الخلق والاجداد ، الجامعة لمجاميع الحقائق والمعارف الالهية المتعلقة باحوال المبدع والمعاد ، كما جاء في القدسى « كنت كنزًا مخفياً فأحببت أن أعرف » - الحديث - واستكمالات سائر المستكملين والمستكملات - من العلويات والسفليات كلها - قلّها وجلّها - من تتمة استكمالات ذلك الولى المطلق ومن استتمامات

نوره وظهوره بصورة العالم الاكبر المسمى بالانسان الكبير في عين غيبته واستثاره عن الاعين البشرية بصورة المعرفة بين العامة .

فالغاية بالذات لوجود هذا الولي الغائب اليوم بالغيبة الكبير ليست بالتمكن من التوصل اليه ، وأخذ المسائل منه ظاهراً ، والعلة الغائية الحقة الحقيقة لا يجده وابقائه في الدنيا في هذه المدة الطويلة – بل مادامت الدنيا ومادامت الأرض والسماء – ان هى الا استكمالاته واستتماماته السير والسلوك اليه عزّ وعلا في حد نفسه – بالمعاهدات التامة والطاعات والعبادات الجامحة المطوية فيها كلية جوامع السير والسلوك والمجاهدة والعبادة – .

كيف لا – ونوره السارى في السموات العلي والارضين السفلى هي الدرة النازلة من عنده تعالى الى الذرة الصاعدة الى المرتبة التي نزلت منها بتلك الاستكمالات والاستتمامات الجامحة بالبالغة الى الغاية المتادية بها الى النهاية المقصودة من خلق السموات والارض وما فيهما ، والحركات العلوية والاستكمالات السفلية ولاستتمامات الارضية والدورات الفلكية والكونية والانقلابات العنصرية كلها وجلها ما وقلّها واستحالاتها وامتزاجاتها الكلية والجزئية كلها ان هي الاسير تلك الذرة النازلة الى الذرة الصاعدة منها بتوابعها وأتباعها وأشياعها – علوية كانت او سفلية ، بشرية كانت او غير بشرية – الى عالمها الذي نزلت منه ، وسير كل ثابت وسيار ، وسلوك كل ثابت وسيار وسلوك كل ساكن ودوّار ليس الاسيرها وسلوكها الى الواحد القهار . فالمقصود بالذات من وجود الولي الغائب في يومنا هذا ان هي الا تلك الشمرة العلية ، والغاية الفصوى ، التي هي ثمرة الشجرة الطيبة الفلكية ؟ التي أصلها وفرعها في السماء ، وهي شجرة الولاية المطلقة ، وتلك الشمرة ختم ثمرات الولاية .

فعم " له ولو جوده ^{عليها} ثمرات وغياثات اخرى تبعية – كالنهيات المتوسطة والضرورية التي سبقت الاشارة اليها من المصنف – اعلى الله مقامه – قبيل هذا ، وهي الامامة والخلافة لله تعالى في هداية عباده وارشاد عبيده وامائه ، كما هو المعروف

عند العامة ، وتلك الشمرات هى تصرفاته فى امور العباد ايجاباً كما أشار اليه ^{عليه السلام} قوله : « يستضيئون بنوره - الخ » واعداداً .

فالشمرات الاعدادية من شجرة وجوده الطيبة متکثرة متعددة على أنحاء مختلفة وأنواع متفاوتة ، وجل تلك الشمرات الاعدادية ايضاً كالشمرات الايجابية لامدخل لحضوره ^{عليه السلام} في حصولها، بل يصدر تلك الشمرات من نور وجوده خاملاً مستوراً كان او ظاهراً حاضراً مشهوداً ومشهوراً .

نعم الشمرة التي هي التمكّن من التوصل اليه ظاهراً ، وأخذ المسائل منه (ع) حضوراً شفاهياً منوطه بحضوره الظاهري، وفي غيبته الكبرى حكم كلية ، ومصالح عامية وخاصية حكمية بمقتضى البراهين الباهرة باعثة عنها وداعية اليها - ليس في مقامنا هنا مجال بيانها والكشف عنها - فلهذا الشمرة قرر الحكم بالغة الربانية نواباً عامة يقيمون الامر بقدر الطاقة ويقومون باسم هذه الشمرة بضرب من التوصل اليه ^{عليه السلام} وبنوع من اعانته وامداده باطنأً ، وبنوع من الافاضة والايجاب غيباً - خذ هذا واتخذه سبيلاً والسلام على نافع الهدى .

ص ٣٠٣ س ٨ قوله : واجب عقلاً - واليه الاشارة في قوله ^{عليه السلام} : « من أكرم عالما فقد أكرمني » (منه - ره) .

ص ٣١٤ س ١٤ قوله : عدد كامل هو السبعة انما سميت السبعة عددأً كاملاً عند العرب لتضمنها جميع خواص العدد كما يظهر عند التدبر (منه - ره)

تم التعليقات والحمد لله وحده

فهرس تفسير سورة السجدة

- ١ مقدمة المؤلف - أشرف العلوم الحكمة .
- ٥ القرآن خلاصة كتب الله المنزلة وبيان خلاصة ما في هذه السورة .
- ٨ تمهيد - رفعة مقام القرآن وما فيه من مهمات المسائل .
- ١١ كيف يمكن فهم المسائل القرآنية ؟
- ١٤ الم(١) مقالة الشيخ الرئيس في تفسير الحروف المقطعة القرآنية .
- ١٧ دراية كشفية : معانى هذه الحروف وانها لا ينكشف الا للعارفين .
- ٢١ تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٢) .
- ٢٢ القرآن مشتمل على جميع مراتب العالم والكتاب اشارته إلى ذاته ﷺ .
- ٢٥ الارواح بمنزلة الكتاب وكل عالم رباني عالم تام في الآخرة .
- ٢٦ أم يقولون افتراه بل هو . . . (٣)
- ٢٦ مكاشفة : بيان أن الله إنما يحتاج على الناس بما آتاهم .
- ٢٨ الله الذي خلق السموات والارض . . . (٤) ما المراد من اليوم ؟
- ٣٠ كشف الهامي : في تفسير الأيام الستة المذكورة في القرآن .
- ٣٤ تبيان : في معنى استواء تعالى على العرش .
- ٣٨ بسط حكمه رحمانية : تتمة القول في استوائه تعالى .
- ٣٩ تلويع عرسي : وجوه المشابهة بين قلب الانسان والعرش .
- ٤٢ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض . . . (٥)
- ٤٣ بصارة : معنى الأمر والتدبیر .
- ٤٥ تفصيل تنبئي : مرور الحقيقة الإنسانية على جميع العالم .
- ٤٧ تبيين مقال لكشف حال : مراتب سير الإنسان الكامل .
- ٥٠ كشف استفادى : اليوم المقدر بألف سنة والمقدر بخمسين ألف .
- ٥٢ تنوير تمثيلي : فيه تمثيل العالم على هيئة المدينة .

- ٥٣ ذلك عالم الغيب والشهادة ... (٦)
- ٥٤ وبدع خلق الانسان من طين (٩-٧)
- ٥٥ الانسان ثمرة الخلقة وهو عالم صغير يشتمل على مافي العالم الكبير.
- ٥٧ الروح وأقسامه والمقصود منه في هذه الآية .
- ٥٨ تنبئه فرقاني : في أن القرآن له ظاهر وباطن.
- ٦١ وقالوا إذا ضللنا في الأرض ... (١٠)
- ٦٣ حكمة قرآنية : بيان أهمية علم المعاد وصعوبة دركه.
- ٦٤ لمعة قرآنية : شبهة اعادة المعدوم والجواب عنها.
- ٦٩ تتمة تنبئية : ذكر عمدة شبهة المنكريين والجواب عنها.
- ٧٣ قل يتو Vickكم ملك الموت الذي ... (١١)
- ٧٦ رموز قرآنية : سفر الانسان الى ربه.
- ٧٩ الموت هو قبض الارواح الى عالم أعلى.
- ٨٥ وجه اختلاف نسبة التوفى في الآيات.
- ٩٠ ولو ترى اذا مجرمون ناكسوا رؤوسهم ... (١٢)
- ٩١ اثر تبصري . انه من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى.
- ٩١ بطلان التناسخ.
- ٩٣ ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ... (١٣)
- ٩٤ الهدایة وكيفيتها وبيان علة العقاب.
- ٩٦ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم ... (١٤) كيفية نسبة النسيان اليه تعالى .
- ٩٧ معنى الحياة متفاوتة وان سعادۃ الانسان منوطۃ بالعلم والعمل.
- ٩٨ اذما يؤمن بآياتنا الذين اذا (١٥) ذكر خواص المؤمن.
- ١٠٠ تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. (١٦)
- ١٠٢ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من ... (١٧) اسعد الناس اقواهم لله حبا .
- ١٠٤ تتمة : مراتب الوالصلين الى حبّه تعالى .

- ١٠٥ ايضاح تفصيلي : الفرق بين الحكماء الالهيين والطبيعين .
- ١٠٧ تتمة : كمال المعرفة منوطة بالعمل .
- ١١١ ألم يأنك من ألم كان فاسقاً... (١٨)
- ١١٣ الانسان متخالف النوع بحسب الباطن .
- ١١٤ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... (١٩ - ٢٠) خلود الكفار في النار.
- ١١٦ ولنذيقنهم من العذاب الادنى... (٢١)
- ١١٧ مشكوة فيها مصباح : كيف ينسب الترجى اليه تعالى ؟
- ١٢٠ ومن أظلم من ذكر بأيات ربه ... (٢٢)
- ١٢٠ ايضاح فرقاني : الفرق بين المنافقين والكافار.
- ١٢١ ولقد آتينا موسى الكتاب... (٢٣ - ٢٤)
- ١٢٣ مكاشفات سرية : الفرق بين القرآن وسائر الكتب المنزلة .
- ١٢٥ ان ربكم هو يفصل بينهم ... (٢٥)
- ١٢٧ تذكرة : الدنيا دار اشتباها والآخرة دار الفصل والتمييز .
- ١٢٧ تذكرة اخرى : حشر الانسان على صور مختلفة .
- ١٢٨ أولم يهد لهم كم أهلكنا من ... (٢٦).
- ١٢٩ مكاشفة الهمامة : المراد من المشي في المساكن .
- ١٣٠ نصيحة : أهل الاستبصار لا يستنكفون عن التعلم .
- ١٣٠ أولم يروا اننسوق الماء ... (٢٧)
- ١٣١ مكاشفة قرآنية . تمثيل القرآن بماء المطر .
- ١٣٢ ويقولون متى هذا الفتح... (٢٨ - ٢٩).
- ١٣٣ كشف تنبئي : يوم المولادة المعنوية او القيامة الصغرى .
- ١٣٣ فاعرض عليهم انهم منتظرؤن (٣٠).
- ١٣٤ اشارة : يحتمل أن يكون المراد بالفتح الخلاص من آلام الدنيا .
- ١٣٥ خاتمة : فضل السورة وعد آياتها وموقع نزولها

تفسير سورة الحمد

- | | | |
|-----|--|-----|
| | مقدمة المصحح . | ١٣٨ |
| | مقدمة المؤلف . | ١٤٠ |
| ١٤٢ | فاتحة : بيان المقاصد المشتملة عليها القرآن وفضل السورة | |
| * | * | * |
| ١٤٥ | سبح لله ما في السموات . . . (١) | |
| ١٤٧ | تدل الآيات على أن كل شيء مسبح له تعالى فطرة. | |
| ١٤٨ | مكاشفة : بيان حكمي لسريان التسبيح في الجميع . | |
| ١٥١ | له ملك السموات والارض يحيى ويميت . . . (٢) | |
| ١٥١ | مكاشفة : في أنه تعالى المالك على الاطلاق . | |
| ١٥٢ | مكاشفة : كيفية الاحياء والاماتة في النشأتين . | |
| ١٥٣ | هو الاول والآخر والظاهر الباطن . . . (٣) | |
| ١٥٤ | مكاشفة : معنى اوليته تعالى وآخريته لكل شيء . | |
| ١٥٥ | تميم : عباد الطاغوت يتوهون الغاية غيره تعالى . | |
| ١٥٧ | هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام . . . | |
| ١٥٩ | مكاشفة : ترتيب خلق العالم . | |

- ١٦٠ مكاشفة : بيان خلق السموات والارض فى ستة أيام .
- ١٦٤ كلام شبه رمز - فيه بيان خلقة السموات فى ستة أيام .
- ١٦٩ يعلم ما يلح فى الارض وما يخرج منها وما ينزل . . . (٤)
- ١٧٠ مكاشفة : بيان المقصود مما يلح فى الارض وما يخرج منها .
- ١٧١ لمعة الهيبة : معيته تعالى للأشياء وكيفية تجليه .
- ١٧٤ لهمك السموات والارض والى الله . . . (٥)
- ١٧٤ مكاشفة كيفية رجوع الامر الى الله تعالى .
- ١٧٦ يولح الليل فى النهار ويولح النهار فى الليل . . . (٦)
- ١٧٧ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم . . . (٧)
- ١٧٨ مكاشفة : فى انه المالك على الاطلاق لما فى ايدينا بل لوجودنا.
- ١٧٩ ومالككم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم . . . (٨)
- ١٨١ مكاشفة : فى ان المخاطب فى هذه الآية المؤمنين لا الكفار .
- ١٨٢ هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات ليخر جكم . . . (٩)
- ١٨٣ مكاشفة : كما يرسل الانبياء لهداية العباد كذلك ينزل اشارات وأنوار على قلوب عباده .
- ١٨٤ ما هو التوفيق والخذلان ؟
- ١٨٦ ومالككم لا تنفقون فى سبيل الله والله . . . (١٠)
- ١٨٧ مكاشفة : تفاوت درجات المؤمنين قبل انتشار الاسلام فى الظاهر وقبل المكاشفة فى الباطن .
- ١٩٠ الانسان ذو وجهين وتفسير آيات الجهاد بالجهاد الاكبر .
- ١٩٣ من ذا الذى يفرض الله قرضا حسنا . . . (١١)
- ١٩٤ مكاشفة : من القرص الحسن انفاق المواد الدماغية فى طريق المعرفة .
- ١٩٤ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم . . . (١٢)
- ١٩٦ مكاشفة : يقذف فى القلوب نور الايمان والدشادحة فى الآخرة بقدر المعرفة

- ١٩٩ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا . . . (١٣ - ١٥)
- ٢٠٢ مكاشفة : لا يمكن بيان ما في الآخرة لأهل الدنيا اليمثال .
- ٢٠٣ حال علماء الظاهر في الآخرة .
- ٢٠٧ الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . . . (١٦)
- ٢٠٩ مكاشفة : بيان حال علماء الآخرة وعلماء الدنيا وأحاديث في ذلك .
- ٢١٤ ما ورده الشهيد الثاني (ره) في تقسيم العلماء وصفاتهم وعلمائهم
- ٢٢١ اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها . . . (١٧)
- ٢٢١ مكاشفة : تفسير الارض بالنفس واحيائها بالعلوم الحقة .
- ٢٢٥ ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا . . . (١٨)
- ٢٢٦ مكاشفة : النكتة في تضاعف أجر الحسنات .
- ٢٢٩ والذين آمنوا بالله ورسله أو لئك هم الصديقون . . .
- ٢٣١ مكاشفة : معانى الایمان وان الشهداء حقيقة هم العارفون .
- ٢٣٤ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا او لئك أصحاب الجحيم (١٩)
- ٢٣٤ مكاشفة : علة الخلود في النار الكفر وارتكاز محبة الدنيا .
- ٢٣٦ اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو . . . (٢٠)
- ٢٣٩ ما يوجب الخلود في النار ، وان الدنيا موهوم .
- ٢٤٣ ساقوا الى مغارة من ربكم وجنة عرضها كعرض . . . (٢١)
- ٢٤٥ مكاشفة : ان الجنة والنار حق ولا يعلم كنهها الا المكاشفين .
- ٢٤٩ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم . . . (٢٢)
- ٢٥٠ مكاشفة : مرتب الوجود ، ولوح القضاء والقدر ، والكتاب المبين .
- ٢٥٥ ان الانسان نسخة العالم الكبير
- ٢٥٧ لكيلاؤسا على مافاتكم ولا تفروا بما آتتكم . . . (٢٣)
- ٢٦٠ مكاشفة : ان الانسان في أفعاله مختار .
- ٢٦٣ تكميل وتوضيح : الدعوة والتکلیف لازم لاصلاح الانسان .

-
- ٢٦٥ الابتلاء والاختبار وان ما يجده الانسان في الآخرة نتيجة عمله .
- ٢٦٧ علة اختلاف الاستعدادات . وأقسام السعادة والشقاوة .
- ٢٧٠ الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل .. (٢٤)
- ٢٧١ مكاشفة : علة حث الناس على الإنفاق .
- ٢٧٣ لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات و أنزلنا عليهم ... (٢٥)
- ٢٧٥ مكاشفة : في هذه الآية اشارات إلى فوائد من علم المعاد :
- ٢٧٥ ١- احتياج الإنسان في هدایته إلى النبي وبيان اصول المعجزات.
- ٢٨١ ٢- تكميل القوة النظرية وتعديل العملية وبيان اصول الفضائل والرذائل
- ٢٨٦ ٣- ترتيب سلسلة الموجودات.
- ٢٩٠ ٤- كيفية علمه تعالى على الجزيئات والزمانيات .
- ٢٩١ ٥- معانى الخاتمة .
- ٢٩١ ٦- النعم الموجودة في خلق الحديد .
- ٢٩٢ ولقد أرسلنا نوحًا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما ... (٢٦)
- ٢٩٣ مكاشفة : لم خلق الله أهل المعااصي والاشقياء ؟
- ٢٩٥ ثم قفتنا على آثارهم برسالنا وقفتنا بعيسي ... (٢٧)
- ٢٩٨ مكاشفة : عدم خلو الزمان عن الحجۃ.
- ٣٠١ امامۃ خاتم الاولیاء عليه السلام والجواب عما اورد من الشبه .
- ٣٠٤ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله . . . (٢٨)
- ٣٠٦ مكاشفة : تشير الآية إلى اكمال قوتی النظرية والعملية .
- ٣٠٨ لشلایعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من ... (٢٩)
- ٣٠٩ مكاشفة : تأثير عقائد العبد وایمانه في استجلاب فضل الله .
-
- ٣١٣ خاتمة : بيان مختصات هذه السورة وخلاصة ما جاء فيها من المعارف .
-
- ٣٢٩ تعلیقات المولی على التوری (قده) على تفسیر سورۃ الحدید .

فهرس الاحاديث

- الاخذ لتراب قالبه (آدم) هم رسول الله . ٨٦
- أبغض المعبد في الأرض الهوى . ١٠٣
- أبيت عند ربى يطعمني ويستقيني . ٩٧
- أشغل ما يوزن في الميزان خلق حسن . ٢٨٥
- أحسن الاعمال أحمزها . ٣٥٢
- اختلف من كان قبلكم عن اثنين وسبعين ٢٩٧
- أدبني ربى فأحسن تأدبي . ١٩
- اذاجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامه ١٠١
- اذا رأيتم العالم محبًا لدنياه فاتهموه على دينكم ٢١٢
- الارض لا تأكل محل الايمان . ٧٨
- اعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ١٠٢
- اعلم ان الامة لواجتمعت على أن ينفعوك بشيء ٢٦٤
- اعلموا علماء يقينياً ان الله تعالى لم يجعل للعبد وان ٢٦٤
- اعملوا بكل ميسر لما خلق له . ٢٦٧-٣٧٧
- أفضل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً . ٢٨٥

- ٢٢ اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه .
- ١٧٢ أقرب أنت فاناجيك ، أم بعيد فاناديك . . .
- ١٩٨ أكثر أهل الجنة البله .
- ٢٨٥ اللهم حسّن خلقى .
- ٧٦ الامراض والاجاع كلها بريد الموت .
- ٣٣٨ الامرور هو نة باوقاتهاها .
- ١٢٥ أنا أعلمكم بالله وأنا أخشاكم منه .
- ٢٩ ان استقامت امتى فلها يوم . . .
- ٤٦ الانسان أعجب موجود خلق .
- ٣٦٨ ان أرواح المؤمنين منذ خلقت الجنّة كانت فيها .
- ٢٠٩ ان أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالم . . .
- ٢٧ ان الله احتاج على الناس . . .
- ٤٦ ان الله اذا خلق خلقاً . . .
- ٢٧٣ ان الله عزوجل أنزل أربع بركات . . .
- ٤٦ ان الله خلق آدم على صورة الرحمن .
- ٤٦ ان الله خلق آدم على صورته .
- ٥٩ ان الله تعالى خلق العقل نوراً . . .
- ٨٦ ان الله تعالى قبض بيده . . .
- ٢٥٢ ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق المخلق ان رحمتى سبقت غضبى .
- ٣٨٤ ان الله لا يوصى بخلاقه .
- ١٩٧ ان الله تعالى يخرج يوم القيمة من النار من في قلبه . . .
- ٢٢٨ ان المخير كله بيديك والشر ليس اليك .
- ٤٦ ان الذى باشر الحق . . .
- ٢٥٧ ان روح القدس ينفث فى رووى ان نفسا لن تموت . . .

- ان فى المسبحات آية أفضل من الف آية . . .
١٤٣
- ان لربكم فى أيام دهركم نفحات لافترضوا لها .
٣١١
- ان لكل كتاب صفة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى .
١٤
- ان للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلاعاً .
٢٨٩-٢٣
- ان الله أرضنا بيضاء مشحونة خلقاً . . .
٢٥٢
- ان لنا مع كل حس حساً .
٣٨١
- انماهى أعمالكم ترد اليكم .
٩٨
- ان ملك الموت قد أخذ قبضة من التراب
٨٦
- ان مؤمني أهل الكتاب افتخرروا على غيرهم من المؤمنين . . .
٣٠٥
- انما هي أعمالكم ترد اليكم (عليكم) .
٣٦٨ - ٣٥٩
- أنوار الاختيار والابرار مختلفة في الاصائة . . .
١٩٦
- انه تعالى فوق كل شيء وتحت كل شيء . . .
١٧٢
- اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة الأرض
٩٤
- اني لارجو أن لا يعجز امتي عن دربها ..
٢٩
- أئين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين .
٩٤
- أهل الجنة جردمد .
٧٤
- أوحى الله إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتغفهون . . .
٢١١
- أوحى الله إلى داود عليه السلام : لاتجعل بيني وبينك عالماً مفتونا . . .
٢١٢
- أول مخلق الله جوهرة . . .
٨١
- أول مخلق الله نورى .
١٩
- بعثت أنا والساعة كهاتين .
١٦٠-٥١-٢٩
- بعثت في نفس الساعة فسبقتها .
٢٩
- بعثت لأنتم مكارم الأخلاق .
٢٨٥
- بعث رسول الله عليه السلام جعبراً في سبعين راكباً . . .
٣٠٥

- ١٠٠ بینا نحن مع رسول الله ﷺ . فی غزوہ تبوك ...

١٥١ تشهد له اعلام الوجود على اقرب قلب ذى المحو .

٣٧٦ التوحيد الحق هو الله ، والقائم به نحن ...

٨٦ الجامع لاجزاء بدن الانسان هم الملائكة .

٣٧٧-٢٦٣-٣٢ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة .

٨٠ خلق الله الارواح قبل الاجساد بالفی عام .

٨٨-٧٨ خلقت للبقاء للفناء .

٣٨٤ داخل في الاشياء لا كدخول شئ في ...

٣٥٥ الدنيا بلغة الى الآخرة .

١١١ الدنيا حيفة وطالبها كلام .

٢٤٨ الدنيا مزرعة الآخرة .

١١١ الدنيا ملعونة وملعون ما فيها .

٣٠١ ذلك (المهدى عليه السلام) الذى يفتح الله على يده مشارق ...

٢٩٥ رهبة نية امتى الحج والجهاد .

٢٦٠ الزهد عشرة أجزاء فاعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ...

٣٤٥ ذلك بسنى الشمس وهذه بسنى القمر .

٢١٥ سائل العلماء وحالط الحكماء وجالس الكباراء .

٤٠ سئل عن النبي ﷺ : أين الله ؟ فقال في قلوب عباده .

٢٨٥ سئل ﷺ : ما الدين ؟ فقال : الخلق الحسن .

٢٢٧ سبقت رحمتي غضبي .

٦١ صلوا كما رأيتمني اصلى .

٧٤ ضرس الكافر مثل جبل احد .

٢١٢ طلبة العلم ثلاثة، فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم ...

٢٣٠ العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتبس فيه . . .

- العلماء رجالن : عالم آخذ بعلمه فهذا ناج ٢١٣
- العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا درى . ٢١٦
- العلم علمن : علم الابدان ، وعلم الاديان . ٥٧
- العذاب الادنى عذاب القبر . ١١٦
- عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، بعثت في آخرها ألفا . ١٦٨-٥٢
- عمر الدنيا مائة ألف سنة . ٣٣٩
- العين حق . ٢٨٠
- العين يدخل الرجل القبر ، والجمل القدر . ٢٨٠
- فضل العالم على العابد كفضل على رجل من أصحابي . ١٩٨
- فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم . ١٩٨
- القدرة مجوس هذه الامة . ٢٦٢
- القرآن غنى لأقرء بعده . ٨
- القرآن هو الدواء . ٨
- قرة عيني في الصلاوة . ٢٠٦
- قبل لامير المؤمنين عليه السلام : صفات العالم . فوصفيه ٢٦٩
- قيمة كل أمر ما يحسنها . ٥٤
- كان خلقه فتن الله القرآن . ٢٢
- كان رسول الله عليه السلام لا ينام حتى يقرء الم تنزيل ١٣٥
- كان عليه السلام يصلى وفي صدره ازيز كازير المرجل . ٦١
- كلم الناس على قدر عقولهم . ٣٨٠
- كنت كمراً مخفياً فاحببت أن أعرف . ٣٨٧ - ٣٧٠ - ١٥٥ - ٥٤
- كنت (ابن مسعود) مع رسول الله عليه السلام فخر جنا في بعض ... ١٤٧
- كنت نبياً وآدم بين الماء والطين . ٣٥١-٣٤٧
- كيف يكون من أهل العلم من مسيرة إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ؟ ٢١١

٤٦ لا تسبوا علياً فانه ممسوس بنور الله .

٣٧٦-٢٦٢ لا جبر ولا تفويف بل أمر بين أمرین .

٢٩٥ لارهابانية في الاسلام .

٥٨ لعيش الا عيش الآخرة .

١٦٨-٥٢ لأنبي بعدى على هذه الامة .

٣٤٥ لا يدخل الجنة من البهائم الا ثلاثة ...

٣٠٠ لا يزال امتى بخير ما ولهم اثنى عشر خليفة .

٤٠ لا يسعنى أرضى ولا سمائى ، ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن .

٢٥٩ لا يفقه الرجل تل الفقه حتى يرى الناس أمثال الاباعر ...

٩٣ لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون .

٢٩١-١٥٥ لولاك لما خلقت الافلاك .

٢٧٧ لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولانبي مرسل .

٢٠ ما خالف العامة فيه الرشاد .

١١٧ من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي فلينظر إلى .

٢١٢ من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب .

٣٨٩ من أكرم عالماً فقد أكرمني .

٢١٢ من طلب العلم ليهاهى به العلماء ويماري به السفهاء . . .

١٠٦ - ٣٩ من عرف نفسه فقد عرف ربه .

١٠٣ من قال : « لا اله الا الله » مخلصاً وجبت له الجنة .

٩٧ من قتلته فأنا ديته .

١٣٥ من قرء الم وتبارك الذي . . .

١٣٥ من قرء الم تنزيل في بيته لم يدخل . . .

١٣٥ من قرء سورة المسجدة في كل ليلة جمعة . . .

٨٨ من مات فقد قامت قيماته .

- ٣٠١ من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميته جاهلية .
- ٢١٢ منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم .
- ٩٧ المؤمن حى فى الدارين .
- ٢٣٠ المؤمن شهيد .
- ٢٦٦ - ٦٨ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .
- ٣٨٠ - ٢٠٢ الناس نiams فاذا ماتوا انتبهوا .
- ٢٧٤ نزل آدم من الجنة ومعه المر والمسحاة .
- ٢١٧ والله لدنياكم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجذوم .
- ٢١٨ والله مادنياكم هذه الاكعفطة عنز .
- ٣٨٧ والذى بعثنى بالحق انهم يستضيئون بنوره
- ٤١ هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيمة أيدهم .. .
- ٢٦٣ هل يغنى الدواء والرقية من قدر الله ? .. .
- ٣٩ ياداود فرغ لى بيتأ أنا عند المنكسرة قلوبهم .
- ٢٩٩ ياكميل - مات خزان الاموال والعلماء باقون مايلى الدهر .. .
- ٢٤٤ ياعشمان ذهبت عريضاً .
- ٣٣٧ ياعلى أنا وانت أبوا هذه الامة .
- ٢٠ ياوريحك -- هل رأيت فقيهاً قط .
- ٤٥ يجمع خلق أحدكم في بطنه امه أربعين يوماً .. .
- ١٢٨-١١٣ يحشر الناس على صور نياتهم .
- ١٢٨-١١٣ يحشر الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير .
- ١٥٢ يحيى بالطاعة وينمي بالمعصية .
- ٢٠ يد الله مع الجماعة .

فهرس الموضوعات والاصطلاحات الهامة

| | |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| الاشقياء : ٢٩٣ | آثار الاعمال : ٣١١ - ٣٦٨ |
| اعادة المعدوم : ٦٩ | الآخرة : ٩١ - ١٢٧ - ١٥٤ - ٢٤٦ |
| أعلى عليين : ٢٦٧ | ٢٢٦ - ٣٣٥ - ٣٥٤ - درجاتها |
| الاعيان الثابتة : ٣٣٤ | ٢٠٢ - ١٩٨ كسب المعارف |
| افاضة المعارف : ٢٢٣ | ثوابها وعقابها ٢٦٥ |
| الاكتساب : ٣١٠ - ٢٢٨ | آدم الاول (ال حقيقي) ٣٥٤ |
| الالنذاذ : ٢٤١ - ٢٤٠ | الابتلاء : ٢٦٤ |
| الله تعالى : ١١٧ - ٩٦ - ٥١ - ٢٨ | الابليس : ١٥٠ - ٣٣٣ - ٢٤٢ - ٣٥٢ |
| ١١٩ - ١١٨ هو الاول والآخر - ١٥٤ | الاحسان : ٣٣٣ |
| الظاهر الباطن - ١٥٦ - الغاية ١٧٤-٢٩١ | الاحياء : ٧٥ - ٩٧ - ٧٨ - ٢٢٤ |
| ١٧٥ - ٣٥٠ - الآخر ٢٨٧ - الملك | الاختبار : ٢٦١ - ٣١٠ - ٣٧٤ |
| ٢٩٠ - ٢٥٠ - علمه ١٧٠ - ١٧٨ - ١٥١ | الادراك - ١٩٧ - الادراكات العقلية ٣٦٣ |
| - ٣٣٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٥ تجليه ١٧٣ | أرباب الانواع : ٣٤٣ |
| ٣٧٠ معينة ١٧١ - اوليته ٢٨٧ غضبه ٢٢٧ | الارض البيضاء : ٣٤٣ - الخضراء ٣٤٣ |
| ٣٧٠ - رحمته ٣٧٠ صفاته : ٣٨٥ | أسفل السافلين : ٢٦٧ |
| الف : ١٥ - ١٤ | الاسماء الالهية : ٥١ - ٩٤ - ١٢٦ |
| | الاسماء الحسنى : ٢٦٥ - ٣٣٤ - ٣٤٠ |

فهرس الموضوعات والاصطلاحات الهامة

-٤٠٥-

| | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| البداء : ٣٨٦ | الم : ١٦ |
| البرزخ : ٧٢ - ١٩٥ - ٣٥٣ | المص : ١٦ |
| البرهان : ٣٦٠ | الالهام : ١٨٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ |
| البصر : ٥٨ | الامامة : ١٥٢ |
| البلاهة : ٢٨٤ | الامامة : ٣٠٢ - ٣٠١ - ٢٩٨ |
| البلادة : ٣٧٣ | ٣٨٩ - ٣٨٨ - ٣٨٧ |
| بوليموس : ٢٣٥ | الامر : ٤٣ - ٨٧ - عالم الامر |
| البيت المعمور : ٢٥٦ | الامر بين الامرين : ٢٦٢ |
| تجسم الاعمال : ٢٤٧ | ام الكتاب : ٣٧٣ - ٣٧١ - ٢٥٣ |
| التدوين التشريعي : ٣٤٧ | الانزال : ٢٧٦ |
| الترىاق الاكبر : ١٤٤ | الانسان : ٢٣ - ٣٥ - ٣٨ - ٣٩ - ٣٩ |
| التبسيح : ١٤٦ - ١٤٤ - ٣٤٢ - ٣٣٢ | ٤١ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٩ - ٥٤ |
| الشخص : ٦٧ - ٣٢ | ٥٧ - ٤٥ - ٤٨ - ٦٧ - ٧٦ - ٨٥ - ٢٣٤ |
| التشرع التكوي니 : ٣٤٧ | - ٢٥٥ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٤٢ - ٣٤٧ - ٣٤٧ |
| التفويض : ٢٦١ | المحمدى - الكبیر - ٣٤٢ |
| الننساخ : ٩١ | الاتفاق : ١٠٢ - ٢٧١ - ٣٥١ |
| التوحيد الاعمالى : ٣٣٤ | الانظام : ٢٨٤ |
| التوفى : ٨٥ - ٧٥ | الأولية : ١٥٤ |
| التهور : ٢٨٤ | أول ما خلق الله تعالى : ٥٦ |
| التوفيق : ١٨٤ - ٣١٠ | أهل النار : ٣٣١ |
| ثمرة الاعمال : ٣٠٦ | أيام الخلقة : ٣٣٨ |
| ثمرة العقائد : ٣٠٦ | الايمان الالهية : ١٦٠ |
| الثواب : ٩٥ | الايمان : ٣٣٣ - ٢٣١ |
| الجبر : ٢٦١ | الباء : ١٥ |
| جريئيل : ٢٧٦ | البحر المسجور : ٣٦ - ١١٩ |

- | | |
|--|--|
| حق اليقين : ٢٨٢ الحقيقة المحمدية : ٣٤٠ - ٣٤١ الحكمة : ٣ - ١١٠ - ٢٨٤ - ٣٧٣ الحكماء الالهيون - الطبيعيون : ١٠٦ حم: ١٦ - ٣٥٨ حمعسق : ١٦ حوا الاولى : ٣٧٧ - ٣٤٦ الحياة الدنيا : ٢٣٨ - ٢٣٦ الحياة العقلية : ٢٢٤ - ٢٢٢ خازن جهنم : ٣٤٥ الخذلان : ١٨٤ خزائن الغيب : ٢٥٣ المخشع : ٢٠٩ الخلق : ٨٧ خلق الاعمال - ٢٦٢ خلق العالم : ١٥٩ - الزمانيات : ١٦٢ الخلقة : ٥٣ الخلود : ١١٥ - ٢٣٥ - ٢٣٦ الخمود : ٢٨٤ خوف الرجاء - خوف المعصية: ٣٥٦ خيال العالم : ٢٥٤ - خيال الكل : ٣٦٤ الدال : ١٥ الدعاء : ١٠١ الدنيا : ١٢٧ - ٢٣٦ - ٢٠٢ - ٢٣٨ -٢١٠ ٣٦٤-٣٦٣-٣٥٤-٣٣٤ حقارتها انها وهم : ٢٤١ - ٢٣٩ - ٢٤٠ | الجبن : ٢٨٤ الجحيم : ٦٨ - ١٦٣ - ٢٣٤ الجذبة : ٣١ - ٣١ الجربزة : ٣٧٣ - ٢٨٤ جسم الكل : ٣٥٨ جنود الشيطان : ٢٤١ - ٣٦٥ جنود العقل : ٢٤١ - ٣٦٥ الجنة : ٢٤٩ - ٣٤٢ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣٤٦ ٦ - ٣٤٣-٣٤٢ - الماوى - الدنيا (النزلوية) جنات المأوى : ١١٤ الجهاد الاكبر: ١٩٠ الجهل : ٣٦٠ - المركب: ٢٩٣: الجحيم : ١٥ الحاء : ١٦ الحججة : ٣٩٨ الحديد : ٢٩١ الحركة : ١٩٧ حروف ابجد : ١٦ - ١٧ الحروف المجملة: ١٧ الحروف المقطعة: ١٤ - ١٧ - ١٥ - ١٨ الحسنات : ٢٢٦ حسن الخلقي : ٢٨٤ الحشر : ١٢٧ - ١٢٨ المعاد الحق الاضافي : ٣٨٠ - ٣٧٧ - ٣٥٧ |
|--|--|

| | |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| الشهر : ٢٨٤ | الدهر اليسير : ٣٤٣ - ٣٤٢ |
| الشفع : ٣٥٧ - ٣٥٨ | الدهر اليمين : ٣٤٢ |
| الشقاوة : ٩٨ - ١١٠ - ٢٦٧ - ٢٧٥ - ٢٩٣ | الراء : ١٦ |
| - ٣٨٠ | الرذائل : ٢٨٤ |
| الشهيد : ٢٣٢ | الرحمة : ٣٦٦ |
| الشيطان : ١٥٦ - ١٨٤ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٣٦٥ | رحمتة تعالي : ٢٢٧ |
| الصاد : ١٦ - ١٧ | رق منشور : ٣٧٣ - ٣٣١ |
| الصحو بعد المحو : ٣٨٦ | الروح : ٧٥ - ٥٧ - ٥٦ - ٢٥ - ٥٨ |
| الصدقات : ٢٧١ | ٣٣٥ - ٢٨١ |
| الصديق : ٢٣٢ | روح القدس : ٢٢٤ - ٢٧٦ - الاعلى |
| الصور البرزخية : ٣٦٤ - ٣٦٣ | ٣٤٥ - ٣٣٧ |
| المملكتية : ٣٨٣ | الزجاجة : ٣٥٧ - ٣٥٨ |
| الطاء : ١٦ | السالك المجنوب : ٣٥٢ |
| الطبائع النوعية : ١٤٨ - ١٤٩ | السبب الغائي : ٢٩١ |
| طس : ١٦ | السفاهة : ٢٨٤ |
| الطلسم : ١٤٩ | سلسلة الصعود : ٢٨٨ |
| الطور : ٣٧٣ - ٣٣١ | سلسلة النزول : ٢٨٨ |
| الظلم : ٢٨٤ | السعادة : ٩٨ - ١٠٣ - ١٠٨ - ٢٦٧ |
| العارف : ٢٩٩ - ٣٠٧ | ٣٠٦ - ٢٩٣ - ٢٧٥ |
| العالم -- الاكبر : ٣٤٢ - ٣٤٧ | السمع : ٥٨ |
| - الامر : ٢٨٧ - ٢٥٢ - ٢٨٧ | السين : ١٦ |
| - الحقيقى : ٢٩٩ - ٢٥٣ | الشجاعة : ٢٨٤ |
| الخيال : ٣٥٣ - خيال الكل : ٣٤٣ | شجرة الزقوم - السدرة : ٣٦٥ |
| - الصورة : ٣٥ - عقل الكل : ٣٤٢ | الشر : ٥٣ |
| العقلى : ٢٥٠ - الغيب : ٣٥ - ٥٤ | الشرعية : ٢٠٥ |

- القدرة : ٢٥٣ - القضاء : ٢٨٧
 المثال : ٢٥٤ - المعنى : ٣٥
 الملکوت : ٣٤٤ - نفس الكل
 النفسي : ٢٥٠ - العوالم
 عباد الطاغوت : ١٥٦
 العبودية : ٣٥٧
 العدالة : ٢٨٤ - ٢٨٥
 العذاب الادنى : ١١٦
 العرش : ٣٥ - ٣٩ - ٤١ - ٤٠ - ٣٩
 الاستواء عليها : ٣٦ - ٣٨ - ١٦٠
 الرحمن : ٣٤٠ - ٣٣١
 العرفة : ٢٣٣
 العفة : ٢٨٤
 العقاب : ٩٥
 العقل : ٥٦ - ٣٦٠ جنودها - ٢٤١ - الكل
 ٣٤٦ - ٣٤٦ - ٣٥٧ - الهيولاني
 الفعال : ٥٦
 المقول : ٢٥٣ - الفعالة : ٢٧٧
 العلم : ٩٨ - ١٠٥ - ٢٧٦ - ٣٣٣
 اللدنى : ٢٥٣
 علم اليقين : ٢٨٢
 علماء الآخرة : ٢١٤ - ٢١٦ - ٢١٧
 علماتهم : ٢١٥
 علماء الدنيا : ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢
 ٢١٣ - علماتهم : ٢١٨
- الصلة الغائية والفعالية : ٢ - ١٧٥ - ٣٣٩
 العلوية العليا : ٣٣٧ - ٣٤٢ - ٣٤٢ - ٣٥٨ - ٣٧١
 العبر الشهاب : ١٤٦
 العالم : ٢٥ - ٤٢ - ٣١ - ٤٣ - ٤٥ - ٥٨
 العود الانفر : ١٤٣
 العين : ١٦ - اصابة العين : ٢٨٠
 عين اليقين : ٢٨٢
 الغاية : ٢٩١ - ٣٣٧ فـ في الوجود - للخلق
 الفتق : ٣٤٢
 الفجر : ٣٥٧
 الفصل : ١٢٥
 الفضائل العلمية : ٢٨٤
 الفلك : ٣٥٧ - الاطلس : ٣٤٢ - الثامن
 الشمس : ٢٥٦ - ٢٧٩ - ٣٤٢ . الشمس
 القاف : ١٧ - ١٦ - ٢٠
 القبر : ٧٩ - ٨٠ - ١١٧
 القدر : ٣٣ - ٩٥ - ١١٨ - ٢٥٤ - ٢٦٢
 القدري : ٣٧٤
 القرآن : ٥ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢٢
 ١٣١ - ١٢٤ - ١٢٣ - ٥٨ - ٢٤ - ٢٣
 ١٤٢ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٣٠٢
 قرب الفرائض - التوافق : ٣٣١ - ٣٤٩
 قرض الحسن : ١٩٣ - ١٩٤
 القضاء : ١١٨ - ٢٥٣

| | |
|--|------------------------------------|
| القلب : ٣٥ - ٣٦ - ٤٠ - ٣٩ - ٢٢١ - ٤١ - | ليل عشر : ٣٥٨ |
| القلم : ٣٧١ - الاعلى ٣٧١ - ٣٥٨ - | المتخيل : ٢٣٩ |
| ٣٧٧ | المثال - عالم المثال |
| القوى الانسانى : ١٨٨ - ١٩٢ - ٢٨٣ | المثل : ١٤٩ - ٣٥٨ |
| ٢٩٣ - ٢٧٧ العاقلة ٢٧٧ - العملية ٣٠٦ | المحمدية البيضاء : ٣٧١ - ٣٣٧ - ٣٧٧ |
| الغضب ٢٨٣ - ٢٨٣ المصورة ٢٧٨ | المحو : ٣٨٦ |
| المفكرة ٨٨ النظرية ٣٠٦ | المجبرة : ٣٥٢ |
| القيامة : ١٦١ - ٧٠ - ٥٢ - | المجدوب السالك : ٣٥٢ |
| ١٦٩ ٣٣٧ الوسطى ٣٤٦ - | مراتب السلوك : ٣٥٢ - الصعود ٣٥٩ |
| الكبريت الاحمر : ١٤٤ | السنزو ٣٥٩ - المخلوقات ٣٤٢ |
| الكتاب : ٢٢ - ٢٥ المبين ٢٥٢ - ١١٩ | الوجود ٢٥١ - ٣٨٣ |
| ١١٨ الله ١١٨ - ٣٥٨ المحو و الآثبات | المزاج : ٢٨٨ |
| ٣٣١ - المسطور ٣٧٣ - ١٢٣ تعالى | المسك الاذفر : ١٤٤ |
| ٣٤٧ التدوينى ٣٤٧ | المشكوة : ٣٥٧ - ٣٥٨ |
| الكرامة : ٢٨٠ | المصباح : ٣٥٧ |
| الкроبيون : ٢٥٢ | المعاد : ٦٣ - ٦٤ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ |
| الكسب : ٢٢٨ | ٨٩ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٧٣ |
| الكافار : ٥٩ - ٩١ - ١١٥ - ١٢٠ | معرفة الله تعالى : ١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٥ |
| الكفر : ٦٠ - ٦٠ | ٣٥٠ |
| كلام الله تعالى : ١٢٣ - ٢٧٨ | معرفة النفس : ٢٢٢ |
| كهييصن : ١٦ | المعجزة : ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٨٠ |
| اللام : ١٦ | مفاتيح الغيب : ١١٨ |
| اللوخ : ٣٧٣ - ٣٧١ - ٣٥٨ | مقام هورقلينا : ٢٧٨ |
| ٣٧٧ - المحفوظ ١١٨ - ٢٥٠ | المكاشفة : ٢٧٦ |
| ٣٧١ - ٣٥٨ - ٢٥٣ | الملك : ١٨٤ - اللوح ٢٧٩ - الوحي |

| | |
|---|---|
| النون : ١٦ | الموت : ٧٦ - ٧٥ : ٢٧٨ |
| واد القدس : ٣٣٧ | الملاذة : ٢٧٨ - ٣٤٦ - المقربون - |
| الواو : ١٦ | ٢٨٧ - ٢٥٢ الموكلون |
| الوتر : ٣٥٧ | الملكة : ٢٤٧ - ٢٥٢ |
| الوحدة : ٧٢ - في عين الكثرة ٣٤٨ | الملكتوت الصورى المثالى : ٣٤٣ - ٣٤٢ ٣٤٤ |
| الوحى : ٢٨٢ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٨ | المنافقون : ٣٥٤ - ١٢٠ - ٢٠٨ - |
| الوسوة : ١٨٤ | منزلة الاوليات : ٣٨٢ |
| الولى : ٢٧٥ - ٢٦٣ - ٢٣٢ | الموت : ٨٧ - ٧٨ - ٧٥ |
| الوهم : ٣٣٧ | المؤمن : ٩٩ - ٩٨ |
| الهاء : ١٦ | الميثاق : ١٨٣ |
| الهاوية ٣٣٧ | الميزان : ٢٨٨ - ٢٨٦ - ٢٨٣ |
| الهباء : ٣٤٢ | الميم : ١٥ |
| الهدایة : ٩٤ - ١٨٣ | المهدى (ع) : ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٣٠١ - |
| هورقليا : ٣٨١ | ٣٨٩ - ٣٨٨ - ٣٨٧ |
| الهيولى ١٦٣ | النار : ٢٤٩ - ٢٤٦ - ٢٣٨ - ٢٣٤ |
| الياء : ١٦ | النبي : ٣٨١ - ٢٧٦ - ٢٧٥ |
| يس : ١٦ | النatas : ٣٤٤ |
| يوم ابتداء الخلق : ١٦١ - الجمع ١٧ - ٣٤٠ | النفس الانسانى : ٢٨٢ - ٢٨١ - ٨٨ |
| الجمعة ١٦٠ - ١٦١ - ٣٣٩ | ١٨٩ - الرحى ٤٢ - الناطقة ٥٦ |
| الربوبى ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٥٠ | الكل ٣٤٢ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٤٢ |
| ٥١ - ٥٢ - الساعة ١٦١ - ٣٤١ العرض | الكلى ٣٧٧ |
| ١٦٩ الفصل ١٧ - ١٢٦ - ١٢٧ - القضاء | نور الایمان : ١٩٦ |
| ١٢٦ المزيد ١٦١ محمدى | |
| ٣٤١ الرجعة ٣٤٦ القيمة الكبرى | |

فهرس الاعلام

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| ابن سينا : ١٥ - ٦٣ - ٧٦ | ٣٤ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٨ - ٥ (ع) : |
| ابن طيبار : ٢٧ | ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٠ - ٥٥ - ٥٠ |
| ابن عامر : ١٨٦ - ١٩٩ - ٢٧٠ | ٣٠١ - ٢٧٤ - ٢٧١ - ٢٥٢ - ٢٢٦ |
| ابن عباس : ٧٥ - ١١٤ - ١١٦ - ٧٦ | ٣٤٥ - ٣٤٣ - ٣٤٢ - ٣٤١ - ٢٩٨ |
| - ٢٠٧ - ١٩٧ - ١٥٣ - ١٥٢ - ١٣٠ | ٣٧٠ - ٣٥٨ - ٣٥٢ |
| ٣٠٥ - ٣٠٤ - ٢٩٢ - ٢٧٤ - ٢٣٠ | ابراهيم (ع) : ٥ - ٥٠ - ٢٩ - ٥ - ١٠٦ |
| ابن عمر : ٢٧٣ | ٣٤٥ - ٢٩٦ - ٢٩٤ |
| ابن القرىه : ٣ | ابراهيم : ١٧٦ |
| ابن كثير : ٢٢٥ | ابليس:- ١٥٠ - ٢٤٢ - ٢٥٢ - ٢٧١ |
| ابن مسعود : ١١٦ - ١٩٦ - ٢٠٧ - ٢١٦ | ٣٥١ - ٣٣٣ - الشيطان |
| - ٢٣٠ - ٢٨٩ - ٢٩٧ | ابن ابي العالية : ١١٦ |
| ابوبكر الوراق : ١٥٢ | ابن ابي عمير : ٢٧ |
| ابوبكر : ٢٢٥ | ابن ابي ليلى : ١١١ |
| أبو جعفر (ع) : ١٠٠ - ٢٠ - ١١٦ - - | ابن جرير : ٢٣٠ |
| ٢٨٥ - ٢٣٠ - ٢١٢ | ابن حبان : ٢٨٩ |
| أبو جعفر : ١٩٩ | ابن زيد : ٢٧٣ |
| أبو جهل : ١١ - ٥٩ | ابن السمييع : ١٣٤ |

- | | |
|---|--|
| براء بن عازب : ٢٣٠ بلخى : ١٥٤ بلعم بن باعورا : ٢١٠ - ٣٤٥ بهائى(شيخ) : ٣٠٢ جابر بن عبد الله : ٣٠١ - ٣٠٢ جبائى : ٢٧٣ جبرئيل(ع) : ٤٤ - ٢٧٣ - ٢٧٦ جعفر بن ابى طالب(ع) : ٣٠٥ جميل بن دراج : ٢٧ جنيد بغدادى : ١٢٦ حارث بن المغيرة : ٢٣٠ حسين بن على(ع) : ٣٥٨ الحسن العسكري(ع) : ٣٥٨ حسن : ٣ - ٦٢ - ١١٦ - ١٠٠ - ١٢٢ - ٢٤٤ - ٢٠٨ - ١٧٨ - ١٥٨ - ١٢٣ ٣٦٧ - ٣٠٩ - ٣٠٨ - ٢٩٥ حسن بن سعيد : ٢٧ حسن بن على(ع) : ٣٠٢ حسين الصيقيل : ٢١٣ حمزه : ١٩٩ - ١٢٢ حوا(ع) : ٣٥٨ خازن جهنم : ٣٤٥ خضر(ع) : ١٢٥ داود(ع) : ٢١٢ دجال : ١ - ١٣٣ | أبو حنيفة : ١٥٩ أبو عبدالله الصادق(ع) : ٢٧ - ٢٠ - ٢١٣ - ٢١٢ - ١٩٨ - ١١٦ - ١٠٠ ٣٧٦ - ٣٤٥ - ٢٦٢ - ٢٥٢ - ٢٣٠ - ٢١٦ ابو عمرو : ١٧٩ ابو القاسم البلخى : ٤٣٥ أبو لهب : ٥٩ - ١١ ابو يحيى (ملك الموت) : ٧٧ ابو يزيد البسطامى : ٢٥ - ٤٠ - ١٢٦ ابن كثير : ٢٢٥ احمد بن محمد بن عيسى : ٢٧ ارسطو : ٢٤ اسماعيل(ع) : ١٢٣ اسرافيل(ع) : ٢٧٩ اغاثاذيمون : ١٢٦ افلاطون : ١٤٩ - ١٢٦ امير المؤمنين(ع) : ١٤ - ٢٢ - ٥٤ - ٥٣ - ٩٣ - ٦٢ ٢١٢ - ١٥٢ - ١٥١ - ١١١ - ٢٩٩ - ٢٦٤ - ٢١٨ - ٢١٧ - ٢١٣ ٣٨٤ - ٣٥٨ - ٣٤٥ - ٣٣٧ انذاقلس : ١٢٦ انس : ١٠١ اويس القرني : ٣٠١ ايوب بن قيس : ٣ بايزيد البسطامى : ٣٤٩ |
|---|--|

- | | |
|---|---|
| عيسى (ع) : ٢٩ - ٣٣ - ٥٠ - ٢٥٦ ٢٩٥ - ٣٠٤ - ٢٩٧ - ٢٩٦ - ٢٩٥ ٣٧١ - ٣٤٥ - ٣٤٣ فاطمة (ع) : ٣٥٨ فراء : ١٥٩ - ٢٣٠ فرعون : ٣٥٢ فوفوريوس : ٢٤ فيثاغورس : ١٢٦ قاضى : ١٥٩ قنادة : ٧٥ - ١١٦ - ١٢٢ - ١٩٦ - ٢٩٦ قطرب : ٢٧٤ فقال : ١١٨ كسانى : ١٢٢ كلبي : ٢٤٣ كليني (ره) : ٢١٢ - ٢٧ كمبل : ٢٩٩ لبيد : ٢٠١ مالك بن أنس : ١٥٩ مجاهد : ٧٤ - ٦٢ - ١٠٠ - ١٣٢ - ٢٣٠ - ١٥٨ محمد صدر الدين (المؤلف) : ٦ محمد بن يعقوب - كليني (ره) محى الدين : ٣٠ - ١٢٦ - ١٤٨ - ٣٠٢ مسروق : ٢٣٠ معاذبن جبل : ١٠٠ | رويس : ٢٠٧ زجاج : ١٢٢ - ٢٠٠ - ٢٩٣ - ٢٣٠ زمخشري : ١١ - ٢١ - ٢٦ - ٥٥ - ٦٢ ٧٤ - ٩١ - ٢٩٩ زين الدين (الشهيد الثاني) : ٢١٤ سدى : ١٣٢ - ١١٦ - ٢٤٤ سقراط : ١٢٦ - ١٢ سليم بن قيس : ٢١٢ سنائي : ٣٣ سهل التسترى : ١٢٦ شيطان : ٣٤٣ - ابليس صاحب الكشاف : زمخشري صالح بن كيسان : ٢١١ ضحاك : ١٥٤ عايشة : ١٢٤ عبد العزيز : ١٥٣ عبدالله الانصارى : ٦٨ عبدالله بن مسعود : ابن مسعود عراقى : ٢١١ - ٢٨٩ عطاء : ١٠٠ عكرمة : ٧٦ - ١١٦ - ١٧٦ على بن ابراهيم : ٢١٢ على بن ابيطالب عليه السلام : امير المؤمنين على بن الحسين (ع) : ٢٦٠ عياشى : ٢٣٠ - ٢٨٩ |
|---|---|

١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣
١٨٣ ، ١٨٠ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٤٨ ، ١٤٧
٢٠٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٨ ، ١٧٢
٢٦٤ ، ٢٤٣ ، ٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١
٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦
٢٩٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٠
٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧
٣٤٣ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥
٣٥٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥
، ٣٨٠ ، ٣٧٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩
٣٨٦ ، ٣٨٤

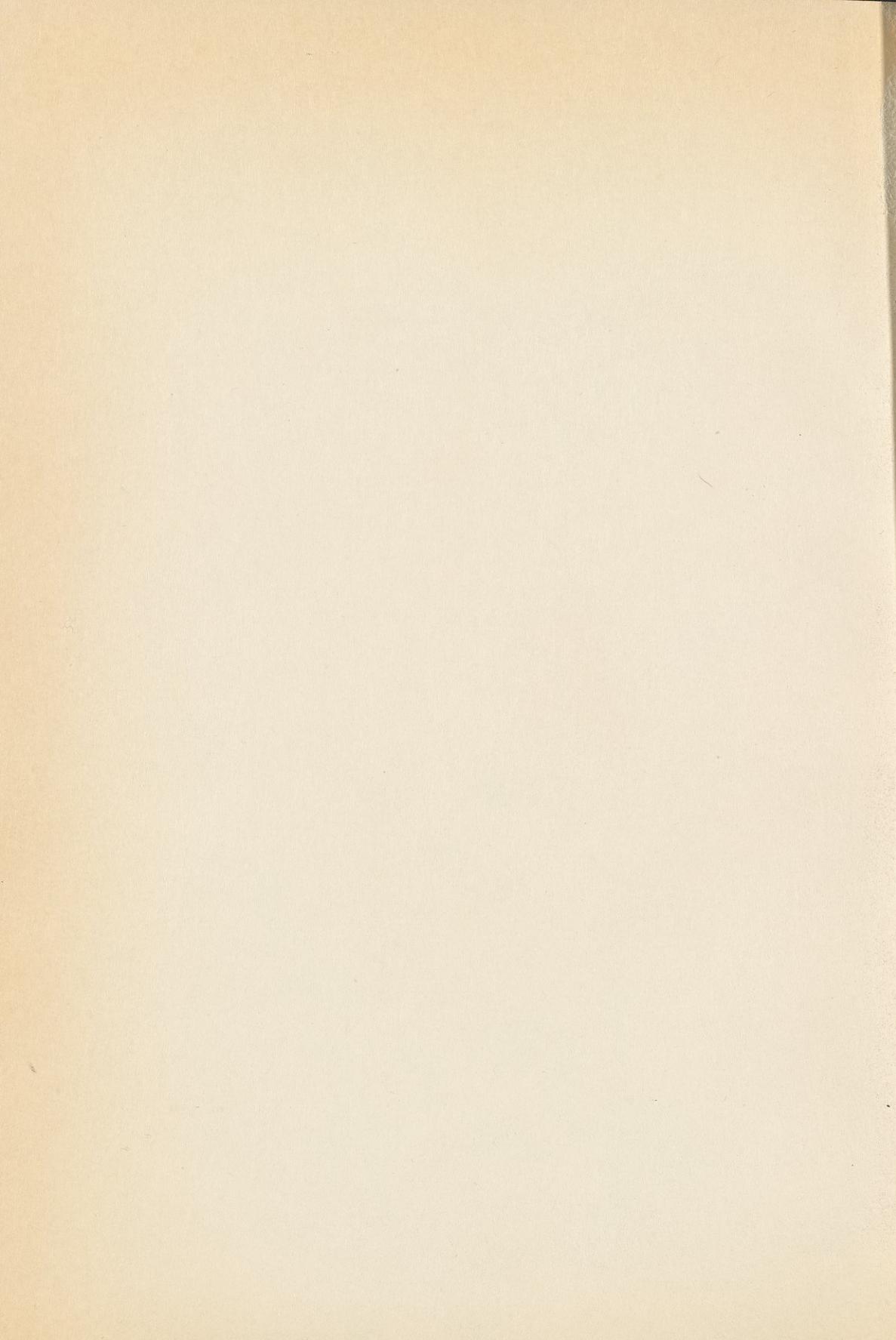
نعمان بن الحارث : ٦١
نوح (ع) : ٢٩ ، ٥٠ ، ١٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٣
٤٣٥ ، ٣٠١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٢
واحدى : ١٠٠
وليد بن عقبة : ١١١
يعقوب : ١٩٩ - ١١٢
يوسف (ع) : ٣٤٥

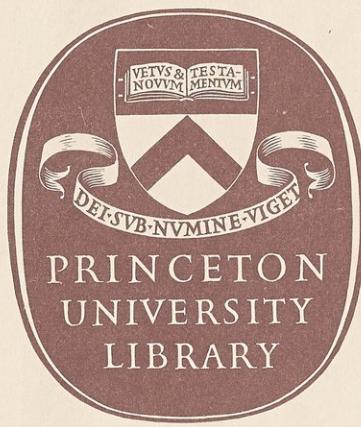
معاوية : ٣٥٨
مقاتل بن حبان : ٢٣٠
مقاتل بن سليمان : ٢٧٣ - ٢٣٠
ملك الموت : ٧٨ - ٧٧
منهال بن قصاب : ٢٣٠
موسى (ع) : ١٢٢ - ٥٠ - ٢٩ - ٢٦ - ٢٩
٣٤٥ - ٣٠٤ - ٢٧٩ - ١٧٢ - ١٦٠ - ١٢٤
المهدى عليه السلام : ١٢٢ - ٥٠ - ٢٩ - ٢٦ - ٢٩
٣٠٢ - ٣٠٠ - ٢٩٨ - ١٦١ - ١٢٤
٣٨٧ - ٣٥٧ - ٣٤١
ميداني : ٢٧٦
نافع : ٢٧٠ - ٢٠٧
النابغة الذبياني : ٦١
النبي عليه السلام : ٢٠٠١٩ ، ٨ ، ٥ ، ٣ ، ١
٣٥ ، ٣٤ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٢
، ٥٦ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٣٩ ، ٤٠
، ٧٦ ، ٧٢ ، ٦٨ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٧
١٠٠ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٥
١١٧ ، ١١٣ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٣ ، ١٠١

بعض الاخطاء الواقعة في الكتاب

| الصواب | الخطأ | الصفحة السطر |
|---|-------------------------|--------------|
| الى عدم | الى وعدم | ٢ ١٥ |
| فالسنة منها هى التي خلق اليه فالستة منها هى التي خلق الله | | ٥ ٢٩ |
| فرع | فرغ | ١٨ ٤٦ |
| لعدم | ويعدم | ٢١ ٥٩ |
| مستبعدا | مستبعدا | ٧ ٦٢ |
| فتكون | فكون | ١٩ ٧٦ |
| لايجوز | الايجوز | ١٠ ٨٣ |
| تستخبر | تستجز | ١ ٨٥ |
| الخلق | الخالق | ٨ ٨٨ |
| المحقون | المحقوق | ٨ ١١٩ |
| اكثرهم | اكثر | ١٠ ١٢١ |
| تنقل | ينتقل | ٩ ١٨٥ |
| أثمنتم | أتمنتم | ٣ ٢٠١ |
| ثم الكلام | تم الكلام | ٢٠ ٢٠١ |
| لكونهم منبعين | منبعون | ٤ ٢١٧ |
| (زاده) | الانكار | ١٨ ٢٣١ |
| الصور | السور | ١٠ ٢٦١ |
| ولاتكون | ولايكون | ١٣ ٢٦٩ |
| التمييز - للتمييز | ١٥-١٢ التمييز - للتمييز | ٢٨٣ |

2





Princeton University Library



32101 047112097